المزمار

مجلة ثقافية رياضية جامعة
العدد الخامس- «يناير» كانون الثاني 2025

التشكيلي ستار كاووش:
الغربة تمنح الفنان الفردية ليصنع عالمه الذاتي

السيّاب..
في ذكراه الخمسين

سوريا بزوغ شمس الحرية

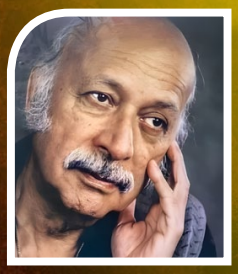

مظفر النواب
طائر بغداد والتمرد

شكسبير. لم أسمع به قط؟!

تقشير الخيار بالسيف البتار

فريد الأطرش.. خمسون عاماً على الغياب

ريال مدريد يتوشح بذهب أبطال القارات

FIFA يُنصف فينيسيوس في الدوحة

المزمار

العدد الخامس ـ «يناير» كانون الثاني 2025

مجلة ثقافية رياضية جامعة
تصدر عن "المركز العربي للإعلام والثقافة"
فيينا ـ النمسا

المركز العربي للإعلام والثقافة
Arabisches Zentrum für Medien und Kultur
فيينا - النمسا

رئيس التحرير:

عبد الكريم البليخ

مدير التحرير

محمـــد رضـــوان

هيئة التحرير:

د. حمدي موصللي — إبراهيم النمر
د. موسى رحوم عباس — إياد حسن
عيسى الشيخ حسن — عيد فؤاد
فهـد الحســن

المدير الفني:

عمـار الشـيخ عـلي

www.Almzmar.com

المراسلات باسم رئيس التحرير

على البريد الإلكتروني:
Almizmar024@gmail.com

00436763901842

موقع المجلة على فيسبوك:
https://www.facebook.com/groups/arabischeszentrumfrmedienundkultur

موقع المجلة على انستغرام:
https://www.instagram.com/almizmarmagazin/

ـ الآراء التي تطرح في المجلة، والمقالات التي يعاد نشرها، هو الاطلاع على الرأي الآخر مهما انطوى على اختلاف.

ـ ترتيب نشر المواد وفقاً لضرورات فنية.

ـ المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

ـ المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر سواء نشرت أم لم تنشر.

ـ آخر موعد إرسال المواد قبل 20 من كل شهر.

بصراحة

فساد الصحافة

الصحافة، صاحبة الجلالة التي طالما حملت شرف القلم، ودافعت عن حقوق الناس، وعبّرت عن همومهم وآمالهم، باتت اليوم في مهب الريح بسبب ما آلت إليه بعض ممارسات المتطفلين على المهنة.

عدد غير قليل من «الصحفيين» الأميين، ممن لا يمتلكون سوى الاسم، يشوّهون هذا الفن الراقي بأساليبهم المبتذلة، ويمارسون الابتزاز والفساد تحت مظلة الصحافة، ما يهدّد بقلب المعايير والمبادئ التي قامت عليها السلطة الرابعة.

في مشهد قاتم يطفح بالمرارة، نجد أعداداً ممن يُسمون أنفسهم صحفيين، وهم في الواقع غرباء عن المهنة. بعضهم لا يستطيع حتى كتابة جملة مفهومة، وآخرون بالكاد يمتلكون الحد الأدنى من مهارات الكتابة. هؤلاء المتطفلون جعلوا من الصحافة أداة للابتزاز وتحقيق المكاسب الشخصية، بدلاً من كونها منبراً للدفاع عن قضايا الناس.

الصحفي الحقيقي يمتلك أدوات التعبير، يحرر المادة بدقة وموضوعية، ويصوغها بأسلوب يمس القارئ. أما هؤلاء الأميون، فهم يقدمون مواد صحفية مترهلة، بعيدة كل البعد عن الواقع، تحمل في طياتها ركاكة الصياغة وضعف المحتوى.

لا يتوقف الأمر عند حدود الكتابة الرديئة، بل يمتد إلى ممارسات مفضوحة تتمثل في الابتزاز واستغلال النفوذ. بعض هؤلاء يتجولون في المؤسسات والدوائر الرسمية، يستغلون مناصبهم الوهمية لانتزاع مصالح شخصية. مديرو المؤسسات، خوفاً على مناصبهم أو تفادياً للفضائح، يرضخون لهم تحت شعار «من دهنه سقي له».

نموذج صارخ لهذه التجاوزات يظهر في قضايا فساد كثيرة وهي جرائم تضع الصحافة في مواجهة تساؤلات عن دورها الحقيقي في كشف الفساد أو التواطؤ معه.

في المقابل، نجد قلة من الصحفيين المتمرسين الذين يمتلكون أدواتهم المهنية، ولكنهم للأسف يساهمون في تفاقم المشكلة من خلال تشجيع هؤلاء المتطفلين. يتم استخدام أسماء الصحفيين الأميين كواجهة لنشر مواد صحفية صاغها متمرسون، في مشهد يبرز ازدواجية غريبة بين الظل والنور.

هذا الأسلوب يفاقم الأزمة ويكرس حالة من الترهّل في الصحافة، التي باتت تعاني من تسطيح الرؤية وسطحية المحتوى.

هذه الممارسات البعيدة عن الأخلاق المهنية ألحقت ضرراً بالغاً بالصحافة السورية، سواء الورقية أو الإلكترونية. الصحفي، الذي كان يُنظر إليه كصوت للحق، أصبح اليوم أداة للفساد والابتزاز في أذهان الكثيرين.

التغني بالمواد المنشورة، رغم ضعفها، يعكس واقعاً مأساوياً يحكم المشهد الصحفي. يتفاخر الصحفي المتطفل بمواده الركيكة التي تنشر بأسمائه، ويهدد المسؤولين في حال رفضوا تقديم تنازلات شخصية له.

هذه المظاهر المتفشية أفرزت صورة قاتمة لواقع الصحافة، حيث أصبح اليأس هو السمة الغالبة. الصحافة التي كانت تحمل مسؤولية التنوير ونقل الحقيقة باتت تفتقر إلى المصداقية، ما يرسم ملامح مستقبل غامض للسلطة الرابعة.

رغم هذه الصورة القاتمة، يبقى للصحافة وهجها ومكانتها في قلوب محبيها. لا تزال هناك أقلام شريفة تدافع عن قيم المهنة وتسعى لإعادة بريقها. هذه الأقلام، رغم قلتها، تمثل الأمل في استعادة الصحافة لدورها الحقيقي كمرآة للمجتمع وصوت للحق والعدالة.

إنقاذ الصحافة يتطلب جهداً مشتركاً من جميع الأطراف: الصحفيين المخلصين، المؤسسات الإعلامية، والجهات الرقابية، لوضع حد لهذه الممارسات المخزية، والحفاظ على مكانة الصحافة كركيزة أساسية للديمقراطية والمجتمع.

رئيس التحرير

في هذا العدد

فساد الصحافة 3
فواصل منقوطة ـ سوريا بزوغ شمس الحرية 6
الأسد راعي الرياضة.. من عدنان قصار إلى منتخب البراميل 22
محمد سلمان.. وقصص القمع في الرقة 30
السجن الانفرادي في "فرع الخطيب" التهمة صحافي 34
صرخة في زنزانة الموت 36
تساؤلات مغرضة أم مشروعة؟ رضوان شاهين الفارس 38
مقهى الروضة الدمشقي .. يستعيد رواده 42
أديب الفرات إبراهيم الخليل.. شاهد على الحرب والمكان 44
شكسبير .. لم أسمع به قط 54
السيّاب في ذكراه الخمسين 60
دون كيخوته.. في ذاكرة الإبداع العربي 62
الفيلم الوثائقي طحوطح.. ذكرى ترمم ذاكرة 66
ستار كاووش: الغربة تمنح الفنان الفردية ليصنع عالمه الذاتي 68
عن فرقة الرقة الشعبية .. وفنون الدبكة 80
مظفر النواب طائر بغداد المتمرد 82
"بندقية أبي".. نضال وهوية عبر أجيال 94
فريد الأطرش... خمسون عاما على الغياب 114
فارس قرة بيت: الكاريكاتور ليس فن النخبة 120
محمود شكوكو.. فنان الشعب الذي أضحك الأجيال 128
القطري علي يوسف المحمود منارة ثقافية واجتماعية 144
أحزان ما بعد شهوة الجماع 167
استراحة المزمار 168
كأس العالم بين المغرب والسعودية 173
مؤيد البدري.. شيخ المعلقين الرياضيين العرب 180
لماذا تغيب المجلات الرياضية المتخصصة 196
أزمة تراجع الكرة الإيطالية 210

إضافة إلى العديد من المقالات والدراسات التي تتعلق بالأدب والثقافة والشعر والفن والمرأة والرياضة.

من كتّاب العدد

ذكريات من الماضي الجميل | سعد الرميحي 10
سوريا أقبية القتل والتعذيب إلى الشمس | راسم المدهون 26
على الملأ.. في الكذب والنفاق | عبد الكريم البليخ 29
سراب بطعم الوطن | أحمد رشاد 40
البندقية أم غلبة الألوان | طالب عبد العزيز 41
تغريدة أموية إلى قمر دمشقي | فهد الحسن 52
نص بصري ـ سهرة ديمقراطية على طريقة الحشاشين | حمدي موصللي 56
طبيب وقاتل؟ مستحيل! | جعبر عباس 64
جنازتي | باولو كويلو 65
تهديد العجيلي بالقتل | خطيب بدلة 76
من حكايات قريتنا - الحَلُّ الوفيّ | عبد الحميد الخلف الإبراهيم 78
تقشير الخيار بالسيف البتار | عبد السلام العجيلي 86
سمائي. | شعر ـ إبراهيم النمر 88
ماذا يفعل المثقف في بلد للجدران فيه آذان وعيون | علي قاسم 89
من دهاليز القضاء عدالة تحت المحاكمة | فواز عويد خليل 90
شجيج عتيج ـ أصدقاء الغربة والذكريات | عيسى الشيخ حسن 92
خواطر قد لا تسر الخاطر | فيصل أبو شادي 96
حكايا من أرض الشوايا . الصرع | محمد الحاج صالح 110
السطو على الماضي | محمد رضوان 125
حين تتحول النباتات إلى موسيقى | ستار كاووش 126
حكاية «جني يركبك» | عماد نداف 131
رحلة القطار | قصة زهير رمضان 142
الإنصات قمة الأدب | محمد النغيمش 165
زيزو «حيّر» الزمالك | عيد فؤاد 179
جواردیولا.. هل أنت بخير؟ | مجدي جادو 195
سيموني يخلط حسابات فليك | حفيظ دراجي 199
غواردیولا .. دوام الحال من المحال | علي محمد علي 206
أرقام محمد صلاح «الخيالية» | خلدون الشيخ 208
أبو تريكة في قلوب المصريين | محمد رضوان 209
الورقة الأخيرة ـ هل الإنسان ضحية التقدم؟ | عبد الكريم البليخ 214

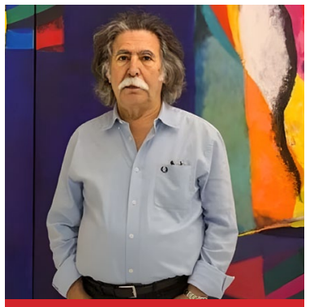

ضياء العزّاوي يفوز بجائزة " نوابغ العرب"
132

هولندا.. أرض الطواحين وعجائب الزهور
148

حسين نعمة.. أيقونة جيل الروّاد في الفن العراقي
136

مقاهي بيروت الثقافية.. رئة المدينة وروحها
158

تميم الحزامي نجم تونسي أضاء سماء كأس العالم 1978
188

كلمة حق

هل تتحقق العدالة؟

تعد الجرائم التي ارتكبها بشار الأسد خلال سنوات حكمه سبباً رئيسياً في هروبه من سوريا، حيث تجاوزت أفعاله حدود الديكتاتورية التقليدية لتصل إلى مستويات غير مسبوقة من الإجرام. هذه الجرائم التي لم يقتصر أثرها على الشعب السوري فحسب، بل امتدت لتشكل تهديداً إقليمياً ودولياً، جعلت من محاكمته مطلباً عالمياً لتحقيق العدالة.

استخدام الأسلحة الكيميائية والبراميل المتفجرة ضد المدنيين، بما في ذلك النساء والأطفال، يعد انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي، ناهيك بممارسة التعذيب في السجون وإخفاء الآلاف من الأشخاص قسراً لأسباب سياسية، مما يمثل جريمة ضد الإنسانية/ وتبنيه سياسات تهدف إلى تأجيج الصراعات الطائفية والعرقية داخل سوريا، لتحقيق مكاسب سياسية وتأمين بقائه في السلطة، فضلاً عن تورطه في تجارة الأعضاء البشرية، بما في ذلك استغلال المعتقلين لهذا الغرض، وتحويل سوريا إلى مركز رئيسي لتصنيع وتهريب المخدرات، ما أدى إلى تداعيات مدمرة على المنطقة، بالإضافة إلى استيلاء الأسد ونظامه على أموال الدولة والخاصة، بما في ذلك تهريب الآثار وبيعها، واحتكار الاقتصاد لصالح عائلته وشركائه، والسماح بدخول قوات أجنبية وميليشيات إلى البلاد، وبيع الأراضي والموارد الوطنية لصالح جهات خارجية، وتهجير ملايين السوريين قسراً وتجويع المدنيين وحرمانهم من أبسط مقومات الحياة، وارتكاب انتهاكات جنسية ممنهجة ضد النساء والأطفال داخل مراكز الاحتجاز، مما يعد واحدة من أفظع الجرائم الإنسانية. وإلى هذا وذاك تقويض الوحدة الوطنية وتقسيم البلاد عبر سياسات تمييزية وحروب داخلية، بالإضافة إلى تدمير المؤسسات المدنية والعسكرية.

وفقاً للقانون الدولي، فإن الجرائم التي ارتكبها بشار الأسد تصل عقوبتها إلى الإعدام أو السجن المؤبد. الجرائم التي تشمل جرائم حرب، جرائم ضد الإنسانية، واستخدام الأسلحة المحرمة دولياً، هي انتهاكات لا تسقط بالتقادم وتستوجب محاكمة عادلة أمام محكمة دولية.

هروب بشار الأسد من سوريا لا يعني إفلاته من المحاسبة. فالتاريخ مليء بأمثلة على محاكمات لاحقة لقادة ديكتاتوريين ومجرمي حرب، سواء أمام محاكم محلية أو دولية. الضحايا، والمنظمات الحقوقية، والمجتمع الدولي سيواصلون الضغط لضمان عدم إفلاته من العقاب، لأن العدالة ليست خياراً، بل ضرورة.

الجرائم التي ارتكبها بشار الأسد ضد الشعب السوري هي جرائم موثقة وشهادات حيّة على سنوات من القمع والإجرام. هروبه من سوريا لا ينهي المسؤولية، بل يفتح باباً واسعاً لمحاكمته أمام العدالة الدولية. العدالة ليست فقط محاسبة فرد، بل هي رسالة لكل من يحاول أن يسلك هذا الطريق المظلم: أن العالم لن يسكت، وأن حقوق الشعوب ستظل حاضرة في المشهد الإنساني مهما طال الزمن.

عبد الكريم البليخ

عبد الكريم البليخ
رئيس التحرير

سوريا.. بزوغ شمس الحرية

في يوم مشهود سيبقى محفوراً في وجدان الأمة والعالم، تحقق الحلم الكبير للشعب السوري بانتصار الحرية على الاستبداد. بعد أكثر من نصف قرن من الظلم والقهر، سقط نظام بشار الأسد، النظام الذي حول سوريا إلى سجن كبير يسوده القمع والفساد. هذا اليوم التاريخي شهد نهاية عقود من المعاناة التي تحمّلها الشعب السوري، وفتح أبواب الأمل لمستقبل أكثر إشراقاً وحرية.

منذ أكثر من خمسين عاماً، عاش السوريون تحت ظل نظام قمعي استبدادي لم يدخر وسيلة لإسكات أصواتهم، لكنه لم يستطع إسكات روحهم. اليوم، أثبت الشعب السوري أن الإرادة الحرة قادرة على قهر الاستبداد مهما طال أمده. بسقوط هذا النظام، انطوت صفحة مظلمة من تاريخ سوريا، ليبدأ عهد جديد من الحرية والكرامة.

تحول النظام السوري لعقود إلى ما يشبه المزرعة العائلية، حيث تفشى الفساد والقمع، لكن الشعب صمد، متحدياً كل محاولات الإخضاع. برغم الثمن الباهظ الذي دفعه الشعب السوري من دمائه وأحلامه، جاء النصر ليؤكد أن كفاح الشعوب من أجل الحرية لا يمكن أن يُهزم.

مع سقوط النظام، فُتحت أبواب السجون التي كانت شاهدة على أفظع الانتهاكات. عاش آلاف المعتقلين، الذين قضوا سنوات طويلة في زنازين الظلم، لحظة طال انتظارها. خرجوا إلى النور، حاملين معهم أحلاماً بوطن حر ودولة عادلة، تاركين وراءهم ذكريات قاسية، لكنهم متطلعين إلى مستقبل جديد.

النصر السوري لم يكن سهل المنال، فقد جاء بعد أعوام طويلة من القمع والدمار. دفع السوريون أثماناً باهظة، ليس فقط بدماء الشهداء، بل أيضاً بالتضحيات التي قدمتها عائلات بأكملها، والدمار الذي طال المدن والقرى. هذا الانتصار يمثل شهادة على نبالة الشعب السوري وشجاعته الفائقة، فقد أظهر وعياً وحكمة قل نظيرها في مواجهة الطغيان.

حظي هذا التحول التاريخي بمباركات واسعة من مختلف الأطراف الإقليمية والدولية. وصف البعض هذا الحدث بأنه «ميلاد جديد لشعب عظيم». وجّهت رسائل تهنئة أكدت على ضرورة الاستفادة من هذه اللحظة لبناء سوريا جديدة، دولة موحدة تحفظ حقوق كل مواطنيها بغض النظر عن انتماءاتهم. دعت هذه الرسائل إلى بناء علاقات تعاون جديدة بين سوريا وجيرانها على أسس من الاحترام المتبادل، مع التشديد على ضرورة الحفاظ على وحدة الأراضي السورية وسيادتها، وتجنب التدخلات الخارجية التي كانت سبباً في إطالة أمد معاناة الشعب السوري.

مع سقوط النظام، يتطلع الشعب السوري إلى بناء دولة ديمقراطية حرة تقوم على مبادئ العدل والمساواة. سوريا التي تعبّر عن كل أبنائها، والتي تمثل نموذجاً للتعايش والتعددية، هي الحلم الذي بات أقرب إلى الواقع.

الطريق نحو المستقبل ليس خالياً من التحديات، لكن الإرادة السورية التي استطاعت أن تسقط الطغيان ستتمكن من بناء وطن يحمي قيم الحرية والكرامة التي ناضلوا من أجلها.

اليوم، انتصرت سوريا. انتصر الشعب الذي ناضل من أجل حريته، وواجه القمع بكرامة وشجاعة. لم يكن هذا اليوم نهاية

الطغيان فقط، بل بداية لعهد جديد تُشرق فيه شمس الحرية فوق كل مدينة وقرية في سوريا.
ستكون سوريا الجديدة دولة ديمقراطية، قائمة على قيم الحرية والعدالة، وعنواناً للتعايش بين كافة مكوناتها.
إنه ليس مجرد يوم تاريخي، بل صفحة جديدة في تاريخ الأمة العربية، ورسالة إلى كل شعوب العالم بأن الحرية قد تتأخر، لكنها حتماً ستنتصر. سوريا اليوم حرة، مستقلة، وموحدة، ومصممة على أن تصبح دولة تستحق التضحيات الجسام التي قدمها شعبها البطل.
هذا اليوم ليس فقط نهاية الطغيان، بل بداية لعهد جديد من الحرية والكرامة لكل السوريين.

❝❝❝

أين نحن مما يحدث اليوم على أرض سوريا؟ هذا السؤال يختصر حكاية شعب شاهد وطنه يتحول إلى ساحة صراع، وكعكة تتنافس على فتاتها أطراف متعددة، بعضها مدعياً التحرير، والآخر جاهزاً بالاحتلال. أرضٌ كانت مهد الحضارات، ومعبراً للتاريخ، ومصدراً للهوية والثقافة، لكنها اليوم باتت مرادفاً للدمار والرعب والخذلان.
سوريا التي كانت يوماً رمزاً للجمال والتاريخ، أضحت مسرحاً لحروب لا تنتهي، وحكايات موت تتكرر كل يوم. أطفالٌ كانوا زهراتُ المستقبل، خطفتهم الحروبُ كمن يخطف فرحة من حضن أم، تاركين وراءهم عائلات تتجرع الألم كل لحظة. مشهد الموت صَار مألوفاً، حتى أن السوريين، بغالبيتهم، باتوا يعيشون مع هذا المصير بصدرٍ عارٍ، وكأنهم في سباقٍ دائم مع القدر.
معاناة السوريين ليستْ مجرد أرقام تُحصى أو أخبارٍ تُتناقل؛ إنها وجعٌ يوميٌ يعيشه ملايين الناسَ الذين ضاقت بهِم الحياة وأغلقت في وجوههم جميع الأبواب. ورغم كل ذلك، تجدهم صامدين، يقاومون البؤس بالأمل، ويعيشون على حلم العودة إلى حياة كريمة، حياة تستحق أن تُعاش.
المأساة السورية ليست مجرد نتيجة للحرب والدمار، بل هي انعكاسٌ لسنوات طويلة من التهميش والفساد. إدارة حاكمة استباحت الوطَن، واعتبرت الشعب مجرد أداة لخدمة مصالحها. هذه الإدارة لم تقدم للمواطن السوري سوى الفتات، وحتى هذا الفتات كان يتبخر في دهاليز الفساد والمحسوبيات.
المواطن السوري، الذي حلم يوماً بوطنٍ عادل، وجد نفسه في مواجهة واقعٍ مظلم، حيث كل محاوَلةٍ للمطالبة بحقوقه تقابل بالقمع أوَ التهديد بالموت أو السجنَ. هذا الواقع جعل من الكرامة حلماً بعيد المنال، ومن العدالة شعاراً لا معنى له في ظل نظام لا يعرف سوى لغة القمع والإذلال.
رغم كل هذهَ المآسي، لا يزال السوريون يبحثون عن مخرج من عنق الزجاجة. يحلمون بحياة كريمة مليئة بالحب والمصداقية، يحلمون بوطنٍ يحتضنهم بدلًا من أن يطردهم.
الكرامة ليستْ مجرد كلمة، بل هي حقٌ أصيل لكل إنسان، والسوريون اليوم في أمس الحاجة إلى استعادتها. هذه الاستعادة تبدأ بإيجاد حلول حقيقية لمشاكل المهجرين والنازحين، وبتقديم العدالة للضَحايا، وبإعادة بناء وطنٍ قائم على أسس العدل والمساواة.
سوريا، التي كانت يوماً رمزاً للحضارة والتاريخ، يمكن أن تعود إلى مكانتها إذا تضافرت الجهود، وإذا أعطي الشعب فرصة حقيقية لبناء وطنه من جديد.
سوريا اليوم في حاجة إلى من يؤمن بها، إلى من يعمل من أجلها، إلى من يعيد لها مجدها، وأهم من ذلك، إلى من يعيد لشعبها كرامته المهدورة.

إنه ليس مجرد يوم تاريخي، بل صفحة جديدة في تاريخ الأمة العربية، ورسالة إلى كل شعوب العالم بأن الحرية قد تتأخر، لكنها حتماً ستنتصر. سوريا اليوم حرة، مستقلة، وموحدة، ومصممة على أن تصبح دولة تستحق التضحيات الجسام التي قدمها شعبها البطل. هذا اليوم ليس فقط نهاية الطغيان، بل بداية لعهد جديد من الحرية والكرامة لكل السوريين.

❝❝❝

وفي السياق، وعلى ضوء التحولات السياسية التي تشهدها سوريا، تصاعدت الدعوات إلى بناء دولة مدنية شاملة تضمن مشاركة النساء في الحياة العامة والسياسية. خرج المئات من النساء والرجال في تظاهرات تطالب بحقوق متساوية وتمثيل عادل للمرأة في الإدارة الجديدة، وسط قلق متزايد من تصريحات تحدّ من دورها في المجتمع السوري.
وسبق أن أثيرت تصريحات مثل تمثيل المرأة في المناصب الوزارية والنيابية، وأنها هذا التمثيل بالنسبة للمرأة ما زال بحاجة إلى دراسة من قبل المختصين. هذه التصريحات أثارت مخاوف حول إمكانية تقييد حقوق النساء في سوريا الجديدة.
لطالما لعبت النساء السوريات دوراً محورياً في مختلف المجالات، بدءاً من السياسة والبرلمان، حيث تولّت مناصب وزارية، إلى الاقتصاد والتعليم والمشاركة الفاعلة في الثورة السورية. النساء كنّ في طليعة الحراك الشعبي، وقُدن المظاهرات وناضلن من أجل التغيير.
مع تصاعد الجدل حول التصريحات غير المدروسة، تؤكد أصوات عديدة على أهمية الحفاظ على مكتسبات النساء السوريات وتعزيز دورهن في جميع المجالات. تظاهرات رفع فيها شعار «لا وطن حراً دون نساء أحرار»، أكدت على أن بناء سوريا الجديدة يجب أن يقوم على العدالة والمساواة بين الجنسين.
المرحلة القادمة تحتاج إلى حوار مجتمعي شامل حول دور المرأة في سوريا الجديدة. يجب أن يكون الدستور الجديد شاملاً ويضمن حقوق الجميع، بمن فيهم النساء، مع الابتعاد عن نهج المحاصصة واعتماد الكفاءة كمعيار وحيد.
بالرغم من وعود الجهات الحاكمة باحترام حقوق المرأة، إلا أن التصريحات المثيرة للجدل تثير قلقاً بشأن توجهات الإدارة الجديدة. وتظل هناك حاجة ملحّة لضمان التزام السلطات بحقوق النساء في التعليم والعمل والمشاركة السياسية.
في هذه المرحلة الانتقالية، تواجه النساء السوريات تحديات كبيرة للحفاظ على حقوقهن والمشاركة في بناء وطن يتسع للجميع.

ذكريات

من الماضي الجميل

سعد الرميحي

هذه الصورة تعود إلى ما يقرب من 40 عاماً، حيث تم التقاطها في مارس 1981 في ملعب الملز بمدينة الرياض، بالمملكة العربية السعودية. الصورة تجمعني بشقيقي الأصغر عبدالعزيز، ونحن نقف في الملعب خلال لحظة عزف السلام الوطني لإحدى مباريات تصفيات كأس العالم 1982.

شارك منتخبنا القطري آنذاك في هذه التصفيات، وقدم أداءً مشرفاً ومبارياتٍ جميلة أظهرت قدراته. ورغم نقص الخبرة، كان الفريق قريباً من تجاوز مجموعته. كانت تلك التصفيات بمثابة البداية لانطلاقة منتخبنا العنابي نحو التألق في السنوات التالية.

بعد ستة أشهر فقط من تلك اللحظة، كان منتخب قطر للشباب قريباً جداً من تحقيق إنجاز تاريخي بالفوز بكأس العالم للشباب في أستراليا خلال شهر أكتوبر من عام 1981.

في الصورة، يظهر خلفنا المعلق السعودي الشهير سليمان العيسى، والمعلق العربي موسى بشوتي، رحمهما الله.

نتائج العنابي في التصفيات، لعب العنابي أربع مباريات: خسر أمام العراق 1–0. فاز على البحرين 3–0. فاز على سورية 2–1. خسر أمام السعودية 1–0.

وفقاً للوائح البطولة، كان الفريق الذي يحتل المركز الأول في المجموعة يتأهل إلى الدور النهائي، وهو ما حققه المنتخب السعودي آنذاك. يُذكر أن منتخبي الكويت ونيوزيلندا تأهلا آسيويًا إلى كأس العالم في إسبانيا عام 1982.

عبدالعزيز وحب رياضة الصقور

بعد ذلك، هجر عبدالعزيز كرة القدم وتوجه إلى رياضة الصيد بالصقور، التي أحبّها منذ صغره، مثل الكثير من الشباب القطري والخليجي الشغوفين بهذه الرياضة التراثية.

أما ابنه «محمد»، فهو من كبار عشاق فريق ريال مدريد، ويرتبط بعلاقات وثيقة مع رئيس وإدارة هذا النادي العريق. لكن رغم ذلك، يبقى حبنا الأكبر مشتركاً، وهو عشقنا لنادينا الغالي «الغرافة».

***

تم التقاط هذه الصورة في عام 1984 بمكتبي في مجلة «الصقر» الرياضية، وتجمعني بأخي العزيز سعادة الشيخ الدكتور والمؤرخ حسن بن محمد بن علي بن عبدالله بن جاسم آل ثاني، الذي تشرفت بزيارته للمجلة ولقائه مع أسرة تحريرها.

كان بو محمد وقتها طالباً في جامعة قطر، وقد عُرف عنه شغفه العميق وحبه للتاريخ، إلى جانب تمتعه بثقافة واسعة واطلاع مميز في هذا المجال. مع مرور الأيام وكثرة زياراتي إلى مجلسه العامر، ولقاءاتي برواد هذا المجلس، تعرفت أكثر على أفكاره وطموحاته. كان لديه حلم كبير يتمثل في تأسيس متحف للسلاح، يجمع فيه كل أنواع الأسلحة القديمة التي استخدمها أجداده وآباؤه، بالإضافة إلى أسلحة المواطنين والمقيمين، بهدف الحفاظ عليها وتعريف الأجيال الجديدة بها.

في البداية، كنت أشك في إمكانية تحقيق هذا الحلم، نظراً لصعوبة توفير متطلباته. لكن الأيام مرت سريعاً، وفي ديسمبر 1993، تلقيت اتصالاً من بو محمد يدعوني إلى زيارة مجلسه. كنت وقتها مديراً لـتلفزيون قطر ورئيساً لتحرير جريدة الراية اليومية.

عندما وصلت، اصطحبني وبعض مرافقيه إلى المتحف الجديد الذي أنشأه، وهو عبارة عن ثلاث فلل في منطقة اللقطة بضواحي الدوحة. شعرت بالدهشة عندما دخلت المكان، إذ اكتشفت أنه المقر الخاص لمتحف السلاح، الذي كان حلم الشيخ حسن يوماً ما.

أذهلتني المقتنيات الرائعة التي احتواها المتحف، كما أذهلتني أكثر قدرة الشيخ حسن على تحويل حلمه إلى حقيقة رغم التكلفة الباهظة. أصبح هذا المتحف وجهة للعديد من الشخصيات البارزة التي زارت قطر، ومنهم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز رحمه الله.

لم يتوقف الشيخ الدكتور حسن عند هذا الإنجاز. بل أسس أيضاً متحف المستشرقين، الذي ضم أروع لوحات الفنانين العالميين، وتبعه بإنشاء مكتبة رائعة جمعت أمهات الكتب النفيسة. فيما بعد، اشترت الدولة كل هذه المتاحف، وكانت مكتبته نواة مكتبة قطر الوطنية الجديدة.

إلى جانب إنجازاته، سعى الشيخ حسن لتعزيز علمه ومعرفته، فسافر ودرس، وحصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ. وهو شخصية آسرة بفضل ثقافته العالية، وسلاسة تعبيره، وتدفق معلوماته.

عاتبته كثيراً على غيابه عن ساحات الندوات والمحاضرات، لأن مثله مكسب كبير لأي منصة معرفية، حيث يستطيع إفادة كل من ينشد العلم والمعرفة.

الصورة المرفقة تم التقاطها في مكتبي عندما كنت رئيس تحرير مجلة الصقر. طلبت منه أن يجلس على كرسي رئيس التحرير، ووقفت بجانبه، فكانت هذه الصورة الجميلة التي أعتز بها كثيراً.

***

أخذت لي هذه الصورة في أكتوبر عام 2012م، وأنا اقف

بين مجموعة من الموسيقيين الشعبيين، والذين تزدهر بهم «ساحة الفنا» في مدينة مراكش المغربية.

وتعتبر «ساحة الفنا» من المقاصد السياحية الرائعة في تلك المدينة الساحرة، بل اعتبرتها اليونسكو من ضمن التراث الثقافي والذي يجدر المحافظة عليه ،،،

يروى بأن هذه الساحة تأسست بين عامي 1070 / 1071م، في عهد المرابطين، والذين يعود لهم الفضل في بناء مدينة مراكش الساحرة، والتي تعد من أجمل مدن العالم، وزارها العديد من مشاهير العالم، وهي مقصد سياحي خاصة في الشتاء، لاعتدال جوها، وهي من المدن النادرة في العالم، والتي تستقطب هذا العشق، رغم ابتعادها عن سواحل البحر ،،

وتتميز هذه الساحة بوجود مختلف الفنون الجميلة من رقص الحيوانات، لفك السحر، إلى قراءة الكف، ومعرفة البخت، والعروض البهلوانية وواشمات الحناء، والحكايات الشعبية، بالإضافة لتنوع البضاعة المعروضة للبيع والمشروبات الطبيعية الجميلة، وتحيط بها المقاهي الشعبية، وتكتسب طابع خاص في ليالي رمضان المبارك.

وتشير بعض المصادر التاريخية، بأن «ساحة الفنا» ارتبطت بوجود جامع الفنا الكبير والذي يقع بالقرب من الساحة ، فقد كانت المكان المفضل لقادة دولة المرابطين من اجل أن تكون هذه الساحة هي نقطة الانطلاق لبناء دولتهم العظيمة بقيادة البطل المغربي العربي المسلم «يوسف تاشفين» ،،

زرت الساحة مرات عديدة وقضيت فيها ساعات جميلة ولحظات ممتعة، وأعجبني كثيراً جوها التراثي والثقافي والفني، خاصة وأنه تحيط بها بعض اكشاك بيع الكتب والمجلات، وهي متعتي الحقيقية، ولكن كما يقول المثل الشعبي» الحلو ما يكمل « فقد تعرضت الساحة لعمل إجرامي يوم 28 أبريل 2011م، عندما تم تفجير مقهى «أركانة» وقتل في الانفجار 17 شخص وأصيب 25 آخرين، ولكن لأن الحياة لا بد أن تعود فقد عادت الحياة إلى «ساحة الفنا» أو «ساحة الهنا» كما يروي بعض المغاربة بأن هذا هو أصل تسميتها الحقيقي، لكونها تقع بالقرب من مسجد الهنا والذي بناه السلطان أحمد منصور، والذي لجأت له الناس بعد ضرب الطاعون المدينة .

أن تاريخ المملكة المغربية زاخر بالتراث والفنون والثقافة والآداب وكذلك الرياضة، وكم من العظماء والذين قدمتهم المغرب لأمتها العربية والإسلامية ما يجدر الحديث عنه،،

تاجر الكبتاغون وقائد القمع

ماهر الأسد

رجل الظل.. البعبع الذي أرعب السوريين

محمد غندور

تعكس قوة ماهر الأسد الدائرة الضيقة التي كان يجلس على رأسها بشار الأسد نفسه، وهي الدائرة التي تتكون من الارتباطات العشائرية والعائلية والصداقة، وماهر موجود في قلب تلك العصبة، إذ يعتقد معظم السوريين أنه ذلك الشخص المجهول الذي ظهر على شريط فيديو يطلق الرصاص على المتظاهرين.

لا يمكن الحديث عن ماهر الأسد من دون حصر بعض المفردات والجمل التي تعبر عنه وعن أفعاله، ومنها قتل إجرام تعذيب بطش سرقة المال العام مخدرات كبتاغون قمع اعتقال مغامر متوحش دموي حياة فارهة تكبر استعلاء تحدي منافسة، الابتعاد من الأضواء والعقوبات الدولية، صديق لإيران ومحورها وقريب من روسيا، عنف مفرط وغموض وجهاز أمني خاص به واغتيالات.

وعلى هذا الأساس يمكننا رسم صورة واضحة عن ماهر الأسد، اليد التي قمعت الثورة السورية عام 2011 وبطشت بالمتظاهرين، واللافت أنه عند البحث عنه عبر الانترنت لا نجد إلا صوراً قليلة له، غالبيتها من جنازة تشييع والده عام 2000، وحتى تصريحاته تكاد تكون نادرة، وإذاً هو رجل قرر أن يعيش في الظل وأن يكون صوتاً بلا صدى بعد وفاة شقيقه باسل عام 1994 كان من المرجح أن يكون خليفة محتملاً لحافظ الأسد، لكن الأخير اختار بشار الذي كان يدرس طب العيون في لندن على رغم افتقاره إلى الخبرة العسكرية آنذاك، وترجح تقارير إعلامية بأن طباع ماهر الحادة أثرت في القرار لمصلحة بشار.

● ماهر الأسد «يسار الصورة» مع والده حافظ ومعمر القذافي وأخيه بشار

صراع

الصراع والخلافات ما بين رئيس النظام السوري السابق بشار الأسد وأخيه ماهر المسيطر على الحياة العسكرية والأمنية في البلاد، بدأت منذ تولي الأول السلطة، إذ كان يعتبر أنه أولى بالمنصب الرئاسي نظراً إلى خبرته العسكرية وقوته وحزمه في إدارة الأزمات، لكنهما اتفقا لاحقاً على أن تقسم الأمور بينهما ما بين السياسة والأمن، فبات ماهر ثاني أقوى رجل الدولة، ويقال في الغرف الضيقة إنه كان الرجل الأول وليس بشار.

الانفتاح السياسي الذي أبداه الرئيس السابق في بداية حكمه لم يدم طويلاً، إذ أقنعه ماهر بقمع هذا الانفتاح الذي شهده السوريون لأشهر قليلة، وهو ما بات يشار إليه لاحقاً بـ «ربيع دمشق» عام 2000، وحالياً لا أحد يعلم أين هو الرجل الذي

يجمع عدد كبير من التقارير الغربية على رعونة تعامل ماهر الأسد مع الشخصيات القيادية في بلده، فلم يكن يهاب أحداً ولم يحسب حساباً لأحد، ولطالما كان البعبع للجميع

ماهر الأسد، شخصية أثارت جدلاً واسعاً بين صفوف السوريين والمجتمع الدولي على حد سواء. يُعرف بأنه «رجل الظل» الذي شكل بعبعاً أرعب السوريين، وجعل اسمه مرادفاً للبطش والقمع والعنف المفرط. برز في المشهد السياسي والأمني السوري كأحد أركان السلطة الرئيسية، محتكماً إلى شبكة من العلاقات العائلية والعشائرية التي عززت نفوذه داخل النظام. ارتبط اسم ماهر الأسد بالعديد من الأحداث المفصلية في تاريخ سوريا الحديث، بدءاً من قمع الاحتجاجات الشعبية في عام 2011 وصولاً إلى اتهامه بإدارة شبكات تجارة غير مشروعة مثل الكبتاغون ونهب موارد الدولة.

ورغم ندرته في الظهور الإعلامي وتفضيله العمل في الظل، إلا أن تأثيره في الساحة السورية كان جلياً من خلال قيادته للفرقة الرابعة المدرعة، تلك الوحدة التي شكلت أداة قمع أساسية للنظام. شخصيته، التي تجمع بين العنف المفرط والغموض، جعلته رمزاً للقبضة الحديدية التي أدار بها النظام الأزمة السورية، حيث لم يكتف ماهر الأسد بالقمع الميداني، بل توسعت شبكاته لتشمل الاقتصاد الموازي والأنشطة التجارية المشبوهة.

علاقة ماهر بشقيقه بشار الأسد ظلت محوراً للكثير من التحليلات. فبينما يرى البعض أن بشار هو من يقود دفة النظام، تشير تقارير أخرى إلى أن ماهر كان «الرجل الأول» خلف الكواليس، حيث لعب دوراً حاسماً في قمع المعارضة الداخلية والسيطرة على الأجهزة الأمنية. تلك العلاقة التي جمعت بين التنافس والتعاون جسدت صورة معقدة لهيكل السلطة داخل النظام السوري.

المرمار

معروف بتشدده وقراراته الحاسمة، لم يتردد ماهر الأسد في اتخاذ مواقف صارمة، حتى مع المقربين من النظام. من إطلاق النار على شخصيات بارزة إلى صراعاته العائلية، تظهر ملامح شخصية تجمع بين العنف والدهاء السياسي. كما أن ارتباطه بمحاور دولية، خاصة مع إيران وروسيا، أضاف بعداً جديداً إلى نفوذه، مما عزز مكانته كرجل يملك مفاتيح القوة داخل سوريا وخارجها.

ماهر الأسد ليس مجرد قائد عسكري، بل رمز لعقود من القمع والاستبداد. فبين الغموض الذي يحيط به والحقائق التي تتكشف عن أفعاله، يظل اسمه محفوراً في ذاكرة السوريين كشخصية لعبت دوراً محورياً في تشكيل مسار الأزمة السورية وتداعياتها، سواء على المستوى الداخلي أو الإقليمي.

● وسط عناصر الفرقة الرابعة

قاد «الفرقة الرابعة»، وهي وحدة عسكرية تابعة للجيش السوري وتعتبر واحدة من أكثر القوات الموالية للنظام، فثمة من يقول إنه غادر إلى روسيا قبل أسبوع من انهيار النظام، وهناك من يقول إنه مصاب وانتقل إلى العراق، وبعض الأخبار تفيد بأنه دخل لبنان عبر معبر غير شرعي، فيما تشير بعض المصادر إلى أنه رفض المغادرة في اللحظات الأخيرة مفضلاً البقاء في سوريا داخل مكان سري.

رعونة

يجمع عدد كبير من التقارير الغربية على رعونة تعامل ماهر الأسد مع الشخصيات القيادية في بلده، فلم يكن يهاب أحداً ولم يحسب حساباً لأحد، ولطالما كان البعبع للجميع، ومن الروايات المتداولة أنه أطلق النار على نائب الرئيس فاروق الشرع، كما صفع المستشارة الرئاسية بثينة شعبان، ووفقاً للرواية فإن الشرع ندد بشدة بممارسات الأجهزة الأمنية في الصنمين القريبة من درعا خلال اجتماع مع رئيس الاستخبارات آصف شوكت وشقيق الرئيس قائد الحرس الجمهوري ماهر الأسد، ورداً على دعوة الشرع إلى محاسبة المسؤولين عن قتل أطفال في

يعتقد كثير من المحللين أن قوة ماهر الأسد تعكس الدائرة الضيقة التي كان يجلس على رأسها بشار الأسد نفسه، «وهي الدائرة التي تتكون من الارتباطات العشائرية والعائلية والصداقة، وماهر موجود في قلب تلك العصبة، إذ يعتقد معظم السوريين أنه ذلك الشخص المجهول الذي ظهر على شريط فيديو يطلق الرصاص على المتظاهرين»

الصنمين، قال شوكت إنهم كانوا يحاولون الاستيلاء على الأسلحة من أحد المراكز الأمنية، فرد الشرع متسائلاً «من يصدق هذه الرواية»؟، ثم ارتفعت حدة التوتر وأقدم شوكت على صفع الشرع قائلاً له «اخرس يا درعاوي»، قبل أن يسحب ماهر الأسد مسدسه ويطلق النار على الشرع متوجهاً إلى صهره شوكت بالقول «هكذا يجري التعامل معه». وبحسب المعلومات المستقاة من مصادر متقاطعة فقد أصيب الشرع بجروح بالغة نقل على إثرها إلى المستشفى حيث تلقى العلاج، قبل أن يظهر مرغماً بعد أيام على شاشة التلفزيون الرسمي لثوان معدودة مستقبلاً وفداً صينياً في مكتبه، في محاولة للتغطية على محاولة قتله.

وتفيد المعلومات بأن المستشارة الرئاسية بثينة شعبان باتت فعلياً «خارج الخدمة»، إذ جرى إقصاؤها من منصبها إثر خلاف حاد مع ماهر الأسد الذي صفعها على وجهها بعدما أبدى غضبه الشديد من مؤتمرها الصحافي في بداية الأزمة، والذي أعلنت خلاله عزم الرئيس إجراء إصلاحات، معتبراً أنها رفعت سقف التنازلات من قبل النظام مما أدى إلى تصاعد الحركات الاحتجاجية.

كما يُعرف عن ماهر الأسد أنه الرجل صاحب النهج الأكثر تشدداً في سوريا فهو أكثر قسوة من بشار، وقد يتضح ذلك في موقفه مع حركة «حماس» ورئيس مكتبها السياسي خالد مشعل بعد رفضه موقف النظام السوري، فقد أشار المنسق السياسي والإعلامي للجيش السوري الحر لؤي المقداد إلى أن مشعل غادر سوريا بعد قيام ماهر بتهديده بالقتل وقيامه باعتقال زوجته وابنته لأيام عدة بغية إجباره على التراجع عن موقفه ضد نظام الأسد.

في المقابل نقلت بعض الصحف الاسرائيلية أن ماهر الأسد حضر اجتماعات عدة غير رسمية في الأردن مع بعض مسئولي الخارجية الاسرائيلية ورجال الأعمال لمحاولة احياء محادثات السلام بين البلدين، وفور اندلاع الاحتجاجات في درعا جنوب سوريا تولى «اللواء الرابع المدرع» الذي يقوده ماهر عملية مواجهة المحتجين بصورة عنيفة، وقام آلاف من أبناء المنطقة بترديد الهتافات المعادية له شخصياً إثر ذلك.

دوره في الجيش السوري

يحمل ماهر رتبة لواء، وكان قائد الحرس الجمهوري السوري والفرقة المدرعة الرابعة، وهما وحدتان من النخبة داخل الجيش السوري، وقد اكتسب سمعة واسعة باعتباره قائداً عسكرياً فعالاً وإن كان مثيراً للجدل، وهو معروف أيضاً بموقفه الثابت في شأن القضايا الأمنية، وكان شخصية رئيسة في الحفاظ على استقرار نظام الأسد خلال الصراع المستمر في سوريا، ويمتد نفوذه داخل الجيش إلى ما هو أبعد من منصبه، إذ يعتبر أحد الركائز الأساس للنظام، ويثق به شقيقه بشار في إدارة العمليات العسكرية المهمة بصورة جيدة للغاية.

ويعتبر أيضاً شخصاً منضبطاً ويُعرف بولائه المطلق لعائلته، فضلاً عن تفانيه في الحفاظ على قبضة النظام على السلطة، كما يتمتع بشخصية مختلفة عن شقيقه الذي تبنى إلى حد كبير دور القيادة العامة.

ويقول الباحث في جامعة أوكلاهوما، جوشوا لانديس، إن ماهر هو «أمين سر» أسرة الأسد والرجل المكلف بإبقاء العائلة في الحكم، وهو دور يبدو أن الشقيق الأصغر للرئيس السوري يستمتع بالقيام به، إذ ينقل أحد الذين قابلوه شخصياً بأنه ظهر خلال الاجتماع ببذلته السوداء ونظاراته الشمسية وشعره المصفف إلى الخلف، وكأنه أحد أعضاء المافيا، أما تيد قطوف فيقول إن ماهر «يعتبر نفسه مصدر القوة لآل الأسد».

وقد أعلنت واشنطن اسم ماهر الأسد ضمن قائمة الشخصيات السورية النافذة التي خضعت للعقوبات الاقتصادية نتيجة دوره في قمع أبناء درعا، وهي الخطوة نفسها التي اتخذها الاتحاد الأوروبي، واصفاً ماهر الأسد بالراعي الأساس للعنف في سوريا.

وفي مايو (أيار) 2011 وصلت مشاهد مصورة إلى وسائل الإعلام يظهر فيها ماهر مرتدياً سترة جلدية ويطلق الرصاص على المواطنين بصحبة عدد من رجال الشرطة في منطقة برزه في دمشق، وعلق رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان على هذه المشاهد قائلاً «من وجهة نظر انسانية أقول إن ماهر لا يتصرف بصورة إنسانية ويسعى إلى المذابح»، ومنذ ذلك الوقت لم يظهر ماهر إلا نادراً.

الدائرة الضيقة

يعتقد كثير من المحللين أن قوة ماهر الأسد تعكس الدائرة الضيقة التي كان يجلس على رأسها بشار الأسد نفسه، «وهي الدائرة التي تتكون من الارتباطات العشائرية والعائلية والصداقة، وماهر موجود في قلب تلك العصبة، إذ يعتقد معظم السوريين أنه ذلك الشخص المجهول الذي ظهر على شريط فيديو يطلق الرصاص على المتظاهرين».

ووفقاً للدبلوماسي السوري السابق بسام بيطار الذي يعيش في المنفى بفرجينيا، فإن سيطرة ماهر على جهاز الأمن السوري تجعل منه «الشخص الأول في القيادة وليس الثاني».

ويضيف أن بشار الأسد منذ صغره يتميز بين إخوانه بأنه الأضعف والأكثر تردداً، «وأعتقد أنه في بعض الأحيان يرمي إلى الاصلاح إلا أن أخاه لا يريد ذلك».

ويقول بيطار إن العلاقة بين الأسد وأخيه الأصغر تعكس العلاقة بين والدهم الراحل حافظ الأسد وأخيه الأصغر رفعت الذي يعتبر مهندس مذبحة حماة عام 1982 التي قتل فيها 10 آلاف شخص في الأقل.

ويوضح أنه «إذا عدنا إلى تلك الانتفاضة التي شبت بين عامي 1979 و 1982، فإن رفعت يعتبر الرجل القذر والقاتل في تلك الانتفاضة، والآن التاريخ يعيد نفسه، إذ أصبح ماهر هو الرجل القذر».

ثقة ونفوذ

هكذا يتحدث السفير الأميركي السابق في سوريا تيد قطوف عن ماهر الأسد الذي لعب دوراً محورياً في الإدارة العسكرية للأزمة السورية منذ اندلاعها منتصف مارس (آذار) 2011، إذ يتولى رسمياً مهمة قيادة قوات النخبة في الجيش السوري، وتحديداً الفرقة الرابعة المدرعة وألوية الحرس الجمهوري، كما يدير مجموعات الشبيحة، وهي الميليشيات المسلحة المؤيدة لـ «النظام الأسدي».

ويختلف كثيرون عند الحديث عن دور ماهر في الأزمة، إذ يصفه محللون بأنه «الشخصية الأكثر قسوة داخل النظام»،

احتكرت زوجته منال الجدعان جميع النشاطات المتعلقة برياضة الفروسية في سوريا بعد موت الأخ الأكبر للعائلة باسل الأسد

مِن المعروف وجود خلافات بين ماهر الأسد وعائلة زوجته، ولا سيما شقيقتها مجد جدعان التي أجبرت على مغادرة سوريا عام 2008 إثر هذه الخلافات

كما أنه كان دائماً على رأس العمليات القتالية الأكثر وحشية في سوريا، بخاصة مع قيام فرق الشبيحة التي يقودها بكثير من الجرائم الدموية، وقد تعامل مع الوضع في سوريا بمبدأ «إما بقاء النظام كله أو ذهابه كله»، وهو ما أدى إلى حال ارتياح عامة في صفوف حلفاء دمشق وعلى رأسهم إيران وروسيا، إذ تهدف خطته العسكرية في جانب منها إلى العمل على إعادة سيطرة القوات النظامية على المعابر الحدودية، ولا سيما مع تركيا التي أضحت في يد الجيش السوري الحر.

وتورد صحيفة «فايننشال تايمز» أنه «في السابق كان ماهر اسماً ضبابياً بالنسبة إلى السوريين فلا أحد يعلم عنه شيئاً، لكن مع بداية حكم بشار اكتسب سمعة لكونه أقوى رجل في سوريا»، مضيفة أن «شعبية ماهر تفوق شعبية شقيقه الرئيس».

الرجل الغامض

يحيط ماهر نفسه بهالة من السرية توازي هالة الوحشية التي ترافقه، ويقول لانديس إن المعلومات المتوافرة عنه شحيحة للغاية، إذ يندر أن يظهر في أماكن عامة، ويحرص على مواصلة التنقل وتجنب التحدث عبر الهاتف، ولا تمتلك وسائل الإعلام له إلا مجموعة محدودة من الصور.

ويعتبر لانديس أن السبب الرئيس لهذا الغموض المحيط بماهر يكمن في رغبة بشار بالحفاظ عليه، باعتباره الشقيق الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة بعد وفاة شقيقه مجد عام 2009، وقبل ذلك شقيقه باسل عام 1994.

تمتد سيطرة ماهر الأسد أيضاً على مدينتي اللاذقية وطرطوس الساحليتين اللتين كانتا مع وفرة الموانئ الرسمية وغير الرسمية فيهما مرتعاً لتهريب البضائع غير المشروعة من وإلى سوريا ومن الغموض المحيط بماهر الأسد تشكلت أسطورة حول تلك الشخصية، إذ يقول بعضهم إنه كان المعارض الأكبر لزواج شقيقته بشرى من آصف شوكت الذي تولى لاحقاً منصب نائب وزير الدفاع قبل اغتياله في تفجير اجتماع القيادات الأمنية، وتشير بعض المصادر إلى أن الأمر وصل به حد إطلاق النار على شوكت وإصابته في بطنه.

ويقول قطوف إن هذه القصة التي لا يمكن التأكد من صحتها هي «مؤشر على طبيعة شخصية الرجل»، أما لانديس فيعتبر أن ماهر «هو الشخص الذي ينظر بعضهم إليه على أنه الرجل القوي الواقف خلف العرش، والقادر على تنفيذ المهمات القذرة»، ويشير قطوف إلى جوانب أخرى في شخصية ماهر الأسد ويصفه بأنه شخص هادئ وغير مهتم بالقضايا السياسية الراهنة، وقد ظهر بهذا المظهر مرات عدة خلال اجتماعات مع شخصيات عربية.

الزوجة

احتكرت زوجته منال الجدعان جميع النشاطات المتعلقة برياضة الفروسية في سوريا بعد موت الأخ الأكبر للعائلة باسل الأسد، وهي الرئيسة الفخرية لاتحاد هذه الرياضة، كما أن ابنتيها شام وبشرى اعتادتا الحصول على المراتب الأولى في جميع سباقات الفروسية التي تقام في البلاد، ومن المعروف وجود خلافات بين ماهر الأسد وعائلة زوجته، ولا سيما شقيقتها مجد جدعان التي أجبرت على مغادرة سوريا عام 2008 إثر هذه الخلافات.

ووفقا لوكالة «رويترز» فقد أجرت مجد الجدعان مقابلات عدة تحدثت فيها عن ماهر الأسد من منفاها في أميركا، ومن ضمن تصريحاتها أنه علم أطفاله «الأعمال والتصرفات الوحشية»، ووصفت صهرها بأنه «رياضي وانطوائي ويستمع أكثر مما يتحدث»، وقالت إنه «عنيد ولا يرحم، ويضرب مساعديه»، وعرف عن ماهر الأسد تورطه في مشاجرات عنيفة مع من حوله، كانت إحداها عام 1994 عندما اشتبك مع ابن عمه ريبال الأسد خارج مجمع الشيراتون في دمشق.

الأنشطة التجارية لماهر الأسد

تحيط باللواء ماهر الأسد منذ توليه الفرقة الرابعة بصورة غير رسمية شبكة علاقات اقتصادية من كبار رجال الأعمال الذين يمثلون واجهات للشركات التي تسيطر على اقتصاد الظل في سوريا، منذ تسلم بشار الأسد السلطة خلفاً لوالده عام 2000، وإضافة إلى نشاطاته العسكرية يعرف ماهر بنشاطاته التجارية كذلك، إذ يمتلك شركات عدة تشرف على مشاريع ضخمة في سوريا ولبنان، كما أنه شريك ابن خالته رامي مخلوف في كثير من المشاريع.

وبعد الثورة السورية أصبح لدى ماهر الأسد مصادر دخل مختلفة أبرزها عمليات ضبط المنافذ الحدودية وطرق الشحن وجمع الإتاوات من المدنيين والتجار على الحواجز العسكرية التي تقيمها الفرقة الرابعة في مناطق مختلفة، ووفقاً لمجلة «فورتشن» فقد استفاد ماهر الأسد من عملية غسل أموال بقيمة مليار دولار في بنك المدينة اللبناني الذي انهار عام 2003 مع بداية غزو العراق، وكان استخدم أيضاً لغسل أموال عدد من المسؤولين العراقيين وشركائهم.

كما جمع ماهر الأسد ثروة ضخمة من نهب آثار تدمر، وبعد الحرب دخل عوالم جديدة منها تجارة الخردة التي درت عليه نحو 10 ملايين دولار شهرياً خلال يناير

مع الرئيس اللبناني السابق إميل لحود خلال تشييع والده عام 2000

الفرقة الرابعة ..أسطورة العنف والتأثير في الأزمة السورية

(كانون الثاني) وفبراير (شباط) 2019، لمصلحة رجل الأعمال الدمشقي محمد حمشو الذي أوكله ماهر بإدارة هذه التجارة لمصلحته، وفق دراسة صدرت عن برنامج «مسارات الشرق الأوسط»، عام 2020 تحت عنوان «شبكة اقتصاد الفرقة الرابعة خلال الصراع السوري».

كما تفاقمت ظاهرة فرض إتاوات على مرور البضائع والأفراد عبر المعابر الداخلية بين مناطق السيطرة المختلفة، والتي باتت من نصيب ماهر الأسد أيضاً بحلول عام 2018.

وإن كان ماهر الأسد قد قبل التخلي عن نفوذه في مرفأ طرطوس لمصلحة الروس الذين حصلوا على عقد لاستثماره عام 2019، إلا أنه بقي متمسكاً بمرفأ اللاذقية الذي كان مصدر أكبر شحنة مخدرات في التاريخ إلى إيطاليا بقيمة مليار يورو منتصف عام 2020.

الكبتاغون

من أبرز الموارد التي اعتمدها ماهر الأسد لتعويض الخسائر التي تكبدها نتيجة العقوبات، بحسب مؤسسة «كارنيغي»، تجارة الكبتاغون التي تنامت في سوريا بغطاء حكومي، وبسبب سرعة تناميها باتت تشكل تهديداً حقيقياً لكثير من دول المنطقة والجوار، بما في ذلك الأردن والعراق والسعودية والكويت وغيرها، كما جرى تصنيف بعض رموز الحكومة السورية باعتبارهم الفاعل الرئيس الذي سهل تهريب الكبتاغون إلى الموانئ الأوروبية.

جمع ماهر الأسد ثروة ضخمة من نهب آثار تدمر، وبعد الحرب دخل عوالم جديدة منها تجارة الخردة التي درت عليه نحو 10 ملايين دولار شهرياً.

وتناولت كثير من التقارير الدور الذي تقوم به «الفرقة الرابعة» بقيادة الأسد في التغاضي عن ترويج هذه المخدرات وتهريبها إلى دول أخرى، ووفقاً لكثير من المصادر فلا يمكن أن تعبر شحنات الكبتاغون الحدود السورية من دون أن تمر أولاً على عشرات الحواجز التي تسيطر عليها «الفرقة الرابعة»، وبسبب «دوره في إنتاج وتهريب الكبتاغون» فقد فرضت الولايات المتحدة عقوبات إضافية على ماهر الأسد في مارس 2023، واتهمته وزارة الخزانة الأميركية وفرقته الرابعة بتمويل «مخططات غير مشروعة لتوليد الإيرادات، تراوح بين تهريب السجائر والهواتف المحمولة، وتسهيل إنتاج وتهريب الكبتاغون».

والكبتاغون كان الممول الرئيس للجهاز الأمني السوري وتوابعه، وقد ضخ مليارات الدولارات في جيوب عائلة الأسد الخاصة وجنرالات الجيش، فدعمت هذه الصناعة النظام مالياً مع انهيار الاقتصاد السوري خلال الحرب الأهلية.

ولم يكن المسؤول عن إدارة إنتاج الكبتاغون في سوريا وتصديره سوى ماهر الأسد، المخلوع مع أخيه الرئيس، إلى درجة أن السوريين أطلقوا لقب «فرقة الكبتاغون» على «الفرقة الرابعة» التي كان ماهر الأسد يقودها في الجيش، كما وجد سرداب ضخم تحت منزل ماهر الأسد بعد اقتحامه، ويقال إن السراديب بنيت بشكل خاص من أجل لحظة الهرب وإخفاء الكبتاغون والشخصيات الكبيرة.

وسبق أن كشف فيديو بثته قناة تابعة للفصائل المسلحة عن مخبأ تحت الأرض أسفل منزل ماهر الأسد في دمشق، كان ناشطاً بإنتاج الكبتاغون «بدعم من إيران»، على رغم محاولات حثيثة قامت بها دول مجاورة ولأعوام طويلة لإحباط التهريب المستمر للمخدرات من سوريا.

وتمتد سيطرة ماهر الأسد أيضاً على مدينتي اللاذقية وطرطوس الساحليتين اللتين كانتا مع وفرة الموانئ الرسمية وغير الرسمية فيهما مرتعاً لتهريب البضائع غير المشروعة من وإلى سوريا، ويعتقد أن الشحنة الأخيرة التي صودرت بمرفأ سالرنو جنوب نابولي وقيمتها في السوق مليار يورو خرجت من سوريا، كما صودرت كمية قياسية من الأمفيتامين بوزن 14 طناً وفي صورة 84 مليون حبة كبتاغون.

هذه المنطقة تخضع بالكامل لحكم النظام، وكلها تحت حراسة قوات ماهر الأسد، ولا شيء يغادر المنطقة من دون موافقتهم، إنها مصدر دخل كبير بالنسبة إليهم ولتمويل الميليشيات الخاضعة لسيطرتهم، هذا ما قاله أحد المصادر داخل سوريا لمكتب تنسيق الشؤون الإنسانية.

وأضاف، «يشاهد صغار الصيادين بانتظام قوارب سريعة تذهب من الموانئ غير القانونية على طول الخط الساحلي إلى السفن الكبيرة الراسية في عرض البحر، ويطلقون على أحد هذه القوارب اسم قوارب الزعيم، والجميع يعلم أن هذه القوارب هي من عمل ماهر وجميع مجموعات المهربين الذين يدعمون النظام».

الصراع والخلافات ما بين رئيس النظام السوري السابق بشار الأسد وأخيه ماهر المسيطر على الحياة العسكرية والأمنية في البلاد، بدأت منذ تولي الأول السلطة، إذ كان يعتبر أنه أولى بالمنصب الرئاسي نظراً إلى خبرته العسكرية وقوته وحزمه في إدارة الأزمات، لكنهما اتفقا لاحقاً على أن تقسم الأمور بينهما ما بين السياسة والأمن، فبات ماهر ثاني أقوى رجل الدولة، ويقال في الغرف الضيقة إنه كان الرجل الأول وليس بشار

جمع ماهر الأسد ثروة ضخمة من نهب آثار تدمر، وبعد الحرب دخل عوالم جديدة منها تجارة الخردة التي درت عليه نحو 10 ملايين دولار شهرياً.

لم يكن المسؤول عن إدارة إنتاج الكبتاغون في سوريا وتصديره سوى ماهر الأسد، المخلوع مع أخيه الرئيس، إلى درجة أن السوريين أطلقوا لقب «فرقة الكبتاغون» على «الفرقة الرابعة» التي كان ماهر الأسد يقودها في الجيش

سيرة ذاتية

ولد ماهر الأسد في الثامن من ديسمبر (كانون الأول) 1967، وهو ثالث أبناء حافظ الأسد، ويصادف عيد ميلاده الـ 57 يوم سقوط نظام عائلة الأسد في سوريا (8 ديسمبر 2024)، وهو متزوج من منال الجدعان وله ثلاثة أبناء يحتفظ بهم بعيداً من أعين الجمهور، مما يعكس الطبيعة الخاصة لعائلة الأسد بشكل عام، وقد درس الهندسة الميكانيكية في جامعة دمشق، وبعد تخرجه التحق بالكلية الحربية وتدرج في الرتب العسكرية بسرعة حيث تولى منصب قائد اللواء «42 - دبابات» في الفرقة الرابعة، ورُقّي في يوليو (تموز) 2017 لرتبة لواء، وفي أبريل (نيسان) 2018 عُين قائداً للفرقة الرابعة في الجيش السوري.

لماهر الأسد تاريخ دموي سابق للثورة، إذ شارك مباشرة في قمع الانتفاضة الكردية عام 2004، وارتكب عناصر «الفرقة الرابعة» تجاوزات كبيرة بحق الأكراد في المنطقة الشمالية الشرقية، فضلاً عن مجزرة سجن صيدنايا عام 2008.

وخلال اندلاع الثورة السورية عام 2011 تولت «الفرقة الرابعة» الدور الرئيس في عمليات القمع التي ارتكبتها قوات النظام نتيجة لاعتبارات عدة، أهمها أنها وريثة «سرايا الدفاع» التي ارتكبت مجازر خلال ثمانينيات القرن الماضي ضد أبناء الشعب السوري وبخاصة في مدينة حماه 1982، كما أن غالبية عناصر «الفرقة الرابعة» من الطائفة العلوية التي ينحدر منها بشار وماهر الأسد.

ويعتبر اللواء ماهر الأسد المسؤول المباشر عن الجرائم التي ارتكبتها «الفرقة الرابعة» كافة منذ بداية الثورة، على رغم أنه لم يكن قائد الفرقة بشكل رسمي حتى أبريل 2018، لكنه كان قائدها الفعلي منذ كان برتبة عميد.

وتشكلت «الفرقة الرابعة» على يد رفعت الأسد، شقيق حافظ الأسد وعم بشار وماهر، بداية التسعينيات من القرن الماضي، وتتمتع هذه بمكانة خاصة في الجيش السوري نظراً إلى دورها المهم في حماية النظام، وبخاصة خلال الصراع الذي بدأ عام 2011، وعُرفت بتورطها في كثير من العمليات العسكرية الدموية ضد المعارضة السورية في مختلف مناطق البلاد، بما في ذلك الهجمات على المدن والقرى المتمردة والمناطق التي كانت تحت سيطرة الفصائل المسلحة.

ونتيجة لجرائمه المتعددة وسجله الدموي فقد ورد اسم ماهر الأسد في تقرير منظمة «هيومن رايتس ووتش» تحت عنوان «بأي طريقة: مسؤولية الأفراد والقيادة عن الجرائم ضد الإنسانية في سوريا»، والذي نقل عن أحد المقاتلين المنشقين من الجيش السوري كان خدم في «الفوج 555 مظليين» التابع للفرقة الرابعة، أن قائد الفوج العميد جمال يونس الذي يتبع مباشرة ماهر الأسد، أعطى أوامر شفهية بإطلاق النار على المتظاهرين أثناء انتشار القوات في المعضمية.

ونقل التقرير عن عسكري آخر يدعى عمران تأكيده أن الأوامر قادمة من ماهر الأسد، وأنه «مع بدء التظاهرة قال لنا العميد جمال يونس ألا نطلق النار، لكن بعد ذلك بدا وكأنه يتلقى أوامر إضافية من ماهر، وكانت معه ورقة ما عرضها على الضباط، ثم صوب الضباط بنادقهم نحونا وقالوا لنا أن نطلق النار مباشرة على المتظاهرين، وفي ما بعد قالوا إن الورقة كانت فيها أوامر من ماهر باستخدام كل الوسائل الممكنة».

وتحدثت صحيفة «دي فيلت» الألمانية في تقرير لها بتاريخ الـ 15 من سبتمبر (أيلول) 2013 عن جرائم ماهر الأسد، ووصفته بالمتوحش وبأنه المجرم الذي يلعب دوراً في قمع الشعب السوري.

ونتيجة لتورطه في هذه الانتهاكات والجرائم المروعة ضد الشعب السوري فقد جرى إدراج اسمه في قوائم العقوبات البريطانية والأوربية والكندية والأميركية، ومن أبرز الجرائم التي ارتكبتها «الفرقة الرابعة» خلال المراحل الأولى من الثورة ما يلي:

المجازر ضد المدنيين في مدينتي درعا ونوى خلال اندلاع الثورة في مارس 2011.

المجازر التي ارتكبتها «الفرقة الرابعة» في ريف دمشق ومعضمية الشام داريا والقابون وزملكا ودمر ودوما والعباسية وحرستا وأحياء جوبر وبرزة وتشرين.

مجازر «الفرقة الرابعة» في مدينة حمص، وبخاصة في أحياء بابا عمرو والخالدية والبياضة.

المشاركة في المعارك التي أدت إلى تهجير أهالي معضمية الشام داريا ووادي بردى والغوطة الشرقية ودرعا والقنيطرة، والتي نتج منها مقتل عشرات الآلاف وتشريد مئات الآلاف.

حملات الاعتقال العشوائية التي قام بها عناصر «الفرقة الرابعة» في دمشق وريفها بحق عشرات الآلاف من أبناء الشعب السوري، إذ وثق مقتل المئات منهم تحت التعذيب في سجون الفرقة، ويعتبر مدير المكتب الأمني في «الفرقة الرابعة» العميد غسان بلال المسؤول المباشر عن تلك الانتهاكات.

الأســـــد «راعي» الرياضـــــة

من عدنان قصار.. إلى منتخب البراميل

المرمار | مصطفى الدباس

في الوقت الذي تعتبر فيه الرياضة وسيلة لتوحيد المجتمعات وتعزيز الهوية الوطنية، تحولت في سوريا الأسد إلى أداة للترويج السياسي وإحكام سيطرة النظام المخلوع على مختلف جوانب الحياة، ما جعل الرياضة في البلاد تعيش طوال عقود حالة من التدهور الممنهج، انعكاساً للوضع السياسي والاجتماعي والثقافي الذي فرضه نظام البعث–الأسد في البلاد.

وربطت معظم المرافق الرياضية بأسماء أفراد من عائلة الأسد كجزء من حملة دعائية منظمة، مثل «نادي الأسد للفروسية» و«مدينة الأسد الرياضية» في اللاذقية. كما أطلقت أسماء أخرى مرتبطة بالعائلة على عدد من المنشآت الرياضية بهدف تعزيز سيطرة النظام وإبراز الولاء. وحاولت عائلة الأسد تصوير نفسها على أنها الراعية الأولى للرياضة في سوريا من خلال السيطرة الكاملة على المؤسسات والمنشآت الرياضية. ولم تكن الأسماء الدعائية كافية، بل رافقتها ممارسات أثارت الجدل والسخرية. على سبيل المثال، شهدت مسابقات الفروسية حادثة غريبة حيث فازت شام الأسد، ابنة ماهر الأسد، بالمركزين الأول والثاني في بطولة للفروسية أقيمت في «نادي الشهيد باسل الأسد» بالديماس بريف دمشق في تشرين الثاني/نوفمبر 2021، وهو أمر متكرر بالنظر إلى سجل «الإنجازات» الشخصية للفارسة الأسدية خلال السنوات الأخيرة.

ومنذ وصول حافظ الأسد إلى الحكم في سبعينيات القرن الماضي أطلق على نفسه عدة ألقاب منها «راعي الرياضة والرياضيين»، وتم تحويل المؤسسات الرياضية إلى أذرع سياسية تابعة للنظام، حيث تم تعيين رؤساء الأندية والاتحادات الرياضية بناءً على الولاء الشخصي وليس الكفاءة، وهو أمر أفرغ الرياضة من مضمونها التنافسي وحوّلها إلى ساحة للصراعات السياسية.

ولم يقتصر الأمر على الأسماء فقط، بل أصبحت المنشآت الرياضية جزءاً من البنية العسكرية للدولة. على سبيل المثال، تضمنت بعض ثكنات الشرطة العسكرية صالات رياضية ذات طابع عسكري واضح، حيث جرى تدريب الرياضيين ضمن أجواء تعكس سيطرة الأجهزة الأمنية وتم إجبار اللاعبين على الانخراط في أندية الشرطة والجيش كجزء من خدمتهم الإلزامية، وتم تحويل مقولات حافظ الأسد حول الرياضة إلى شعارات معلقة على الجدران، وكأنها نصوص مقدسة. وأضيفت إليها صور وتماثيل للرئيس الراحل، ما جعل الذهاب إلى تلك المنشآت يشبه أداء فروض الطاعة السياسية بدلاً من ممارسة الرياضة بحرية.

المؤسسات الرياضية تابعة للنظام ويتم تعيين رؤساء الأندية والاتحادات بناءً على الولاء الشخصي وليس الكفاءة!؟

وتعد البطلة الأولمبية السورية الحائزة على ذهبية «أولمبياد أتلانتا» العام 1996، غادة شعاع، مثالاً صارخاً على تهميش الرياضيين في سوريا. فبعد إنجازها الاستثنائي والوحيد في تاريخ الرياضة السورية، تعرضت لإهمال شديد وتهديدات بالقتل من قبل أجهزة الاستخبارات لعدم لقائها بحافظ الأسد، كما واجهت شعاع صعوبات مالية وصحية بسبب إهمال الدولة لدعمها.

وفي حادثة أخرى، تم اعتقال قائد المنتخب السوري للفروسية عدنان قصار، بعد فوزه على باسل الأسد، الشقيق الراحل للرئيس المخلوع بشار الأسد، في سباق للفروسية العام 1993. عقب هذا الفوز، وُجهت لقصار تهم ملفقة مثل محاولة اغتيال باسل الأسد وحيازة متفجرات، وقضى قصار أكثر من 21 عاماً في السجن في ظروف قاسية، حيث تعرض للتعذيب المستمر، خصوصاً في ذكرى وفاة باسل الأسد في حادث سيارة العام 1994، حيث كانت هذه المناسبة تُستخدم لإذلاله داخل السجن.

وفي عهد بشار الأسد، لم تختلف الأمور كثيراً، وتعمق دور الرياضة لتصبح وسيلة للدعاية السياسية ولتلميع صورة النظام دولياً، في وقت تعاني فيه البنية التحتية الرياضية من الإهمال والانهيار.

وترأس فراس معلا، وهو ابن هاشم معلا، أحد المتهمين بتنفيذ مجازر مدينة حماة في ثمانينيات القرن الـ20 منظمة «الاتحاد الرياضي العام». وعرف معلا بتأييده لرئيس النظام المخلوع، بشار الأسد، في كل مناسبة ممكنة، واستقبله الأسد عدة مرات، وكرّمه مرتين العامين 2002 و2007. وفي أيلول/سبتمبر 2018، صرح معلا بأنه يتشرف بتمثيل روسيا في بطولة أوروبا للسباحة لفئة «الماسترز»، التي أقيمت في مدينة كران السلوفينية، وأحرز ميدالية ذهبية في بطولة أوروبا لمسافة خمسة كيلومترات حينها، في مشهد أظهر النفوذ الروسي في البلاد بعد تدخل موسكو لإنقاذ الأسد من السقوط عسكرياً العام 2015.

وكان شقيقه همام معلا يترأس الاتحاد العربي لـ«الترياثلون» حتى العام 2012، عندما استقال «احتجاجاً على التآمر العربي ضد سوريا»، حسبما ذكرته إذاعة «شام إف إم» المقربة من السلطات حينها، إلى جانب تصديره كشخصية تقدم المديح لجيش النظام في وسائل الإعلام.

والرياضة في سوريا لم تكن مجرد أداة للترويج السياسي، بل انعكس استغلالها بشكل كبير على الروح المعنوية للرياضيين والمجتمع السوري. وخلق غياب العدالة في المنافسات الرياضية وسيطرة عائلة الأسد حالة من الإحباط لدى الرياضيين الشباب الذين فقدوا الثقة في إمكانية تحقيق أحلامهم، واضطر كثير منهم للتخلي عن الرياضة أو مغادرة البلاد، ما أدى إلى انقطاع العلاقة بين الأجيال الصاعدة والرياضة كوسيلة لتحقيق الذات.

ومع اندلاع الحرب السورية، تعرض الرياضيون لضغوط كبيرة. فانقسموا بين مؤيد ومعارض للنظام، مما أدى إلى اعتقال أو نفي كثيرين. مواهب مثل عمر السومة وعمر خريبين لجأت إلى الخارج بحثاً عن بيئة رياضية أكثر حرية واحترافية، قبل أن تعود وتشارك في تقديم فروض الطاعة أيضاً للأسد، مع منتخب سوريا لكرة القدم الذي استقبله الرئيس المخلوع ووقع على قمصانه باسمه الشخصي، في مشهد أوضح أن ذلك المنتخب كان منتخب الأسد لا منتخب سوريا الممزقة.

وفي الوقت نفسه، تعرضت البنية التحتية الرياضية للتدمير، حيث تم تحويل المنشآت الرياضية إلى مراكز اعتقال وثكنات عسكرية، مثل ملعب العباسيين في دمشق الذي أصبح مركزاً للاحتجاز وثكنة عسكرية تم إطلاق الصواريخ والقذائف منها على أحياء دمشق المجاورة مثل حي جوبر على سبيل المثال، قبل أن يتحول إلى مرآب للآليات العسكرية في وقت لاحق من تاريخ الحرب.

وخلال النزاع السوري المستمر منذ العام 2011، تعرض الرياضيون في سوريا لانتهاكات جسيمة، بما في ذلك القتل والاعتقال والتعذيب، بحسب «الشبكة السورية لحقوق الإنسان». وقتل 221 رياضياً على يد قوات النظام السوري، من بينهم أبطال رياضيون مثل عبد الكريم كراكوز، بطل سوريا في كرة الطاولة للمقعدين، وصبحي سعدو العبد، بطل العالم في المصارعة الحرة. كما وثق التقرير مقتل ستة رياضيين تحت التعذيب في المعتقلات السورية.

ومن بين الحالات البارزة، اعتقال جهاد قصاب، كابتن المنتخب السوري السابق، العام 2014 وتوفي لاحقاً في سجن صيدنايا العام 2016.

وكان لجوء الأختين السباحتين يسرا وسارة ماردیني إلى ألمانيا من أبرز الأمثلة على الرياضيين الذين غادروا البلاد. فيسرى التي أصبحت لاحقاً سفيرة للنوايا الحسنة لدى الأمم المتحدة، شاركت في «أولمبياد ريو» العام 2016 ضمن فريق اللاجئين، حيث لفتت الأنظار إلى قصتها الملهمة عن الهروب من الحرب في سوريا، وشهدت الدورات الأولمبية اللاحقة ظهور رياضيين سوريين إلى جانب النظام السوري ورياضيين آخرين ضمن فرق دول اللجوء أو فريق اللاجئين.

ولعبت «اللجنة الأولمبية الدولية» والمنظمات غير الحكومية دوراً هاماً في دعم الرياضيين السوريين، خصوصاً اللاجئين منهم، كما قدمت بعض المبادرات الدولية دعماً نفسياً ومادياً للرياضيين السوريين في الشتات، مثل برامج التدريب والمنح الدراسية.

وفي المناطق التي كانت خاضعة لسيطرة فصائل المعارضة السورية، ظهرت محاولات لإحياء النشاطات الرياضية بشكل مستقل عن النظام. في إدلب، على سبيل المثال، تم تنظيم بطولات محلية لكرة القدم، شارك فيها شباب وأندية محلية، كوسيلة للترويح عن النفس وبناء روح التضامن. هذه المبادرات عكست رغبة قوية لدى السوريين في الحفاظ على هويتهم الرياضية بعيدًا عن هيمنة النظام.

وأثرت العقوبات الدولية المفروضة على النظام السوري بشكل مباشر على مشاركة الرياضيين السوريين في البطولات الدولية. حيث واجه الرياضيون صعوبة في الحصول على تأشيرات السفر بسبب القيود المفروضة على المؤسسات السورية ومنعت بعض الفرق السورية من المشاركة في البطولات الإقليمية والدولية بسبب عدم الاعتراف بشرعية النظام.

ويمكن للرياضة في سوريا ما بعد الأسد أن تلعب دوراً حيوياً في إعادة بناء الهوية الوطنية وتوحيد السوريين بعيداً عن الانقسامات السياسية، حيث يمكن أن تكون البطولات المحلية والدولية منصة للتلاحم الوطني. وأثبتت تجارب دول مثل جنوب إفريقيا بعد نظام الفصل العنصري أن الرياضة قادرة على المساهمة في تعزيز المصالحة الوطنية.

ولا يمكن الحديث عن إصلاح الرياضة السورية من دون معالجة جذور المشكلة المتمثلة بالهيمنة السياسية على المؤسسات الرياضية. وتحتاج الرياضة في سوريا المستقبل إلى استقلالية حقيقية، وإلى إدارة مبنية على الكفاءة والشفافية. كما أن استعادة الثقة في الرياضة تتطلب بيئة حرة وآمنة تتيح للمواهب الشابة التطور من دون قيود. كما يجب العمل على بناء بنية تحتية رياضية جديدة تضمن توفير الملاعب والصالات التدريبية بمواصفات حديثة، وتتيح للرياضيين ممارسة نشاطاتهم بحرية وأمان.

تم اعتقال قائد المنتخب السوري للفروسية عدنان قصار، بعد فوزه على باسل الأسد، الشقيق الراحل للرئيس المخلوع بشار الأسد، في سباق للفروسية العام 1993. عقب هذا الفوز، وُجهت لقصار تهم ملفقة مثل محاولة اغتيال باسل الأسد وحيازة متفجرات، وقضى قصار أكثر من 21 عاماً في السجن في ظروف قاسية

وخلال النزاع السوري المستمر منذ العام 2011، تعرض الرياضيون في سوريا لانتهاكات جسيمة، بما في ذلك القتل والاعتقال والتعذيب، بحسب «الشبكة السورية لحقوق الإنسان». وقتل 221 رياضياً على يد قوات النظام السوري، من بينهم أبطال رياضيون مثل عبد الكريم كراكوز، بطل سوريا في كرة الطاولة للمقعدين، وصبحي سعدو العبد، بطل العالم في المصارعة الحرة. كما وثق التقرير مقتل ستة رياضيين تحت التعذيب في المعتقلات السورية.

ومن بين الحالات البارزة، اعتقال جهاد قصاب، كابتن المنتخب السوري السابق، العام 2014 وتوفي لاحقاً في سجن صيدنايا العام 2016.

هل تلعب الرياضة دوراً حيوياً في إعادة بناء الهوية الوطنية وتوحيد السوريين بعيداً عن الانقسامات السياسية؟

سورية...

من أقبية القتل والتعذيب إلى الشمس

المرمار | راسم المدهون

قبل أربع وخمسين سنة، وتحديداً بعد يوم أو يومين لا أكثر من انقلاب حافظ الأسد على رفاقه البعثيين، كنت أجلس عصراً في «مقهى السفراء» الملحق بسينما «السفراء» في شارع 29 أيار في قلب دمشق حين أعلنت الإذاعة السورية بيان «القيادة القطرية المؤقتة لحزب البعث العربي الاشتراكي» التي عينها الأسد، وكان في ذهني سؤال رئيس: ماذا سيقول هؤلاء الانقلابيون عن رموز النظام السابق ومنهم الرجل القوي آنذاك صلاح جديد والرئيس الراحل الدكتور نور الدين الأتاسي ورئيس الوزراء الراحل يوسف زعيّن ووزير الخارجية إبراهيم ماخوس وغيرهم؟

فاجأني البيان بعبارة اعتبرتها جديدة تماماً على البيانات رقم واحد التي تبدأ بها الانقلابات العسكرية العربية عادة ومنها الانقلابات في سورية، إذ وصف الأسد نظام من سبقوه بـ «العقلية المناورة»، وقبلها بيومين أي صبيحة السادس من تشرين الثاني/ نوفمبر سارت في ساحة «السبع بحرات» أمام مبنى المصرف المركزي مظاهرة يهتف المشاركون فيها ضد «حكم العسكر» حتى داهمتهم قوات المخابرات فتفرقوا، أما من كان يهتف محمولاً على كتفي رجل ضخم الجسم فقد حاول النزول فتشبث به من يحمله وأخذه راكضاً به إلى شاحنة المخابرات: تلك كانت لحظة انطلاق طوفان القمع والذي لم يعد مجرد إجراءات عقابية تقليدية تقوم بها السلطة ضد معارضيها، بل سياسة شاملة وممنهجة طاولت كل مجالات الحياة في سورية.

ففي الساعات الأولى لانقلاب 16 تشرين الثاني/ نوفمبر تم اعتقال القيادة البعثية السابقة وعلى رأسها صلاح جديد ونور الدين الأتاسي رئيس الدولة ويوسف زعين رئيس الوزراء وكل أعضاء «القيادة القطرية لحزب البعث» لفترة قاربت ربع قرن وتم الإفراج عنهم تباعاً حين كان كل واحد منهم يلفظ أنفاسه الأخيرة فتفضل السلطة أن يموت في بيته.

في دمشق يتذكر من عاش تلك الفترات القاسية من الأزمات الاقتصادية والمعيشية كيف كان النظام يكرس لغة قمعية لتصرفاته، فمنع فئة من العاملين زيادة مالية في أجورهم كان يُسمى في إعلام النظام «عطاءات القائد»، وأتذكر أن المعلمين أُجبروا ذات مرة على المرور في مسيرة من أمام القصر الجمهوري كي يشكروا «الأب القائد» على منحهم زيادة بلغت خمسين ليرة، بينما «القائد» يقف في شرفة القصر ملوحاً بيديه لهم.

أخطر ما فعله النظام البائد هو سطوه العلني على إرث سورية القومي – الحضاري وإجراءاته الغزيرة التنوع لتحويل سورية لمزرعة لإيران تحت مسمى كاذب هو «محور المقاومة» والذي أخضع البلاد ومقدراتها لسيطرة إيرانية

حماة... امتحان عسير

في أواخر السبعينيات وحتى مطلع الثمانينيات شهدت سورية أحداث مدينة حماة التي دمرها النظام بذريعة تمرد قامت به جماعة الإخوان المسلمين، وراح ضحية تلك المذبحة ما يزيد عن أربعين ألفاً، ومن شهد مدينة حماة بعد المذبحة مثلي رأى بأم عينه حطام بيوت فوق قتلاها من النساء والأطفال والمدنيين العزل الذين ذبحهم بدم بارد رجال «سرايا الدفاع» بأوامر رفعت الأسد، شقيق حافظ الأسد، والذي طاولت إجراءاته القمعية – الاستئصالية أهل المدينة منذ ذلك التاريخ، ولا أنسى هنا أن أهل محافظة حماة ظلوا عقوداً طويلة يطالبون بتطبيق مبدأ إنساني تعرفه وتطبقه دول العالم كله وهو الحق في استخراج «شهادة وفاة» للضحايا كي تتمكن العائلات من إجراء «حصر إرث» لأملاكهم الشخصية كلما احتاجوا توزيع ميراث العائلة بينهم وظل الأسد الأب يرفض.

وقع ذلك كله فيما كانت سلطة القمع الأسدي مشغولة بمحاولاتها التي لم تتوقف في السطو على قرار الفلسطينيين، حيث هاجم إعلام النظام كما قادته أبو عمار ياسر عرفات وزج النظام كافة المنتسبين لحركة فتح في المعتقلات لعقد ونصف العقد من السنوات، وهو تسلط سرعان ما انتقل إلى لبنان الذي حكمه رجال الأمن بالعسف والحديد والنار وساقوا قياداته وشخصياته السياسية لمركز قمعهم في «عنجر» حيث كان يقود غازي كنعان ومن بعده رستم الغزالي المخابرات السورية الساهرة على إرهاب اللبنانيين وتطويعهم، وهو «النشاط» الذي بلغ ذروته مع اغتيالهم لرئيس الحكومة اللبنانية الشهيد رفيق الحريري وقائمة طويلة من الشخصيات اللبنانية المؤثرة

والمكافحة من أجل استقلال لبنان وخروجه من قبضة الهيمنة الأسدية.
أخطر ما فعله النظام البائد هو سطوه العلني على إرث سورية القومي – الحضاري وإجراءاته الغزيرة التنوع لتحويل سورية لمزرعة لإيران تحت مسمى كاذب هو «محور المقاومة» والذي أخضع البلاد ومقدراتها لسيطرة إيرانية قتلت وصادرت البيوت وزرعت ساكنين جدداً في بيوت السوريين وحولت مناطق واسعة من سورية إلى «مستوطنات» سورية خصوصًا في الزبداني في ريف دمشق وفي «القصير» في محافظة حمص ودير الزور وأطلقت أيديهم في تشكيل ميليشيات عسكرية شاركت بدور أساسي في ذبح السوريين بالتعاون والمشاركة المباشرة من كتائب حزب الله.
حين شاهدت الطاغية المخلوع يتحدث في أول ظهور له على الشاشة الصغيرة بعد المظاهرات الأولى ضده عام 2011 أدركت أنه ذاهب لذبح سورية ولن يقدم ولو تنازلاً بسيطاً للشعب السوري هو الذي اعتاد تقديم تنازلات كبرى ومجانية للخارج.

عصر صيدنايا

اليوم تعرض الشاشات ونسمع من كانوا هناك والذي يجعل العقل السليم يتوقف مذهولاً أمام ما يرعب المخيلة من مشاهد وقصص وحكايات تشبه «الفانتازيا

التاريخية» التي قدمتها في مرحلة سابقة الدراما السورية، والمضحك المبكي أن نجد اليوم من يهبّون للدفاع عن الديكتاتور الساقط بذرائع تافهة وحجج مخزية غير آبهين بعذابات السوريين على مدار نصف قرن ويزيد في ظل سلطة المقابر الجماعية والتغييب القسري في سجون سورية التي لا تُحصى والتي تجسدت في «صيدنايا» الذي رأى العالم من خلاله كيف «برع» الطغاة في نهش لحوم البشر وتقطيع أوصالهم كما لم يحدث ولا تتذكره ذاكرة السوريين في العصور الحديثة.
أغرب ما يقوله من هبّوا للدفاع عن المخلوع أنه كان علمانياً ويدافع عن الأقليات بل ومقاوم ممانع، هو الذي ظل يتلقى ضربات الطائرات الإسرائيلية محتفظاً بحق الرد وهو الرد الذي لم يحدث أبداً.

سورية تنهض من كابوسها، البلاد التي أسس دولتها المعاصرة رجال كبار كشكري القوتلي وفارس الخوري وخالد العظم صار يتحدث باسمها رجال الأمن والعصابات التي حولت البلاد إلى مصانع للكبتاغون وغيره من المخدرات وتصديرها للبلدان العربية، وها نحن نستعيد صور الحياة تنهض من ركام التدمير الشامل للبلاد ونفرح بوجوه أحبة وأصدقاء يعودون من تغييبهم القسري وراء جدران السجون والمعتقلات

سورية تنهض من كابوسها، البلاد التي أسس دولتها المعاصرة رجال كبار كشكري القوتلي وفارس الخوري وخالد العظم صار يتحدث باسمها رجال الأمن والعصابات التي حولت البلاد إلى مصانع للكبتاغون وغيره من المخدرات وتصديرها للبلدان العربية، وها نحن نستعيد صور الحياة تنهض من ركام التدمير الشامل للبلاد ونفرح بوجوه أحبة وأصدقاء يعودون من تغييبهم القسري وراء جدران السجون والمعتقلات فأتذكر قصيدة «شاعر الشام» شفيق جبري يوم الجلاء: سورية مشعل ضوء وحضارة، أسست منذ استقلالها دولة تسير بثبات نحو الديمقراطية والحداثة والصناعة المتقدمة واستحقت أن يرشحها الخبراء العالميون في خمسينيات القرن الماضي أن تكون في مستقبلها دولة في الصفوف الأولى من دول العالم المتطورة قبل أن تعصف بها أيدي المستبدين.
منذ انطلقت ثورة الشعب السوري ضد نظام القتل والقمع والمعتقلات، شهدت سورية حرباً قاسية صب خلالها النظام البائد بالتعاون مع حلفائه حرباً ضروساً شردت الشعب في أصقاع الأرض، ودمرت المدن والقرى وخربت الصناعة والزراعة واستمرت في ذلك أمام سمع العالم وبصره حتى دخل الثوار قلب دمشق وتحقق نصر الشعب السوري فجر الثامن من كانون الأول/ ديسمبر الجاري فعاد لسورية وجهها المشرق وفتحت المعتقلات والسجون وشاهد العالم كله ما كان يجري من تنكيل وقمع خصوصاً في المعتقلات المنتشرة في عموم البلاد وبصورة خاصة في «صيدنايا» المروع والذي لم يعرف العالم الحديث مثيلاً له.

في الكذب والنفاق

عبد الكريم البليخ

لقد أصبح الكذب والنفاق اليوم أدوات أساسية في لعبة النجاح الاجتماعي والسياسي، وليس مجرد انحراف أخلاقي عابر. ما يثير الحزن والاستغراب أن الكاذب أصبح يُحتفى به، والنزيه يُهمّش أو يُقصى. كيف وصلنا إلى هذا الانقلاب الأخلاقي؟ وكيف صارت القيم التي طالما افتخرنا بها عبئاً على أصحابها؟
في زماننا هذا، بات الكذب فناً محترفاً يُتقنه أصحاب المصالح والأطماع. أصبح المنافق بارعاً في تسويق نفسه عبر كلمات براقة وشعارات زائفة، مدركاً أن الجمهور سيُعجب بالصورة التي يرسمها، وليس بالحقيقة التي يخفيها.
الكاذب يعرف كيف يُجيد التلاعب بعواطف الناس، يُقدّم لهم ما يرغبون بسماعه، حتى لو كان كذباً صريحاً. الأدهى أن المجتمع نفسه بات يشجّعه، يصفّق له، ويمنحه ما يريد: الشهرة، المال، وحتى الاحترام. إنه يُجلس على العروش، تفتتح له الأبواب، ويُرفع إلى مكانة لا يستحقها.
أما الصادق، فهو أشبه بالغريب الذي لا يجد لنفسه مكاناً في هذه المعادلة المشوّهة. يُنظر إليه على أنه حالم أو ضعيف؛ شخص يرفض الانخراط في اللعبة القذرة، وبالتالي لا يُؤخذ على محمل الجد. وفي كثير من الأحيان، يُستبعد تماماً من أي محفل أو قرار لأنه ببساطة يرفض التزييف.

لماذا نُكرّم الكذب؟

المفارقة المؤلمة تكمن في أن الكذب لم يَعد مُجرّد وسيلة للنجاة في مواقف ضاغطة، بل أصبح أداة للهيمنة، وميزة يُفتخر بها. يُفضّل المجتمع الكذاب على الصادق لأنه غالباً ما يُوهمهم بما يريدون سماعه، ويُخفف من وطأة الحقائق القاسية.
لكن الحقيقة لا تختفي إلى الأبد. الكاذب قد ينجح مؤقتاً، لكن نجاحه مثل بناء هشّ على أرض رخوة، سينهار عند أول مواجهة مع الواقع. الزيف لا يمكن أن يبني مجتمعاً مستقراً، تماماً كما لا يمكن للرياح أن تُقيم منزلاً متيناً.
لم تعد ظاهرة الكذب مقتصرة على المناصب والسياسة، بل تسلّلت إلى العلاقات اليومية. النفاق أصبح جزءاً من التفاعل الاجتماعي: تصنّع المجاملة، إخفاء المشاعر الحقيقية، وارتداء أقنعة زائفة لترضية الآخرين.
أصبحت المجتمعات تُقدّر المظاهر أكثر من الجوهر، ويُفضل فيها الشخص الذي يتصنّع الودّ على ذاك الذي يجرؤ على مواجهة الآخرين بالحقيقة. في النهاية، ينقلب مفهوم النجاح ليُصبح مسرحاً للزيف، حيث يفوز الممثل الأكثر مهارة في خداع الجمهور.
انتشار الكذب والنفاق ليس مجرد انحراف فردي، بل هو مرض اجتماعي يُصيب نسيج المجتمع بأكمله. في ظل غياب الصدق والنزاهة، تصبح القرارات غير مدروسة، والعلاقات غير مستقرة، والثقة معدومة. لا يمكن بناء مجتمعات قوية ومستدامة عندما تكون القيم الأخلاقية في تراجع مستمر.
كما أن النفاق يزرع الشك بين الناس، ويُضعف الروابط الإنسانية. كيف يمكن لمجتمع أن يزدهر إذا كان كل فرد فيه يشك في الآخر؟ إذا كان النجاح مبنيًا على الزيف، فإن الجميع سيفقدون الإيمان بالقيم التي تجعلهم بشراً.
رغم كل هذا، يبقى الأمل قائماً في أن يُدرك الناس أن الكذب والنفاق ليسا طريقاً إلى النجاح الحقيقي. قد يبدو الصدق اليوم خياراً صعباً، لكنه يظل الخيار الأصح. الصادق قد لا يلقى التصفيق، لكنه ينام مرتاح الضمير، ويبني علاقات حقيقية تستند إلى الثقة والاحترام المتبادل.
يبقى السؤال: متى يُعيد العالم ترتيب أولوياته؟ متى نعود إلى زمن تُقدَّر فيه القيم الحقيقية؟ إن الإجابة لا تكمن فقط في لوم الآخرين، بل في أن نبدأ بأنفسنا. أن نرفض أن نكون جزءاً من هذا النظام الذي يحتفي بالكذب ويُقصي الصدق.
في نهاية المطاف، لا شيء يُمكنه أن يُخفي الحقيقة إلى الأبد. قد يُطيل الكذّاب طريقه، لكنه في النهاية سيجد نفسه عارياً أمام نور الحقيقة. أما الصادق، فيبقى شامخًا، لأن قيمه ليست للبيع أو المقايضة.
إلى كل صادق يشعر بالغربة في هذا الزمن، لا تيأس. الحقيقة تحتاج وقتاً لتظهر، لكن ظهورها لا مفر منه. كما يُقال: «الباطل ساعة، والحق إلى قيام الساعة».

شهادات من ضحايا الحقبة الماضية

محمد سلمان وقصص القمع في الرقة

أثارت مقابلة قناة العربية مع وزير الإعلام الأسبق د. محمد سلمان الذي كان أحد رموز حكم حافظ الأسد، غضباً كبيراً لدى أبناء محافظة الرقة والمنطقة الشرقية الذين عرفوا محمد سلمان محافظاً لمدينتهم في ثمانينات القرن العشرين بين عامي -1980 1987، قبل أن يختاره حافظ الأسد وزيراً للإعلام عام 1987 في حكومة محمود الزعبي الأولى التي تشكلت في نوفمبر عام 1987، ليبقى في الوزارة مدة (13) عاماً حتى آذار عام 2000 أي ما قبل وفاة حافظ الأسد بأشهر.

وقال وزير الإعلام السوري الأسبق محمد سلمان في المقابلة: إنه نصح بشار الأسد بإجراء حوار وطني يجمع كل مكونات الشعب السوري ولا يستثني أحداً، بما فيهم رجال الدين والإخوان المسلمين، وأن صهره الفنان جمال_سليمان دعا الأسد في مؤتمر مصغر التقى فيه مع (32) شخصية، إلى الحل السياسي بدلاً من الأمني فكاد الرد أن هدم منزله بحجة أنه مخالف وليس لديه رخصة بناء!

ردود أفعال غاضبة

وقد أثارت مقابلة د. محمد سلمان غضباً واسعاً وخصوصا لدى أبناء محافظتي الرقة ودير الزور، اللتين اكتويتا بنيران بطشه، وهو القادم إلى منصب المحافظ من سلك المخابرات حيث بدأ حياته مساعد أول في فرع المخابرات الجوية، وخلال ذلك حصل على شهادة في الحقوق، ثم دكتوراه في الزراعة من إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة بعد أن أصبح وزير إعلام!

وعرف عهد محمد سلمان في وزارة الإعلام بأنه عهد القمع واستمرار التضييق على الحريات الإعلامية المعدومة أصلاً، رغم الوزير ينسب لنفسه فضل النهوض بالدراما التلفزيونية السورية، ومن ثم محاولة النهوض بالأغنية السورية، من خلال تأسيس مهرجان الأغنية السورية في عهده، والذي كان يمنحه كل دعم ويمنع أي انتقاد له، منطلقاً من مقولة: "نهضنا بالدراما والآن سننهض بالأغنية"!

فرحان المطر: اسألوا ضحاياه!

الكاتب والإعلامي فرحان المطر ابن مدينة الرّقة، كتب على صفحته على فيسبوك معلقاً على المقابلة:

مقابلة قناة العربية لمحمد سلمان محافظ الرقة، السابق، ووزير الإعلام السوري الأسبق، سببت لي الكثير من الأذى والاستفزاز على مدار اللقاء. اسألوا ضحاياه من أهل الرّقة أولاً قبل التفكير بإعادة تدوير نفايات نظام الأسد البائد. يحزّ في نفسي كثيراً أن أرى من يجب أن يحاسَب أولاً يقف في صدارة المشهد متحدثاً عن مستقبل سوريا.

محمد سلمان أثناء فترة حكمه كان حافظ أسد آخر، ديكتاتوراً أشاع الرعب في النفوس، حملات اعتقالات جماعية طالت الكثيرين. محمد سلمان كان لصّاً كبيراً فرض سطوته على الجميع، وسرق حتى الأراضي. كان مكمماً للأفواه مشجعاً على الإنفلات القيمي داخل مجتمع الرقة.

لن تسامحك الرقة يا سعادة الوزير، ويا رائد الديمقراطية !!!...

صالح الحاج صالح: حتى سلمان كان معارضاً؟!!

وتحت عنوان: "حتى محمد سلمان كان معارضاً" كتب ابن الرقة الكاتب صالح الحاج صالح مستعرضاً من ذاكرته حوادث من تاريخ وزير حافظ الأسد الأسبق:

قال محدثي بعدما أُبْعِد عن منصب شغله لسنوات، ولأنه آمن على ما سيقوله كوني قريباً له ويعرف ما أنا وعائلتي عليه ..

قال: سأحدثك عن فصل واحد يظهر حقيقة "أبو الريم" وهو اسم محبب لدى مدراء الدوائر وحزبي محافظة الرقة للمحافظ محمد سلمان.

وقبل أن أذهب إلى ما قاله، سأذكر تقفيلة وتعليق محبب للسوريين على كل انفجار أو عملية اغتيال، وقتل حدثت في فرنسا، اسبانيا أمريكا..الخ بعد 2011 بالعبارة التالية (أكيد الإرهابي ترك هوية

مساعد المخابرات الذي أصبح وزيراً للإعلام

السورية وباكيت حمراء طويلة في مكان العملية) هذا التعليق الساخر كان الدليل الذي قدمه محمد سلمان، عن انفجار مفبرك لخط نقل النفط بالقرب من بلدة العكيرشي شرق الرقة ليتم على أثرها شن حملة اعتقالات واسعة.

المهم قال محدثي: على أثر انعقاد المؤتمر الثامن لحزب البعث عام 1985 وعن بعض الحديث الذي دار في المؤتمر من قبل بعض أعضاء المؤتمر، ومنهم ممثلي الرقة، كان حافظ الأسد يسمع المداخلات من غرفة خاصة قد ازعجه ما سمع.

ويقال، وهذا قيل عن قال. أن حافظ الأسد اوعز للأجهزة الأمنية بتنقية الحزب من المشككين بالمسيرة، ومن خصهم بتنقية الحزب كان محمد سلمان الموكل إليه، حينذاك، رئاسة اللجنة الأمنية بمنطقة الجزيرة، بمحافظاتها الثلاث..

وقال محدثي وهو حسب ما قال كان شاهداً على جزء من الاجتماع الذي عقد في مدينة الطبقة بدار الأسد للثقافة، المركز الثقافي، وضم قادة الأجهزة الأمنية دوبا والخولي وآخر كنيته عبسي.. ورؤساء فروع الأمن بالرقة. وعلى أثرها جرى اعتقال أعضاء من قيادة فرع الحزب بالرقة وأمناء شعب حزبية ومدراء دوائر، وزجهم في سجن حلب بالمسلمية تحت تصنيف "جماعة أو معتقلي محمد سلمان".. هكذا !

وعن محمد سلمان ينقل قول عن حافظ الأسد أن ليس لديه محافظ كفؤ إلا محمد سلمان.

هذا الكفؤ، خلال ولايته، كان سكان المدينة بمجرد أن تقف سيارة بجانب أحدهم فجأة وبالصدفة تقع قلوبهم بين ارجلهم حتى يتبين الأمر، وذلك لكثرة ما نقلت السيارة العجيبة "سيارة بيجو بيضاء" معتقلين من بيوتهم، من المدارس والدوائر، ومن الشارع إلى فرع الأمن العسكري بدير الزور.

وأيضاً وفي طورٍ لاحق استكمل محمد سلمان أثناء توليه منصب وزير الإعلام ما بدأه الوزير الذي سبقه أحمد إسكندر أحمد بتكريس عبادة الأسد. ففي عهده تم رعاية كتاب وصحفيين لتدبيج مؤلفات عن القائد الضرورة، وتم إلزام المواطنين باقتنائها بطرق شتى. وكذلك أنشئ معسكر للفنانين على بحيرة الأسد، لرسم لوحات بانورامية لإنجازات القائد. وفي عهده الميمون بوزارة الإعلام تم صناعة أغلب التماثيل ونصب العائلة.

هذا الشخص الكفؤ الذي أعجب به حافظ الأسد دون سواه، يتم تقديمه اليوم، كشخصية معارضة لآل الأسد! من قبل إعلام يروج لأمثاله وأمثال ما أسقطه الطير.

الكاتب د. أحمد جاسم الحسين: استح يا مجرم!

الكاتب والأستاذ الجامعي السابق أحمد جاسم الحسين، كتب بدوره على صفحته على فيسبوك مخاطبا د. سلمان بشكل مباشر:

"عيب عليك، استح يا مجرم!

الأشخاص الذين قتلتهم والجرائم التي ارتكبتها، تشهد عليها الرّقة يوم كنت محافظاً لها، ومن وضعتهم بالسجون سيشهدون ضدك يوم كنت رئيس اللجنة الأمنية بالمنطقة الشرقية ١٩٨٠-١٩٨٧ حيث أشرفتَ شخصياً على إعدام الكثير من السوريين. تذكر الرائد عزيز؟

أن يكون صهرك فناناً مشهوراً أو أن يكون لديك مشروع سياسي لا يقلل من حجم جرائمك. معيبٌ استضافة مجرمين عبر قنوات تلفزيونية كحمامات سلام. لي عودة مفصلة لاحقا.

د. موسى رحوم عباس: سيلاحقه القانون.

بدوره علق موسى رحوم عباس، الأديب وكاتب القصة السوري البارز على منشور

أعجب به حافظ الأسد ويتم تقديمه اليوم كشخصية معارضة لآل الأسد

أحمد جاسم الحسين متهماً سلمان باللصوصية صراحة، وقال:

"يجب أن يصمت، ويلاحق قانونياً لسرقته مشروع بناء قصر المحافظ حيث ابتنى قصراً له في الساحل وبالتصميم نفسه والمواد نفسها وبالمفروشات التركية التي حصل على إذن حكومي باستيرادها دون جمرك، كل من كان يعمل بالحديد والاسمنت ومواد البناء يجب أن يشهد أمام المحكمة بذلك، الأمر كان مكشوفاً والشاحنات تفرغ نصف الحمولة بالرّقة والنصف الآخر يكمل طريقه للساحل، عليه أن يصمت وسيلاحقه القانون!"

أسرة الحرس القديم المبعد

ويقول مراقبون أن الدكتور محمد سلمان، الذي ينتقد مرحلة بشار الأسد لأنه أبعده واعتبره من الحرس القديم، ما زال يُمجد مرحلة حافظ الأسد ويعتبر نفسه أحد رجالها الناجحين، دون أن يوجه كلمة انتقاد لهذه المرحلة التي أسست لكل الجرائم والسجون والمعتقلات (سجن صيدنايا أسس في عهد حافظ الأسد) بما في ذلك جريمة التوريث في نظام جمهوري لا يورث، والتي كانت رغبة الديكتاتور حافظ الأسد الشخصية الذي يمتدحه سلمان، متأسفاً أن بشار لم يصلح للحكم كأبيه.

وتعوّل أسرة سلمان التي تنتمي إلى الطائفة العلوية، على صهرها النجم جمال سليمان، وعلى علاقاته في إعادة تسويق والد زوجته الذي لا ينسى السوريون أنه كان من رجالات الديكتاتور حافظ الأسد، والذي سمى جمال سليمان ابنه البكر على اسمه على اعتبار أن محمد سليمان الذي كان يُكنى بأبي الريم (نسبة لابنته ريم) لم ينجب ذكوراً، وتنشط العائلة بعد سقوط الأسد للحديث عن الظلم والعسف الذي وقع على عميدها الوزير الأسبق الذي لم يعرف بشار قدره!

عن موقع «العربي القديم»

ريم سلمان:
أبي الغالي والجد الحنون والسوري الوطني

وفي هذا السياق كتبت الابنة الكبرى ريم، زوجة د. نضال دوبا، وهو (ابن رئيس الاستخبارات العسكرية في عهد حافظ الأسد العماد علي دوبا) كتبت منشوراً على صفحتها بعد سقوط بشار الأسد، تحاشت فيه الاعتراف بأن ما جرى "ثورة شعبية" واستفاضت تشرح ما وقع على أبيها فقالت:

عند بداية الحرب في سوريا تقدم والدي الدكتور محمد سلمان وزير الإعلام السابق ونخبة من الشخصيات الوطنية على امتداد سوريا (منهم عدد من الوزراء السابقين والسياسيين والاقتصاديين والفنانين والأدباء والأكاديميين) ومعهم زوجي نضال دوبا وزوج سوزي أنس الخولي وزوج رنا جمال سليمان بمبادرة وطنية تجنب الوطن بكل اطيافه وطوائفه كل هذا الدم. قوبلت المبادرة برفض وقسوة لم تمارس على من شارك وأراق دماء أبناء البلاد. وحملة من التخوين ضده. على اثر هذه المبادرة فرضت على والدي سلسلة من العقوبات الرئاسية منها الإقامة الجبرية داخل المنزل لوقت طويل إلى منع السفر وصولاً الى مصادرة جواز سفره. ولم نستطع أنا وأخواتي سوزي ورنا ونجلاء أن نرى أبي وأمي لسنوات طويلة بسبب الحرب المستعرة. وبالمقابل هو لن يأتي لزيارتنا.

لم نحاول يوماً أن نتوسط للحصول على جواز سفر والدي الا بعد وفاة والدتي لأننا كعائلة ترزح تحت ثقل الفقد كانت امنيتنا أن نقضي ما تبقى من العمر مع والدي ونجتمع كلنا حيث تقيم خارج الوطن. طبعاً قوبلت كل الجهود الخجولة بالرفض. ولم تتحقق امنيتنا البسيطة.. بعد وفاة والدتي وبحكم القدر انتقلت وعائلتي الصغيرة للعيش في دمشق مع والدي و اختي نجلاء في منزل العائلة. وكثفت سوزي ورنا وأولادهم الزيارات. محاولات لنخفف من حدة الحزن الكبير على ماما التي كانت «مالية علينا البيت والدنيا على العيلة».

أبي الغالي والجد الحنون والسوري الوطني لم يتخل ولو للحظة عن التفكير بالوطن والسعي الدؤوب لإنقاذه. وبشهادة كل من يعرفه، بصراحة وبكل جرأة أقول اغتنمت فرصة تجديد الفترة الرئاسية للرئيس الهارب بشار الأسد و ضربت بعرض الحائط بكل قناعاتي ورأي والدي السياسي والوطني وأعدت انتخاب الرئيس السابق كرسالة علنية له على السوشيال ميديا طمعاً بالحصول على جواز سفر والدي أرفقت معها ما قاله لنا عند لقاؤنا به وزوجته. أنا وزوجي وبناتي في بدايات حكمه عن أحلامه (الكاذبة) لسوريا كلام كان يردده عند كل من يلتقي معه. ومرت السنوات وعند كل إخفاقه وفشل وتدهور سياسي وأمني واقتصادي وصولاً للحرب السورية "الكونية" كان يثبت فيها على عدم حرفيه وجهل نابع من تفرد وعنجهية وتسلط أخذت البلاد الى العدم والخزي والعار. كانت خطوتي يائسة لم تأت بنتيجة سوى مزيد من الحقد العتيد. مع العلم بأن والدي عرضت عليه إغراءات كثيرة وكبيرة لتهريبه مع إقامة مميزة ومرفهة خارج البلاد. كان يرفض بشكل قاطع ويستنكر كل هذه العروض.

عدت أنا وسوزي ورنا ونجلاء وحفيداته وأحفاده الى دائرة اليأس لسنوات طويلة، حتى أهدانا القدر ككل السوريين بالأمس فجر يوم لا يشبه حتى أجمل أحلامنا وأمانينا يوم عهد جديد لوطن واحد لا طائفي ولا دموي، وطن للجميع وبتعاون الجميع. ووعود غالية نأمل ان تتحقق بكل محبة وصدق.

السجن الانفرادي في «فرع الخطيب»

التهمة صحافي!

«هنا دمشق.. سقط الأسد» كتبتها وأنا بكامل قواي

● الصحافي بشار ديب

المرمار بثينة عوض

الاسم: بشار دريب، المؤهلات العلمية: خريج كلية الإعلام جامعة دمشق، التهمة سابقاً: صحافي سوري تحت سقف الوطن، العمل حالياً: صحافي في «تلفزيون سوريا» في تركيا.

إنها الساعة الواحدة ظهراً في 20 كانون الأول/ ديسمبر 2009. كل شيء يسير كالمعتاد، أتابع عملي في موقع «دي برس» السوري الإلكتروني كصحافي استقصائي. وأتبادل المزاح مع زملائي من وراء ستار زجاجي كان يفصل بيننا قبل أن تحل اللعنة غير المنتظرة أو ربما المنتظرة دوماً. دورية أمن مكونة من ستة أشخاص تقريباً مدججين بالسلاح تداهم المكتب. صمت مطبق في المكان وترقب وخوف لا مثيل لهما. ومن دون حتى ذكر اسمي يتم اقتيادي ووضعي في الصندوق الخلفي لسيارة تابعة لفرع الأمن الجنائي الكائن في باب مصلى.

التوسل كلمة لم أعرف معناها حرفياً إلا في حينها. ساعتان من الرجاء لمعرفة التهمة الموجهة إلي بلا جدوى، وبدأت تلقائياً أكيل التهم لنفسي قبل أن يتم نقلي في الساعة الثالثة إلى «فرع الخطيب»، أحد أشهر الفروع الأمنية في سوريا بسبب انتشار التعذيب فيه، لتبدأ معاناة لا نهاية لها وأنا معصوب العينين تكال لي كل الشتائم، ويتم إنزالي عنوة إلى درج، تلمست أنه يفضي إلى غرف منفردة. أنا داخل إحداها كانت أشبه بالقبر، بطول 190 سم إلى مترين، وبعرض 70 سم على ما أعتقد، وارتفاعها لا يتجاوز المترين ونصف المتر. صُممت بحيث تمنع أي خيط ضوء من التسلل إلى داخلها. مرت الساعات الأولى وأنا أحاول أن أقنع نفسي بأن ما حصل هو خطأ لا محالة، وبأنني سأخرج بين ساعة وأخرى، فكل التحقيقات التي عملت على إنجازها كانت تختص الشأن المحلي، أو بعض عمليات الفساد، ونشاطي المعارض على شبكة الإنترنت كان بأسماء وهمية، ومن مقاهي الإنترنت التي كانت منتشرة حينها.

بعد مرور أربع ساعات بدأ الخوف يتسلل إلى داخلي، وحده السجان أخبرني بأنني قد نشرت خبراً عن انتشار حالات لإصابات مرض نقص المناعة المكتسب في منطقة من ريف دمشق. ما الخرق الأمني في ذلك؟ أصبت بالذهول لكون الخبر موثقاً، ولا يمس أياً من الخطوط الحمراء التي طالما تم تلقينها لنا.

مرت الليلة الأولى في تلك الزنزانة، وكأنها الليلة الأولى في القبر، أصوات أنين المعذبين كنت أسمعها تخرج من تحت الأرض، وأعتقد أن الوقت كان قرابة منتصف الليل، وعند الساعة الثالثة ربما، بدأ عدد من السجناء الإسلاميين بتلاوة القرآن، اعتقدت أنه طقس يقومون به بهدف الدعاء والطلب من الله أن يفرج عنهم سجنهم، لكن بعد أن أصغيت جيداً لهم، اكتشفت أنهم يقومون بتحفيظ القرآن لبعضهم عن طريق تلاوته وإعادته، طبعاً الجميع كان في زنازين منفردة، ربما امتلكوا شيفرة معينة بهم يقومون من خلالها بتنظيم الحفظ والدور والتكرار.

لا أعلم كيف انتهت تلك الليلة. صباحاً ضربت على الباب. ليقوم سجان بفتح شباك صغير موجود على الباب من الخارج ويسألني عما أريد، وبكل سذاجة طلبت كتاباً أو صحيفة أو مجلة، ليأتي الرد مباشرة: بأنه سينقل مرض نقص المناعة المكتسب إلى والدتي. حفظت ملامحه ولسانه القذر جيداً، وبكيت، وقد شعرت بأن دنساً مس أمي.

مرت الأيام في المنفردة وكانت أقل هولاً، فالاعتياد، وكما يقول ممدوح عدوان هو أصعب شيء ممكن أن يحدث للإنسان، وبدأت أحاول أن أجد شيئاً يمكنني من عد الأيام التي أمضيها، ولم أجد إلا الغطاء القذر الذي أتدثر به، كنت أعد خيوطه يومياً، وأخطئ بالعد من أجل أن أبدأ من جديد، ومن أجل معرفة الأيام كنت أسحب خيطاً واحداً كل يوم، لأكتشف بعد خروجي من هذه الزنزانة اللعينة أني قضيت 35 يوماً بين جدرانها. وما بين صوت التعذيب الذي أسمعه ليلاً، وصوت المعتقلين الذين يتلون القرآن يومياً، أمشي جيئةً وذهاباً داخل تلك المنفردة الحقيرة حتى لا يتفسخ جلدي نتيجة الاستلقاء الطويل.

وها أنا أطلب للتحقيق للمرة الأولى في الساعة الثانية ليلاً. عصبت عيناي ومشينا في ممر طويل وطلب السجان مني الانتظار وبدأت أعد الدقائق، وبعد ساعة تقريباً وفقاً لحساباتي أدخلت إلى غرفة المحقق، الذي بدأ بالحديث عن المؤامرة التي تحاك على البلاد وأهمية الصحافة المسؤولة، حينها تشجعت وطلبت منه نزع العصابة، لينادي الحارس الموجود خارجاً ويأمره بنزعها، وإذا به شاب لم يبلغ الأربعين من عمره، وأمامه تلة من الأوراق يصل ارتفاعها قرابة النصف متر.

سألني حينها هل تعرف ما هي هذه الأوراق؟ أجبته: لا، ليقول إنها كل التحقيقات الصحافية التي كتبتها منذ العام 2006، لكنه احتفظ جانباً بتحقيق خاص بضحايا الألغام في مدينة القنيطرة، كنت قد عملت على إنجازه ونشره يحمل عنوان «الألغام من أمامكم والعدو من خلفكم»، إذاً هذه هي التهمة، إنصاف أناس فقدوا أطرافهم وشلت حياتهم، لكن ما الضير في ذلك؟

ثم أكال الضابط لي كل الشتائم بتهمة التجرؤ على مهاجمة عضو في مجلس الشعب يتمتع بالحصانة وجمعية خيرية مختصة بتقديم المساعدات لضحايا الألغام في سوريا، واتهامها بسرقة المساعدات الدولية الخاصة بمن قطعت أطرافهم، لأكتشف أن هذا العضو والجمعية يعملان تحت إدارة «الامانة السورية للتنمية» في الخفاء، التابعة لأسماء الأسد، والتي كانت شريكة بسرقة تلك المساعدات.

بعدها وقف وضرب بيده على الطاولة التي أمامه ورمى التهمة بوجهي: «أنت عميل لإسرائيل»، سنقطع قدميك ونركب لك أطرافاً اصطناعية أسوة بمن كتبت عنهم، وصرخ بالعنصر الموجود خارجاً، وأمره بإعادة العصابة على عيني. وهو ما تم بالفعل من دون أن يتنبه السجان أنني أستطيع أن أرى منها ولو بشكل جزئي، وبعد نزولنا من الدرج استطعت رؤية بعض المعتقلين الذي يعذبون في ساحة السجن، وكان من بينهم شاب أعتقد أنه لم يتجاوز الـ25 عاماً، وكان ينزف من أعلى رأسه.

عدت إلى المنفردة، الخوف يأكلني: «العمالة لإسرائيل»، وها أنا أتلمس قدمي بين الفينة والأخرى. تتالت الأيام وسط خوف شديد كلما أسمع وقع خطوات تقترب من المنفردة، ليصل بي الحال إلى التفكير بالانتحار، لكن حتى الموت كان رفاهية غير موجودة في ذلك السجن.

بعد انتهاء الـ35 يوماً في المنفردة أدخلت إلى «الجماعية»، وكانت عبارة عن غرفة صغيرة تقدر مساحتها بين الثمانية والعشرة أمتار، وبداخلها 11 سجيناً، وأنا كنت السجين رقم 12.

وذاك الشاب العشريني الذي كان يتعرض للتعذيب غدا صديقي الوحيد كان من محافظة درعا، ومن آل أبازيد، وكانت تهمته الانتماء للتيار السلفي فقط وليس التيار الجهادي. في إحدى الليالي كشف لي عن جرحه، وإذا به حفرة بحجم البيضة داخل رأسه، قال لي حينها، لولا هذه الحفرة ما خرجت من الزنزانة التي عشت بها منذ 3 أشهر.

الغريب أنه في تلك الغرفة اجتمع كافة خصوم النظام السابق، فكان منهم الإسلاميون والشيوعيون والأكراد، باستثناء شخص واحد، كان ضابطاً ادعى حينها أنه تشاجر مع رئيس الفرع، في حين يؤكد بقية السجناء أنه جاسوس دس في المكان، الكل متوجس من الآخر، وأعتقد أنها لعبة النظام القذرة. وفي هذه الغرفة قضيت رأس السنة الميلادية، ودخلنا عاماً جديداً، ولكن من دون أي احتفال، فحتى الغناء الذي حاول بعض السجناء الشيوعيين تأديته، جاءهم صوت من الخارج أمرهم بالسكوت وإلا. لتمر تلك الليلة والجميع يحاول أن يسترجع ما تيسر له من ذكريات.

بعد عشرة أيام من العام الجديد خرجت من هذا الفرع، وتم إيداعي في سجن الشرطة العسكرية، وعلمت في اليوم الأول لي هناك أن محاكمتي ستكون عسكرية، وأنني إما أني سأساق إلى سجن صيدنايا، أو سيطلق سراحي، وبعد 5 أيام حكم القاضي بسجني مدة شهرين بتهمة «نشر معلومات من شأنها أن تعكر الصفاء بين عناصر الأمة»!

لحظة خروجي من السجن ووضع الختم على باطن يدي، لم أكن مدركاً حينها أن شهرين من عمري قد مرا، ولم أكن مصدقاً أيضاً أن هذا الجحيم يمكن له أن ينتهي، وتصبح تلك المنفردة من الذاكرة.

لولا رؤيتي لسجاني في إحدى المظاهرات. لحظة دراميتكية لا تنسى، هو يجري وأنا أجري وراءه في لحظة استعدت بها كل الشتائم التي نعتني بها. كنا في حي الميدان الدمشقي، تاه مني بين الطرقات، فقلت في نفسي أنت شجاع في ممرات السجن وفأر في الخارج.

وطيلة تلك الفترة، واصلت العمل مع أكثر من موقع إلكتروني وخصوصاً موقع «سراج برس» التابع للهيئة العامة للثورة السورية، وبقيت فيه طيلة عامين وطبعاً بأسماء مستعارة. وخروجي من سوريا كان على أمل أن لا يستمر أكثر من شهرين إلى ثلاثة أشهر، لكن وبعد 13 عاماً من الثورة، بات لزاماً علينا أن نعمل على نقض سردية النظام بمحاربته للإرهاب، والتأكيد على السردية الأولى للثورة السورية، وأنها خرجت على نظام مجرم.

بعد انطلاق عمليات «ردع العدوان» لم يكن أحد مصدقاً أنها ستتوسع وتصل إلى دمشق، وأكثر ما كان ينتظر منها السيطرة على محافظة حلب، ومع توغل المقاتلين باتجاه الجنوب بدأ الأمل يعود من جديد، وأن العودة إلى دمشق ممكنة.

في الليلة الفارقة في حياتي وحياة كل السوريين كنت قد ذهبت للنوم، لكن لم أجد سبيلاً إليه، فقررت العودة إلى المكتب في الساعة الرابعة صباحاً ومواصلة العمل، فالجميع في «تلفزيون سوريا» المعارض كان يعمل كخلية نحل، بدأت بالعمل ومتابعة الأخبار، ولم أكن متخيلاً أن يأتي اليوم وأكتب فيه هذا العنوان: «هنا دمشق.. سقط الأسد». كتبتها وأنا بكامل قواي العقلية وعانقت لحظتها كل السجناء في «فرع الخطيب».

صرخة
في زنزانة الموت

في زنزانتنا التاسعة عشرة في مطار المزة العسكري، كانت رائحة لحم عبد الحي المحترق تزيدني يقيناً أنه لن يكون هناك راحة طالما نحن أحياء.
«الشمعة» اسم أشد رعباً من كل أسلحة الأرض فتكاً وموتاً.
كان عبد الحي، حامل الشهادة العليا في الكيمياء، قد أمضى معنا 21 يوماً روى لي خلالها كيف اعتقلوه في كمين على طريق عربين. منذ لحظة وصوله، كانوا يخرجونه كل يوم ويشبحونه لأكثر من ساعتين، يُكملون سلخ جسده الذي لم يتبقَّ منه شيء، ليعود بعدها والدم ينزّ من كل مسامة فيه.
بعد أن ذاق معنى الألم والتعذيب الشديد، أصبح يخاف من موعد قدومهم. وعلى وقع اقتراب أصواتهم، كان يحاول أن يزحف لإحدى زوايا الغرفة، وينظر إليّ ودموعه تسبق كلماته. كانوا يريدون منه شيئاً، لكنه لم يعترف به أبداً.
كنت في نصف وعيي، بعد أن تورّمت رجلي اليمنى لدرجة مهولة نتيجة الجرح الذي أصابها وأنا مشبوح في سقف غرفة الموت. بدأت خطواتهم تتسارع وشتائمهم تقترب.
لحظات وفتحوا الباب وقال المساعد المسخ: «عبد الحي محمد أمين».
كان عبد الحي لا يقوى على الوقوف، وكنت بقربه بالكاد أستطيع لمس الأرض برجلي لشدة الجروح التي فيها. رفع المساعد كبله وهوى به على ظهري وهو يقول: «ساعده يوقف ولا حيوان».
ذاك الجبان يعرف أني بالكاد أقف على رجلي، فكيف أعين عبد الحي؟ استندت إلى الحائط ومددت يدي كي أساعد عبد الحي على النهوض. وحين شددته، انزلقت رجلي بالقيح والدم الذي يسيل منها طوال الوقت، فوقعت فوق عبد الحي.
لن أنسى حتى آخر لحظة من حياتي كيف انهالوا علينا ضرباً بالكبل، أنا وعبد الحي. وكيف كان يضع يده فوق مكان جرح رجلي كي لا يصيبني الكبل، فيُغمى عليّ.
وبدل أن أعينه، أعانني.
بعد الكبل العشرين، وضع المساعد رجله فوق صدري وقال: «شو اسمك أنتِ ولا؟»
كان فمي مملوءاً بالدم، فقلت له: «...».
قال: «أنت اللي دارس حقوق، ما هيك؟ لك في حدا دارس حقوق مو خاين وكلب؟ بلعن ربكن شو عرصات. أي رجل عم توجعك؟ هاي الورمانة؟ طلّع فيني هون، طلّع، ولاك! شايف هالكبل؟ هذا هو الحقوق تبعك ولا عرصا».
وضربني بالكبل على مكان جرح رجلي، فشعرت أني قد انقسمت نصفين، وأن رجلي قد انقطعت.
لم يُغمَ عليَّ، لكني صرخت بأعلى صوتي، فزاد ضربه حتى صَمَتُّ تماماً ولم أعد أشعر بشيء.
سحلوا عبد الحي من رجله وأخذوه. كان يمضي وعيناه تحدقان بي... مضى إلى العذاب... إلى الحرق.
عندما سمعت المساعد يقول: «حطوه عالشمعة»، أصابتني حالة دوّار وانهيار تام.
فبعد أن يخلع المعتقل كل ثيابه، كانوا يضعونه على كرسي من حديد ثبتوا أرجله داخل الإسمنت بحيث لا يتحرك أبداً. ليس له سطح ليقعد عليه الإنسان.
فيجلس المعتقل على الكرسي المقعّر، ثم يربطون رجليه مع رجلي الكرسي بالجنازير، ثم يربطون جنزيراً آخر حول خصره مع ظهر الكرسي، ويكبّلون له يديه للخلف بأصفاد الحديد، فيصبح ملتصقاً تماماً بالكرسي، ثم يأتون بصندوق ويضعونه تحت الكرسي، فتكون المسافة ما بين الصندوق وجسد المعتقل أقل من عشرين سم، ثم يضعون شمعة فوق الصندوق، فتكون الشمعة تحت المنطقة الواقعة بين الجهاز التناسلي والمؤخرة. ثم...
يشعلون الشمعة تحت المعتقل.
وتبدأ الشمعة بإحراق تلك المنطقة المليئة بالأعصاب واللحم الطري. ويبدأ الصراخ يشق كل صمت هذا العالم الرخيص، والشمعة، رغم كل توسلاتنا، لا تتوقف أبداً عن أكل اللحم الذي يتقطّر كالدهن في حالة الشواء. ويبدأ المعتقل يحترق ويبحث عن أي خلاص، أي شيء، أي قوة يستنجد بها، أي درب يوقف احتراقه، أي شيء... أي شيء.
وعندما يصل الاحتراق إلى اللحم الأحمر تحت سطح الجلد، يصبح الصراخ عويلاً يعجز عنه كل أهل القبور، ونبدأ نحن بالبكاء.
عندما أحرقوا عبد الحي في المرة الأولى، أغمي عليه ثلاث مرات. وهذا ما أغضب المساعد، فضربه على رأسه بكبل الدبابة فعميت عينه اليمنى.
كان عندما يُحدثني يلتفتُ إليّ بكامله لأنه لا يراني إلا بعينه اليسرى. وكان يئن طوال الوقت، فالحرق في هذا الجزء من الجسد يجعل كل حركة يقوم بها الإنسان مؤلمة لدرجة البكاء، ويضطره لأن يبقى عارياً من ثيابه طوال الوقت.
في تلك الليلة النكراء، نادوا على عبد الحي. كان قد حرقوه منذ خمسة أيام، وجسده مملوء بالجروح، وظهره ليس عليه سوى بقايا لحم هنا وهناك.

كان قد فقد كثيراً من قدرته على التركيز، ولم يعد بكامل وعيه.
رئيس غرفتنا، الذي كان ظالماً مجرماً، ركل عبد الحي على رأسه وجرّه إليهم. أمسكوا رجله وسحبوه.
بدأ يبكي فور خروجه من الغرفة، رغم أني أشهد أنه كان رجلاً شجاعاً، وأشهد أن شجاعة بعض المعتقلين هناك تخجل منها الموت.
بعد دقائق، ارتفع عويل عبد الحي. عرفت أنهم يحرقونه بالشمعة. بدأ صوته يزداد، وعويله يصبح أكثر عمقاً وينغرس في صدري كسكين. بدا لي كم نحن طاعنون في البؤس.
عندما أدخلوه إلى زنزانتنا، كان في غيبوبة كاملة. رموه على الأرض وذهبوا.
بعد فترة، صحا. كنت ممدداً بقربه. أمسكت يده وقلت له: «أخي عبد الحي، شد حيلك». فأومأ لي برأسه عدة مرات وعينه نصف مفتوحة. وشعرت بيده كيف كانت تشد قليلاً على يدي.
اقتربت منه وقلت له: «بدك مي؟ عطشان؟»
كان يهمس. اقتربت منه أكثر، فقال: «لا تتركني... لا تتركني، خيي، لا تتركني».
فقلت: «لا تخف. لن أتركك أبداً. أنا معك يا أخي».
وبكيت. تمنيت لو أني أستطيع إنقاذ عبد الحي من مصيره المحتوم. الشعور بالعجز شعور قاتل. وما حيلتي وأنا معتقل مثله وعلى مشارف الموت؟
وكم هو عصي أن يفهم الإنسان أن كل جريمته في وطنه أنه مواطن فيه.
في الليل، كانت تأتيني حمّى نتيجة التهاب جسدي من جرح رجلي. فغفوت ويدي في يده.
عندما صحوت، وجدت عبد الحي قد مات. كان مغطى ببطانية وملقى عند الباب.
رحل عبد الحي وتركني هناك. وماذا بقي مني بعده؟
ولتسمع أيها العالم الذليل:
لن نصالح. ولن نرضى. لن ننسى. ولن نستكين.
أخي عبد الحي، لقد تركت يدك... لكن يدك لم تتركني لحظة واحدة. لا زالت ملامحك تغطي السماء بأكملها.
ليس لأحد أن يكون ولي دماء السوريين، وليس لأحد أن ينوب عنا فيفاوض على عذاباتنا ويسامح بدمنا المسفوح هناك.
ومن لم يذق ألم التعذيب، فلا يتحدث نيابة عنا.

شاهد على جرائم آل الأسد

سورية بعد سقوط نظام الطاغية

تساؤلات مغرضة أم مشروعة؟

بقلم: شاهين رضوان الفارس

لا أريد أن أُفسد على نفسي ولا على السوريين الأحرار فرحة سقوط نظام الأسد ونيل سورية قاطبةً حريتها فجر الأحد المبارك 2024/12/8 لولا أن القلق على مستقبل شعبنا وبلدنا أقض مضجعي بسبب عدة تساؤلات أهمها:

-هل التشكيل السياسي المستقبلي للدولة السورية مدني، ديمقراطي، أم خلافي إسلامي؟

(مقابلة منذ سنوات مع أبو محمد الجولاني- أحمد الشرع في قناة الجزيرة بلا حدود مع أحمد منصور حول فكره ومسيرته في تنظيم القاعدة والنصرة لاحقاً وصولاً إلى هيئة تحرير الشام).

-هل الوعود المعسولة والتصريحات الجديدة للجولاني تجبّ ما قبلها؟ هل هنالك تغير إيجابي يسقط عن الفصائل الجهادية تاريخها الدموي التي ميّزها عن باقي القوى والفصائل؟

-هل ستمتلك الحكومة السورية الجديدة قرار سيادتها بيدها أم سيكون لها دوراً وظيفياً تحدده القوى الإقليمية والدولية الفاعلة بالمنطقة وبالعالم؟ (درّب حلف الناتو الفصائل الجهادية برعاية تركية بالأشهر الماضية حسب تصريح العميد المنشق أحمد رحال استعداداً لساعة الصفر ولن يكون ذلك طبعاً من دون مقابل).

-هل ستلبي وتراعي السلطة السياسية المستقبلية لسورية احتياجات ومتطلبات وخصوصيات التنوع العرقي والمذهبي والديني والفكري والثقافي للسوريين قولاً وفعلاً؟

-هل ستمتلك السلطات المستقبلية السورية القدرات والكفاءات السياسية والمهنية والإدارية والعلمية للنهوض بهذا البلد المحطم؟

يعلم البعض بأنه تم الاتفاق بين روسيا وأمريكيا بمعرفة ورعاية كلٍ من تركيا وإيران وبمعرفة العراق، السعودية، الأردن، الإمارات، مصر، وإسرائيل بتسليم بشار الأسد السلطة السياسية سلمياً للفصائل الجهادية المعارضة وعلى رأسها هيئة تحرير الشام لقاء حقن مزيد من الدم السوري وعدم المساس بالمراقد الدينية وعدم التعدي على الأقليات ومنع الثارات والحفاظ على مؤسسات الدولة بما فيها الجيش والتعهد بعدم التعدي على دول الجوار مع استمرار حكومة المهندس محمد غازي الجلالي لتصريف الأعمال بشكل مؤقت منعاً من حدوث فراغ كارثي.

حمت القوى الإقليمية والدولية نظام الأسد بشكل كامل ومنعت سقوطه على مدى السنوات الثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر الماضية وعندما رفعت عنه الغطاء سقط سقوطاً مدوياً بعشرة أيام، مما يؤكد أن الدور الخارجي كان حاسماً آخذاً بعين الاعتبار جهود ودماء وتضحيات الشعب السوري العظيمة.

إن كان هاجس الفصائل الإسلامية المعارضة للنظام السوري التي بلغ عددها حسب كيري وزير خارجية أمريكيا 2168 فصيلاً جهادياً التخلص من النظام المستبد والمجرم والكافر في سورية لماذا لم تندد ولو بكلمة واحدة ضد العدوان الإسرائيلي (الكافر المجرم والمحتل)؟

ثمة من يقول أن هذه الفصائل لن تتدخل بشؤون الدول الأخرى غير سورية، أن كان ما يهم هذه الفصائل هو الشأن السوري فقط فلماذا لم نسمع كلمة واحدة بالتنديد بالعدوان الإسرائيلي على سوريا يوم 8\12\2024 الذي وصل إلى ما يزيد على مائة غارة واحتلال الضفة الشرقية من جبل الشيخ مع مساحة بلغت عشرات الكيلومترات بعد إعلان سقوط النظام ويوم الاحتفالات بهذا الحدث؟

وهل هاجس جهادي العالم الذين انضموا بالآلاف للفصائل المقاتلة بسورية هو تحرير سورية من رجس النظام الكافر والعودة لبلادهم بعد إنجاز هذه المهمة أم أصبحوا جزءً لا يتجزأ من المشهد السياسي؟

(تصريح الجولاني بمقابلة مع قناة سي إن أن بأن عدد الجهادين غير السورين بلغ 30% من إجمالي العدد المنضمين للفصائل).

-هل سينعم الشعب السوري بنعمة الحرية الطارئة ويفقد ثمار التحرر والسلم والازدهار المستقبلي الموعود؟

وأخيراً، هل ينطبق الوضع السوري الجديد على قصة أخوة يحتفلون بنجاح عملية استئصال مرض خبيث من جسد أمهم إلا واحد منهم بقي متجهماً وحين سألوه: ألست فرحاً؟ قال بلى. إذن لما لا نراك مبتهجاً؟ قال: طبعاً أنا سعيد بنجاح العملية لكن سعادتي الكبرى حين أطمئن بأنها تتماثل إلى الشفاء.

هل هذه التساؤلات مقلقة، مغرضة، أم مشروعة؟!

2024\12\9

سرابٌ بطعم الوطن

المرمار أحمد رشاد

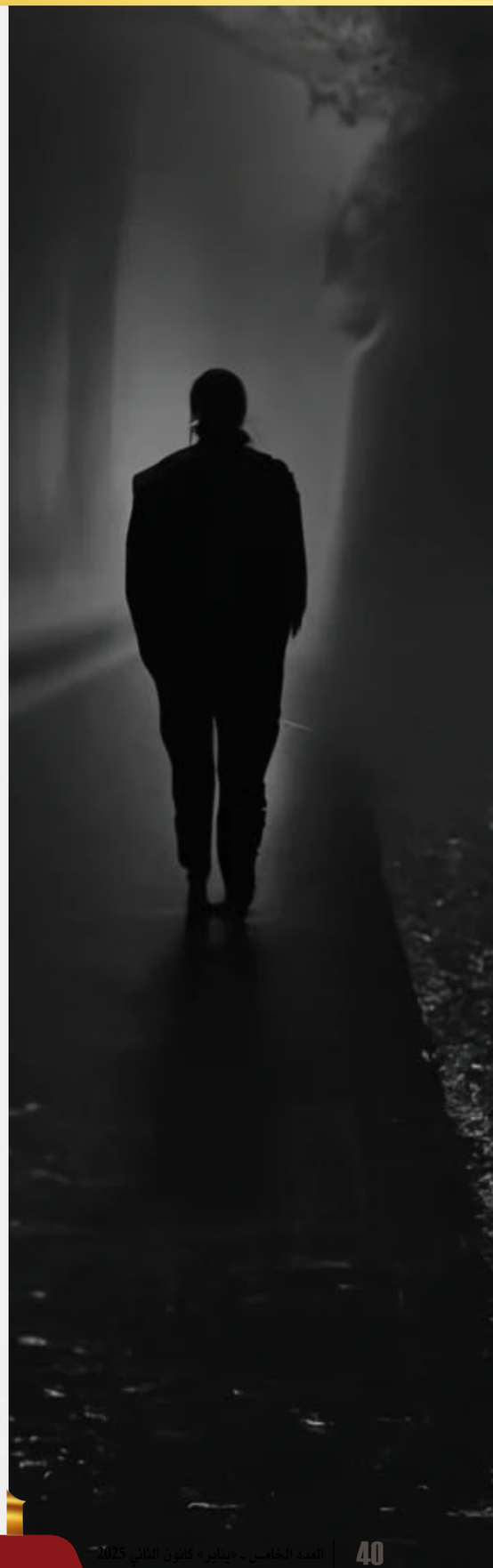

دَعُوهَا ليّسَ لَهَا مُسْتَقَرٌّ في ظلالِ الياسيمن
سرابُهُم في كفِّه وطنٌ
التيه:
هل من قدم تسيرُ به نحو مشتهاها
ام رأسٌ يتدَلى حين يغفو حالماً بالرمان
فَتَقْطفهُ عُيونُ العَسَسِ والعَابثِين في تَفَاصِيلِ الظّلامِ
يداهُ تقبضان ريحاً وَمَاءً وزيتًا
زيتونُهُ صَبرٌ وسلالُ مَنْ الوَجَعِ الْمُعَتَّقِ بالأُمْنيَاتِ
غمامةٌ مَنْ الطّينَ تُعيدُ تَشْكِيلَ المَكَانِ
يَحْبُو فَوقَ خَوفِهِ تَحْتَ جُملَةٍ تَاهَ فاعِلُها وجُوباً مِثْلَ اوراقِ الخَريفِ في مَتَاهَاتِ الشّتَاءِ
لَيْسَ فِي تِلْكَ الدُّرُوبِ رِفَاقٌ وحَدِيثٌ يُغْرِي صَمْتَهُ كي يُغَنِّي.
عَلَى مَقَامِ النَّوى يَلُفُ عَمَائِمَ الغَائبِين
ليسَ في تلكِ الدروبِ شيءٌ يُشْبِهُ الخَلاص
بَلْ هُنَا
عَلى ظلِّه يَنَامُ كَقَصِيدَةٍ مِنْ انْكِسَاراتٍ ونَدَمٍ
كَتِفاهُ تَحْمِلانِ كَفَنَاً مِنْ رَمَادٍ
اىِّ طَعْمٍ يُشْبِهُ شمسُ الوطنِ
يَجُرُّ النَّهْرَ مِنْ بَينِ اضْلاعِهِ قُلُوباً كي تَشْرَبَ البيدُ غَداً وغَداً ليّسَ بِقَرِيبٍ
مَا مِنْ غَدٍ فِي فَنْجَانِهَا المَثْقُوبِ بالخَيَانَات.
تَجْلِسُ على بِسَاطِ امْسِهِ تَطْشُ الوَدَعَ والحُرُوفَ
تُحَدِّثُه عَنْ المَخْبُوءِ
لَمْ تَقُلْ لَهُ سِرْ شمالاً
بَلْ إلى الشّرْقِ والْتَزِمْ خَطَ المطرِ
قَدْ حَانَ مِيعَادُ الرَحِيلِ
يَجْمَعُ تِلْكَ الحَصَى
يَنْثُرُ رَمْلَ اهْدَابِه كي يَبَاتَ التّينُ في بَسَاتِينِ النّزَقِ
دَعِ البَلابِلَ تعودَ لتُدَاعِبَ النّوابَ كي يَلْعَنَ الوالي الزنيم.

الرقة ـ سوريا

قناطر

البندقية أم علبة الألوان؟

طالب عبد العزيز

في حساب الربح والخسارة أقول بأنَّ علبةَ الألوان أثمن من البندقية. والحقَّ نقول بأن المنطقة العربية التي اعتمدت الإسلام السياسي طريقاً لأنظمتها هي المتسبب بخسارة الشعوب لكثير من مواطنيها وثرواتها، نعم، هي جنت المال والوجاهة والسلطة لكنها لم تجن الزمن الذي سيمكنها من الاستمرار، وها، نحن نشهد نهايتها في سوريا ولبنان والعراق وإيران في القريب.

ربما لأنَّ الزمن العربي مختلف عن نظيره الإنساني، فهو قابل للمط حتى يشاء الله، والعرب المسلمون غير معنيين بالمنقلب الكوني، الذي يعصف بالعقل كل ساعة ودقيقة، والجري وراء العلم والتطور والسيطرة بات هاجس شعوب الأرض، فيما نحن واقفون في الزمن، ننتظر ساعة تحدث المعجزة، التي انتهى زمنها، وهكذا صرنا نخسر الحياة ومستقبل اجيالنا، بل ولم يعد حاكم في الأرض يحسب حسابنا في منظومة التغيير تلك، بل هناك من يرى في التخلص منا جزءاً من مشروعه، وهذا واضح في ما يفعله نتنياهو بأهلنا في غزة.

لو أنَّ ما أنفق من الجهود والمال على الأسلحة والحروب في لبنان وسوريا والعراق واليمن كان قد استثمر في قطاعات التربية والتعليم والصحة والزراعة والصناعة والخدمات العامة لرأينا بلداناً عظيمة في نهضتها، ولوقفنا على انسان مختلف في فكره وانتاجه ومستواه المعاشي، ولكانت مدنا قبلات لكل بني البشر، بل ولكان انساننا مرحباً به ومقبولا في المدن التي يزورها أو يقيم فيها. ولكانت أمريكا والدول الغربية لم تستخدم التنظيمات المسلحة في قتل بني جلدتها، هذا إذا أحسنا الظنَّ بأنَّ الفقه الإسلامي لم يتح لهؤلاء استعمال الدين في تحشيد آلة القتل التي ما زالت تستعر منذ مئات السنين. لماذا لا نكشف عن (جرحنا النرجسي) بتعبير د. حيدر سعيد، الذي نتوجس من الخوض في الحديث عنه؟

يتوسلنا البعض بوضع لايك اعجاب أو التهليل والتعظيم بمناسبة تخرج دفعة من الطلاب الذين أتموا حفظ القرآن، أو الطالبات الصغيرات اللواتي أتممن البلوغ وعمرَ التكليف وصار لزاماً عليهن ارتداء الحجاب الشرعي، وما إلى ذلك من المناسبات، وهي كثيرة وتتناسخ لكنني كثيرا ما أتوقف عند المشاهد هذه قائلا: ثم ماذا؟ وما انتفاع الامة بهذا؟ غير خاف عنّي ما يعتور ذلك من ردود أفعال قاتلة في معظمها، إذْ أنَّ القضية لا تتوقف عند الحفظ وارتداء قطعة القماش إنما عند العقل الذي سينتجه الفعل هذا، وعند الأجيال التي ستتمكن من تسلم السلطة ذات يوم، هم يصنعون جيلاً يرى في سماع الموسيقى والرقص جريمةً، وفي ألوان الطبيعة إثماً، وفي تغريد البلابل خدشاً للحياء، وفي مدارس الباليه والمسرح والسينما والفنون الأخرى فعلاً يوجب القتل، وبذلك ستكون آلة الكمان عنده أخطر من بندقية الكلاشينكوف على حياته.

ستبدو أفعال وممارسات كهذه ذات معنى لو أنها اقترنت بنظام علمي مبني على مصلحة الانسان وصناعة مستقبله، ولا ضير فيها إذا كانت تتساوق مع ما يحتاجه الشعب من خدمات وتعليم وصحة، وستكون في موقعها حين تقترن بالحاجة الفعلية لها، لكنها ستكون أخطر حين توجَّه بالدرجة الأساس، وتحظى بأولوية في سياسة النظام، وتصبح منهجاً في الحياة. ولعل سؤالاً بسيطاً يطرحه عقل فاحص مفاده: ما انتفاع العراق بالملايين التي تحتشد في مناسبة دينية ما؟ وما الضرر الذي يلحق باقتصاده وبنيته الخدمية، وتأزيم الآخر المشترك، ثم ألا يفهم منه على أنه إحراج للطوائف الأخرى في البلاد، وتقديم رسالة احتراب مضمرة بأننا الجماعة الأكبر القادرة على رسم سياسة البلاد وبما يهدم فكرة المواطنة، التي هي قوام نجاح كل مسيرة وطنية؟ الآن وقد وضعت الصحف وجفت الأقلام وصارت العملية السياسية على المحك، ألا يحق لنا أن نسأل: هل انتفعنا من الأسلحة والحروب بشيء؟

كاتب عراقي

تخلّص من القبضة الأمنية ويستعيد رواده

مقهى الروضة الدمشقي

استضاف شخصيات سياسية وبرلمانيين ورموز «الربيع» وثوار 2011

المرمار
سعاد جروس

انهمك أصحاب المحال التجارية في أسواق منطقة الصالحية بالوسط التجاري للعاصمة دمشق، في طلاء أبواب محالهم باللون الأبيض لطمس العلم السوري السابق الذي ألزموا برسمه على أبواب محالهم تحت طائلة العقوبة. استغلّ أصحاب المحال العطلة الاسبوعية للقيام بعمليات الطلاء، في وقت كان فيه مقهى الروضة التاريخي القريب من البرلمان يستعيد ذاكرته ويستأنف دوره بصفته مكاناً تجتمع فيه فعاليات المجتمع السياسي والثقافي والفني السوري، بوصفه محطة ضرورية للقاء اليومي أو للقاءات الأولى والتعارف، مع عودة السوريين من الخارج وتدفق الإعلاميين إلى العاصمة.

ويمتلك مقهى الروضة ذاكرة سياسية عبر شخصيات مؤثرة وبرلمانيين دأبوا على ارتياده، كما أنه شهد كثيراً من لقاءات رموز ما عُرف بـ«ربيع دمشق»، ولاحقاً لقاءات الثوار الذين شاركوا في الانتفاضة ضد حكم الرئيس بشار الأسد عام 2011، إلا أن القبضة الأمنية للنظام السابق حوّلت هذا المقهى إلى مصيدة للملاحقة والاعتقال.

يقول المشرف على مقهى الروضة، ماهر عمران: «كان الأمن مقيماً بشكل دائم، وهناك من عمّال المقهى من كان مجنّداً في الأمن. كانوا يمارسون علينا ضغوطاً منهكة للحصول على معلومات عن مرتادي المقهى من شخصيات معارضة. الآن ارتحنا». وتابع: «أربعة من زبائن المقهى كانوا سجناء في صيدنايا وعادوا إليه (اليوم). كما عاد الكثير من المرتادين القدامى إليه، وهناك أيضاً الكثير من الوجوه الجديدة».

قال الفنان والمسرحي أحمد ملص، العائد من فرنسا، إن «أول مكان فكّرت بزيارته عند عودتي هو مقهى الروضة. في المنفى كنا نتابع أخباره وما ينتج من وثائقيات عنه، وعندما عدت حرصت على الوجود فيه لنقول: إننا نحن هنا في دمشق، وعاش الشعب». ولفت إلى أن «كثيراً من رفاقنا تمت ملاحقتهم في هذا المقهى، وعندما يفكّر أحدنا بالعودة إلى سوريا، فأول ما يفكر به اللقاء في الروضة».

كان أحمد مع شقيقه التوأم محمد في مقهى الروضة، خلال إجراء لقاء صحافي مع «لوفيغارو» الفرنسية حول عملهما المسرحي الذي سيكون أول عمل سيُقدّم بعد سقوط النظام في دمشق. قال محمد: «اخترنا مقهى الروضة مكاناً للقائنا؛ لأن هذا المكان يمثّل لنا رمز دمشق. كنا في منفانا نبحث عن أماكن تشبهه للاجتماع فيه، والحمد لله عدنا إليه».

ولا تقتصر شهرة المقهى العريق على سكان دمشق، وإنما تمتد لتشمل مواطنين من بلدان مختلفة، لا سيما العراق ولبنان، وهو أمر ينطبق أيضاً على مقاهٍ عديدة ذات صيت، تاريخياً وسياسياً وثقافياً، في دمشق، مثل: «النوفرة» و«الكمال» و«الهافانا».

السيدة بيان من داريا قالت إن «موقع مقهى الروضة في قلب دمشق له خصوصية في منح الشعور بالألفة والانتماء والعودة إلى أيام العز في الشام قبل الحرب التي عشناها».

● طلاء المحال التجارية باللون الأبيض في سوق الطلياني بدمشق

يمتلك مقهى الروضة ذاكرة سياسية عبر شخصيات مؤثرة وبرلمانيين دأبوا على ارتياده، كما أنه شهد كثيراً من لقاءات رموز ما عُرف بـ«ربيع دمشق»، ولاحقاً لقاءات الثوار الذين شاركوا في الانتفاضة ضد حكم الرئيس بشار الأسد عام 2011، إلا أن القبضة الأمنية للنظام السابق حوّلت هذا المقهى إلى مصيدة للملاحقة والاعتقال

● طلاء محال الأسواق التجارية في منطقة الصالحية بدمشق

الصحافي العراقي غيث سليم الذي جلس وحيداً على إحدى الطاولات يدوّن ملاحظاته، قال إنه كان يواظب على زيارة دمشق قبل الحرب وكان يأتي إلى مقهى الروضة للقاء المثقفين السوريين والعراقيين، وكانت آخر زيارة له عام 2019، وهو الآن يعود إليه، واصفاً الأجواء عموماً بـ«المريحة».

ومقهى الروضة الذي تأسّس عام 1937 في شارع العابد قريباً من البرلمان السوري، أقرب إلى بيت دمشقي بمساحة تقارب ثمانمائة متر، تتوسطها بركة صغيرة وشجرات تُضفي على المكان خصوصية تحتفظ بأسماء من مرّوا من كبار الكتاب والشعراء والفنانين السوريين والعرب. وعلى طاولات المقهى كانت تدور رحى المعارك الثقافية والسياسية قبل أن يداهمها الصمت القسري لتبقى لسنوات مكاناً للمتقاعدين والباحثين عن مكان شعبي لشرب القهوة والشاي وتدخين «الأرجيلة».

شاهد على حكايا الحرب والمكان

أديب الفرات إبراهيم الخليل

رحلة غنيـــة بين الحـــرف والتـــراث

يعنيني المكان والواقع بتفاصيله أكثر من الجوائز

الأديب إبراهيم الخليل، واحد من أبرز أعلام الأدب العربي، قامة أدبية شامخة تنتمي لجذور الفرات الخصبة التي لم تنضب يوماً من الإبداع. يشكّل الخليل مرآة لمدينة الرقة، تلك المدينة العريقة التي تنبض بالحضارة والذاكرة الإنسانية، والتي كانت شاهدة على مراحل متباينة من الازدهار والمعاناة. ولد ونشأ في هذه المدينة التي ألهمته بأساطيرها، وتراثها الغني، وشواهدها التاريخية. منها استلهم روح الكلمة، ليكتب عن الإنسان، والمكان، والزمن بأسلوب أدبي يُجسّد عمق التجربة البشرية. رغم سنواته الثمانين، ومرارة الأحداث التي عصفت بمدينته ووطنه، ظلّ إبراهيم الخليل وفياً لقلمه، مجسداً صورة المثقف الصامد الذي يرفض الانكسار. آمن بأن الأدب ليس مجرد وسيلة للتعبير عن الذات، بل هو شاهد حي على تحولات الزمن وتناقضات الواقع. لذا، شكّلت رواياته وقصصه سجلاً مفتوحاً يوثّق حياة البشر ومعاناتهم، وحلمهم الذي لا ينطفئ في مستقبل أجمل.

انتقل إبراهيم الخليل في مسيرته الإبداعية بين الشعر والقصة والرواية، مستعرضاً مهارة أدبية فريدة استطاعت أن تدمج بين جمال اللغة وعمق الفكر. كلماته تنبض بالحياة، تستنطق المكان والزمان، وتُجسّد التفاصيل الصغيرة التي تُشكّل روح الإنسان. تأثر ببيئته الغنية بالتنوع الثقافي والاجتماعي، واستطاع عبر أعماله أن يقدم صورة واقعية وحيوية للإنسان في بيئته، متفاعلاً مع واقعه وتاريخه. كان الخليل شاهداً على المأساة السورية، وعلى التحولات العميقة التي عصفت بمدينته الرقة، ودمّرت مكتباتها وموروثها الثقافي.

لكنه صمد، وجعل من قلمه صوتًا يعبر عن تلك التجربة القاسية، محاولاً استلهام الجمال من بين الركام، واستحضار الأمل وسط الظلام. أدبه، الذي يحمل بُعداً إنسانياً عميقاً، يعكس إيماناً بأن الكتابة قادرة على تشكيل الوعي وإعادة بناء الإنسان، حتى في أحلك الظروف.

إبراهيم الخليل ليس مجرد أديب، بل هو ذاكرة حيّة لمدينة الرقة، وصوتها الإنساني الذي يروي للعالم قصصها وصراعاتها وأحلامها. بكتاباته، جسّد رؤية مميزة تُعيد تعريف العلاقة بين الإنسان والمكان، وبين الماضي والمستقبل. رؤيته الأدبية، التي تتسم بالصدق والالتزام، تجعل منه أحد الأصوات الأدبية القليلة التي يمكنها أن تعبرّ بعمق عن المأساة والأمل في آن واحد.

شاهد حي على خراب مدينة الرقة

الرواية قصيدة القرن الحادي والعشرين

المرمار | بسام جميدة

قامة أدبية من روافد الفرات الذي لا ينضب إبداعه، تدفّق رقراقاً سلسبيلاً عذباً سهل التناول إلى جانب باقي الروافد الإبداعية التي أنجبتها مدينة الرّقة الضاربة في الحضارة، إنه الأديب إبراهيم الخليل الذي استطاع أن يهزم مرارة الحرب التي مرت على البلاد وبالأخص مدينته التي نالها الكثير من الخراب وتلونت فوق سمائها رايات المخربين الذين حاولوا محو بعض من حضارة عمرها مئات السنين.

الأديب إبراهيم الخليل كان شاهداً، وصمد بسنواته الثمانين بعد أن قدم للمكتبة العربية العديد من الروايات التي حملت النبض الراقي بكل تفاصيله الجميلة.

***بقاؤك في الرّقة، وما نالها من خراب، هل بقيتَ لتكون شاهداً على ما حلّ بها من خراب، أم أن الأمر لا يحتمل أن تكتب عنه؟**

ـ بقائي في الرقة اختياري لأكون شاهداً على ما يجري من عنف وقسوة، وممارسات غير إنسانية، وكأن في ذلك أشياء تعزز ما أكتبه، وخاصة في الجنس الجديد العابر للأشكال الذي يحتاج إلى أدوات جديدة وعالم جديد.

***عانيتَ في المحنة السورية، وحزنتَ لما حلّ في مكتبتك، ما شعورك وقد رأيتَ كتبك تحترق، وكيف تصوّر مغول العصر، وهل ذكّرك ذلك بأحداث مشابهة؟**

ـ شعرت بمعنى الخراب، ومعنى أن يكون الكتاب هدفًا، إن الكتاب هو الأصابع التي احترقت، وهي تحاول أن تكون شاهدة على ما جرى.

تحول الحبر لدينا إلى حريق كبير، وتحولت الكتبِ إلى مادة محترقة، في رمادها كمٌّ هائل من الجهد والمعرفة.

لقد مر التتار من قبل بالرقة، وقرأت عن ذلك، لكن التتار اليوم أشد همجية وقسوة، وكان الكتاب من ضحاياهم، إضافة لما أملكه من كتب نادرة ولوحات ثمينة، إنها جنى العمر ذهبت هباءً على يد المتوحشين الجدد.

ذكرني هذا بما حلّ في بغداد وحبر كتبها الذي لوّن ماء دجلة باللون الأزرق.

***هل يستطيع أن يكون الأدب شاهداً على التحولات التي عصفت بالبلاد؟**

ـ بالتأكيد، وإلّا ما معنى ما جرى، الأدب كان شاهداً، ولكن عند قلة صادقة، وكان تابعاً للسياسي وخاضعاً للرقابة عند كثيرين، بحيث كتبوا ما يريده السياسي، وبما يناسب التاريخ الذي يصنعه الأفراد، ومع ذلك فالحرب سترفد التوجه الأدبي لفترة طويلة كما رأينا في آداب الأمم التي تعرضت لمثل هذه الحروب والنكبات، ولا مجال إلا للكتابة عن ذلك، والكتابة مرة أخرى تعني إعادة صياغة الإنسان من جديد ليكون أكثر إنسانية وإحساسا بما يجري في هذا العالم الذي أصبح قرية كبيرة، ونحن نصرُّ على ذلك.

***هنا أسأل، هل واكب الأدب ما يدور في عالمنا العربي من أزمات وحروب؟**

ـ الأدب لم يكن محايداً في نقل ذلك، وخاصة الأدب الذي عالج مشكلة السجون السياسية.

أتابع ما يجري خلال الأزمة، وأنا مع تصوير ما جرى، وما يجري، ومن لم يتعلم من الحرب فلن يتعلم أبداً، وأخزّن في الذاكرة لعل ذلك التخزين يجد فرصة للظهور يوماً.

***مقولتك: «يجب أن يفصل الكاتب بين أدبه وموقفه السياسي» أليس من حق الكاتب أن يعيش ما يمر به؟**

ـ هناك إحراج في السياسي والأدبي، هذا الإحراج يكون الكاتب معه أحيانا معبّرًا عن أيدلوجية يشارك فيها، وأحيانا يعبر عن جانب أبعد من ذلك هو الجانب الإنساني، فنحن مجموعة أقوامية مختلفة المشارب والأهواء والمعيشة، تتكامل بتوحدنا وتشكيل لوحة جميلة كقوس قزح متعدد الألوان يبشّر بمطر خصيب.

***وأنت تتابع المشهد الثقافي السوري، هل كان ذلك المشهد فاعلاً أو منفعلاً خلال الأزمة السورية؟**

ـ تابعت هذا المشهد وعشته، ولم أغادر المكان، ورأيت كل شيء، الاضطهاد باسم الدين وباسم أشياء أخرى، وحتى الآن يحاول إعطاء بعض الإشارات، ومع ذلك لا يمكن الحكم عليه والكتابة عنه إلا بعد حين، الكتابة السريعة عنه انطباعات آنية لا تصوّر الحقيقة، نحتاج إلى أقلام صادقة ومحايدة حتى لا نقع في فخ الترويج لجهة أو فكرة معينة، يجب البعد عن الأيدلوجيات، ونختار الإنسانية، فهي ملجؤنا الأخير.

أجل، فالكتابة عن الحرب تحتاج إلى زمن على مرورها، ونرى في تجربة السوفييت مثالا على ذلك في الحرب العالمية، ونحن نريد لهذه الحرب ألّا تمر دون أن نتعلم منها، فالتعلم ضرورة واجبة خاصة في بلاد الشام والبلاد المشابهة لها.

***هل لديك موانع من الكتابة عمّا جرى في الرقة، أم أن للعمر دلالاته؟**

ـ ليس لدي موانع للكتابة، وما جرى في الرقة من أمور تنافي الجانب الإنساني والواقع، وفي الحقيقة كان ما يجري لا اسم له في قاموس التاريخ البشري لشدة ما يحمله من سطوة وعنف، وتخريب للبشر والشجر والحجر.

أما العمر فهو وازع يدفعك إلى أن تكون صادقا فيما تكتب، وحكيما فيما تنقل.

***المكان ثيمة أدبية، ماذا تعني لك المدن؟**

ـ الرقة هي المكان، وأحياناً يكون المكان هو الحامل الأساسي للنص بحيث يقوده إلى مصيره، والمكان واللغة والسرد أعمدة النص، وشرطه الأساسي لكي يحقق نصاً أدبياً يحمل إرث المكان، وفي الرقة نحن بحاجة إلى هذا الإرث، بل والكشف عنه لأنه غنيّ ومعبّر بكل ما فيه من سطوة وحضور في حياة الناس وتطلعاتهم إلى حياة أجمل، وفي زمن يحاول الكاتب فيه القبض على الجمال للدفاع عن الجمال في مواجهة القبح، ومن هنا ليس المكان فقط ما نريده ككتاب بل نريد إعادة اكتشافه من جديد؛ لأنه هويتنا الأساسية خاصة، ونحن على الأطراف المهمشة التي تدخل حديثا المشهد الثقافي بكل ما فيه من زخم، وبكل ما في هذا المكان من إرث.

إضافة إلى ذلك فالمكان مفردة تعطي قوة وخصوصية للنص في منطقة عاشت مهملة ومهمشة في الشمال السوري، والمكان يكسبها شيئًا من الهوية لتستطيع الدخول إلى المشهد الثقافي بقوة، وتنزع عن المكان صفة التغييب، وتعطيه حق المشاركة في صنع الأحداث والتاريخ، حتى لا نكون غائبين عنهما.

وكانت دمشق هي المدينة الثانية في حياتي، وظهرت في كتاباتي بجوار مدينة الرقة، ولا عجب في هذا فقد عشت فيها فترة، وتعلمت فيها وتعلمت منها سبل الحياة الجديدة، ثم عدت إلى الرقة حاضنتي التي لا أستغني عنها حتى في أيام الحرب.

ودائماً للمدن عاشقوها، وأنا من عشاق الرقة وحضورها في كتاباتي يعطيني حالة متفردة بعيدا عن الفكر البري والنظر للأشياء بعين واحدة.

***الكاتب ابن بيئته، ومن خلالها ينفذ الكاتب نحو التفرد ونيل الجوائز، وقد كتبتَ عن البيئة البدوية والصحراوية، هل يعد هذا من باب الوفاء للبيئة، وهل استطعت تقديم عالم البداوة المشوق للقارئ؟**

ـ ليس من باب الوفاء، بل من باب الإخلاص

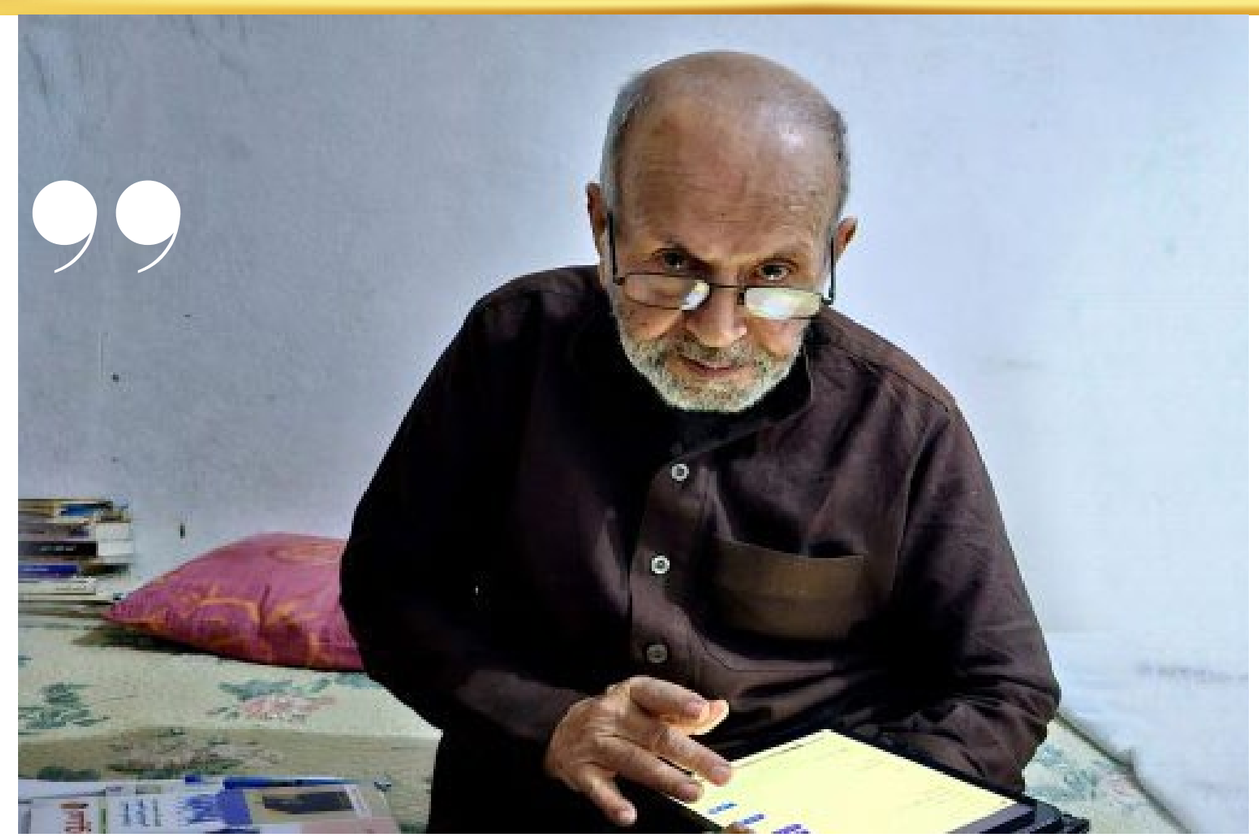

ما طقوس الكتابة لديكَ؟

حين أكتب الرواية أقرأ الشعر، وحين أكتب الشعر أقرأ الرواية، وحين لا أكتب شيئاً أقرأ للقراءة، وأستحضر حياة الناس، فكل عجوز «رقاوية» هي صندوق للحكاية، فيه ذخائر جميلة، وفيه محفوظات مهمة.

تجربـــة النقـد في سوريا متواضعة ولم تواكب النص عـــلى عـــكس المغـــرب العربي

للمكان، ومحاولة الكشف عن الأقوامية التي يعيشها، وهو تصالح واندماج مع جانب كبير وواسع وإنساني، وقد كتبت هذا ضمن مشروع أنا اخترته، وهذا المشروع أقوامي، فكتبت عن العرب والأرمن والكرد والبدو، وأعتبر هذا التنوع خصيصة من خصائص أدبي تحمل رسالة أكثر من التعبير فقط، فنحن عبارة عن فسيفساء، لو سقط جزء منها لتشوهت.

وما قدمته يهم القارئ الذي يعيش الواقع، وليس من أجل الجوائز، أو التفرد، فالمكان يعنيني وتفاصيله أكثر مما تهمني الجائزة، وإذا كان هناك تفرد في الكتابة، فليس همه الجائزة بقدر ما يهتم بالواقع الذي أجده رابطا بيني وبينه جعلني أعشق المكان، ولا أغادره رغم الإغراءات الأخرى التي تتيحها الغربة علما بأن لدي فيزا دائمة إلى أمريكا التي زرتها في برنامج «فول برايت» ولكنني لم أغادر بيئتي.

***هناك من استنكر عليك الواقعية، ومن التقط هنّات سردية في «حارة البدو»، أليس من حق الكاتب أن يكتب بما يليق بعوالمه، أم أن هذا النقد هو من «عداوة الكار»؟**

ـ مسألة النقد مسألة متشعبة وذات شجون، ويطول الحديث عنها، ولكنني أقول: تجربة النقد في بلادنا متواضعة رغم الإرث الباذخ في الكتابة على عكس المغرب العربي الذي جاور أوروبا، وأتقن النقد أكثر من بقية الأجناس الأدبية، وهذا حكم الواقع الذي يريد للكتابة هذا المسار رغم الأصوات الجديدة، وإن المصطلح النقدي عندنا لا زال بسيطا لم يواكب النص، ولم يعبر عنه بحرفة وشفافية، ومع ذلك لا نلوم من يعيش على قدر فهمه المحدود، والكتابة عن الواقع ليست سهلة، تحتاج إلى شجاعة، وأدوات فاعلة، لا إلى فهم بسيط مسطح، والمشكلة أن الواقع عند بعضهم ملكية خاصة، والكتابة عنه فضيحة، علينا ألا نعيش على الفضيحة، لكن نصورها إن وجدت.

***قدمتَ في كتابك «سيناريوهات الجسد: نصوص عابرة للأشكال» على أنه أشكال مبتكرة قلت عنها إنها ما بعد الحداثة، ماذا أردتَ أن تقول من خلال هذه السيناريوهات، وماذا تقصد بعبارة ما بعد الحداثة؟**

ـ «سيناريوهات الجسد» هو استكمال لمشروع التجديد، والمقصود بالسيناريوهات هو لغة الجسد، خاصة عند المتصوفة،

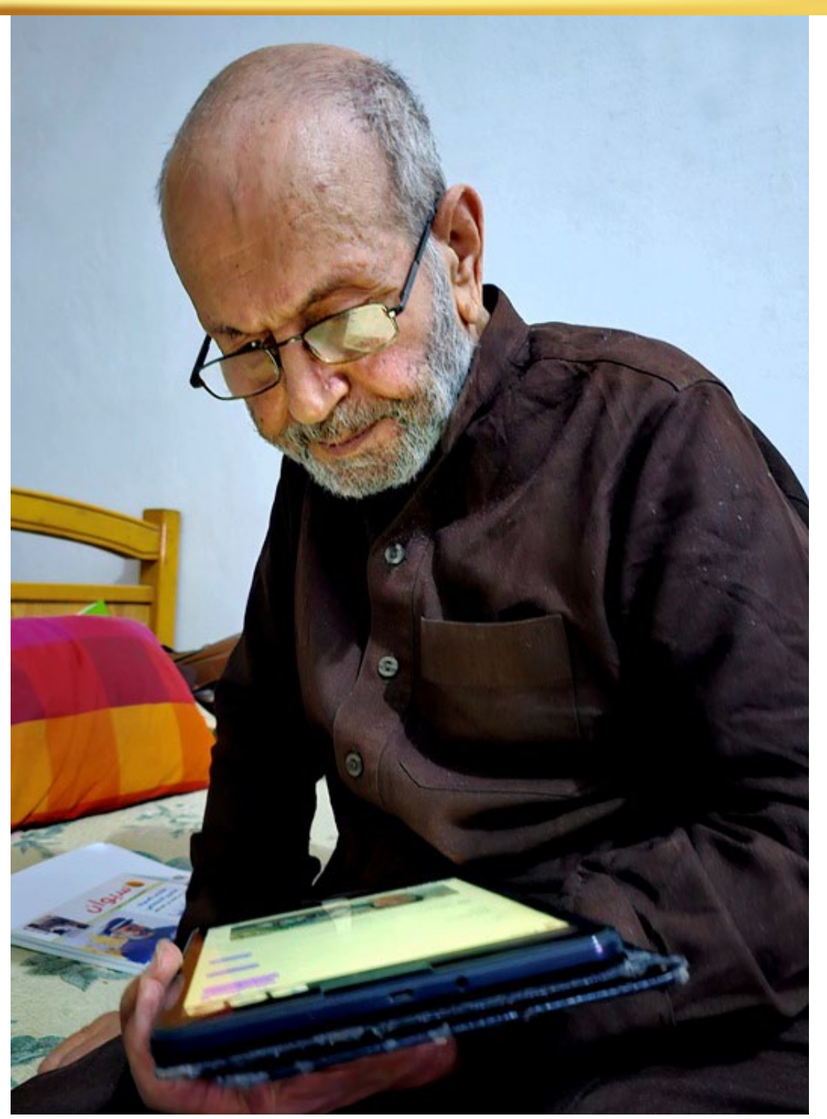

العمل الخالي من المرأة كالنهر بلا ماء

ونحتاج إلى عالم جديد ووعي جديد ولغة أخرى، تخدم هذا المنحى التجريدي لكي يكون ذلك الأمر واقعيا، ومن عناصر ذلك: تجاور المتغايرات وتفجير اللغة والاعتماد على التناص، والإشارة الصوفية والتنوع وهو كل شيء لا ينحاز إلى شيء، إنما الأدب هو الهم الأكبر له، فنحن في الأساس هو من فجر اللغة على يد السيوطي وابن جني، وتوقف ذلك الجهد الرائع.

أما ما بعد الحداثة فهي محاولة لتطوير تجربة الجديد؛ لأن هذا الجديد ينبع من واقع عرف الابتكار، وخاصة في الأدب، والبحث عن عالم جديد، ونحن تعلمنا من إرثنا في ألف ليلة وليلة هذا النزوع الجميل الذي نريده جديدا، ففي ألف ليلة وليلة كل أجناس التجريب، واستخدام الغرائبية التي شاعت فيما بعد في أوروبا وأمريكا اللاتينية.

***لماذا توجهت إلى الكتابة الصوفية، وبمَ أفادك هذا التوجه؟**

ـ الصوفية في الإسلام وفي التراث الأدبي من أكثر الجوانب التي ظلمت؛ لأن فيها

التجديد الذي نحتاجه، ومع ذلك لم تقف عنده، ولم تتعامل معه بما يليق به، بل العكس قدمت النص الجديد، والشهداء الجدد كالحلاج والسهروردي، وهي جانب يغذي نزعة التجديد عندي، وكان لها اهتمام كبير عند الأدباء الكبار مثل آني شيميل وسواها.

***بدأتَ بالشعر ثم القصة وجددتَ فيها، ثم تخصصتَ بالرواية، لماذا هذا التنوع، وهل هجرتك القوافي لتتجه نحو السرد؟**

ـ التنوع يأتي من التجريب، وكان الشعر يليق بالمكان الريفي، وبعد أن عشت فترة في دمشق اتجهت إلى الرواية، فالمكان المركب يحتاج إلى أدب مركب، أي إلى الرواية، وهي قصيدة القرن الحادي والعشرين، وهي اختياري الأخير.

***لك تجربة شعرية، وتشاركتَ مع أحد الشعراء بديوان شعري، حدثنا عن هذه التجربة؟**

ـ كان هذا في البداية الأولى، وتحقق في ديوان يعتمد على التجديد، وهو مشترك بين شاعرين، وهذا الاشتراك بين أدبيين قديم، نجده عند محمود درويش ومعين بسيسو في قصيدة بيروت، وعند العجيلي مع أنور قصيباتي في رواية ألوان الحب الثلاثة، وعند جبرا إبراهيم جبرا مع عبد الرحمن منيف.

هذا يبشر بمنهج جديد في الأدب، والأدب حركة، والحركة ولود، والصمت عاقر.

***تم تحويل روايتك «الضباع» إلى فيلم سينمائي، هل كان الفيلم مخلصا للرواية؟**

ـ حوّل الرواية إلى فيلم المخرج مصطفى الراشد، وحمل الفيلم عنوان «خط المطر»، وهو من الأعمال التي أنتجتها المؤسسة العامة للسينما، وقد كانت بحاجة إلى دعم مالي أكثر، لذلك تم اختصار بعض المشاهد خاصة (لعبة السكارات) التي تعبر عن التراث اللامادي في حياة منطقة البليخ، ومع ذلك تظل هذه التجربة مهمة، وتشير إلى الشمال المهمش في عالم يحكمه المركز. وأنا مع الرواية حين تتحول إلى السينما، فهذا التحول يجعل الرواية مرئية، وتكسب جمهورا جديدا يضاف إلى جمهورها القارئ، وهي تخفف النبرة السياسية في الرواية المعبرة عن الخيبة بالوحدة بين مصر وسوريا، تحولت الرواية من النخبوية، إلى الشعبوية السينمائية، بعد أن تم إسقاط ماهو سياسي منها.

***حضرتْ المرأة في كتاباتك، كيف تنظر لها؟**

ـ كتبت عن المرأة المقيمة والعابرة كالمرأة الغجرية في رواية «الهدس»، وفي مختلف حالاتها وأعمالها، فالعمل الخالي منها يكون نهرا بلا ماء، فكانت حاضرة في كتاباتي، وهذا الحضور أعطى العمل جمالية يحتاجها مع إثراء ضروري للنص، ومكمل لشروطه في الشخصيات.

***عندما تذكر الرقة يذكر العجيلي، هل تشعر بالغبن أنت وباقي أدباء الرقة الذين تتوارى أسماؤهم خلف اسم العجيلي كونه أضحى عنواناً للمدينة، أم أنه مدعاة للفخر، وأنتم امتداد له؟**

ـ لسنا امتداداً لأحد، وإنما نعبر عن مرحلة غير مرحلة العجيلي الذي امتازت كتابته بالغيبية والعشائرية والتخلف، وكل ما سبق لا يليق بالجيل الجديد.

لا أشعر بالغبن، فأنا عبرت عن الرقة في عالمها الجديد، وليس العالم البعيد المتخلف، ولا تجد أي أديب «رقاوي» تأثر بالعجيلي من بعيد أو قريب، أو توارى خلف اسمه، أو كتب على نمطه.

العجيلي أضحى قيمة أدبية لدارسي الأدب في بداياته، هناك أجيال تخطته في الناحية الفنية الأدبية والأشكال الثقافية. ومع ذلك لا ننكر وجوده، وإلا لكان هذا الرأي تعسفاً.

***كيف يمكن أن تنجح الكتابة الروائية في الأطراف وبعيدا عن المركز؟**

ـ حين تنفرد، وتقرأ بشكل جيد، فالقراءة جانب مهم للقراءة، وهي المعين المفيد عليها، وبعيدا عن التأثر الطاغي، والكاتب الحقيقي هو الذي يعطي صورة صادقة ومتوازنة عن واقعه، ولا يستعير أصابع الآخرين في كتاباته.

***الرقة حاضرة ومدينة عامرة بالثقافة، وفيها من الأصوات الأدبية الكثير، لكن حضورها خافت، فلماذا؟**

ـ الرقة عاصمة القصة القصية باعتراف الجميع، وهي حاضرة ثقافية ومدينة ولود، وقدمت أسماء كبيرة أعادت الألق للمشهد الثقافي، لكن بعضهم رحل، وآخر هاجر خلال الأزمة، وثالث ترك الكتابة، ولم يبق فيها اليوم إلا العدد القليل.

وفي مخزونها الكثير مما يحتاجه الكاتب، ووظفه بعضهم في الرواية الجديدة، وفي النزوع إلى التجريب، وكشف الأعماق البشرية التي يعنى بها الأدب.

وغاب فيها الأدب النسوي، وهذه مسألة عامة في سوريا، وإن كان الخفوت من

نصيب أكثر الأسماء الرقاوية فهذا يعود لبعد المكان «الرقاوي» عن المركز وتضييق الرقابة عيها، ومع ذلك تعد اليوم وسائل التواصل الحديثة وسيلة فعالة لإثبات حضورهم.

***الأديب الأجنبي يكتب بصراحة وبدون مواربة، وأحياناً عن نفسه وبيئته متجاوزاً المحرمات في الأدب، هل لامست هذا البوح. أم أن العربي محكوم بمجتمعه وأهله، ولا يكتب إلا في السياق العام؟**

ـ يختلف الأديب في الغرب عنا، فهو غير ملزم بالقيود الاجتماعية ولا تحكمه نظم معينة، ولا يخشى الرقابة على عكس ما نحن فيه، حيث تحيط بنا المدينة والعشيرة والأصدقاء والقيود الكثيرة، و في عدد من الأعمال حولت البوح الذي تقصده، ومن خلال الجمالية والكشف الجديد لأترك لتلك الأعمال القبول اللائق بها، وأن تكون خارج مرمى الرقابة في الطريق إليها. وكنت دائما أبحث عن الجديد في التراث والحياة لكي أكون مواكبا لما أحمله في داخلي من أعمال أخرى.

***غالباً ما يعمد الأديب إلى تجسيد السيرة الذاتية عبر أعماله بشكل أو بآخر، هل فكرتَ بفعل ذلك، أم أن الأمر لا يستحق؟**

ـ يعد الكتاب صورة للكاتب في الفهم ومعاملة الواقع لأن الكاتب هو الذي يصنع الكتابة، فهي صناعة أحيانا، أما القارئ فهو شاهد آخر، أو مبدع بشكل ما، وقد يكون رأيه يغاير رأي الكاتب، وكتب السيرة خاصة تكون للسياسيين والقادة ومن شابههم، أو من الأدباء الذين لهم مخالطة بهم، ولا تعنيني كتابة السيرة بقدر ما يهمني تقديم أعمال قادرة على أن يستلهم منها القارئ ما يفيده ويمنحه صورة صادقة عن سيرتي وهو الذي يحكم عليها.

***هل قلتَ ما تريد في ظل وجود الرقيب؟**

ـ قلت بعض ما أريد، فعالمنا ليس عالما مفتوحا بل تحكمه مسألة مهمة هي السياسي والأيدلوجي، هما يريدان تبعية الأدب لهما، وليس شريكا لهما في بناء العالم الجديد بكل أدواته التي تؤسس لرؤية أجمل، ومحاربة القبح في حياتنا. والرقابة تحد من الإبداع.

«سيناريوهات الجسد» استكمال لمشروع التجديد

السينما حوّلت روايتي «الضباع» من النخبوية إلى الشعبوي

***بقيتَ في الرقة بعيدا عن أضواء العاصمة وشهرتها، فهل ندمتَ على ذلك؟**

ـ سكني في الرقة اختياري، مع أن دمشق قدمت لي الكثير من أشكال الحياة العصرية، ولم أندم على اختياري لأن الرقة تظل المدينة والأنثى والنهر والنص، وهل يوجد أجمل من ذلك؟

***ماذا جنيتَ من الكتابة؟**

ـ الإحساس بالواقع، وبكل ما فيه من أحزان وأفراح، فهو عالمنا، ولا يمكن إلغاؤه، والكتابة تشعرك بالوجود، وتحقيق الذات والاكتشاف حتى لا يضيع هذا الإرث الناجز في متاهات النسيان.

***من هو ملهمك أو شجعك على الكتابة؟**

ـ تحمل الكتابة قيمتها في داخلها، وهذا أكبر تشجيع وأكبر انحياز للإنسانية؛ لأن أهم ميزات الكاتب الصدق، فالنفاق لا يليق به، ولا يليق بالكتابة.

ألهمني المكان والتراث لأن فيهما القيمة الحقيقية للإنسان، ومن لم يتسلح بذلك يعِشْ على الهامش.

المكان أوحى لي بالكثير، وهو مصدري الأساسي، وبيئتي غنية بالتراث اللامادي، ومن الطبيعي استلهامه أو استحضاره، أو الإشارة إليه لكشفه وإكمال نواقص المشهد الثقافي.

*ماذا تقول عن هؤلاء الأدباء الرقيين؟

ـ عبد السلام العجيلي: كتب الكلاسيكية المبشرة بسكون الواقع وجموده.
ـ خليل جاسم الحميدي: كان وفيا للقصة القصيرة، ومجددا فيها.
ـ عمر الحمود: كاتب متابع موهوب، يكتب القصة والرواية والنقد، وأثبت حضوره بأسلوبه الخاص.
ـ إبراهيم الجرادي: شاعر الكلمة الجديدة، والريبورتاج الشعري.
ـ عبدالله أبو هيف: خلق جسرا للعبور بين النقد والقصة القصيرة.
ـ حمدي موصلي: كاتب مسرحي ومخرج، يمثّل هوية الرقة المسرحية.
ـ أحمد الحافظ: ينهج نهج الحداثة بدراية وخبرة.
ـ باسم القاسم: شاعر يقارب الحداثة، ولا زال.
ـ سعيد سراج: مجتهد في محاولاته، وهذا يحسب له كشاعر صورة، وليس مفردة.
ـ خليل إبراهيم الخليل: شاعر نهَجَ نهْجَ القدامى بروح عصرية.

كتابنا.. تسابق محموم بين التحفيز المادي والشهرة!

عبد الكريم البليخ

يعيش المشهد الثقافي والإعلامي العربي في الآونة الأخيرة ظاهرة تستحق التأمل، تتمثل في تسابق محموم من جانب عدد كبير من الكتّاب العرب نحو نشر مقالاتهم باستمرار في الصحف والمنصات الإعلامية. ويبدو أن هذا الكمّ الهائل من المقالات قد تحول إلى جزء من المشهد اليومي، حيث نجد أنفسنا أمام محتوى متنوع، يضم ما هو ذو طعم وما هو بلا طعم أو مضمون. هذه الظاهرة تثير العديد من التساؤلات حول جدوى هذا الكم الكبير من المحتوى، وأثره الحقيقي على القارئ. فما الذي يدفع هؤلاء الكتّاب إلى هذا السعي الدؤوب؟ وهل السبب في ذلك مادي بحت؟ وما هي الدلالات التي يحملها هذا الازدياد المطرد في أعداد الكتّاب الذين أصبحوا بالمئات، بل بالآلاف، يدلون بآرائهم بشكل قد يبدو بعيداً عن توصيف الواقع بموضوعية وعمق؟

لقد أصبح هذا التسابق بين الكتّاب العرب على نشر المقالات ظاهرة مثيرة للاهتمام، تستحق وقفة تأملية لتحليل دوافعها الحقيقية. وتتسم هذه الظاهرة بفيض من المقالات، بعضها يقدم محتوى مفيداً وطرحاً عميقاً، وبعضها الآخر يفتقر إلى العمق والرؤية الموضوعية، بل قد لا يكون له ارتباط فعلي بما يواجهه القراء من قضايا حياتية وتحديات يومية. فما الذي يجعل الكثير من الكتّاب يسعون جاهدين لنشر أكبر عدد من المقالات، وما هي مبررات هذا السلوك؟

من بين الأسباب الرئيسة التي يُثار حولها الجدل هو الدافع المادي، إذ يسعى بعض الكتّاب إلى تحقيق عائد مادي من خلال نشر مقالاتهم، لا سيما إذا كانت الصحف تقدم مكافآت مالية أو حوافز تشجيعية للنشر المنتظم. وعلى الرغم من أن هذه المكاسب المالية ليست دائما مجزية، فإنها تمثل حافزا قويا لعدد من الكتّاب، خاصة في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعصف بالعديد من البلدان العربية. ومع تطور الإنترنت، أصبحت عملية النشر الإلكتروني أكثر سهولة وانتشارا، مما شجع الكثير من الكتّاب على اعتبار الكتابة مصدراً إضافياً للدخل، حتى وإن كان محدوداً. ويعد هذا التحول دلالة على أن الكتابة لم تعد مجرد هواية أو وسيلة للتعبير عن الأفكار، بل تحولت إلى مهنة وحرفة ترتبط بشكل وثيق بظروف الحياة اليومية، حيث يسعى الكاتب من خلالها إلى تحسين دخله.

إضافة إلى الدافع المادي، نجد أن السعي لتحقيق الشهرة الصحفية أو الوصول إلى مكانة اجتماعية متميزة يمثل حافزا لا يقل أهمية لكثير من الكتّاب. ففي العالم العربي، تُعد وسائل الإعلام منابر ذات تأثير واسع النطاق، وتُعتبر الكتابة في الصحف وسيلة لبناء قاعدة من القراء وترك بصمة شخصية. يساعد هذا على تعزيز فرص الكاتب للوصول إلى منصات إعلامية أكبر، أو حتى للانخراط في مجالات أخرى، مثل التحليل السياسي أو تقديم الاستشارات الإعلامية. ويعكس هذا الهدف رغبة الكتّاب في تعزيز حضورهم الإعلامي، وبناء شخصياتهم العامة في المجال الثقافي والاجتماعي، وهو أمر قد يكون مغرياً للكثير من الكتّاب الطامحين إلى ترك بصمة في المجال الإعلامي العربي، والارتقاء بمكانتهم الاجتماعية.

على الرغم من التنوع الذي يشهده المشهد الإعلامي وثراء المحتوى المنشور، إلا أن هناك مشكلة واضحة تكمن في ابتعاد الكثير من الكتابات عن توصيف الواقع بدقة وموضوعية. ويبدو أن الرغبة في إنتاج محتوى جديد وسريع قد طغت على أهمية التركيز على القيمة الحقيقية لهذا المحتوى. فبدلا من السعي لتقديم رؤية متبصرة ومعمقة، أصبحت الكتابة في بعض الأحيان مجرد وسيلة لإرضاء رغبة الكاتب في التعبير، أو لتحقيق مكانة "كاتب" بين أعداد كبيرة من الكتّاب الآخرين. وفي هذه الحالة، يتحول المحتوى إلى مجرد كلمات قد لا تضيف شيئاً جوهرياً للنقاش العام، بل وقد تؤدي إلى إضعاف الثقة بين القارئ والمحتوى المنشور، نظرا لابتعاد هذه المقالات عن قضايا المجتمع الملحة والمباشرة.

لقد أصبحت وسائل الإعلام الإلكتروني اليوم أكثر تيسيراً للنشر، سواء عبر الصحف الإلكترونية أو منصات التواصل الاجتماعي، مما أدى إلى تضاعف أعداد الكتّاب بشكل لم يسبق له مثيل. بات الوصول إلى جمهور واسع لا يقتصر على الكتّاب المحترفين فقط، بل أصبح بإمكان أي شخص نشر مقال يقرأه آلاف، وربما ملايين الأشخاص. أسهم هذا الانفتاح في خلق فضاء إعلامي مزدحم ومتنوع، حيث تتفاوت مستويات المقالات والمحتوى المطروح، مما أدى في كثير من الأحيان إلى انتشار الكتابات السطحية التي تفتقر للعمق أو التي لا ترتبط بشكل مؤثر بالواقع.

نتج عن هذه الظاهرة تحديات عديدة تتعلق بجودة المحتوى الصحفي والإعلامي، حيث أصبحت العديد من المقالات المنشورة تفتقر إلى التحليل العميق أو الطرح الجديد، مما يضعف من ثقة الجمهور بالمحتوى الإعلامي. إضافة إلى ذلك، فإن كثرة الآراء المتباينة، وغير المدعمة بالأدلة الكافية أو الخبرات، قد تؤدي أحيانا إلى تشتت القراء وتضليلهم بدلا من تعزيز وعيهم بالقضايا الهامة. وقد يواجه القراء صعوبة في تمييز المحتوى القيّم من غيره، مما يؤدي إلى حالة من الإرباك وفقدان الثقة في وسائل الإعلام التي باتت تنشر كل ما يصل إليها من محتوى دون تقييم جدي لجودته.

ما الحل؟

في ظل هذا التسابق المحموم نحو النشر، يبدو أن الحل يكمن في تعزيز معايير الكتابة وتحفيز الكتّاب على تقديم محتوى يحمل قيمة حقيقية وأهدافا نبيلة. يجب أن يتوجه الكتّاب نحو التركيز على قضايا المجتمع الملحّة والمباشرة، وعلى تقديم رؤى تساهم في إثراء الفكر العربي وتسهم في الارتقاء بالمحتوى الإعلامي. كما ينبغي على وسائل الإعلام نفسها أن تتبنى سياسات أكثر صرامة تجاه قبول المحتوى المنشور، بحيث تُعطى الأولوية للمقالات التي تقدم إضافة فكرية ومعرفية حقيقية، وتلامس حياة القراء وتدعم وعيهم بالقضايا الراهنة.

إن إعادة بناء الثقة بين القارئ ووسائل الإعلام تتطلب إعادة النظر في مضمون المقالات التي تُنشر، وتحفيز الكتّاب على الإبداع والابتكار، بدلاً من اللهاث وراء المكاسب المادية أو السعي لتحقيق الشهرة السريعة. بهذا التوجّه، يمكن للإعلام العربي أن يعيد مصداقيته، ويخلق جسراً من الثقة بين الكتّاب والجمهور، ويؤدي دوره في تنوير المجتمع وتعزيز الوعي العام.

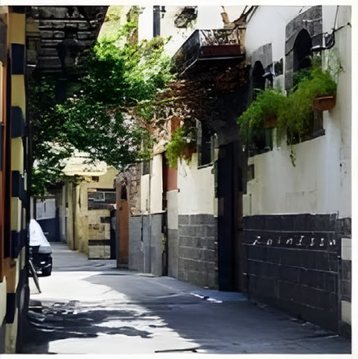

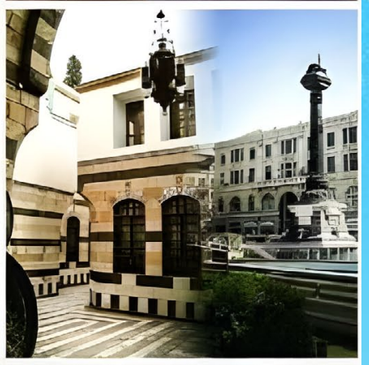

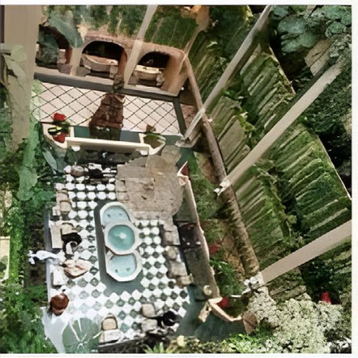

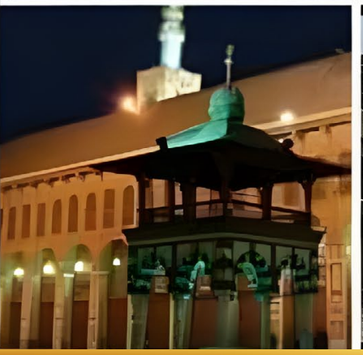

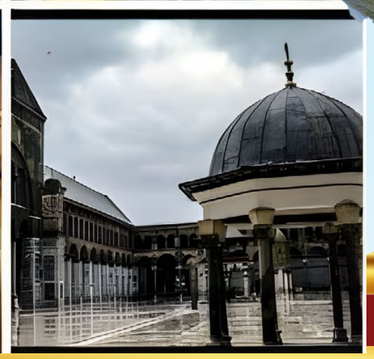

تغريدة أموية إلى قمر دمشقي

المرمار فهد الحسن

في دمشق ...
يكون ظل السيف وارفاً أكثر
كي نطل منه على الذرى
في الروابي البعيدة والقريبة
لنرى نبوءة العرافين
على أرض معلقة بين السماء
ونجمة
قمر تهدّج ضوئه فاهتز المدى
حتى لاصقت جبهة الماء القصائد
ما تتبعنا أثر القوافل
ولا كنا نباري (القرمطي)
في غيه المأفونِ
ولم نؤجج ثأراً قديماً
في الساحات والمدائن
كانت دمشق هوىً للفؤاد
بين ذؤابتين
من جمر وماء
وكان الحِداد يرصّع الفوضى في
تلك النبوءات اللقيطة
ودمشق قصيدة من مواسم
وأزاهير
ومعلقات
وزهر الغوطتين بساتين أعناب
و لوز وياسمين
كصبية كانت من ماء سماوي
عبر بها الأثير إلى
الضفاف القصية
فابتلت ضفائرها بالماء
المقدس

في بردى
وصارت معاني من استمالات
وغوايات
وشهدٍ وشرائع نهدت نأيها
القرمزي
كأميرة سمرقندية أنكرتها القوافل
وتواطأ الركب حتى اعتلى
القرمطي صبوتها
أيها القرمطي
قم وتوسد نوافل الكلم المقدس
وادلف إلى زمان الصمت الجنائزي
للمدائن والأمكنة
كي يتحرر الخارجون على نتوء
السيف والطاعة العمياء
وكي يلوحوا للقوافل الآتية
من كل فج عميق
أن أمكثي في تلك الفيافي
فلا تُشمّ رائحة الشواء الآدمي ولا
تعلو أحزان الأمهات الثكالى
وكن خيمة في قلب الفناء والعدم
وأطلق عواءك على صباح
ما ليدلنا على ابيضاض
أجنحة المدى
ليتآخى الدم مع السيف
حتى يلوح في سماء دمشق
وميض للبرق وأشرعة للندى.

● فنان تشكيلي سوري
مقيم في الدوحة

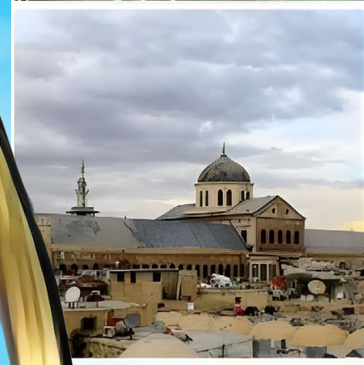

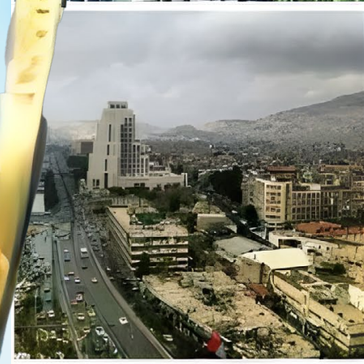

شكسبير.. لم أسمع به قط؟!

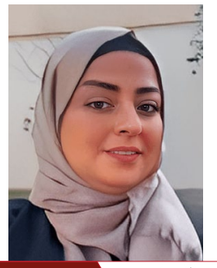

المرمار
نادية عبد الله كعوش

في عصر تسوده وسائل التواصل الاجتماعي، أصبح العالم أصغر وأسرع وأكثر اعتماداً على المحتوى السريع والخفيف. ووسط هذا التسارع الرقمي، يجد الكلاسيكيون أمثال ويليام شكسبير أنفسهم في زاوية مظلمة، بعيداً عن أضواء الجيل الجديد.

قد تبدو فكرة أن تسأل شاباً أو فتاة من أبناء السوشيال ميديا عن شكسبير، وتسمع إجابة مثل: «لم أسمع به قط!» صادمة، لكنها تعكس واقعاً ثقافيًا جديداً يحمل في طياته تحديات كبيرة.

ويليام شكسبير، الكاتب المسرحي والشاعر الإنجليزي، يُعد أحد أعظم أدباء التاريخ. ترك بصمة لا تُمحى في عالم الأدب من خلال أعمال خالدة مثل هاملت، عطيل، ماكبث، وروميو وجولييت. وعلى الرغم من أن شكسبير كتب نصوصه في القرن السادس عشر، فإنها تجاوزت حدود الزمن بفضل عمقها الفكري وجمالها الأدبي، إذ تناولت قضايا إنسانية مثل الحب، الخيانة، الصراع الداخلي، والطموح، وهي موضوعات خالدة في تأثيرها وشموليتها.

اليوم، يعيش الجيل الجديد في عصر تسيطر فيه منصات مثل «تيك توك»، «إنستغرام»، و«يوتيوب»، حيث تُستهلك الأفكار في دقائق معدودة، وأحيانًا في ثوانٍ. لم يعد لدى كثيرين منهم صبر أو اهتمام بالغوص في نصوص أدبية عميقة تتطلب التركيز والتحليل.

في ظل هذه الثقافة، لا يجد شكسبير مكانًا في قوائم الاهتمام، ما يجعل كثيرًا من الشباب ينشؤون دون معرفة بأعماله أو حتى اسمه.

ابتعاد الجيل الجديد عن شكسبير ليس مجرد فقدان لمعلومة ثقافية؛ بل هو مؤشر على تحول في الأولويات الثقافية.

غياب شكسبير عن وعي الجيل الجديد يعني انفصالهم عن جزء أساسي من التراث الأدبي الإنساني. أعماله ليست مجرد قصص، بل هي انعكاس لصراعات الإنسان وأسئلته الكبرى. فقدانها يعني ضياع نافذة مهمة لفهم الذات والآخر.

قراءة نصوص شكسبير ليست تجربة ترفيهية فقط، بل هي تمرين ذهني يساعد على تطوير التفكير النقدي والتحليلي. الابتعاد عن مثل هذه النصوص يجعل العقول أكثر سطحية وأقل قدرة على التفكير العميق.

النصوص الأدبية مثل أعمال شكسبير تشكل حجر الأساس في بناء الذائقة الفنية. الابتعاد عنها يعني فقدان الاتصال بالجماليات الأدبية التي صاغتها أجيال سابقة، ما يترك فراغًا في التقدير الفني والجمالي.

هل من أمل؟

رغم هذا الواقع، لا يزال هناك أمل في إعادة الجيل الجديد إلى عالم شكسبير. يمكن للتكنولوجيا، التي ساهمت في عزوف الشباب عن الأدب الكلاسيكي، أن تكون أيضًا جسرًا للعودة إليه.

يمكن استخدام وسائل مثل البودكاست، الفيديوهات القصيرة، وحتى الرسوم المتحركة لإعادة تقديم أعماله بطريقة تناسب العصر.

باستخدام التقنيات الحديثة مثل الواقع المعزز أو العروض المسرحية الافتراضية لجعل النصوص أكثر قربًا وإثارة لاهتمام الطلاب.

كتابة نصوص مستوحاة من أعمال شكسبير بلغة عصرية أو إعادة إنتاجها في سياقات حديثة يمكن أن تكون وسيلة لإحياء الاهتمام بأعماله.

إن جهل أبناء السوشيال ميديا بشكسبير هو علامة على فجوة ثقافية بين الأجيال، ولكنها فجوة يمكن تجاوزها إذا قُدم الأدب الكلاسيكي بطرق تناسب هذا العصر. شكسبير ليس مجرد كاتب مسرحي؛ بل هو مرآة للإنسانية، ولا يمكننا أن نترك هذه المرآة تُغطى بالغبار في زوايا النسيان.

ربما حان الوقت لنستخدم أدوات العصر الحديث ليس فقط لإعادة تقديم أعماله، ولكن أيضًا لإعادة تعريف علاقتنا مع الأدب في عالم سريع التغير.

إن جهل أبناء السوشيال ميديا بشكسبير هو علامة على فجوة ثقافية بين الأجيال، ولكنها فجوة يمكن تجاوزها إذا قُدم الأدب الكلاسيكي بطرق تناسب هذا العصر. شكسبير ليس مجرد كاتب مسرحي؛ بل هو مرآة للإنسانية، ولا يمكننا أن نترك هذه المرآة تُغطى بالغبار في زوايا النسيان.

سهرة ديمقراطية على طريقة الحشّاشين

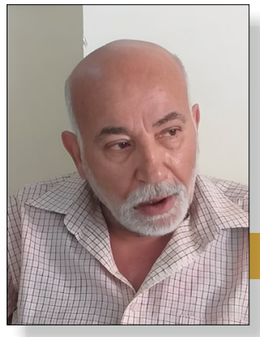

يكتبها
د. حمدي موصللي

رجلان على رصيف خمارة في ليلة صيفية .. جلسا إلى طاولة فيها عدد من الصحون الصغيرة تحوي متطلبات الخمرة من خبز وحمّص وبعض الحشائش، وسيخين من لحم الكباب، وقدحين، وبطحتين من عرق الريان، ومستلزمات الجلسة.. الخ .. يشربان الخمرة و يدخنان الحشيشة بالتناوب على أركيلة واحدة بينهما .. بين فترة وفترة يمر بهما صبي الاركيلة يعمرها لهم ويدعمها ..

الشخصيات

1 - أبو طبلة: شخصية كاريكاتورية .. مربوع القامة.. مثل برميل مازوت لا رقبة له فهي غائرة بين كتفيه في الجسد ..عينان واسعتان مكحلتان ورموش مثل عيدان الثقاب وأنف عريض أفطس .. الخ

2 - أبو زمّارة: طويل.. نحيف شبح كهيكل عظمي أقرب إلى المومياء .. العينان غائرتان.. الشفتان بارزتان وعريضتان..يداه طويلتان أطول من جسمه.. صوته حين يتكلم حاد ومخنوق ..إلى آخره من الصفات..

3 - النادل (صبي الأركيلة والقهوة).

-(الحوار باللهجة العامية السورية).

(الحلقة الأولى)

- أبو طبلة: (بعد أن مجَ نفساً طويلاً ثم نفثه، وبلسان ثقيل).

الحمد للة مستورة خيّ ابو زمّارة.. بس بتعرف شو؟

أبو زمّارة: (وهو يسحب خرطوم الأركيلة من يد ابو طبلة، ويمج نفساً ثم ينفث الدخان للأعلى) .. بس شو أخي أبو طبلة؟ تحت لسانك كأنو في حكي! هات من الآخر.

-أبو طبلة: (وقدح العرق بيده) لا.لا. ما في حكي ولا شي .. بس عم قول: المازات كانت مش ولا بد خيَ أبو زمّارة ..(يتناول صحن صحن ويعلعليه) شوف هالشوفة.. شايف هيدا الصحن .. فيه حب رمان معفّن.. وهيدا صحن بطاطا مقلية كمان معفّن .. وهيدا صحن حمص بزيت مغشوش كمان معفّن.. شوف هالخبز .. رغيف بوشّين محروق ومعفّن.. صحن سلطة كمان معفّن..(يسحب سيخ الكباب من تحت رغيف الخب) ماشاء الله

.. شوف سيخ الكباب.. قديش ضعيف وكمان معفّن .. دخيل عينك ..شو القصة؟ أنت كأنك مالك عايش معنا ولا حاسس انو.. انو كلشي صار معفن..

(يتناول القدح ويشرب)، أنا شايف كلشي معفّن بهالبلد .. ولا شو..خيَ أبو زمّارة؟!

أبو زمّارة: (يأخذ خرطوم الاركيلة ويمج نفساً عميقاً.. ثم ينفثه.. وبصوت حاد ومتقطع) اي شو بيعرّفني؟ خيّ أبو طبلة.. أنا شايف انك بدك تورطني؟! أنا ناقصك أنا!! خلينا على رواق .. الله يستر على حريماتك.

(أبو زمارة لنفسه) قال: ما في حكي تحت لسانو .. قال؟! واحد بندوق أخو محلوشة.. على هامان يا فرعون.

ابو طبلة: (بعد فترة صمت.. يمج وينفث).. العرقات.. (يكح) .. العرقات يا بو زمارة!!

أبو زمّارة: (والقدح على شفايفه.. يتراجع) العرقات! شبهن كمان؟!

أبو طبلة: ولا شي.. بس كمان مش ولا بد!

أبو زمّارة: بشرفك!! لعفى..إلا العرقات!! معقول! (يدلف ما في القدح في جوفه وبسرعة).

أبو طبلة: (يمج نفسا وينفث) اي. اي! صدقْني!! العرقات مغشوشة.. خلطهبيطة

أبو زمّارة: شلون؟ ما فهمت؟!

-أبو طبلة: سبيرتو على كاز صافي مع صودا على خميرة على عنب مخمخم.. على كزبرة بريحة اليانسون.. خلطة عجيبة غريبة؟! شو بعرّفني؟ بلد معفن.

-أبو زمّارة: (يمج نفساً وينفث) شي عجيب! خلطة عجيبة غريبة؟! لك شو بيعرفني؟ اللعمى.. صارت خلطبيطة ..

ابو طبلة: (يمج وينفث) قولك! خلطبيطة! بس بدّي أفهم ..نحنا ناس طيبين .. صحيح أغنياء و.و.و.و

-ابو زمّارة: (يمج و ينفث.. مقاطعاً بتوتر) أغنياء نحنا؟! مستحيل! والله مالي خبر!! شلون هيك طلع معك خيّ أبو طبلة؟! ليكون بلشت تخلط .. ليكون سكّران عن جد..

ابو طبلة: (وهو يمج وينفث) مافهمت؟ عن شو عم تحكي؟

- أبو زمّارة: نحنا أغنياء .. هاي ما فهمتا؟(يمج وينفث).

- ابو طبلة: نحنا ..مين قال نحنا ..

أبو زمارة: انت!

ابو طبلة: أكيد! نحنا

- ابو زمّارة: مين نحنا (يمج وينفث)..

- ابو طبلة: انا وأنت (يمج وينفث)

- ابو زمّارة: ما فهمت؟ (يشرب) شلون انا وانت منساوي نحنا؟

-ابو طبلة: ها .هاا.. رح جاوبك.. انت كويس هلق .. يعني انت تمام؟

- ابو زمّارة: (يقف على طوله ثم يقع على الكرسي) تمام!

- ابو طبلة: وأكيد مصحصح!

ابو زمّارة: (يقف ثانية على طوله ثم يقع على الكرسي) تمام!

- ابو طبلة: وانت في كامل قواك العقلية والجسدية؟

- ابو زمّارة: (يقف ثالثة على طوله ثم يقع على الكرسي) تمام!

- ابو طبلة: عندك قدّاحة.

- ابو زمّارة: قدّاحة (يفتش جيوبه) لا . لا ما عندي قدّاحة.

- ابو طبلة: (يمج نفساً ثم ينفثه .. يصرخ على صبي القهوة) يا ولد.. هات نارة وزق الحشّة بالحشوة.

- صبي البوفيه: جاي لعيونك ابو طبلة..

(صبي القهوة يعدل المزاج)

أمرني .. شي تاني .. حبة وجع راس .. حبة زرقا .. كلو على بعضو حلو ابو طبلة .. جاي (يذهب) ..

– ابو طبلة: قلتلي ماعندك قدّاحة.. طيب عندك شعلة؟
– ابو زمّارة: شعلة غير القدّاحة قصدك؟!
ابو طبلة: (يهز راسه) اي .اي . اكيد!
– ابو زمّارة: (يفتش جيوبه) لا . لا. كمان ما عندي شعلة.
– ابو طبلة: غريب .. لا قدّاحة ولا شعلة؟! طيب عندك كبريته.
–ابو زمّارة: حدد نوع الكبريته.. بمدفع او بمدفعين؟
– ابو طبلة: إمْ مدفع واحد أفضل .. صوتها أخفض وموسيقي.
– ابو زمّارة: (يقف ويفتش جيوبه ثم يقع على الكرسي) لا. ما في عندي كبريته إمْ مدفع ..
–أبو طبلة: طيب.. اكيد عندك إمْ مدفعين؟
– ابو زمّارة: (يقف ويفتش جيوبه ثم يقع على الكرسي) لا. ما في عندي كبريته إمْ مدفعين ..
– ابو طبلة: (يشرب من القدح) يعني ماعندك كبريتة .. لا إمْ مدفع ولا إمْ مدفعين؟!
– ابو زمّارة: (يقف ويفتش جيوبه ثم يقع على الكرسي) لا. ما في عندي كبريته.. لا إمْ مدفع ولا إمْ مدفعين ..
– ابو طبلة: ها .هاا. معقول!
– ابو زمّارة: (يمج وينفث الدخان إلى أعلى ماطاً شفتيه) وشو هُوّي إلّي مش معقول؟!
– ابو طبلة:(بدوره يمج وينفث الدخان بوجه ابو زمّارة).. مش معقول ما معك لا شعلة ولا قدّاحة ولا كبريته؟! بس بدّي افهم انت وين عايش .. بأي بلد؟!
– ابو زمّارة: (واقفاً ثم واقعاً على الكرسي) هون .. إي هون عايش.. تمام!
– أبو طبلة: جلوس! حلو!! إذن هات سيكارة.
–ابو زمّارة: (يجلس ثم يقف ويفتش جيوبه ثم يقع على الكرسي) ما عندي سيكارة (يمج وينفث).
أبو طبلة: كمان! انت متاكد إنو ماعندك سيكارة؟
ابو زمّارة: (يقف ويفتش جيوبه ثم يقع على الكرسي) تمام! ما عندي سيكارة .
– ابو طبلة:(بدوره يمج وينفث الدخان بوجه ابو زمّارة).. مش معقول ما معك لا شعلة ولا قدّاحة ولا كبريته ولا سيكارة؟! بس بدّي افهم انت وين عايش .. بأي بلد؟!
– ابو زمّارة: (واقفاً ثم واقعاً على الكرسي) هون .. إي هون عايش.. تمام!
ابو طبلة: إي تمام .. هلق فهمت!!
(يشرب ابو طبلة من القدح .. بينما ابو زمُارة يمج وينفث بسرعة .. بعد فترة صمت) ..
– ابو طبلة: أبوك أخي ابو زمّارة ..
–ابو زمّارة: شبو كمان ابوي أخي ابو طبلة؟
– ابو طبلة: ما في شي .. بس عم اسالك عنو
– أبو طبلة: شو خص نص بهل قعدة لتسأل عن أبوي؟
– ابو طبلة: هيك! شو فيها؟ يعني مو لازم يسال الإنسان عن أخيه الإنسان إلّي قاعد معاه؟. مين حضرتو؟ شو اصلو وشو فصلو؟. شو بيشتغل؟ رجال أكابري .. محترم .. صاحب نخوة ..
– أبو زمّارة: (يمج وينفث) والله كلام حلو .. أبوي بزمناتو كان هيك!
– أبو طبلة: (يمج وينفث) متأكد!.. إنو أبوك كان بزمناتو هيك ..
– أبو زمّارة: (يمج وينفث) واكثر من هيك!
أبو طبلة: كمان! ماشاء الله.. كاسك أخي ابو زمارة
– أبو زمّارة: (يتناول القدح ويشرب) في نافوخي.. سؤال محيرني يا ابو طبلة.. زمان كنت بدي أسلك .. هلق أجا وقته..
– ابو طبلة: اسأل وخذ راحتكوعلى (سنكة عشرة) أخي ابو زمّارة..
أبو زمّارة: (يمج وينفث).. أبوك يا ابو طبلة .. ابوك
– ابو طبلة: أعوذ بالله! أبوي شبو؟
– ابو زمّارة: ابوك مجوز .
أبو طبلة: (وكـأن السكرة طـارت) شو! مافهمت؟
ابو زمّارة: اي .اي . عم أسالك ابوك مجوز.
أبو طبلة:(لنغسه بعد تفكير ومج ونفث) أبوي مجوز! انا شو بيعرفني؟! (يلتفت لابو زمارة) .. ما عندي علم إذا كان أبوي المحترم مجوّز و إلا لا!
أبو زمّارة: متأكد!
– ابو طبلة: (بعصبية) شو بيعرفني الله واكبر!!
–أبو زمّارة: غريب! طيب.. اخي لا تعصب عم نتحاور
– ابو طبلة: (بالفصحى) كلي إذان صاغية .. هات ماعندكم ..
ابو زمّارة: أمك.
– أبو طبلة: شو!! ابن الحرام .. شو بدك من أمي كمان؟
– أبو زمّارة: اي عم اسالك عن امك .. شوفيها؟! انت سألتني وأنا جاوبتك بكل شفافية ..
أبو طبلة: بكل شفافية!! شفافية شو؟! عم تحكي مثل هادول!! (يشير برقبته) اي مثل هدول!!
ابو زمارة: هادول مين؟
ابو طبلة: هنن ماغيرن!! (يرفع القدح و يشرب).
أبو زمُارة: هنن.. هادول .. مين هنن هادول؟
أبو طبلة: ما غيرن (يرفع القدح ويشرب).
ابوزمارة:(بعصبية) ما غيرن.. مين هنن؟!
ابو طبلة:(يمج وينفث) شو قصتك ابو زمّارة .. ليش معصب؟! عم نتحاور حوار ديمقراطي.
–أبو زمّـارة: تمام! يعني عم نتحاور حوار ديمقراطي ..
–ابو طبلة: اصلاً الحوار الديمقراطي يجمعنا .. انا مع الحوار الديمقراطي.
–ابو زمّـارة: تمام! بس حضرتك.. انت عم تخرج خارج الحوار الديمقراطي.
– ابو طبلة:(بإعجاب.. يمج وينفث) معقول! انا خارج هذا الحوار الديمقراطي! مستحل! طيب.. رح ادخل داخل الحوار الديمقراطي.. ليش لأ! شو سالتني؟ أعد السؤال ..
ابو زمّارة: سالتك عن إمك إذا كانت مجوّزة و إلا لأ؟.
ابو طبلة: اعوذ بالله من الشيطان!! شو قصتك عم تسال هيك اسئلة غريبة .. أبوي.. أمي.. يا أخي انا شو بيعرفني أذا كانت أمي مجوّزة او أبوي مجوّز..
أبو زمّارة: أمرك غريب وعجيب!! أنت واحد بلوى وخطير!! لك انت شو؟
–ابو طبلة: أنا شو؟ أنا عم حـاورك حوار ديمقراطي.. انت سألتني عن أبوي وعن أمي اذا هنن متزوجين.. جاوبتك.. شو بيعرفني.. تمام؟!
–أبو زمّارة: تمام!!
–أبو طبلة: طيب! انت ابو زمّارة بشحمك ولحمك بدّي اسالك ..
–ابو زمُارة: (يمج وينفث) اسال بشرط يكون سؤال ديمقراطي.
–ابو طبلة: شلون جيت على هاي الدنيا.
–أبو زمُارة: (مرتبك) أنا؟!
–ابو طبلة: اي انت .. شلون جيت على هاي الدنيا؟
–ابـو زمّـارة: (بعد تفكير ومع مج ونفث وقدح .. لنفسه يكلمها) شلون انا ابو زمّارة .. بشحمي ولحمي جيت على هاي الدنيا شلون؟! سؤال ديمقراطي عويص!!
(يكلم ابو طبلة) .. أخي أبو طبلة..غيرلي هاد السؤال..
–أبو طبلة: السؤال .. لا صعب ولا بطيخ .. الحمار بيجاوب عليه ..
–ابو زمّارة: (يشرب ما في القدح بسرعة .. ثم يمسح بكمّه انفه وفمه.. ينادي على صبي البوفية) يا ولد .. هات الحساب ..

(اطفـاء)
(يتبـــع)

● مؤلف وناقد ومخرج مسرحي سوري

السيّاب في ذكراه الستين

المرمار
باسم فرات

لم يسحرني شاعرٌ كما سحرني بدر شاكر السيّاب (1926 – 24 كانون الأول 1964 للميلاد)، لا أعني منجزه الشعري فقط، إنما حياته أيضا، فالسيّاب هو أنموذج صارم لمن تسول له نفسه، أن يستعيرَ من الشاعر أبي الطيّب المتنبي (915 – 965 للميلاد)، اعتداده بنفسه، وأنفته حتى الغرور، فيظن نفسه شاعراً مهماً، وكبيراً. ريادة السياب المبكرة للشعر الحر «التفعيلة»، إذ إنه كتب قصيدته «هل كان حبّاً» في تشرين الثاني 1946 للميلاد، أي وهو في العشرين من عمره، ونشرها بعد عام، أي 1947 للميلاد.

هذه الريادة، تقود لطرح هذا السؤال: كيف لشاعر قروي نحيل، أن يتجَرّأ على سطوة عمود الشعر، هذه السطوة التي تمتد لأكثر من ألف وخمسمئة سنة، ويحمل الشعر العربي إلى آفاق رحبة، ويتبعه الشعراء الغاوون، وهم بالمئات، خلال سنوات قليلة؟ أيّ شجاعة وجرأة يُخبّئهما هذا الشاب القروي في جسده النحيل؟

في التجديد الشعري، والإبداعي عموماً، لا يهم مَن الذي كتبَ أوّلاً، إنّما الأهمّ، مَن حَوّلَ هذا التجديد، إلى ظاهرة، يقلّده فيها سواه. حتماً هناك محاولات للخروج على عمود الشعر، لكن نازك الملائكة والسيّاب، جعلا هذا الخروج ظاهرة، إذ سرعان ما اقتفى أثرهما شعراء كانوا يزدادون كلما تمضي الأيام. وكان الشعراء العراقيون أسرع استجابة وأكثر عدداً في هذه الثورة الشعريَّة الكبرى، من رفاقهم العرب.

في عام 1984 للميلاد، قرأت ديوان السيّاب (صدر عن دار العودة في بيروت في مجلدين، وكتب مقدمة طويلة له «ناجي علوش»)، وكان أول شاعر، لا أكتفي بقراءة ديوانه من الغلاف إلى الغلاف، كما هو المعتاد مع غيره من الشعراء، وحسب، بل أضفت إلى ذلك، قراءة مجموعة من الكتب عنه، مثل كتب عبد الجبار داود البصري، وعبد الجبار عباس، وإحسان عباس ومدني صالح، فضلاً عما كان يُنشر في الصحف والمجلات العراقيّة إبان عَقد الثمانينيات من القَرن العشرين. وهو أول شاعر أكتب عنه، فقد أنجزت أول دراسة في حياتي بعنوان «ثنائية المرأة والموت في شعر بدر شاكر السيّاب». وكنت حينها في الإعدادية «الثانوية»، فقدتها بعد ذلك مع الأسف الشديد. ومع «هَوَسي» بشعر السياب، بل وبحياته، ومحاولتي البحث في مرجعياته الثقافية، فإنّني انتبهت، منذ البداية، إلى خطورة الوقوع في «براثن التقليد»، فكنتُ أقرأ كل يوم، قصائد لشعراء آخرين. كنتُ أقسّمُ وقت القراءة، إلى نصفين، نصف للشاعر الذي أنا بصدد قراءة أعماله الكاملة، وآخر لقراءة مجموعات شعرية لشعراء آخرين، أو نماذج منها، فضلاً عمّا كان يُنشر في الصحف والمجلات آنذاك. هذه الطريقة منحتني صوتي الشعريّ الخاص منذ البدايات، ولم تتضح يوماً أصواتٌ شعريّة في قصائدي الأولى، وهو ما أشرت إليه في قصيدتي «أرسمُ بغداد»، المنشورة في ديواني «خريف المدَن»، بقولي: «لا أَحَدَ يُغَرِّدُ في حُنجرتي».

لم أستطع تذوّق شعر نازك الملائكة، رفيقته وندّه في تجديد الشعر العربي، في حين وجدتُ مبتغاي في «السيّاب»، خصوصاً في مجموعته الشعريّة «أنشودة المطر»، وشكّلت حياته دافعاً لأن يكون قريبًا لنفسي، فكلانا عرف اليُتم، والحرمان، والشعور بالقبح والضعف، وهذا الشعور أخذَ منّي وقتًا طويلاً، حتى تخلصت منه، بل إن شعوري بـ «قُبح صوتي» لم أتخلص منه، إلا بعد

> **السيّاب هو المبدع النموذج الذي أضعه أمام ناظريّ، مثلما أضع المتنبي ورامبو؛ فهؤلاء منحوني الإيمان بأنّ أي مشروعٍ جماليٍّ، أو معرفيٍّ، أو علميٍّ، أو ثقافيٍّ، ينبغي أن يُكرّس صاحبُه حياته له**

محاضرتي في كلية ابن رشد، جامعة بغداد، فقد اقترح عليّ أحد الأشخاص ممن أثق بهم جدّاً، أن «أفتح قناة على اليوتيوب، وأنشر قصائدي بصوتي، فضلاً عن آرائي في التاريخ والثقافات الأخرى التي عايشتها، لا سيَّما – والكلام للشخص نفسه – أن صوتي تستسيغه الأذن».

لا شكّ في أن خطوة «نازك الملائكة» (1923 – 2007 للميلاد) في التمرّد على عمود الشعر، خطوة جبارة، إذا أخذنا بنظر الاعتبار البيئة النجفيَّة – البغداديَّة التي جاءت منها، ومثل هذه البيئة التي تشدّ أبناءها للمحافظة على النسق الاجتماعي والثقافي، لا ينفع معها التمرّد المحسوب بخطوات دقيقة، بل يجب أن يكون التمرّد إلى أقصاه، فكان طبيعيًا، تراجع الملائكة، بل وشعورها بالذنب، حين راح الشعراء المتمرّدون، يجرّبون أساليب شعرية مختلفة، لا سيّما بعد انتشار التعليم، وصعود طبقة الفلاحين والعمال والفقراء وأبناء الهوامش لصدارة المشهد الثقافي والفني.

> **إنَّ الدرس الذي تعلمته من السيّاب، هو أن كل مَن تجاوز الحادية والعشرين من العمر ولم يُحْدث ثورة في مجاله الإبداعيّ، أو المعرفيّ، أو العلميّ، فعليه أن يقمع «أناه» ويخجل من نفسه، وخاصّة حين يتجاوز الثامنة والثلاثين من العمر، (وهو السّنّ الذي توفّيَ فيه السيّاب)، ولم يُشكّل ظاهرةً شعريةً، أو إبداعيةً، أو ثقافيةً، أو فنيةً، أو علمية**

الهوامش، لا تُقَيّدهم تقاليد الأسر المدينيَّة العريقة المحافظة التي أنجبت مثل نازك الملائكة، فهؤلاء متمردون على كل شيء، على واقعهم المزري، وعلى تهميشهم، وتعامل الحكومات معهم بفوقيَّة، بل وجعلهم وقوداً لما يخدم مصالح مشاريع هذه الحكومات، فكان تمردهم في صالح الشعرية العربية، التي انفتحت على تجارب شعرية غربية، وعلى التصوّف، والفلسفة، والأساطير الوطنية والقومية والأجنبية. لذلك، استمر السيّاب ورفاقه، في حين تقهقرت نازك الملائكة.

إنَّ الدرس الذي تعلمته من السيّاب، هو أن كل مَن تجاوز الحادية والعشرين من العمر ولم يُحْدث ثورة في مجاله الإبداعيّ، أو المعرفيّ، أو العلميّ، فعليه أن يقمع «أناه» ويخجل من نفسه، وخاصّة حين يتجاوز الثامنة والثلاثين من العمر، (وهو السّنّ الذي توفّيَ فيه السيّاب)، ولم يُشكّل ظاهرةً شعريةً، أو إبداعيةً، أو ثقافيةً، أو فنيةً، أو علميةً. السيّاب هو المبدع النموذج الذي أضعه أمام ناظريّ، مثلما أضع المتنبي ورامبو؛ فهؤلاء منحوني الإيمان بأنّ أي مشروع جماليٍّ، أو معرفيٍّ، أو علميٍّ، أو ثقافيٍّ، ينبغي أن يُكرّس صاحبُه حياته له.

دون كيخوته..
في ذاكرة الإبداع العربي

المرمار أحمد سليم عوض

احتلت رواية دون كيخوته منذ بدايات القرن العشرين مكانة مرموقة في النشاط الأدبي والنقدي العالمي. وصفها مترجمها الأهم إلى العربية، د. عبد الرحمن بدوي، قائلاً: «دون كيخوته رمز النبالة الساعية إلى خير الإنسانية، ولكن وسائلها العاجزة لا تستطيع تحقيق أمانيها. هي رمز للمثل الأعلى الإنساني الذي دائماً يصطدم بالواقع الكالح فينتهي بالإخفاق».

مؤلفها هو ميغيل دي ثربانتس، الأديب الإسباني، وتُعد من روائع الأدب العالمي. تم نشرها على جزئين بين عامي 1605 و1615. اشتهرت الرواية بين العرب بالعديد من الأسماء، مثل: دون كيشوت، دون كيخوته، ضون كيخوتي، دون كيخوط، ودون كيخوطي. تُعتبر واحدة من أفضل الأعمال الروائية المكتوبة، واعتبرها النقاد بمثابة أول رواية أوروبية حديثة، وواحدة من أعظم الأعمال في الأدب العالمي. تمت ترجمتها إلى العديد من اللغات الأجنبية.

حمل الجزء الأول من الرواية اسم العبقري النبيل دون كيخوتي دي لامانتشا، أما الجزء الثاني فجاء بعنوان العبقري الفارس دون كيخوتي دي لامانتشا.

قدمت القصة الصراع الدائم بين الخير والشر، الحياة والموت، الواقعية والمثالية. بيّنت واقعاً عملياً نفعياً يفرض وجوده على البشر.

كان قصد دون كيشوت الأصلي نشر الحق والعدل والقيم النبيلة، لكنه سلك طريق الأوهام، وانتهى عمله إلى لا شيء، بل تحولت الأمور إلى الأسوأ. على النقيض، كان تابعه سانشو بانزا يمثل الواقعية التي تطلب الفائدة الملموسة والنفع القريب.

تُبرز الرواية كيف يمكن للإنسان أن يصارع أوهاماً وخرافات يؤمن بها، وفي النهاية يخسر أشياء كثيرة، منها حياته.

لا تبعد رواية دون كيخوته عن عالمنا العربي، بل تحاذيه وتتقاطع معه مراراً. يكفي أن ثربانتس، مؤلف الرواية، أشار في مقدمتها إلى أن مغامرات دون كيخوته كُتبت أصلاً باللغة العربية على يد كاتب عربي يُدعى سيدي حامد بن إنجيلين، وأن الرواية هي ترجمة حرفية قريبة من النص العربي. جاء هذا في إشارة ذكرها د. عبد الرحمن بدوي في ترجمته للرواية.

عرف المبدع والقارئ العربي الرواية من خلال حركة الترجمة الواسعة التي شهدها الأدب العربي، حيث نُقلت العديد من الأعمال الأوروبية إلى العربية، وكانت دون كيخوته من بينها. حققت الرواية شهرة واسعة منذ ظهورها، لكنها لم تُترجم كاملة إلى العربية حتى منتصف القرن العشرين.

في عام 1957، تم اختيار ونشر مجموعة أدبية في مصر بعنوان من الأدب العالمي. ظهرت أول ترجمة عربية لهذه الرواية بعنوان السيد العبقري دون كيخوته دي لامانشا. احتوت الترجمة على النصف الأول فقط من الرواية، وقدمها عالم الأندلسيات د. عبد العزيز الإهواني، وراجعها وقدم لها د. حسين مؤنس.

في عام 1965، ظهرت لأول مرة في مصر ترجمة كاملة للرواية، بفضل عمل العالم د. عبد الرحمن بدوي. صاحب الترجمة مقدمة علمية غنية بالمعلومات عن ثربانتس مؤلف الرواية، وعن الرواية نفسها، والظروف التاريخية والاجتماعية التي أحاطت بها.

جاءت الترجمة عملاً رائعاً مكتوباً بلغة عربية مشرقة وأنيقة، عكست تمكّن بدوي من اللغة الإسبانية وإدراكه العميق لخيال الرواية الخلاق وجمال صورها.

تميزت ترجمة بدوي بأنها تفوقت في لغتها ومقدمتها الفنية على العديد من الطبعات الإسبانية ذات المقدمات الوافية.

في عام 2002، جاءت ترجمة د. سليمان العطار مصحوبة بمقدمة رائعة تناولت ثقافة ثربانتس وعمق شخصيته.

أما الترجمة الأخيرة بالعربية فكانت للأديب السوري د. رفعت عطفة، وظهرت بلغة جادة وعميقة، عكست وعي وخلفيات المؤلف العبقري من ناحية، وشخصية البطل الفارس الخيالي من ناحية أخرى.

لا بد من الإشارة إلى تجربة الكتاب اللبنانيين د. نجيب أبو ملحم ود. موسى عبود، اللذين نشرا عام 1947 كتاباً بعنوان ثربانتس أمير الأدب الإسباني.

وقد تم توظيف دون كيخوته في الإبداع العربي المعاصر بطريقة بديعة ومؤثرة، سواء في فن النثر القصصي أو الشعر، حيث نجح الشعراء والكتاب في إبراز صفة البطولة الكاملة في هذا الفارس الإسباني المقدام. وجدنا التوظيف الرمزي في قصتين عربيتين هما: قصة دون كيشوت للأديب السوري هاني الراهب، وقصة أحلام الفارس الحزين دون كيشوت للأديب العراقي جليل القيسي.

أما في الشعر العربي المعاصر، فإن الإشارات إلى رمز المثالية في شخصية دون كيخوته كثيرة ومتعددة، حيث يظهر في أبيات الشاعر السوداني محمد الفيتوري، والشاعر المصري محمد إبراهيم أبو سنة، وأحمد سويلم، وأحمد هيكل، ونجيب سرور. كما يظهر في أبيات نزار قباني والشاعر العراقي بدر شاكر السياب، وأرشد توفيق، وخليل إبراهيم. نلتقي أيضاً بدون كيخوته في شعر محمود درويش النثري وأبياته الشعرية بالطبع.

نبدأ بالشاعر السوداني محمد الفيتوري، في ديوان اذكريني يا إفريقيا في قصيدته بعنوان (دون كيشوت الثاني)، حيث نجده قد نجح في توظيف رمز دون كيخوته توظيفاً يتلاءم مع حالته النفسية والمزاجية، مستخدمًا الشخصية الكيخوتية استخدامًا سياسيًا رمزيًا. حيث يقول:

دون كيشوت الثاني
صَدِئَتْ عيناك..
وغَطّتْ أعشاب الأرض السوداء خطاك.
فلتدفن رأسك في الطين
يا دون كيشوت المسكين.
الحلبة فارغة العينين،
بلا كفّين،
بلا جمهور يزرع ملء جوانبها الضوضاء.

أما الشاعر إبراهيم أبو سنة، فقد اتخذ من شخصية دون كيخوته رمزاً للتعبير عن المشاعر الفياضة. حيث يقول في قصيدة دون كيشوت على فراش الموت:

من نصف قرن أو يزيد
وها أنا على فراش الموت،
مُكبل بالجرح والحديد،
أستعطف القضاة والشهود،
مستوحش من دولة البرابرة.

ويضيف:

حلمتُ بالحمام
يرتاح آمنًا على أكتافنا،
ويبتني أعشاشه – إن شاء – في ثيابنا.
لكنني رجعتُ بالجراح،
بالقهقهات الساحرة،
بسيفي المكسور في التراب،
وأدمع غزيرة في أعين الجواد.
تركتُ «قرطبة»،
مدينة لا تعرف السعادة،
مدينة أميرها الكذب.

كما استلهم الرسامون والنحاتون هذه الشخصية في أعمالهم الفنية، منها: لوحة الفنان وليد الآغا بعنوان (أحبك يا دون كيخوتي)، ولوحة الفنان منقذ سعيد (كلنا دون كيخوته)، وأخرى للفنانة عتاب حريبي بعنوان (المرأة عند دون كيخوته)، وأخيرًا لوحة (لامنتشا) منطقة دون كيخوته للفنان عصام درويش. حتى أن الطريق الذي سلكه في رحلته أصبح رمزًا سياحيًا للعديد من عشاقه.

هي حقاً رواية عجيبة. ولعل إحساساً داخلياً يجعلنا نشعر بالتماهي مع هذا الفارس المقدام، من حيث إننا نرفض أن نقبل الواقع كما هو، ونحاول جاهدين تغيير العالم حتى يصبح عالمنا أكثر تطابقاً مع أحلامنا وأفكارنا ومبادئنا. تلك هي الشجاعة العظيمة التي ينفخها فينا دون كيخوته، شجاعة أن نكون أحراراً قبل أي شيء آخر.

مؤلفها هو ميغيل دي ثربانتس، الأديب الإسباني، وتُعد من روائع الأدب العالمي. تم نشرها على جزئين بين عامي 1605 و1615.. تُعتبر واحدة من أفضل الأعمال الروائية المكتوبة، واعتبرها النقاد بمثابة أول رواية أوروبية حديثة، وواحدة من أعظم الأعمال في الأدب العالمي. تمت ترجمتها إلى العديد من اللغات الأجنبية.

طبيب وقاتل؟ مستحيل!

جعفر عباس

عندما يقول عربي إن «أمورنا ماشية بالبركة»، فهو يقصد أن تلك الأمور تسير بغير تخطيط، ومع ذلك فإنها ببركة السماء تسير. نحن نعيش في جزء من العالم تسير فيه الأمور بلا تخطيط أو تنظيم، بل خبط عشواء، أي بلا ضوابط أو توجيه. في إحدى الدول العربية الإفريقية، أدين رجل تجاوز الأربعين بحكم بالسجن، رغم أنه ثبت عليه قتل شخصين على الأقل عمداً مع سبق الإصرار والترصد.

بدأت الحكاية قبل نحو عشرين سنة، عندما التحق الرجل (س) بالجامعة لدراسة علم الأحياء. كأي شاب عربي، كانت أسرته تطمح لأن يدرس الطب. ولكن (س) رسب في السنة الأولى، وأصبح كل مؤهلاته الأكاديمية هي الشهادة الثانوية. وقع في ورطة: والده ينتظره ليفتتح عيادة في بلدته، لكنه لم يفلح حتى في دراسة علم الأحياء. وبدلًا من الاعتراف بالفشل، قرر أن يصبح طبيباً «بالعافية»، دون مؤهلات حقيقية، متجاهلاً أن محاولته سترفع رأس عائلته ظاهرياً فقط، بينما ستجعلها مكسورة حقيقة.

لإقناع عائلته، أوهمهم بأنه يدرس الطب، مستغلًا أن دراسة الطب تتطلب سنوات طويلة. بعد عدة سنوات، التقى بطبيب حقيقي كان يحلم بالسفر للخارج لنيل الدراسات العليا. وعده (س) بمساعدته في الحصول على بعثة دراسية عبر «واسطات» قوية لديه، وطلب منه شهاداته بحجة تسهيل الإجراءات. تلاعب بشهاداته، وجعلها تحمل اسمه، وأصبح طبيباً «مزيفاً» مسجلاً في وزارة الصحة.

لم يرضَ (س) بلقب طبيب عام فقط. فاستغل طبيباً آخر يعمل في مجمع طبي وأقنعه بأنه متخصص في أمراض النساء والتوليد. وعندما شك فيه صاحب المجمع، هرب إلى مكان آخر. لاحقاً، اصطاد طبيباً متخصصاً في أمراض النساء والعقم، وأقنعه بأنه يمتلك صلات بمنظمة الصحة العالمية، ووعده بفرصة دراسية في أوروبا. حصل على شهاداته، وتلاعب بها مجددًا، ليصبح «اختصاصيًا رسميًا» في أمراض النساء والولادة.

بفضل هذه الشهادات المزورة، تم تعيينه رئيساً لقسم النساء والتوليد في مستشفى إقليمي. بدأ بممارسة عمله، وأصبح يطلب للنساء حبوب الحديد وحمض الفوليك، ويصور الأجنة بالموجات فوق الصوتية. مع مرور الوقت، صدق نفسه وقرر إجراء عمليات جراحية. فكانت أول عملية قيصرية يقوم بها سبباً في وفاة الأم والجنين معاً. لم يتوقف، بل تمادى وأجرى عملية أخرى لامرأة لم تكن بحاجة للجراحة، فتوفيت أيضاً.

أدرك المرضون والأطباء المساعدون الذين عملوا معه أنه لا يملك حتى مهارات جزار مبتدئ. بدأت التحريات، وانكشف أمره، وانتهى به الأمر في السجن. رغم جرائمه التي شملت قتل امرأتين، وانتهاك خصوصية العشرات من النساء، كان عقابه فقط السجن!

قبل سنوات قليلة، تم القبض على «طبيب أسنان» آسيوي في إحدى العواصم الخليجية. كان يعالج المرضى بأسعار زهيدة، حيث خلع الضرس بـ 5 دولارات، وعالج العصب بـ 10 دولارات. اتضح لاحقاً أن مهنته الأصلية كانت فني كهرباء!

هذه القصص تسلط الضوء على أهمية الرقابة الصارمة على المهن الطبية، والتحقق من مؤهلات العاملين فيها. حياة الناس ليست لعبة، وتركها في أيدي من لا يملكون المؤهلات اللازمة قد يؤدي إلى كوارث إنسانية لا تُغتفر.

جنازتي

باولو كويلو

يحضر مراسل صحيفة **Mail on Sunday** إلى الفندق في لندن ليطرح سؤالاً بسيطا: إذا كنت سأموت اليوم، كيف ستكون جنازتي؟

وفي الحقيقة كانت فكرة الموت تراودني كل يوم منذ عام 1986 وتحديداً عندما كنت في طريقي إلى سانتياغو. حتى تلك اللحظة كانت فكرة أن كل شيء مصيره حتما إلى زوال مرعبة، لكني أديت تمريناً ينطوي على تجربة الإحساس بالدفن حياً.

كان التمرين مكثفاً لدرجة أنه . جعلني أفقد خوفي تماماً وبدأت أرى الموت كرفيق سفر مؤنس يجلس دائماً بجواري قائلاً: "سوف أنال منك وأنت لا تعرف متى، لذا لا تتوقف عن العيش بشكل مكثف قدر الإمكان".

هذا هو السبب في أنني لا أترك إلى الغد أبداً ما يمكنني أن أعيشه اليوم، وهذا يشمل الأفراح والالتزامات المتعلقة بعملي والاعتذار عندما أشعر أنني قد آذيت شخصاً، فأنا أرى اللحظة الحالية كما لو كانت الأخيرة.

أتذكر المرات العديدة التي شعرت فيها برائحة الموت: ذلك اليوم السحيق من عام 1974 في شارع أتيرو دو فلامينغو في ريو دي جانيرو، عندما اعترضت سيارة أجرة كنت استقلها من قبل سيارة أخرى، وقفز منها مجموعة من الجنود شبه النظاميين، وأشهروا أسلحتهم في وجهي ووضعوا غطاء على رأسي.

ورغم أنهم أكدوا لي أنه لن يصيبني مكروه، فإنني كنت متيقناً من أنني سأكون أحد الأشخاص المفقودين من ضحايا النظام العسكري. كما أتذكر واقعة حدثت لي في أغسطس من عام 1989، عندما ضللت الطريق وأنا أتسلق جبال البيرينيه: نظرت إلى القمم التي كانت خالية من الثلوج أو النباتات وشعرت أنني لن أمتلك القوة للعودة، وأنهم سيعثرون على جسدي فقط في الصيف المقبل. لكن في النهاية، وبعد التجول لساعات متتالية، تمكنت من العثور على مسار يقودني إلى قرية نائية.

وهنا طرح مراسل **Mail on Sunday** على سؤالاً: لكن كيف ستكون جنازتك؟ حسناً، وفقا للإرادة التي ظهرت بها، لن تكون هناك جنازة، لأنني قررت أن تحرق جثتي وأن تنثر زوجتي رمادها في مكان في إسبانيا يسمى سيبريرو، حيث وجدت سيفي.

لن تنشر مخطوطاتي التي لم أكتبها بعد. يذهلني كم عدد الأعمال بعد الوفاة» أو «مجموعات النصوص التي يكشف عنها ورثة فنان دون أي وازع لنشرها لكسب بعض المال: لماذا لا يحدث ذلك والفنان على قيد الحياة؟ لماذا لا تحترم هذه المودة؟).

إنّ السيف الذي وجدته وأنا في طريقي إلى سانتياغو سيلقى في البحر، ويعود إلى حيث أتى. وستخصص أموالي إلى جانب حقوق الطبع والنشر التي ستظل تدفع خلال الخمسين عاما القادمة. بالكامل للمعهد الذي أنشأته.

ثم يسألني المحررة "وماذا عن الكتابة التي ستكون على ضريحك ؟".

حسناً، إذا كنت سأحرق، فلن يكون هناك حجر كبير عليه نقش، لأن الرماد ستذروه الرياح، ولكن إذا اضطررت إلى اختيار عبارة، فسأطلب كتابة ما يلي: "مات وهو على قيد الحياة". قد يبدو هذا غير منطقي، لكن الحقيقة هي أنني أعرف العديد من الأشخاص الذين توقفت حياتهم فعلياً على الرغم من استمرارهم في العمل والأكل وأداء أنشطتهم الاجتماعية العادية.

إنهم يفعلون كل شيء تلقائيا دون فهم اللحظة السحرية التي يجلبها كل يوم معه، دون التوقف عن التفكير في معجزة الحياة، دون أن يفهموا أن اللحظة التالية قد تكون آخر لحظة لهم على وجه البسيطة.

يأخذ المراسل إجازته. وأنا أجلس أمام شاشة الحاسوب وأقرر كتابة هذه المقالة. أعلم أنه لا أحد يحب التفكير في الموضوع، لكن لدي واجب تجاه قرائي، وهو جعلهم يفكرون في الأشياء المهمة للوجود.

وربما يكون الموت هو الفكرة الأهم على الإطلاق: نحن نتجه نحوه دون أن نعرف أبداً متى ستصيبنا مصيبته، ولذا فمن واجبنا أن ننظر حولنا، نبدي امتناناً كل لحظة وأيضًا لأن الموت يجعلنا نفكر في أهمية كل موقف نتخذه أو نخفق في اتخاذه.

ومن تلك اللحظة، علينا التوقف عن فعل ما يجعلنا «أمواتاً أحياء» والمخاطرة بكل شيء من أجل ما طالما حلمنا بتحقيقه. سواء أكان ذلك يروق لنا أم لا، فإن ملك الموت ينتظرنا.

روائي وقاص برازيلي

الفيلم الوثائقي

طحطوح

ذكرى ترمّـــم ذاكـــرة

المزمار بشرى بن فاطمة

«كيف نموت نخليهالك» بلهجته الجزائرية المازحة كانت الجملة التي قالها «طحطوح» لأهل القرية وهو يحثّهم على العمل ومساعدته في الترميم بمثابة التجلي الصارخ بالحلم العنيد للعودة ولاسترجاع مسقط رأسه «أفيغو»، كان يعلم أن كل حلم يحتاج من يؤمن به ويستمر فيه وحتى يستمر يجب أن تكون الحركة حثيثة والخطوات ثابتة والإصرار عنيد كحجر يحكي تاريخه المتروك في القرية لمن يحمل شعلة ذلك الحلم ولمن هو قادر على إكمال رحلة الترميم حتى الاعمار هي هجرة من نوع مختلف هجرة إلى الداخل إلى الذاكرة إلى الذكريات إلى تفاصيل النشأة الأولى قبل مرور الخراب أرادها المخرج محمد والي ليحكي ويحاكي ذاكرة العم حسان في الفيلم الوثائقي «طحطوح».

«طحطوح» فيلم وثائقي للمخرج الجزائري محمد والي، حاز الفيلم مؤخراً على جائزة الوهر الذهبي بالدورة الثانية عشر لمهرجان وهران الدولي للفيلم العربي، وهي جائزة اعتبرها والي مهمة جداً من الجزائر وطنه بعد أن حصل على عدّة جوائز خارجها في مصر ولبنان.

وطحطوح يعيش في قرية أفيغو الواقعة في بلدية ثنية النصر ولاية برج بوعريريج هجرها سكانها سنة 1994 بعد تدهور الأوضاع الأمنية في ذلك الوقت نتيجة للارهاب في فترة ما يسمى بالعشرية السوداء وهو ما جعل فكرة الفرار ملاذ السكان بحثاً عن الأمان في أماكن أخرى، عاد طحطوح إلى أفيغو بحثاً عن ذكرياته وترميما لذاكرته وقريته محاولة أن يتكامل مع الفكرة ويستعيد حضوره في مكانه الأول متجاوزاً هذا الفقد الإنساني وهي تساؤلات طرحها والي ضمنياً عن تناقضات الخواء في الأمكنة والامتلاء في الذاكرة تلك الرؤية الموجعة حسيّاً الدافعة ضمنياً لاستعادة الذاكرة وهي دعوة لكل مؤمنة بالذاكرة لاسترجاعها خاصة وأنه توجد أكثر من 200 قرية مهجورة في الجزائر لنفس الأسباب.

نهاية الأزمات هل تعالج خدوش الذاكرة بجسده المشدود لفرط المجهود وعينيه التي تحمل ذاكرة من محبة لقريته المهجورة ترك «طحطوح» الحلم والعناد والعزيمة التي لا تفنى رغم توقّف نبضه، فلم يكن ما قاله مُجرّد جملة هزلية مزح بها ولكنها أصبحت حلما و«أيقونة» من أجل لملمة الذاكرة واستعادة القرية المهجورة «أفيغو» التي حملها على كتفيه ولم يقتنع أبدا بأسطورة سيزيف ولم ير عمله عبثياً بل شاهد جدواه في الذكريات التي تلتهم تفاصيل حديثه الذي كان يقطعه عندما يغصّ بالدمع، ويعود ليحمل الصخر والحجارة ويصرّ وحده على البناء، قراراً وإقرار لإعادة ترميم ذاكرته وقريته بعد أن هجرها سكانها الذين تضرّروا من الفترة السوداء لتاريخ الجزائر .

لم يكن المخرج محمد والي وهو يقدّم لنا الفيلم الوثائقي «طحطوح» مُخرجاً بقدر ما كان مُشاهداً أيضاً يسرد بدوره القصص ويقدّمها بصرياً في صور متناثرة ينتابه ما ينتاب طحطوح من حيرة وشجن وإصرار بين الكادر العام للملامح والوجوه وبين التفصيل الطبيعي للمكان الساحر بكل ما يحمل من وجع الخواء وعناد الحلم ورهبة الطبيعة وجمالها.

كل ذلك الاكتمال استكمال لمسيرة الترميم وتلك القرية انعكاس وطن يحتاج سواعد مؤمنة بالذاكرة والأرض بالتاريخ القديم جدا في ثباته ليمحو حزن التاريخ الحديث بين ذاكرة المجاهدين والسعي لتحرير الوطن وخدوش العشرية السوداء، لتقع المفارقة في حب الوطن وتهجم العبرات على عبراته ليخبرنا تفاصيل الأرض وخيراتها يسترجع ذاكرة المواسم والحصاد وخبز القرية وأفراحها وعائلته وأصدقائه وكأنه يصوّرها مجدّدا ويحاول أن يحملها خوفا من ضياعها.

ذلك التصور البصري التوثيقي يعكس أسلوب وطبيعة المخرج محمد والي في سرد مختلف التفاصيل التي يقدّمها في أفلامه الوثائقية فهو لا يقدّم توثيقاً بقدر ما يقدّم وثيقة مصوّرة مختلفة الأوجه والرؤى والتفاصيل والاحلام يعرف تماما كيف يحوّل الحكاية إلى انتماء متعدّد الاتجاهات التي تتنوع فيها الجغرافيا الجزائرية، ينعكس فيها بمراياه ومعها حاملاً التنوع والحنين والذاكرة والتنقّل بين جبال وصحاري.

في «طحطوح» أراد محمد والي أن يجيب على سؤال أساسي في رحلة النبش التي دامت دقائق حركتها تستدرج الصخب بصمت بين لحظات السرد هل تعالج نهاية الأزمات خدوش الذاكرة وكيف تُنهي ثقل الحنين الخاوي بين الملامح والأمكنة هل تعيد لحظات التلاحم مشاعر الاندماج والتعايش، يحاكي والي الروح بالذاكرة رغم البساطة التي تبدو للمتلقي وهو يُشاهد الفيلم بشكل بسيط ومألوف وطبيعي بلا تداخلات ولا مؤثرات وحدها الحركة والأصوات وحدها الكاميرا تعرف منافذ العمق بتفاصيلها الحسية جدا وكأن المشاهد يحتسي الشاي في الفضاء أو يحمل هو أيضاً حجارة ليرمّم معه المنازل، هذا السكون يحمل ضجة مسموعة من العمق وصوراً أخرى تسبق الصورة التي يقدّمها ويحرّك معها الكاميرا ليجاري حركة العم حسان.

إن الفيلم الوثائقي له قدرة على استنطاق ذاكرة من ذاكرة في محاورة داخلية تشبه الترحال أبعد في قراءة المنطق الحسي والادراك الذهني وهي رؤية استطاعها محمد والي بحرفيّة أسّست فضاء خاص بين الترميم فعلاً والترميم ذاكرة تقع الأحلام فينا أو تقع منا ولكنها تستمر كما طحطوح أيقونة لا تهدأ.

لم يكن المخرج محمد والي وهو يقدّم لنا الفيلم الوثائقي «طحطوح» مُخرجاً بقدر ما كان مُشاهداً أيضاً يسرد بدوره القصص ويقدّمها بصرياً في صور متناثرة ينتابه ما ينتاب طحطوح من حيرة وشجن وإصرار بين الكادر العام للملامح والوجوه وبين التفصيل الطبيعي للمكان الساحر بكل ما يحمل من وجع الخواء وعناد الحلم ورهبة الطبيعة وجمالها.

العمق العراقي الموغل في القدم هو أساس عالمي الفني الشخصي

حين تتحول الكتابة إلى ريشة ثانية

ستار كاووش لـ« المزمار »:

الغربة تمنح الفنان الفردية ليصنع عالمه الذاتي

المزمار عبد الكريم البليخ

هاجر ستار كاووش من العراق لكن حضارته وفنه لم يهجراه بل طبعاً تجربته الفنية التي يكشف أسرارها ومميزاتها في هذا الحوار الذي جمعه مع "المزمار"، وفيه يفتح نوافذ على نظرته للفن والكتابة ومستقبل التشكيل في العراق، مؤكداً أهمية اطلاع الفنان على التجارب العالمية الرائدة ليتعلم منها كيف يصنع تجربته المميزة.

في رحلة بين تفاصيل الفن وأصداء التاريخ، يحضر الفنان التشكيلي العراقي ستار كاووش كصوت عالمي يحمل في طياته جماليات الماضي وروح الحاضر. من لوحات برويغل في متحف فيينا إلى تماثيل لاكومب في قصر الفنون بليل، ومن بوابة عشتار إلى أزقة التاريخ الفلامنكي، يرسم كاووش خريطة شخصية تشبه لوحاته؛ نابضة بالألوان، التفاصيل، والحكايات. في هذا الحوار، نقترب من عالم كاووش؛ نستكشف رؤيته الفنية، ارتباطه بالجذور، وشغفه بالجمال الذي يجمع الإنسانية عبر الأزمنة والثقافات.

من مرسمه في هولندا حيث يقيم، التقيناه وسألناه عن سرّ هذا الالهام الذي يحيط به في الولوج إلى عالم الفن التشكيلي، ليجيب:

«أعتقد أن واحدة من أهم لحظات حياتي، كانت حين تعرفتُ في صباي على مجلة سمير المصرية التي كانت تصل أعدادها الى العراق، فالقصص المصورة الساحرة والرسومات التي كانت تنشرها كانت بمثابة النافذة السحرية التي غيرت حياتي في ذلك الوقت. في تلك الأيام البعيدة لا شيء يوازي الخيال الذي منحته لي تلك المجلة التي كنت أعتبرها أعظم كنزاً أحصل عليه، انها المنارة التي هدتني الى عالم الرسم».

وعن انعكاس الثقافة العراقية ومدى تأثيرها في اسلوبه الفني. يضيف: «الأسلوب الفني هو مزيج من تفاصيل ومراحل وتأثيرات متعددة. هو ثقافة الفنان وكل مرجعياته، بل هو روح العمل الفني الذي يقدمه الفنان، وإذا كان الكثير من مشاهير فناني العالم قد تأثروا بالفن العراقي القديم وإستلهموا جمالياته، فأنا أيضاً إستلهمتُ طاقته الروحية بطريقة تناسب رؤيتي الفنية وتقنياتي. العمق العراقي الموغل بالقدم هو أساسي الذي إنطلقتُ منه لتأسيس عالمي الشخصي، وهذا لا يعني أن أعيد نفس الأشكال والملامح والهيئات وأحاكيها حرفياً، بل أجعلها الأساس الذي أنطلق منه. ويمكن لمتتبع لوحاتي أن يتحسس بشكل أو آخر تأثيرات عوالم بغداد ومناخات ألف ليلة وليلة، لكن بطريقة حديثة».

وعن أثر الهجرة أو الغربة على مساره الفني وكيف تغلب على التحديات التي واجهته؟ يقول الفنان العراقي إن «الفن بشكلهِ العام شيئاً فردياً عليك أن تقوم

الفنان يكشف عن أسرار تجربته وسر لوحاته التي تعيش في عوالمها الخاصة

به بنفسك، والغربة تمنحك هذه الفردية العالية التي تحتاجها لتنطلق للأمام، وهنا عليك أن تهضم المناخ الجديد الذي وضعت قدمك فيه وتستثمر كل معطياته. التحديات بشكلها الواسع موجودة في كل مكان وزمان، لكن مع ذلك فالطريق مفروش دائماً بالزهور لو أردنا ذلك، وهذا يأتي بالعمل والتفاني وإيجاد الحلول والإنسجام مع العالم الجديد وعدم التوقف عن المحاولة، وبالتأكيد أنت بحاجة لبعض الحظ والفطنة والإمساك بالفرص المناسبة».

ويشرح كاووش أهم الخصائص التي تتميّز بها أعماله عن غيره من الفنانين التشكيليين بالقول «بعيداً عن الأسلوب والتقنية وروح التفاؤل في أعمالي، أرى أن هناك الجانب الروحي أو الطابع الشخصي الذي ينبثق من لوحاتي، هناك لمسة ما، تجدها وتتعرف عليها في كل أعمالي. فحين أرسم لوحة لرجل وامرأة في حالة خاصة، أو أرسم بورتريه، أو منظراً للطبيعة أو حتى مشهداً للمدينة، فأنت ترى أن كل هذه التنويعات أرسمها بطريقتي الشخصية وطابعي الخاص. الإبداع هو أن لا تعيش قرب لوحاتك، بل تعيش فيها وتجعلها تتنفس ذات الهواء الذي تستنشقه وأنت تدخل باب المرسم».

كل عمل تعلم جديد

وبالعودة إلى ما دفعه إلى الكتابة عن زياراته إلى المتاحف الأوروبية، ورؤيته للعلاقة بين الكتابة والفن التشكيلي، يقول التشكيلي العراقي «أعيش في أوروبا من أكثر من ثلاثين عاماً، وزيارة المتاحف هي إحدى الممارسات التي لا يمكنني التوقف عنها، فهؤلاء الفنانين الكبار يمنحونني الطاقة للمضي في هذا الطريق الملون والجميل والصعب أيضاً. في الفنون والابداعات عليك أن تَطّلِعَ على إنجازات الآخرين لتعرف أين تضع قدمك، أن تنظر الى أعمالهم بإعجاب كي تضيء طريقك بشكل جيد، عليك ألا تتوقف عن فتح النوافذ التي تطل على أعمال الأساتذة الذي أمسكوا الفانوس وساروا أمامنا ليضيئوا لنا الدرب».

اللوحة لا تحل المشاكل لكنها تُشير إليها وهي الطريق إلى الجمال والتأمل

الكتابة هي الرئة التي يتنفس بها حين يغفو باليت مزج الألوان

ويضيف «بالنسبة للكتابة، أتذكرُ أول أيامي في هولندا، حين تعرفت على أحد الهولنديين وسألته عن المجلات الفنية التي تصدر في البلد، فكتب لي على قصاصة صغيرة أسماء مجلات مثل تابلو وأتيليه وباليت، عندها لم أستطع شراء الأعداد الجديدة لأنها غالية الثمن، فصرتُ أقتني الأعداد القديمة من مجلة أتيليه، وأتطلع فقط الى اللوحات المنشورة لأني لم أكن أجيد اللغة الهولندية، والآن أنا أكتب عموداً ثابتاً في مجلة أتيليه ذاتها وباللغة الهولندية. عليك أن تضع أهدافاً لحياتك أو مسيرتك، وتمضي لتحقيقها. الكتابة والقراءة شيئاً أساسياً بالنسبة للفنان، وتَعَلُّمَ لغة أي بلد هو المفتاح الذي تدخل من خلاله الى ثقافة وحياة هذا البلد وحياته».

ويتابع حديثه عن أكثر اللحظات أو القطع الفنية التي أثّرتْ فيه كفنان خلال زياراته إلى المتاحف، فيقول «أمام كل عمل فني جميل أقف مندهشاً لأتعلم

يحاول تصوير الأشياء والتفاصيل الصغيرة .. واللجوء إلى الرسم بالكلمات بدلاً من الألوان

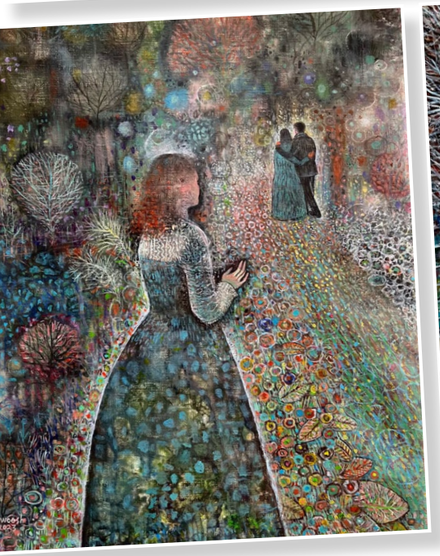

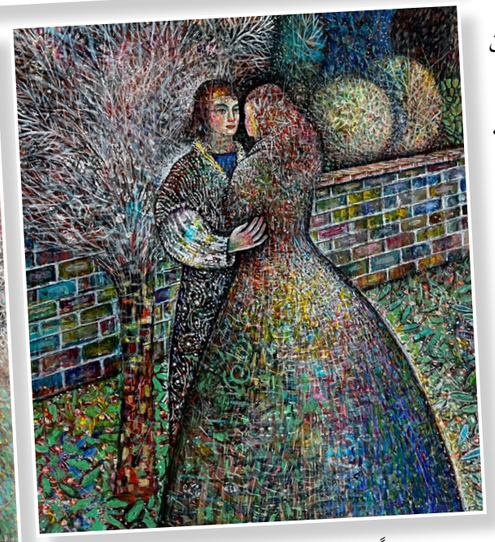

شيئاً جديداً عن الابداع، وأتأمل سرّ هذا الجمال والعبقرية التي تقف وراء الأعمال الفنية. أول كتاب فني اشتريته في صباي كان حول أعمال ريمبرانت، كنتُ أتصفح الكتاب منبهراً بلوحته (الحراسة الليلية)، وبعد سنوات طويلة حين وصلتُ الى هولندا ذهبتُ الى متحف رايكس مباشرة، لأجد نفسي وجهاً لوجه أمام هذه اللوحة العظيمة بحجمها الطاغي وتقنيتها الفريدة، عندها تساءلت: ماذا فعلتُ في حياتي كي أحصل على مثل هذه اللحظة الاستثنائية؟ كانت لحظة لا تُنسى، والمفارقة أن التلفزيون الهولندي استضافني بعد فترة حيث وضعوا واحدة من لوحاتي مؤقتاً في الصالة المخصصة لريمبرانت وقريباً من الحراسة الليلية. أتذكر أيضاً حين هممتُ بالدخول الى متحف تاريخ الفن في مدينة فيينا، وانتبهتُ الى أن بطاقة دخول المتحف قد طُبع عليها عمل عراقي قديم من الفترة البابلية يمثل أسداً مزججاً من بوابة عشتار، وكانت هذه من أشد لحظاتي سعادة، حيث اختار المتحف هذا العمل العراقي من بين آلاف القطع الفنية التي يملكها، ليضعه على تذكرة الدخول».

وإذا انتقلنا إلى ما تتصف به مقالاته بلغة أدبية راقية ومشاعر متدفقة، وكيف يمزج بين الفنان التشكيلي والأديب في داخله، يقول كاووش «الكتابة بالنسبة لي هي الرئة الأخرى التي أتنفس بها حين يغفو باليت مزج الألوان، وأحاول دائماً أن أصور الأشياء والتفاصيل الصغيرة بعين الرسام الذي بداخلي، أي أرسم بالكلمات بدلاً من الألوان. أحاول الكتابة بطريقة سهلة وبسيطة دون حشو أو كلمات زائدة، وربما يعود ذلك الى العمود الذي أكتبه منذ أثني عشرة سنة في جريدة المدى. أرسم كل يوم وأكتب كل يوم، ولا أتوقف عن ذلك حتي عند ركوب القطار أو السفر حيث أدون الملاحظات الصغيرة، وأنفّذ التخطيطات السريعة».

الفن يشذب الروح

عن إعادة صياغة التجارب الجمالية التي يعيشها في المتاحف عبر لوحاتك الفنية، «أولاً أحاول أن لا أنجرف نحو انطباعي الأول أمام الأعمال الفنية، وأجرب الدخول إليها شيئاً فشيئاً، أُحَمِّل نفسي عناء الانتظار أمامها، لأفهم سر الخطوط وتناغمات الألوان وتوازن المساحات، وقبل كل هذا أتأمل التكوين، الذي هو أساس بناء العمل الفني، بعد ذلك أحاول الانتباه الى مسحة الغموض والرمزية التي تُخفيها بعض الأعمال الفنية. العمل الفني الجميل يشبه الشمس التي لا يوجد تفسيراً واضحاً لجمالها، هو مثل حقل مليء بالزهور التي يمكنك أن تشم عطرها، لكنك لا تعرف كيف انبثقت بكل هذا الجمال والثقة! بالنسبة إلي، مع كل لوحة جديدة أرسمها عليَّ أن أستعمل الكثير من المعالجات

والتقنيات لأصل الى النتيجة التي أريدها، فلا شيء يأتي عفو الخاطر، فأنت لا يكفيك أن تُحب امرأة جميلة لتكون عاشقاً، بل عليك أن تستعمل كل حيلك الجمالية لتدخل قلبها أولاً».

وكشف لنا الفنان العراقي في حواره مع «العرب» عن القيم الإنسانية التي يسعى للتعبير عنها من خلال أعماله، بالقول «إن كانت هناك ثمة رسالة للفن فهي رسالة جمالية بالأساس. فالفن يشذب الروح ويقوي العاطفة ويجعل حساسيتنا يقظة ازاء الأشكال والألوان وعلاقة

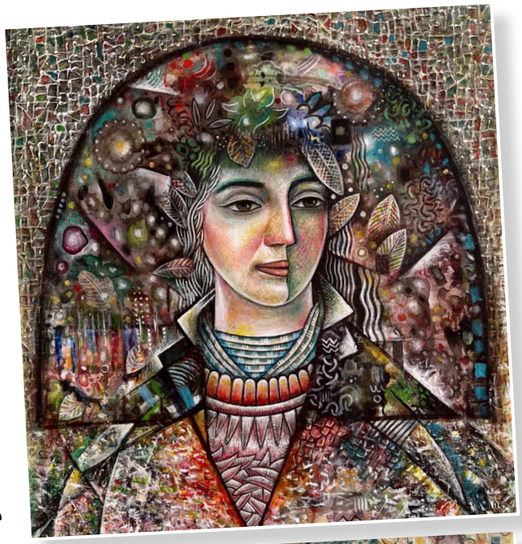

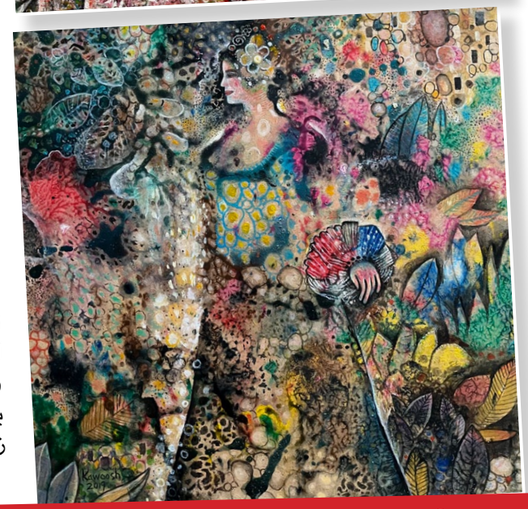

بعضها بالبعض الآخر، وهو فوق كل ذلك معادل جمالي لصوت المدافع وعنف الحروب وقمع الانسان. اللوحة لا يمكنها في الغالب أن تحل المشاكل الموجودة في العالم، لكنها يمكن أن تُشير اليها، العمل الفني يشبه فتاة صغيرة لا يمكنها الوقوف بوجه صوت المدافع، لكنها تنام وتلعب وتحلم أجمل من كل مشعلي الحروب. أما بالنسبة إلى لوحاتي فأنا أحاول أن أمنح المتعة للمتلقي، أن يجد هذا الانسجام بين درجات اللون وتقاطعات الخطوط، نحن كلنا نحتاج الى الانغماس ببعض المسَرَّة ونحن نتأمل عملاً فنياً، كما لو أن طير السعد يُحَلِّقَ فوق رؤوسنا. وهذا ما أحاول أن أعكسه على سطوح لوحاتي».

ويرى الفنان التشكيلي ستار كاووش أن «الفن هو المفتاح الذي يجعلنا نتعرف على الآخر بشكل جيد ومناسب، فمن خلال الرسم والنحت والعمارة والموسيقى وغيرها من الفنون، ندخل الى روح مجتمعات هي بعيدة عنا أو تبدو كذلك. والفن التشكيلي بشكل خاص لا يحتاج الى ترجمة لمعرفة ماهيته وقوة تأثيره، فالأشكال والألوان والتركيبات هي التي تقول كلمتها الجمالية في النهاية. نحن عرفنا أزياء وبنايات وتفاصيل الحياة وكل أدوات عصر النهضة مثلاً من خلال لوحات الفنانين في ذلك الوقت. من جانب آخر، أن الكثير من فناني أوروبا قد زاروا الشرق وأنتجوا أعمالاً فنية مذهلة ومشرقة وبموضوعات جديدة جعلتهم ينظرون الى التفاصيل من زوايا مختلفة، وقد نقلوا كل ذلك الى أوروبا».

يعيش داخل لوحاته ويبوح بشغفه الفني ورؤيته الفريدة

ويضيف «الفن كان وما يزال الباب الحقيقي الذي يجب أن نفتحه لرؤية الآخر بشكل أفضل. وبالنسبة إلي ليس اعتباطاً أن أحد معارضي الأخيرة التي أقمتها في هولندا أسميته (بغداد في الشمال) والذي مزجتُ فيه عوالم بغداد الشرقية مع مناخات هولندا الغربية، وبذلك أصبحت لوحاتي مثل فطوري الصباحي حيث أضع الجبنة الهولندية وسط الخبز العراقي وأتناولهما معاً كشطيرة».

في هذا السياق سألناه: كيف تُسهم أعمالك الفنية في إبراز الحضارة العراقية القديمة وارتباطها بالفن المعاصر؟ فأجاب «كفنان، عليَّ استلهام حضارتي القديمة واستنباط معالم الجمال فيها، معرفة مكامن السحر والقوة التي تكتنفها، ثم المضي في طريقي محملاً بهذا الأرث، كي أجد لي موطئ قدم في هذا العالم. لا يمكن أن أنظر للحضارة العراقية بشكلها المباشر ولا يجب أن أحاكيها حرفياً، بل أستند عليها كجدار عند حاجتي إلى الوقوف. وبالنسبة إلى ارتباط ذلك بالفن المعاصر، يمكنك ان تشاهد المنحوتات الآشورية وكيف تجاوزت الزمن وأصبحت مُلهمة في كل العصور. هناك قوة في تلك المنحوتات لا يمكن إهمالها وهي مزيج من السحر والقوة والفتة والغموض. انها الجمال الذي يضيء الروح والعقل والقلب. هي اختصار للجمال».

أما عن تطلعاته لمستقبل الفن التشكيلي العراقي والنصائح التي يمكن أن يوجهها إلى جيل الفنانين الشباب، فيقول كاووش «توجد في العراق مواهب بشكل لافت وكبير، لكن هل يكفي هذا لصنع مستقبل مهم للفن التشكيلي؟ المواهب وحدها لا تكفي لأنها موجودة في كل مدينة وقرية في العالم. والمهم كيف تتطور هذه المواهب وتمضي للأمام. فعلينا أن نسقيها مثل الزهور، أن نضعها في المكان المناسب لتنمو ولا تموت. الموهبة مثل قطعة القماش التي يمكننا أن نُخيط منها أشكالاً مختلفة من الملابس، فمنهم من يجعلها فستاناً للزفاف، فيما يصنع منها الآخر كفناً.

وبالنسبة إلى شباب الفنانين، ما يحتاجه الفنان هو العمل والمحاولات التي لا يجب أن تتوقف، هو ما يحتاجه الفنان، على الفنان الشاب أن يصنع أشكاله الخاصة وعوالمه الفردية، والسعي لإنجاز لوحة أخاذة تجذب المشاهد وتدخله في عالمها».

عن قدرة أن الفن على مواجهة التحديات وكيف يمكن للفنان أن يكون جزءاً من التغيير؟ يقول كاووش إن «الفن بشكل عام لا يستطيع مواجهة التحديات التي تحدث في الحياة والمجتمع، وهناك استثناءات طبعاً منها ما قام به التعبيريون الألمان حين تصدوا – في السر غالباً – للنازية، ليطلق النازيون وقتها على أعمالهم تسمية (الفن المنحط) ومنعوا عرض أعمالهم ووضعوا بعضهم تحت الحراسة ومنعوهم من الرسم.

وضمن هذه الاستثناءات توجد في تاريخ الفن أعمالاً عظيمة، لكن هذه الأعمال جاءت بدعم من مؤسسات منظمات أو حتى متاحف أو دول. فحتى يكون لديك نصب برونزي مؤثر مثلاً، فيجب أن تدعمه الدولة وتضعه في إحدى الساحات، كذلك إن كانت هناك فكرة لجدارية كبيرة من الموزييك مثلا. وهكذا. وبرأيي الشخصي حين يتفانى الفنان في عمله، فهو يكون بشكلٍ أو آخر جزءاً من التطور، فالفنان عموماً لا يسعى الى التأثير في تاريخ العالم، بل في تاريخ الفن، وهذا الجانب مهم ويُشكل خرزة ثمينة في قلادة التطور العام».

مشاريع مستقبلية

يكشف الفنان لـ «المزمار» مشاريعه الفنية والكتابية الجديدة، حيث يقول «أنجزتُ في الفترة الماضية خمسين لوحة بأحجام صغيرة رسمتُ فيها نساء في لحظات خاصة ومحاطات بمناخات من الطبيعة الموجودة في الشمال الهولندي بكل تنوعاتها وألوانها، والطبيعة هنا تعلب دوراً أساسياً كما هي الشخصيات المرسومة، وسأعرض المجموعة في معرض شخصي. أما بالنسبة إلى الكتابة، فإضافة الى العمود الذي أكتبه في جريدة المدى، والعمود الذي أكتبه باللغة الهولندية في مجلة أتيليه، انتهيت من كتاب باللغة الهولندية أتحدث فيه عن الثقافة والتقاليد والحياة الهولندية، كذلك سيصدر لي في بغداد في الأيام القادمة كتاب (الطريق الى الجمال) الذي تحدثتُ فيه عن أجمل مائة لوحة شاهدتها في متاحف العالم. كذلك كتاب (رجل على كتفه طائر) الذي تناولتُ فيه مشاهداتي الهولندية».

ويتابع «بالنسبة إلى الرسم فقد صدرت خمسة كتب عن لوحاتي، لكن لدي رغبة جامحة في أن أختصر الكثير من تجاربي في الرسم بإنجاز جدارية كبيرة من الموزاييك، تُوضع في أحد شوارع بغداد أو أية مدينة عربية. وبالنسبة إلى الكتابة فمتعتي الحقيقية هي أثناء عملية الكتابة ذاتها، ولا يهم ان كانت مقالاً أو إشراقة صغيرة، أو كتاباً مليئاً بالنصوص القصيرة، حيث يمكنك أن تفتحه من أية صفحة وتقرأ. أنا حقاً أحب النصوص القصيرة المقتضبة والبسيطة التي تمضي نحو هدفها دون حذلقة أو تزويق».

المرأة والطبيعة في قلب لوحاته تتحدث عن مشروعه الجديد

نزار قباني

■ اللوحة للفنان خالد جلل

الكتابة عمل انقلابي

نزار قباني

الطبعة الأولى 1975
منشورات نزار قباني - بيروت

مجموعات مقالات سبق أن نشرت في مجلة «الأسبوع العربي» للشاعر الراحل نزار قباني، خلال أعوام 1973، 1974، 1975

الشاعر وصورته

-4-

يشغل بالي كثيراً هذا الانفصام الحاد الواقع بين بعض شعرائنا وشعرهم، بين سلوكهم على الورق وسلوكهم في الحياة، وبين حقيقتهم الشعرية وحقيقتهم البشرية.

إنّ التطابق بين الكاتب شيء في منتهى الأهمية. إذ لا يمكن للشاعر أن يكون حمامة في الليل، وذئباً في النهار، لا يستطيع أن يلعب دور «الدكتور جيكل» على دفاتره، ودور «المستر هايد» في علاقاته العامة.

وأنا لا أفهم كيف يمكن لشاعر أن يتحدّث عن المثل الأعلى ولا يُطبقه، وأن يتغنّى بالجمال ونفسه مسكونة بالبشاعة، وأن يكتب عن الطهارة ولسانه غارقٍ في الوحل!

لا يمكن أبداً أن يكون للكلمة وجهان؛ وجه باطني، ووجه مكشوف. ولا يمكن أن يلبس الشاعر بذلتين: واحدة للشغل، وواحدة للحفلات العامة... والمناسبات.

وحين يعجز الشاعر عن إقامة التوازن بين فنّه وموقفه من العالم، فإن عليه أن ينسحب من الشعر فوراً. وهذا ما فعله الشاعر الفرنسي رامبو حين وجد أن تجارة الرقيق التي امتهنها تتنافى مع خلقيّة الشعر، فتوقف نهائياً عن الكتابة.

إن صورة الشاعر المطبوعة في مخيلة الناس، هي صورة خرافية لإنسان يمتلك طاقة غير محدّدة على الحب... ويمتلك قلباً يتسع لعشق العالم كله.

وفي الميثولوجيا اليونانية كان الشعراء يتعايشون، ويسكنون معاً في أعالي جبل «الأولمب»، ويتمتعون بكل امتيازات الآلهة.

إن للشعر مناقبيته كما يكون للسفراء مناقبيتهم، ولرجال الدين مناقبيتهم، ولأساتذة الجامعات مناقبيتهم. والشاعر الذي يخرج على العرف الشعري العام، يكون حاله كحال رجل الدين الذي يرتاد إحدى «الكباريهات» المشبوهة بعد إلقاء موعظته.

إنني أقرأ بحزن عظيم أخبار هذه الوليمة الهمجية التي يسلق فيه الشعراء بعضهم بعضاً في قدور نحاسية كبيرة على طريقة قبائل الماو ماو!

من المستفيد من هذه الحرب غير المقدسة التي يسيل فيها دم الشعراء ودم الشعر معاً؟

ولماذا يُطبّق بعض الشعراء طريقة رجال المخابرات في «تصفية» زملائهم حتى يظلوا محتفظين بالسلطة؟

ولكن سلطة الشعر لا يمكن اغتصابها بانقلاب أصفر يخطط له ثلاثة شعراء جالسين في مقهى؟!

إن سلطة الشعر ليست طارئة أو زمنية تعطى بمرسوم، وتلغى بمرسوم، ولكنها سلطة يقررها استفتاء عام يدلي بها جميع قراء الشعر بأصواتهم وفق الأصول الديمقراطية.

ثم إن سلطة الشعر هي سلطة غير مرئية، بمعنى أنها متغلغلة في وجدان الناس، وذاكرتهم، وعقلهم الباطن الباطن، وجذورهم الممتدة في الزمن والتاريخ، ولذلك فإن الانقضاض على سلطة شاعر بواسطة مصفحة، أو كتيبة «كومندوس»، أو طائرة «ميغ» هو عمل انتحاري ميؤوس منه.

والشاعر الذي يعتقد أنه قادر على الإطاحة برؤوس جميع من يعاصرونه من الشعراء، يقدم الدليل على أن رأسه غير ثابت في مكانه، وأن صراخه العصبي ليس سوى شكل من أشكال الدفاع عن النفس.

وبعد... فإن العمل الشعري هو من أعمال الطهارة. وعلى الذين يكرهون الاستحمام كل يوم، ويرفضون ارتداء الملابس النظيفة كل يوم، أن يعودوا إلى الغابة.

1973/8/6

تهديد العجيلي بالقتل

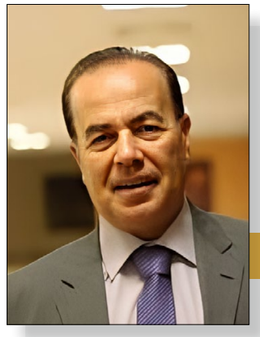

خطيب بدلة

بعد الإفطار بأقل من ساعة واحدة، يبدأ بعض زبائن المقهى بالقدوم إليه، ولا سيما مدخنو الأركيلة (الشيشة)، لأن تجهيز الأركيلة في البيت ليس سهلاً، وأما هنا فثمة رجل مختص بالأراكيل، يقدم لك الأركيلة، وكلما تضعفت يجدد لك النارة.

وكنت أنا آتي باكراً، لكي أجالس صديقي الرائع أبو عناد، وأستمع إلى حكاياته، وبالأخص الحكاية التي بدأها عن أبو سمير الترمزاوي، الرجل الذي جاء يسكن في مدينة إدلب اضطراراً، بعدما هددوه بالقتل، ثأراً لجريمة ارتكبها ابن عمّه في قرية الردادة. أوجز «أبو عناد» القصة بجملة لو كتبناها لما تجاوزت السطرين. قال إن أسرة أبو سمير، في القرية، تشاجرت مع أسرة «أبو صدفة»، وأثناء ذلك قُتل «علي أبو صدفة»، فقررت أسرتُه الانتقام من آل الترمزاوي بقتل أبو سمير، على مبدأ: رأس برأس!

قلت: تفاصيل قصتك، يا أبو عناد، جميلة جداً، وأحلى ما فيها أن أبو سمير لم يشارك في المشاجرة، ولم يكن على علم بها أصلاً، لأنه كان في حلب يشتري راديو. ولكن اعذرني إذا قلت لك إن فكرتها ليست جديدة، ففي بلادنا، مع الأسف، يتم تحميل ذنب شخص ما، أو جريمته، لشخص آخر، بكل بساطة، على طريقة جحا الذي هرب حمارُه الداشر، فراح يضرب حماره المربوط. باختصار؟ الإنسان في بلادنا لا قيمة له. وقبل أن أنسى.. دُعينا، ذات يوم من سنة 1998، للاستماع إلى محاضرة في المركز الثقافي بمدينة سراقب، يلقيها الأديب الكبير الراحل عبد السلام العجيلي. لَبَّيْنَا الدعوة بالطبع، وسُعدنا بالأحاديث الشيقة التي رواها هذا الأديب المخضرم، الرائع.. بعد انتهاء المحاضرة، وفي الفترة التي خُصصت للحوار، طلب منه أحد الحاضرين أن يخبرنا بأية حادثة طريفة حصلت له، فقال عبد السلام:

– في بدايات عملي كطبيب، كنت في عيادتي بمدينة الرّقة، مساءً، أعاين أحد مرضاي، وفجأة، حدثت جلبة في قاعة الانتظار، فتحت الباب فوجدت بعض الرجال يحملون جريحاً، وطلبوا مني أن أسعفه. اعتذرتُ للمريض الذي كنت أعاينه، وأدخلت الجريح إلى الغرفة. كنت أريد منع مرافقيه من الدخول معه، ولكنهم أصرّوا على الدخول، وفي هذه الحالة لا تستطيع قوة على وجه الأرض منعهم، فعيونهم كانت محمرة، وواضح أن الحديدة، كما يقول المثل، حامية. كان الرجل مصاباً بطلق ناري، وأنا طبيب عام، لست

مختصاً بالجراحة.. ولكن، لم يكن في الرّقة آنذاك أي طبيب آخر يمكنني أن أحولهم عليه. المهم؛ بدأت فوراً بالإجراءات الجراحية اللازمة لإخراج الرصاصة من الجسم، التي كنا قد أخذنا عليها دروساً في كلية الطب.. ولكم أن تتخيلوا، أيها السادة، كم كنت مشدوداً، ومتوتراً، وحريصاً على النجاح بمهمتي، ولكن الجريح الذي لم يكن غائباً تماماً عن الوعي، أتحفني بجملة كان من شأنها أن تجعل أعصابي تنهار، وتُسقط الأدوات من يدي. قال لي وهو يتألم:

– يا عبد السلام (لم يسبق اسمي بلقب دكتور)، أنا من العشيرة الفلانية، والشخص الذي قوصني فلان الفلاني، من عشيرتكم، يعني ابن عمك، وأنا أوصيت أولاد عمي هؤلاء، إذا متُّ، أن يأخذوا الثأر من أحسن واحد في عشيرتكم. وهو أنت!

انتهت الحكاية. ومن الغريب أن أحد الحاضرين في المركز الثقافي بسراقب، سأله:

– دكتور، هل نجحت العملية ونجا الرجل من الموت؟

فضحك عبد السلام وقال:

– سؤالك غريب. لو لم ينجُ الرجل، هل كنت تراني بينكم الآن؟

عندما وصلت بحديثي إلى هنا، مد أبو عناد يده نحو نادل المقهى، وقال له:

– هات لنا كاسين شاي، اليوم أخونا أبو مرداس نفسه مفتوحة على الحكي.

قلت للنادل: لا تنس يا أبو مريد أن تسجل قيمة المشروبات كلها علي، لأن دور أبو عناد، بحسب توزيع الأدوار بيننا، هو الطلب والشرب، وأنا دوري الدفع!

وقلت لأبو عناد: أنت تعلم أن الزواج، في بعض المناطق السورية التي تسكنها العشائر، باهظ التكاليف، والمهر لا يُستخدم لشراء ذهب ومفروشات وألبسة للعروس، بل يسلمه العريس لوالد العروس، أو شقيقها، باليد (شندي). فكانوا يقولون، إذا كانت الفتاة جميلة جداً: مهرُها يساوي ملء حضن أبيها مَيَايا. ويقصدون بالمَيَايا قطعَ النقود من فئة مية ليرة سورية. وكانت المية ليرة، في تلك الأيام، تشتري 25 غرام ذهب. وكان الشبان، في تلك المناطق، يعانون من هذه العادة الكئيبة، أقصد غلاء المهور، فاهتدوا إلى مبدأ خطير جداً، لكي يوفروا دفع المَيَايا، اسمه المقايضة. وبما أن السلعة التي تجري عليها المقايضة امرأة، فقد كانوا يقولون: فلان وفلان تزوجا، كل واحد منهما أخذ أخت الآخر (رأس برأس). ويقولون عن شَعْر المرأة الطويل، الكثيف، «كشّة»، لذا كانوا يطلقون على المقايضة، في بعض الأحيان، اصطلاح: كِشَة بكِشّة.

وعلى كَل حال، أنا لا أريد أن يتحول حديثُنا الرمضاني هذا إلى باب انتقاد العادات والتقاليد، ولكن، من باب الطرافة المؤلمة، أقول لك إنَّ زواج المقايضة لم يكن يقتصر على شابين وصبيتين، فأحياناً يقايض الأب على ابنته، يتزوج مقابلها شابة يضيفها إلى نسائه الأخريات.. والأمر الأشد خطورة أن المعاملة بين الزوجين لا تكون على أساس المحبة والمودة والرحمة، بل على مبدأ (المعاملة بالمثل)، لذلك فإن إحدى المرأتين اللتين زُوِّجَتَا بالمقايضة، تكون جالسة مع زوجها وأولادها، بأمان الرحمن، وإذا بزوجها يقول لها:

– قومي، ضبّي بقجتك وانقلعي على دار أهلك!

– ليش؟

– لأن أخاك الذي تزوج أختي ضربها وطردها من داره.

ـ وأنا أيش ذنبي؟ وأنت أيش ذنبك؟

ولكن لا جواب، فالكل يعرف أن هذه العادات مجحفة، ولا أحد يفكر بالتخلي عنها.

قال أبو عناد:

– لم تصدقني عندما قلت لك إني لو كنت كاتباً لتفوقتُ عليكم، يا كتاب القصة في إدلب جميعاً. أنا عندما أروي قصة ألاحق الأحداث بخطوطها العريضة، وتفاصيلها الجميلة، وأترك للقارئ أن يأخذ منها العبر، أو يكتفي بالاستمتاع بها دون عبر، وأما أنتم الكتاب فتصرون على التباكي، والتظلم، والكلام عن الظلم والإجحاف، ولولا الحياء لذرفتم دموعاً مدرارة على الفتاة المسكينة التي ظُلِمَتْ بزواج المقايضة.

– طيب سؤال. لو كنت مكاني كيف ترويها؟

– أنا لا أتبنى الحكايات التي يرويها غيري. فأنا، كما تعلم، فقير جداً بالمال، ومديون من يوم وفاة والدي حتى هذه اللحظة التاريخية، ولكن في مجال الحكايات أنا معلم، وغني إلى درجة أنني أستطيع أن أوزع حكاياتي على الفقراء والمعوزين! وعلى كل حال، دعنا نبل ريقنا بالشاي، وأحكي لك حكاية أخرى.

الخِلُّ الوفيّ

عبد الحميد الخلف الإبراهيم

رأيتُها أوّلَ مرّةٍ في صباح يومٍ من أيّام الرّبيع، وهي في خريف العمر، تزحف نحو الثّمانين في أوائل الثّمانينيّات من القرن العشرين، لكنّي كنت أعرفها، قبل ذلك، من حديث جدّتي وأمّي وخالتي ...

كانت ممرضةً تعمل في المركز الصحّي الذي كان مبنيّاً من الطّين في القسم الشّماليّ من القرية قبل ولادتي، وربّما قامت بعمل الأطباء في عصر خلا أو كاد من الأطبّاء.

عندما رأيتُها كانت تدبّ دون عصا تسحب قدميها سحباً على رصيف الشّارع المحاذي للمجمّع الحكومي في الرّقة باتّجاه الكنيسة، فشقّتُها كانت في المساكن التي تقبع إلى الشّمال من المجمّع الحكوميّ في الرّقّة.

قال لي قريبي الموظف في ديوان المحافظة: هذه هي الميليا.

وتذكرتُ أقاصيصها ...

واستوقفْناها للسّلام عليها، ثمّ تابعَتْ سَيْرَها ببطء شديد.. لم نكن أسرع منها كثيراً، فقريبي حسين الأعرج الشّيخ الموظّف في المجمّع الحكوميّ كان أعرج! ولعلها عالجتْهُ بنفسها في طفولته بحُقَن البنسلين التي كانت دواءَ كلّ داء في النّصف الأوّل من القرن العشرين.

كان حسين قد شفي من مَرض طفولته ذاك، وظلّ أعرج عَرَجاً شديداً، وكان مرضُه سبباً في تعلّم أمّه مهنة التّمريض فكانت تقوم بإعطاء الحقن البنسلينيّة لمرضى العائلة كما علّمتها الميليا.

في طفولتي كنْتُ أعاني من الرّمد الرّبيعي الذي كان يزورني كلّ ربيع أسبوعاً أو أسبوعين، فأستيقظ من نومي مغمضَ العينين، حتى تقوم أمّي بفتح أجفاني المتلاصقة وغسلها.

عالجتني خالتي والدة حسين حينها وأنا في الثانيةَ عشرةَ من عُمُري بطحين البنسلين، ذرَّتْهُ في عَيْنيَّ مباشرةً، وما زلت أتذكر الألم الذي أحرقَ عينيّ، وكدت أقفز من هوله إلى السّقف، لولا أنّ أمّي كانت تمسكني بإحكام.

قال لي أحد الأطباء فيما بعد: احمد الله أنّك لم تفقد بصرَك بتأثير ذرّ البنسلين في عينيك! فحمدت الله على سلامة عينيَّ، وعلى تخلّص عينيّ من الرّمد الرّبيعيّ الذي لم يَعُدْ إليهما بعد البنسلين.

من أقاصيص الميليا، التي لا أعرف من أيّ مدينة هي في الأصل، ولا كيف سُمّيت الميليا، أكان ذلك اسمَها أم لقبَها؟ أنّها كانت تسكن في المركز الصّحيّ في القرية عَزْباء، وكان يعمل معها في المركز زميل لها عَزَبٌ من دير الزور يُكنّى أبا صادق، كان يطلب يدَها للزواج بالرّغم من اختلاف الدّين، فهي مسيحيّة! ولم تكن تقبل يدَه، وربّما اضطرت في بعض اللّيالي إلى الهرب خشية أبي صادق هذا، لتنام في بيت أخوالي مع أمّي، التي لم تكن أمّي في ذلك الحين، وكان المركز قريباً من بيت أخوالي الذين لم يكونوا أخوالي يوم ذاك.

تحوَّلَ المركزُ الصّحيّ في أيّام الوحدة، إلى مركز لمكافحة البلهارسيا، فانتقلت الميليا إلى الرّقّة، وقد رأيت في طفولتي مبنى المركز الصّحيّ الطّينيّ الصّغير قبل أن ينقرضَ، أو يتهدمَ، ثمّ يُلحقَ ببيت من بيوت الجيران في منتصف السّتّينيات.

ومن حديث الذّكريات المحزنة التي تقبع في ذاكرتي منقولةً أنّ أخي الأكبر خالد وقع عليه، كما عرفْتُ فيما بعد، برميلٌ ثقيلٌ في عبَثٍ من عبَث الصّبيان، قبل أكثر من نصف

قرن، وقد أُسْعِفَ إلى المركز الصّحيّ لكنّ أحداً لم يستطع، مع الأسف، أن يفعلَ له شيئاً، فقد مات، رحمه الله.

قال لي حسين يوماً في عصر يوم من أيام رمضان في أوائل الثّمانينيّات: تعالَ نَزُرْ الميليا، وذهبنا إليها.

رحّبَتْ بنا، وجلسنا تحت صورة رجل معلّقة على الحائط.

لم تكن الميليا تعرفُني، فسألَتْ حسيناً: من هذا الذي يرافقك يا حسين؟ فقال لها: إنه ابن المختار! ففرحت بي وسألتني: كيف حال أمّك يا بنيّ؟ وأضافت: كانت أمُّك صديقتي، ولم أرَها منذ زمن بعيد.

وسألتُها عن الصّورة المعلّقة فوقَنا: صورةُ من هذه؟ فقالت: إنّه زوجي أبو صادق رحمه الله!

كانت قد تزوّجت زميلها الدّيريّ المسلم أبا صادق، ولم يرزقْهما الله بصادق، ولكنّها ظلّت صادقةً، وفيّة له.

قالت لنا أمّ صادق: ستُفْطرون معي اليومَ فأنا صائمة مثلكم! وخرجنا، ثمّ عُدْنا عند غروب الشّمس، فتناولنا طعام الإفطار معها، وصليّت المغربَ في بيتها.

قالت لنا أمّ صادق: المستحيلات ثلاثةٌ الغولُ والعنقاءُ والخِلّ الوفيّ، لقد مات زوجي، ورحل كلّ أقاربي إلى نيويورك، وهأنذا الآن وحيدةٌ في آخر العمر، أبحث عن خلٍّ وفيّ!

فقال لها حسين: أنا الخلّ الوفيّ، على أن أرثَ بيتَكِ هذا عندما ترحلين بعد عمر طويل، فوافقت، وضحكنا.

في ذلك العام 1982 / 1983 تقدّمتُ وحسيناً لمسابقة تعيين المدرّسين بالرّقّة بعد حصولنا على الإجازة الجامعيّة، وأجرينا مقابلة القبول في ثانوية المأمون بحلب، وكان الشّاعر سليمان العيسى من بين الذين اختبروا قسم اللّغة العربيّة، وظهرت النتائج فكنّا مقبولَيْن وجرى تعييننا مدرّسَيْن، ففرحنا واتّفقنا أن نعملَ معاً في مدرسة القرية، لكنّ الخِلّ الوفيّ ابنَ خالتي حسيناً لم يفِ بوعده!

كان حسين قد تحدّى عاهته، فاستعاضَ عن رِجْله لدى انتقاله من القرية إلى المدينة بدراجة عاديّة (بَسكَليت)، ومارس هواياته، سجّل في دورة لتعليم العزف على العود في المركز الثّقافيّ، واقتنى عوداً يدندن عليه (آيــا زين آيــا زين أيــا زين العابدين) وكان إذا زار القرية يحملُ عوده معه فيدندن لأبيه، رحمهما الله، فيضحك أبوه قائلاً (عوزك جتل يا حسين! أيليق بنا نحن الغناء والعزف؟!) فيردّ ملاطفاً أباه (يابــا ابن حمولة وخاس، خيسي بزرة).

وكان حسين جميل الوجه، وجد في الجميلات من تحبّه بالرّغم من عَرَجه، وذات ليلة ذهب يقابل حبيبته، يتّكئ على الحائط بدرّاجته يطرق نافذة بيتها في (زابوقة) مظلمة تؤدي إلى البيت، فتفتح له النّافذة فيتحدّثان ما استطاعا، وتنبّهت أمّها إلى ما يجري، فخرجت من باب آخر وجاءته من خلفه، فأعطته درساً جميلاً على الوجه الجميل.

واستطاع يوماً بالرّغم من عرجه وضعْفه، إغلاقَ مدينة الرّقّة، بل إغلاق دير الزّور أيضاً، في فترة الصّراع الذي احتدم بين الإخوان والسّلطة في الثّمانينات! كتَبَ منشورات بحجم الكفّ يدعو إلى إغلاق المدينة، كتَبَها بيده، ونسخَها بأوراق الكربون، أراني ورقة منها فيما بعد، قائلاً إنّه وجدها في السّوق! فقلت له ضاحكاً: إنّه خطّك الذي أعرفه يا حسين! فضحك وقال لي: اسكت!

نثَرَ حسينُ الأوراق ليلاً وهو على درّاجته في سوق الهال وشارع تل أبيض وشارع القوّتلي، يدعو فيها التّجار إلى الإضراب، وإلّا فإنّهم سيتعرّضون لما لا يَرْضون، وقد سقَطَتْ منه بطاقته الشّخصيّة (هويّته) في سوق الهال، فعثر عليها أحد العاملين في السّوق، وأرسلها مع (البوسطة الحمرا) إلى بيت المختار في قرية حمّام التّركمان، فقُمت بإعادتها إليه في الرّقّة مع كلمات كتبتها له:

حافــظ على الهــويــة ... لأنّهــا شــخــصــيّة
لأنّــهــا في قُطْــرنا ... وثيــقــةُ ســرّيّــة
إنّ سرتَ يوماً دونــهــا ... فلســت مــن سوريّة
بل من بــــلاد فارس ... أو أنت من تركــيــّة
فإنْ سئمــت مــرَّة ... فَدونــك العــجــيّــة
اشــرب عليها (بطحة) ... وغنِّ يــا موليّــة

وقد أغلق التّجار محلّاتهم إلى منتصف النّهار، وفتحتْها الشّرطة عُنوة، ثمّ إنّ أهالي دير الزور سمعوا بذلك فقالوا: (الرّقّة الجايفة تسكر وإحنا فاتحين!!) فسكّروا يومين!

وبعد ذلك بعامين تلقّى العميد علي الدّربولي رئيس فرع الأمن السّياسيّ بالرّقة طلباً بإرسال حسين أعرج الشّيخ إلى فرع حلب، للتّحقيق معه في مزاعم الشّيوعيّين الرّقّيين المعتقلين من جماعة رياض التّرك بأنّه قام بضمّهم إلى ذلك القسم المنشقّ من الحزب الشّيوعيّ السّوريّ يوماً.

أصدرَ العميد أمراً مكتوباً بالقبض على حسين أعرج الشّيخ لإرساله إلى فرع حلب، وتلقى المساعد المكلّف بالتّنفيذ الأمر مغلقاً، فلمّا فتَحه، عاد إلى السّيّد العميد يسأله: هل أُحْضر حسين أعرج الشيخ نفسَه يا سيّدي؟

فردّ العميد: فوراً فوراً!

فتابع يسأله: هل أحضره من المقبرة يا سيّدي؟

فأردف العميد: ماذا تقول؟

فأجاب المساعدُ: لقد توفّي حسين أعرج الشّيخ منذ عامين!!

لقد رحل الخلّ الوفيّ قبل أن ترحل أمّ صادق!

توفّي في حادث سيْر على الطّريق العامّ بين الرّقّة وحمّام التّركمان، عند قرى خنيز، كان على دراجته النّاريّة التي اقتناها تاركاً البسكليت، وصار يسافر بها من الرّقّة إلى القرية.

وكانت نهايتُه في يوم من أيّام العجاج، عجاج خنيز.

رحم الله الميليا وخِلّها الوفي.

● شاعر وكاتب سوري

عن فرقة الرّقة.. وفنون الدبكة

المرمار

أخذت شهرة اسماعيل العجيلي، أو ما كان يعرف بـ «سميعو» تطفو على السطح، وتطغى في الرّقة، ولا سيما أنّه من عائلة معروفة ولها اسمها وشهرتها.. وجلّ وقته ينصبّ في البحث عن شباب بسمات وصفات معينة للانضمام إلى فرقة الرّقة للفنون الشعبية التي تأسست في عام 1969، على أن تكون بداية في أحياء فلكلور مدينة منسية من خلال الاعتماد على الشباب الصغار لعله يصل إلى هدفه.

ومن صفات مدرب الفرقة والباحث عن تراثها وأحيائها فقد كان حركاً جداً، أضف إلى أنه كان قصير القامة، وكأنه واحداً من الأكاديين، مجعد الشعر وصوته جهوري وكأنه صوت شحن يمر على سفح جبل.

تنقّل العجيلي من مدرسة إلى مدرسة باحثاً عن شباب بعمر الورود لعلهم يحققون مبتغاه في التمكين من العثور على ما يرضي أمنيته في إحداث فرقة فنية لها شأنها في الدبك والرقص، وبالفعل بدأ البحث عن الفتيان والفتيات في كل مكان، وبدأ أولى خطواته الجادة من المدارس، وحاول مراراً، واضعاً بين نصب عينيه في أنّه لا بد أن يقع اختياره على من يراه يتصف بالصفات التي رسمها في ذهنه، بالفعل كان يحاول باصطياد صيد ثمين لجهة إرضاء غروره وتطلعاته، والمسؤول أولاً علّها تسرّ خاطره.

بدأ البحث في مدارس المدينة، والذهاب بنفسه وبرفقة مدراء المدارس وموجهيها، وفي إحدى صور البحث والتنقيب عن الخامات الشابة الفتية وفي احدى مدار المدينة لفت نظره في داخل أحد صفوف المرحلة الإعدادية عدد من الطلاب طوال القامة، ووقع اختياره على بعضهم، وطلب منهم الخروج من مقاعد الجلوس والوقوف أما السبورة، ولم يع الطلاب ما هو السبب وراء هذه الحكاية، فما أن بدر من أحد الطلاب، وهم ما زالوا شباب صغار، متسائلاً عن معرفة الأسباب الداعية وراء هذا التصرف الذي غاظ أكثرهم، في معرف الأسباب الداعية لذلك حتى بادر إلى الإجابة إلى أننا نبحث عن القامات التي تناسبنا لأجل ضمّها إلى فرقة الدبكة للفنون الشعبية التي نحاول تأمين أكبر قدر من الوجوه الشابة لأجل تدريبها، وسيكون لها مستقبل مشرق، وهناك مكافآت ستدفع لقاء الالتزام بها والتقيد بمواعيد التدريبات الخاصة بها، و ستلقى الفرقة كما أكد لهم دعماً كاملاً من قبل المسؤولين في المدينة، وفي حال نجحت في تقديم ما يطلب منها سيمنح المتفوقين منهم علامات إضافية تضاف إلى ما يحصلون بعد نيلهم شهادة الثانوية العامة، ليتمكنوا من دخول الجامعة من أوسع أبوابها.. وبرز من بين أحد الطلاب طالباً طلب من السيد سميعو اعفائه من هذه المهمّة، مؤكداً أنّ رغبته وهوايته بعيدة عن الدبك والرقص وما شابه هذه الخزعبلات التي لا تليق به، على الرغم من أنه يتمتع بالصفات التي يبحث عنها، وهو مناسب جداً لذلك، وهذا ما غاظه كثيراً، وما أثار حفيظ سميعو!!..

بعد مرور سنوات على هذا الموقف، تمكن ذلك الطالب، وبجهود إحدى معارفه من السفر إلى أحد البلاد الأوروبية، وتعلم فيها واستقر، وإذا باتصال فوجئ به من قبل السيد إسماعيل العجيلي يُخبره فيه أنه وصل إلى البلد الذي يقيم فيه، ويأمل منه مساعدته إن أمكن، لا سيما أنه يتقن لغة البلد الذي يقيم فيه، فما كان من ذلك الطالب الذي رفض طلب مدرب الدبكة إلى قدم له المساعدة وأرشده إلى الطريق السليم، وذكّره في الواقعة التي جرت منذ سنوات، وهو الذي فضل اختيار هواية أخرى تلائم طموحه ورغبته، غير تلك التي كان يحاول غرسها في فكر وأذهان هؤلاء الشباب الناشئة الذين تمكن البعض منهم من النجاح والتميز في دراستهم، والبعض الآخر كان الفشل في طريقه إليهم!.

مظفر النواب

طائر بغداد المتمرد

المزمار علي الزبيدي

في خريف سنة 2011، كنت أجلس مع صديق لي من العراق الحبيب داخل أسوار الجامعة، عندما أسمعني هذه الكلمات: "وقنعت يكون نصيبي في الدنيا كنصيب الطير.. ولكن سبحانك!. حتى الطير لها أوطان وتعود إليها، وأنا ما زلت أطير!" كانت الكلمات غير مألوفة على أذني، ولكنها عذبة رقيقة، تدل على شخص مهموم بهموم الأمة كلها، وبهموم بلدة، وسألته عن قائلها حينها، فأخبرني باسم الشاعر العراقي "مظفر النواب"، لأكون بعد أيام معدودة على موعد مع استلام هدية عيد ميلادي من صديقي نفسه، وكانت عبارة عن كتاب ضخم، ضم الأعمال الشعرية الكاملة لمظفر النواب.

وتعجبت عندما أخبرني صديقي بأن أشعار مُظفر في العراق نادرٍ من يعرفها، على الرغم من كونه قد سخّر أشعاره للتعبير عن آرائه في عروبته، وفخره بكونه عراقيًا، ولكن هذا التجهيل الذي حدث لأشعاره وله شخصيًا يأتي بسبب المضايقات، والحظر لكافة أعماله الأدبية الشعرية، بما في ذلك الأشعار الغنائية. وقد شارك مظفر النواب بأشعاره الغنائية في كثير من الأغاني الشهيرة، مثل أغنية "الريل وحمد"، وأغنية "ليل البنفسج"، التي كانت من ألحان طالب الفرغلي، وغناهما المطرب ياس خضر. وعلى الرغم من كون الإذاعة العراقية من وقتٍ لآخر قد تذيع كلا الأغنيتين، فإنها دائماً تمتنع عن ذكر كاتبها، بسبب الملاحقات السياسية له.

حياته ومسيرته

ولكن قبل الحديث عنه وعن أشعاره دعونا نأخذ لمحة عنه هو ذاته.. فقد ولد مظفر النواب في بغداد عام 1934م، ولد لعائلة شيعية أرستقراطية. ومنذ صغره، ونظراً لأن عائلته كانت تُقدر الفن والشعر والموسيقا والأدب، فقد أصبح لديه كم كبير من المعلومات حول هذا المجال.

ومنذ سن مبكرة أظهر "النواب" موهبة شعرية أبهرت كل من سمع كلماته، ما جعل أسرته تصمم على استكماله الدراسة الجامعية، فأكملها في جامعة بغداد، وتخرج منها وأصبح يعمل بها مدرساً حتى تم طرده منها بسبب أشعاره، وآرائه السياسية عام 1955م. بعدها ظل مظفر عاطلاً عن العمل لمدة زادت عن ثلاث سنوات، ما وضع أسرته في ضائقة مالية، ليلتحق بعدها بالحزب الشيوعي العراقي بعد الثورة

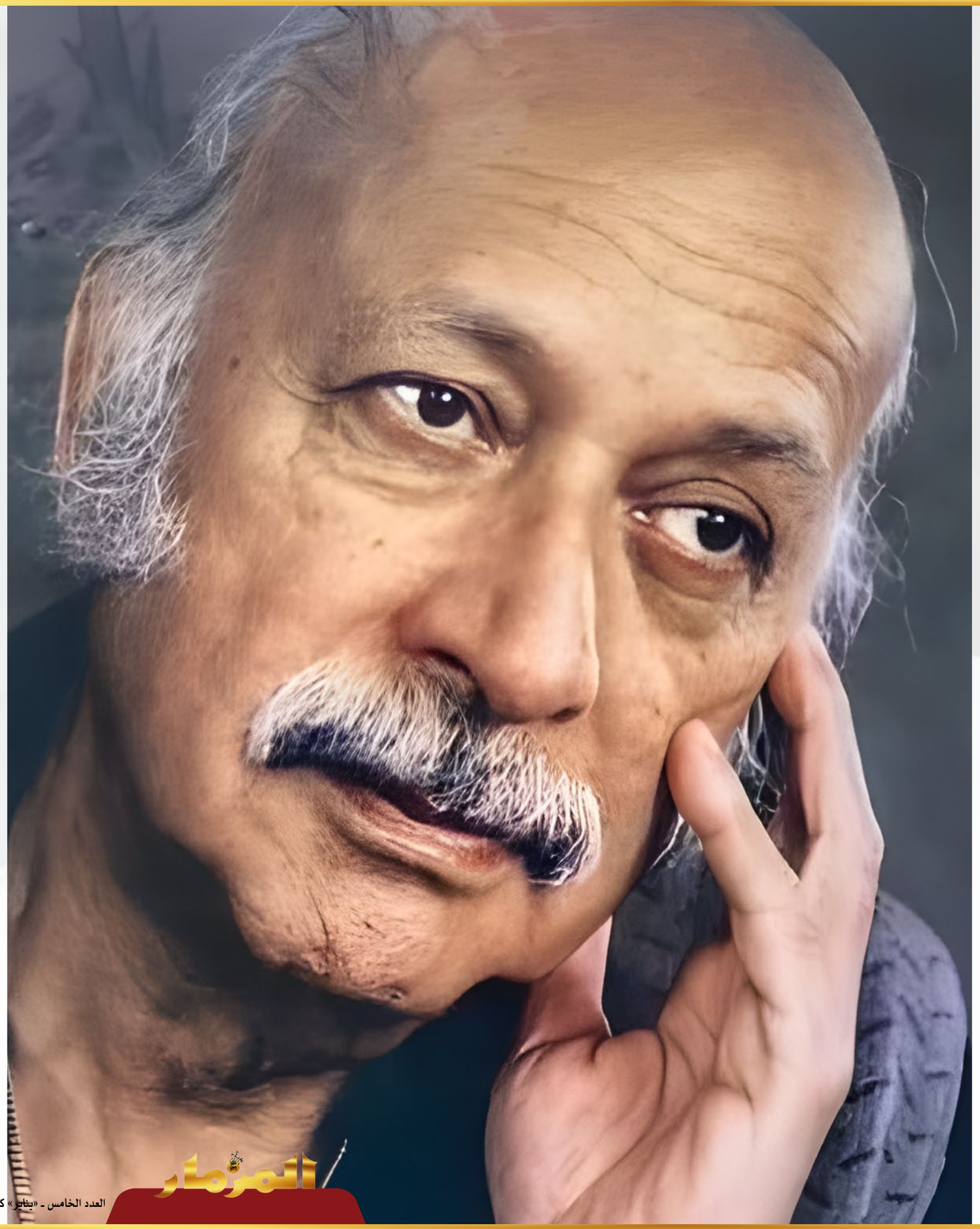

ولد مظفر النواب في بغداد عام 1934م، ولد لعائلة شيعية أرستقراطية. ومنذ صغره، ونظراً لأن عائلته كانت تُقدر الفن والشعر والموسيقا والأدب، فقد أصبح لديه كم كبير من المعلومات حول هذا المجال. ومنذ سن مبكرة أظهر "النواب" موهبة شعرية أبهرت كل من سمع كلماته، ما جعل أسرته تصمم على استكماله الدراسة الجامعية

العراقية سنة 1958، ودائماً ما كان ملاحقاً من الحكومة الهاشمية، وتعرض للتعذيب على يد أفرادها.

وفي عام 1963 اضطر مظفر النواب إلى مغادرة العراق، ليذهب إلى الأهواز في إيران، نتيجة لاشتداد المنافسة على الحكم بين القوميين والشيوعيين، وهناك أيضًا تمت ملاحقته، وتم اعتقاله وتعذيبه من قبل الحكومة الإيرانية، وأعيد إلى العراق مرة أخرى، ليتم الحكم عليه بالإعدام بسبب إحدى قصائده!. خُفف الحكم فيما بعد إلى السجن المؤبد، وتم سجنه في "نقرة السلمان"، وهو إحدى السجون الموجودة على الحدود العراقية السعودية، وبعد سنة تم نقله إلى سجن "الحلة" جنوبي بغداد، وهناك تمكن من حفر نفق ليهرب ويتوارى عن الأنظار ويذوب في المجتمع.

بعدها، غادر مظفر النواب بغداد ليستقر لمدة سنة كاملة في محافظة الأهوار جنوبي العراق، ثم انضم إلى إحدى الفصائل الشيوعية هناك، وحاول معهم قلب نظام الحكم. وفي عام 1969، تم إصدار عفو رئاسي عن جميع المعارضين.. عاد مظفر النواب مرة أخرى ليشغل منصب مدرس في إحدى المدارس ببغداد، ولكنه بعدها ذهب إلى بيروت، ثم انتقل إلى دمشق، وزار الكثير من العواصم العربية والأوروبية، حتى عاد ليستقر في بيروت في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي.

تعرض مظفر النواب لمحاولة اغتيال خلال تواجده في اليونان عام 1981، بعدما أخذت أشعاره وقصائده طابعًا ثوريًا ضد الطغاة العرب، وخصوصاً في العراق ومصر وسوريا ولبنان وإريتريا، حتى إنه أقام مع المتمردين الإريتريين لفترة من الزمن، ولكنه بعدها عاد إلى العراق عام 2011.

الجدير بالذكر أن أوائل أعمال مظفر النواب الشعرية كانت قد طُبعت عام 1996 عن دار قتبر، ونجح من خلال أشعاره أن يحصد لقب "الشاعر الثوري"، وعادةً ما كان يتم ترديد أشعاره في الكثير من الدور العربية في فترة الربيع العربي. وعلى الرغم من كل ما خاضه النواب في حياته، فإنه عاش كثيراً دون جنسية، فقد كان يتنقل بأوراقه الثبوتية الليبية، التي كان قد أهداها له العقيد معمر القذافي. وتوفى مظفر في مستشفى الشارقة بالإمارات العربية المتحدة عام 2022م، بعد صراع مع المرض، وتم نقل جثمانه ليدفن في العراق، –أرضه الحبيبة– حسب وصيته.

أعماله وإرثه الثقافي

طوال عمره أنتج مُظفر النواب 74 قصيدة، جميعها غلب عليها البلاغة، وحسن التعبير، والجمال، وإظهار جماليات اللغة العربية، وتطويعها ووضعها في قالب حماسي ثوري تارة، وفي قالب الحبيب المنفي والبكاء على الأطلال تارة أخرى.

ودائماً ما كان يحاول خلال أعماله الشعرية مناقشة الأزمات لدولته الحبيبة العراق، وكذلك الأزمات التي يعيشها الوطن العربي عامة، وفلسطين الحبيبة خاصة، وجميع قصائد النواب رائعة، لكن لعل أبرزها القصائد: رحيل، قراءة في دفتر المطر، القدس عروس عروبتنا، البراءة، في رثاء ناجي العلي.

ومع رؤية العراق الجديدة 2030، أظن أنه حان الوقت لمحبي الشعر في العراق الحبيبة، ومحبي الأدب عموماً، كي يعيدوا النظر إلى كلمات وحروف قد مرت في ذهن هذا الثوري العراقي. وأتركم في الختام مع جانب من قصيدة "رحيل"، التي فيها جمال لا يوصف:

يا وحشة الطرقات.. لا خبر يجئ من العراق
ولا نديم يُسكر الليل الطويل
مضت السنون بدون معنى
يا ضياعي!. تعصف الصحرا وقد ضل الدليل
لم يبق لي من صحب قافلتي سوى ظلي
وأخشى أن يفارقني وإن بقى القليل.
وفي احدى قصائده الشعبية يقول:

روحي ولا تكلها: شبيج
وانت الماي
مكطوعة مثل خيط السمج روحي
حلاوة ليل محروكة حرك روحي
حمرية كصب مهزومة بالفالة ولك روحي
وعتبها هواي....
لا مرّيت... لا نشديت.... لا حنيت
وكالولي عليك هواي
وعودان العمر كلهن كضن ويّاك
يا ثلج الي ماوجيت
تعال بحلم... ,أحسبها إلك جيّه واكَولن جيت
يلي شوفتك شبّاج للقاسم... ودخول
السنة من الكاك
يا فيّ النبع واطعم.... عطش صبّير ولا
فركاك
يلرهميت... يا مفتاح فضة ولا رهم غيرك
عليّ مفتاح
أجرت لك مخدتي وانطر الشبّاج اليجيبك
وانت عرس الليل والقدّاح
يا هلبت تجي وترتاح؟؟
طركَ المسج والنوم..... طركَ المسج والنوم
عمر واتعده التلاثين... لا يفلان
عمر واتعدّه واتعديت
ولا نوبة عذر ودّيت
وانه والمسج والنوم... واغمّض عود
اجبسك يا ترف تاخذني زخة لوم
واكَلك: ليش وازيت العمر يفلان
يفلان العمر... يشكر ولك يفلان
وهجرك دم... كل ليلة اشوفك بالحلم عريس
اكَول اليوم يجيبه.... خلص كَلبي واكَول اليوم
ولا التفتيت... ولا وعديت... ولا استخطيت
ولا طارش جذب ودّيت
ولا مرّة شلت عينك تعرف البيت
وكَالولي عليك هواي.... ورحت ابراي
وجيت ابراي
حسبالي سنة وسنتين وتلاثة
واشوفك ذاك البكَلبي.... واضوكَـ الماي..
واضوكَك ماي
حسبالي اشوفك ابن اوادم.... يا شكَلك...
موش أشوفك هاي
ولا حسّيت..... ولا استخطيت
ولا جيت اعله ماي
تبيع بيّه وتشتري بالسوكَـ
لا ما جيت

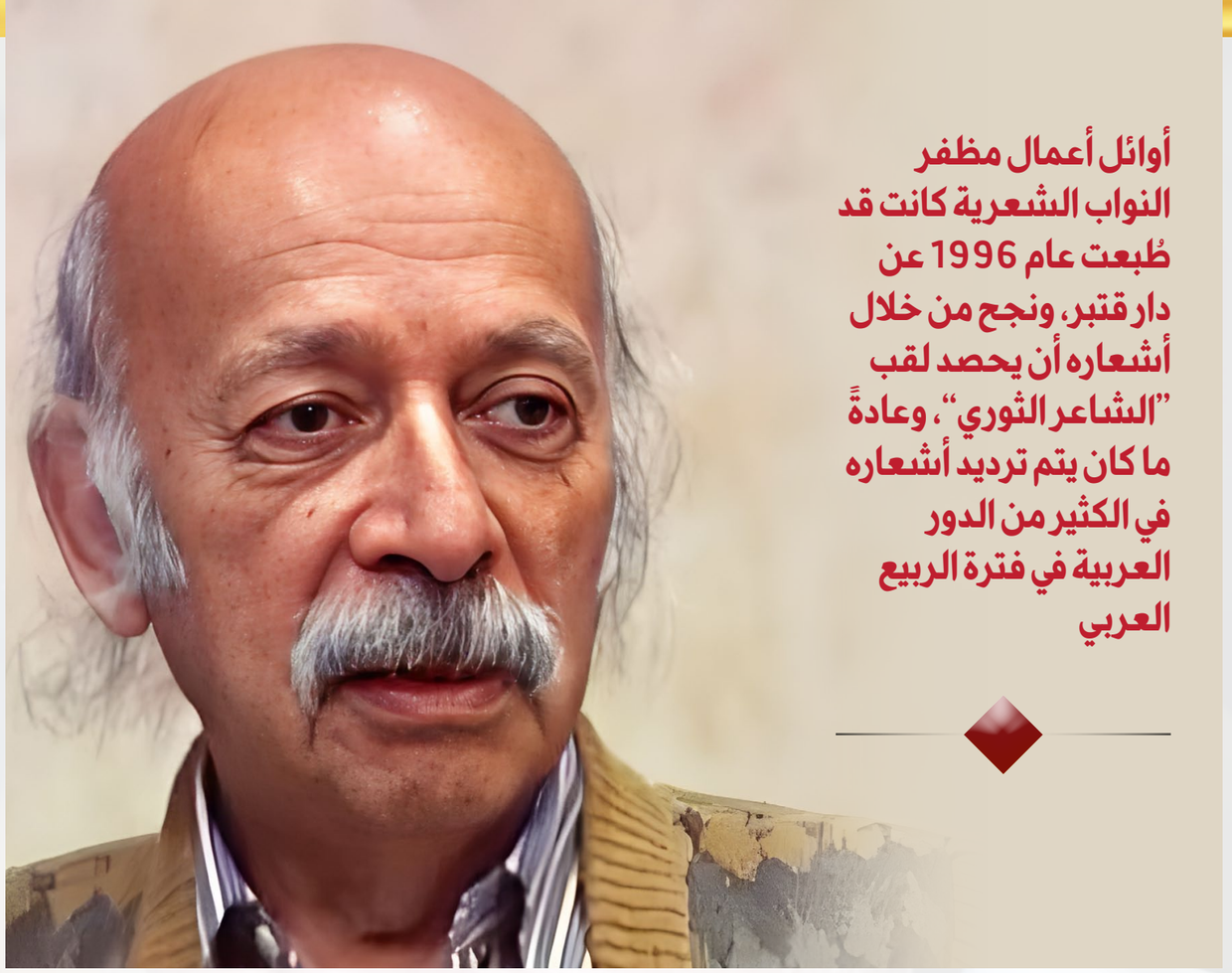

أوائل أعمال مظفر النواب الشعرية كانت قد طُبعت عام 1996 عن دار قتبر، ونجح من خلال أشعاره أن يحصد لقب "الشاعر الثوري"، وعادةً ما كان يتم ترديد أشعاره في الكثير من الدور العربية في فترة الربيع العربي

وكَالولي عليك هواي... كَالولي...
كَالولي...
كَالولي

وفي قصيد "الريل وحمد" الشهيرة يقول:

مرّينه بيكم حمد، واحنه ابقطار الليل،
واسمعنه دك اكهوه
وشمينة ريحة هيل
يا ريل...
صيح ابقهر...
صيحة عشك، يا ريل...
هودر هواهم
ولك
حدر السنابل كطه
يا بو محابس شذر، يلشاد خزامات
يا ريل بلله.. ابتغنج
من تجزي بام شامات
ولا تمشي.. مشية هجر...
كلبي...
بعد ما مات
وهودر هواهم
ولك
حدر السنابل كطه
جيزي المحطة...
بحزن...
وونين...
يفراكين
ما ونسونه، ابعشكهم...
عيب تتونسين
يا ريل
جيّم حزن...
أهل الهوى امجيمين
وهودر هواهم
ولك
حدر الستابل كطه
يا ريل
طلعوا دغش...
والعشق جذابي
دك بيّه كل العمر...
ما بطفه عطابي
تتوالف ويه الدرب
وترابك...
ترابي
وهودر هواهم
ولك...
حدر السنابل كطه
آنه ارد الوك الحمد.. ما لوكن لغيره
يجفّلني برد الصبح...
وتلجلج الليره
يا ريل باول زغرته....
لعبته طفيره
وهودر هواهم
ولك.. حدر السنابل كطه
جن حمد...
فضة عرس
جن حمد تركيله
مدكك بي الشذر
ومشلّه أشليله
يا ريل...
ثكل يبويه...
وخل أناغي بحزن منغه...
ويحن الكطّه
كضبة دفو , يا نهد
للمك... برد الصبح
ويرجنك فراكين الهوه... يا سرح
يا ريل...
لا.. لا تفزّزهن
تهيج الجرح
خليهن يهودرن...
حدر الحرابر كطه
جن كذلتك...
والشمس....
والهوة...
هلهوله
شلايل برسيم...
والبرسيم إله سوله
واذري ذهب يا مشط
يلخلك...اشطوله!
بطول الشعر...
والهوى البارد...
ينيم الكطه
تو العيون امتلن....
ضحجات... وسواليف
ونهودي ز مّن...
والطيور الزغيره....
تزيف
يا ريل...
سيّس هوانه
وما إله مجاذيف
وهودر هواهم
ولك...
حدر السنابل كطه

● دكتوراه في البلاغة والنقد من مصر

تقشير الخيار بالسيف البتار

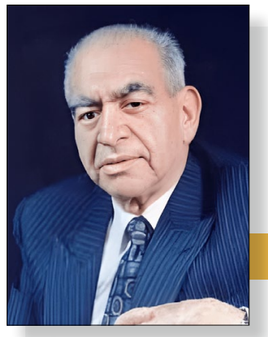

عبد السلام العجيلي

لقيتُ منذ أيام معلّمي القديم الأستاذ عمر، فأخذ بيدي وقال:
ـ تعال سايرني قيلاً. لم أرك منذ زمن طويل وان كنت أتابع أخبارك وأقرأ لك بين الحين والحين. ماذا تكتب لنا في هذه الأيام؟
فسرتُ معه في الشارع الذي كان مقفراً إلى الحديقة العامة التي أعرف أنّه يقصدها كل أصيل، وأجبته قائلاً:
ـ تعلم يا أستاذ أنَّ الكتابة ليست مهنتي... أمارسها في أوقات فراغي. أنا الآن في سبيل كتابة رواية بعنوان «الأيقونة».
قال: وما هو موضوعها؟
قلت: أنها مجموعة من الذكريات والأحداث تربط بينها أيقونة. منذ عدّة سنوات طلبت مني زوجة صديق عزيز علي في بيروت أن أبحث لها في حلب عن أيقونة قديمة، أصيلة، لتقتنيها وتتبرك بها، وقالت أنّها مستعدة لأن تدفع ثمنها مهما كان مرتفعاً. كنت في الواقع أنوي أن أقدم لها الأيقونة هدية عندما أجدها.
سألني الأستاذ عمر: وهل وجدتها؟
قلت: لم أعثر على واحدة ترضيني في ذلك الحين. ولكني، في تنقلي باحثاً بين مقتني التحف القديمة وتجّار الآثار والكنائس العريقة في مدينة حلب، سمعت حكايات، وقابلت أصنافاً من الناس، وعرفت أموراً تستحق أن تسجل كتاريخ وأن تروى كأدب. ومنذ ذلك الحين ظلّت تروادني فكرة تأليف رواية حول ما شاهدته وعرفته، في جولاتي، بحثاً عن الأيقونة. وأنا الآن، وبعد أن انقضت سنوات على تلك الجولات، مكب على كتابة هذه الرواية. أعتقد أنّها ستكون رواية جميلة ذات موضوع مبتكر، وأنها ستعجب القرّاء.
قال الأستاذ عمر بعد أن سمع مني هذا الكلام: ستكون رواية جميلة بلا شك. فما تكتبه شيّق دوماً، ويستحوذ على اهتمام من يقرأ لك. ولكني أرى أنك في هذا تقشّر الخيار بالسيف البتّار!..
كنا قد وصلنا، الأستاذ عمر وأنا، في تسيارنا إلى حديقته المألوفة، فدخلتها معه وجلسنا على مقعد منزو في أحد جوانبها. بعد أن أدرت في ذهني عبارته الأخيرة مرّات:
ـ لم أفهم يا أستاذ ما تقصده بتقشير الخيار بالسيف البتار.
قال: السيف البتّار هو قلمك ياولدي. وما تكتبه عن الأيقونة والذكريات حولها هو تقشير الخيار. أترى السيوف الباترة صنعت ليقشر بها الخيار ويقطع بها الباذنجان؟
ضحكت ضحكة خفيفة لهذا التشبيه الذي لم يخطر لي على بال، وسألته بدوري:
ـ وماذا تريد مني أن أفعل بسيفي البتار؟
قال: ليس منك وحدك. أنت واحد من كثيرين. أنتم الذين تحملون الأقلام التي هي سيوف باترة. ما علمناكم، نحن مربيكم وأساتذتكم، حمل هذه السيوف لتفعلوا بها ما تفعلون الآن...
قلت: أعذرني يا أستاذ. حتى الآن لم أفهم ما الذي تأخذه علي، أو علينا نحن تلامذتكم، في استخدامنا ألامنا؟ إننا ننتج بها أعمالاً تعجب الناس وتترجم إلى كل اللغات ويصفها الجميع بأنّها روائع أدبية وفكرية.
فسكت معلمي الشيخ قليلاً، وهو يجيل نظره في جوانب الحديقة قبل أن يقول:
ـ ألا ترون العالم أمامكم وحولكم؟
قال هذه الكلمات بلهجة أسى تبين لي من خلالها بعض ما تبطنه كلماته العاتبة. ومع ذلك فقد أجبته، مكابراً:
بل إننا نراه. انّه عالم جميل، وفي تطوّر مستمر.. تطوّر إلى الأفضل!
فتطلّع إليّ بنظرة ثابتة وقال: هل أنت جاد في كلامك؟ الفساد المستشري في العالم وبين الناس، والكوارث التي هي ليست من صنع الطبيعة وعناصرها الجبّارة، بل التي يصنعها أخوك الإنسان بجهله أو بظلمه أو بالشر الذي يملأ نفسه، والحقوق المهضومة، والحرمات المهتوكة.. هل كل هذا تطور إلى الأفضل؟!
قلت: لنفرض جدلاً بأني أوافقك على حكمك المأساوي على عالمنا.. فأي ذنب لنا، نحن الذين نكتب، في هذا؟ وما الذي تطالبنا به على التحقيق؟
قال: أطالبكم بأن تكون كتاباتكم في هذا. إنّها مسؤوليتكم. مسؤولية أن تعملوا أقلامكم في الفساد الذي يسود هذه الدنيا والمصائب التي تنزل عليها متلاحقة، وليس في تقشير الخيار، أعني في تأليف روايات عن الأيقونة والذكريات التي تثيرها الأيقونات.
ابتسمت وأنا أتذكر بحدّة كلام الأستاذ عمر لهجته القديمة في تقريع طلاّبه المقصّرين أيام تتلمذنا عليه. وسكت قليلاً قبل أن أرد عليه بقولي:
ـ الحق معك فيما تلومنا به يا أستاذ. ولكن...
فقاطعني قائلاً بنفس الحدّة: ولكن ماذا؟
قلت: أحكم، سيدي، علي. أنت تتحدث من موقع المتفرّج، بينما نحن نعيش واقعاً نضطر فيه إلى كتابة هذا الذي نكتبه ولا يرضيك أنت.
قال: وما الذي يضطرّكم؟ أهو الخوف؟
قلت: فلنسمه الحذر. قد يكون واحدنا شجاعاً لا يبالي بما يمكن أن يصيب الآخرين بجريرته.
قال الأستاذ، وقد تطامنت حدّته: لم أفهم عليك يابني.
قلت: أسوق إليك مثالاً شخصياً. المثال قديم، يعود إلى أكثر من ثلاثين عاماً، فالتمثل بالجديد أمر ليس هيناً. في ذلك الزمن البعيد عدت من زيارة لي في العراق الذي كان يرزح تحت أحكام عرفية قاسية فرضتها عليه حكومة نوري السعيد.
كتبت عند عودتي مقالاً نشرته إحدى المجلات السورية في دمشق، عنوانه «عنتر في بغداد»، تحدثت فيه عن مشاهداتي من حسنة وسيئة في ذلك القطر العربي. وأعجب بهذا المقال أصحابي العراقيون الذين لقيتهم في بغداد، وكان منهم الصديق الأستاذ خالص عزمي صاحب مجلة «الأسبوع»، فأعاد نشره هناك في أحد أعداد مجلته. إلاّ أنّ ذلك العدد صودر، وفرضت غرامة بمبلغ من الدنانير لا أذكره الآن على الأستاذ عزمي لتجاوزه محظورات الأحكام العرفية. وحدث بعد ذلك بعام أن ألغيت تلك الأحكام العرفية، واطمأن رجال الصحافة إلى أن من حقّهم أن يتنفّسوا بحرية، فأعادت «الأسبوع» نشر ذلك المقال المحظور، فكان أن أصدر أمر نوري السعيد بإلغاء امتياز المجلة من أساسه. وبهذا فقد صديقي خالص عزمي مجلته نهائياً...
قال الأستاذ عمر متمثلا:
ومن ظن ممن يلاقي الحروب ..... أن لن يصاب فقد ظن عجزاً
وأضاف: هذا بيت شعر قديم للخنساء، يصدق عليكم كما يصدق على كل من يقوم بواجبه.
ومن المنتظر أن يحدث لصديقك ما حدث له. المهم أنه قام بواجبه.
قلت: ولكنه خسر ماله وحرم من مجلته ياأستاذي، وبسببي أنا. لست مستعداً أن أجلب لأصدقائي هذا النوع من المكاسب.
قال: صاحبك أشجع منك دون شك. أنا أجزم أنه كان يتوقع ما أصابه، ولم يتراجع مع ذلك عن نشر المقال وعن إعادة نشره. خسارة المال ليست شيئاً أمام راحة الضمير. لم أعرف كيف أقنع الأستاذ عمر بأنه يطالب الكتاب بأمر يفوق طاقتهم، وقلت:
ـ ليس المال وحده يا أستاذ. أعرف رجلاً حرّمت عليه بلاده، وبلاد كثيرة غيرها، لأنه لم يقنع بأن يقشر الخيار، مثلي، بسيفه. كلما زرت باريس جالسته في مقهى الكريستال بجانب قوس النصر هناك، وسمعت من حسراته لفراقه وطنه ما يبعد عني كل رغبة في بطولة من نوع بطولاته.
سألني الأستاذ عمر: وأي بطولة قام بها هذا الرجل؟
قلت: استخدم قلمه فيما تريده أنت ياسيدي. أوّل ما أصابه أنّه اضطر إلى الهروب بنفسه من عاصمة بلاده إلى بيروت، لا تنس أني لا أسوق إليك الأمثلة من الحاضر بل من الماضي القريب، في الزمن الذي كانت فيه بيروت موئل الحرية للمهددين في حريتهم، كانت لهذا الرجل شهرة في الكتابة تفتح له أبواب الصحف أينما ذهب. كتب أول ما كتب مقالاً لجريدة النهار في تلك المدينة. وحينما قرأ الأستاذ غسان تويني، رئيس تحريرها، مخطوط ذلك المقال رفع رأسه إلى رجلنا ذاك وقال له: سننشر لك ما كتبته... وإنما ليكن في علمك أنك ستحكم لأجله بخمس عشرة سنة من السجن في كل بلد عربي تدخله جريدتنا...
سألني الأستاذ: وهل نشر المقال؟
قلت: لا، طبعاً. ومع ذلك فانّ بيروت، على سعة صدرها في تلك الأيام، ضاقت بصاحبنا إلى أن انتهى به قلمه ولسانه إلى أن يتحرّق حسرات في مقهى الكريستال بجانب قوس النصر في العاصمة الفرنسية...

***

لم يبد على الأستاذ عمر أنه اقتنع بما أقوله.
لقد ظَل على إصراره على أن واجب الكتاب الجديرين بهذه الصفة أن يُشرّعوا أقلامهم ليحاربوا الاعوجاج أينما كان في هذه الدنيا وأياً كان مصدره، قبل أن يشغلوها بالإبداع الفنّي.
ولما كنت أعرف تعلّقه بالتاريخ وبالماضي البعيد الذي طالما لقّننا الدروس فيه، فقد رأيت أن أضرب له مثلاً منه، فقلت له:
ـ كأنك تريد للأدباء في هذا الزمن مصيراً كمصير بشار بن برد...
قال: وما دخل بشار فيما نتحدث فيه الآن؟
قلت: أنت الذي أخبرتنا أنه فقد حياته حين نظّم في فساد الحكم في أيامه بيتين كان فيهما هلاكه تحت السياط.
وهنا تلا الأستاذ بيتي بشار المشهورين:
بني أمية هبّوا طال نومكم ..... إن الخليفة يعقوب بن داوود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا ..... خليفة الله بين الزق والعود
ثم تابع قائلاً: ذاك كان شاعراً هجّاء خبيث اللسان، لم يقل ما قاله طلباً للصالح العام، فلاقى جزاءه. أما ما أريده من الكتّاب الحقيقيين فهو شئ آخر. أريدهم أن يكونوا بنّائين في نقدهم، ايجابيين فيما يوظفون أقلامهم فيه.
وكانت الشمس في هذه الأثناء قد قاربت المغيب، فتذكرت أن عليّ موعداً انشغلت عنه برفقتي لمعلمي القديم وبحديثه. رحت أعتذر منه لاضطراري إلى مرافقته، وقلت له ممازحاً:
ـ سأبلغ دعوتك هذه يا أستاذ إلى أدبائنا الذين اتخذوا من الكتابة مهنة لهم. أنت حريص على أن ترى هالات الشهادة حول رؤوسهم، ولكني لا أعرف كثيراً منهم ممن يرغبون بهذه الهالات. أما أنا فلست، على ما تعرف، كاتباً محترفاً.
أعذرني إذن إذا رأيتني أتسلى بين الحين والآخر بتقشير الخيار بالسيف الذي في يدي، وإذا عدت إلى إكمال روايتي التي بدأتها عن الأيقونة...
قلت هذا وأسرعت في ابتعادي عن الأستاذ عمر. فلم يعد لدي مزيد من الوقت أبقى فيه معه، ولا كانت لي رغبة في سماع مزيد من تأنيبه أو من استنكاره لما أؤلف وأكتب.

الرقة ـ سوريا

سمائي

المرمار ابراهيم النمر

أنا عاشقٌ أبَديُّ،
والأنثى نبوءتيَ الأكيدةُ،
في زمانِ المُعْجزات
فَتَمَدَّدِيْ بُسْتَانُ قَلبيَ وارفٌ
وَلدَيَّ مُتّسَعٌ من الأشواقِ،
يا أنثى حياتِيْ

أنا عاشقٌ أبَديُّ،
رَاوِدَني هواكِ،
وَكُنْتِ أبعدَ من مَجَالِ العَيْنِ،
أقربَ من مَجَالِ القلبَ،
وانتَفَضَ الذي يُدعى فؤادي،
حينَ داهَمَني الحَنَانْ
أنا عاشقٌ أبَديُّ،
أغرقَني هواكِ،
وكنتُ أمهرَ من فُراتْ!
آ .. يا سهولَ الوردِ،
يا أنت التي لا تُنكرينَ،
لقد تَمَدَّدَ ظِلُّ قَامتكِ الرّفيعةِ،
مثلَ حورٍ،
واستحالَ إلى أغانٍ،
رَدَّدَتْها العاشقاتْ
فلعَلَ قُربَكِ سُبْحَتي
وغرامَ لُقياكِ اليدانْ

أنا سندبادٌ،
والقصائدُ كلّها مُدُنٌ،
فلا تتعجَّبِيْ إنْ قلتُ فيكِ
قصيدةً
وغَمَسْتُ حبرَ هوايَ،
فانتشرَ الكَلامْ
أنا عاشقٌ بَحَّارُ،
أدركتُ البحارَ جَمِيْعَهَا
وعَرَفتُ فيكِ الرِّحلَةَ البيضاءَ،
في بَحرِ الهَيَـامْ
فإذَا هَرَبْتِ من الشّباكِ،

وكنت أبعدَ من هوايَ،
فردِّدي قَوْلِيْ: (على الدّنيا
السَّلامْ)

آه على لُقياك،
كَمْ فتَحْتِ جراحي،
ثُمّ داوَيْتِني بعطف،
ثُمّ كانَ العِشْقُ خَاتمةَ الْجِراحْ
آه على روحي التي
غَرِقتْ ببحرِ هواكِ،
فاشْتدّتْ بِلُقَياك،
العواصفُ والرِّياح
إنّي أسيرُ مودّتي
أسعى إلى نَيْلِ الوداد،
وأستعيرُ من المُحبّةِ نورَها
حتّى يَمُرَّ الليل،
أو يأتِي الصّباحْ

أرجوك لا تتردّدي
فأنا الذي خَلّفتُ قافلةَ
النّساء،
وراءَ ظَهري،
وارتديتُ هواك،
فاكتملَ الْهَنَاءُ،
وصارَ عشقي كالْهَواءْ
أنا مَنْ أعادَ إلى الرّبيعِ بَهَاءَهُ
حين التقيْتُ بِمَنْ،
يُساورُني هواها،
عندَ فَاتحةِ الضّياءْ
أنا سيّدٌ
مَلَكَ الذي لَمْ يَمْلكوهُ،
فحاولوا قَتْلِيْ على مرأى
السّماءْ

أرجوك يا ناري التِيْ
بينَ الضّلوعِ،

تَحَوَّلِيْ بَرداً على
أنا لستُ أوّلَ عاشق
عَرفَ الغرامَ وما سَلَا
قلبِيْ ملاكٌ أبيضٌ
ما جَارَ يوماً أو قَلَى
فتَمَسّكي قبلَ انفلاتِ الوقتِ،
بالعشقِ العظيمِ،
وردّدِيَ دونَ المَلَا
لا كأسَ فوقَ العشقِ،
يا روحي عَـلا

ضُمّي على قلبِيْ اليدين،
وحاولِيْ رَسْمِيَ بثغرِكِ،
حينَ يَشتعلُ الكلامُ
ضُمّي على روحي هواكِ،
وبَدّدي
من ضوءِ عينيكِ الظّلامْ
إنّي أسيرُكِ منذُ أوّلِ لحظةٍ
والشّاعرُ المسكينُ،
فاجأهُ الغرَامْ

عفواً إذا جُنَّ القصيدُ،
وما عَقَل
هذا زمانُ العشقِ،
يأفُلُ كلُّ شيءٍ ما عداهُ،
وما أفَل
قومي إلى قلبِيْ،
وحيِّيْ فيه موقِفَهُ الْجَلَلْ
لولاهُ ما ابتدأ الذي
بيني وبينَكِ يا سماء
ولا اكتملْ
لولاهُ ما كنتِ على
مَدّ القصيدةِ قُبلةً
بيضاءَ
أو حَمْراءَ،
تنسِجُها المُقَلْ.

ماذا يفعل المثقف في بلد للجدران فيه آذان وعيون؟

علي قاسم

في سوريا مثقفون وفنانون نافقوا وآخرون اختاروا مغادرة البلاد.. لكن بالتأكيد لا يوجد مثقف حقيقي واحد أو فنانٍ حقيقي واحد وافق على ما جرى داخل سوريا على مدى 54 عاماً.

في سوريا، كانت للجدران آذان. وكان الحديث حول أيّ أمرٍ يتعلق بالسلطة من بعيد أو من قريب محرماً. خلال ستين عاماً، سمعت عبارة "للحيطان آذان" تتردد أمامي عشرات المرات، خاصة من والدتي التي لا تقرأ ولا تكتب. وكان الناس حريصين على أن يصونوا لسانهم عن الكلام حتى لا يودي بهم إلى "بيت خالتهم".

والمقصود بـ"بيت الخالة" في سوريا التهلكة، وهو كناية أو لقب يفترض أنه سرّي، ولكن الجميع كان يعرف أن المعني به جهاز الأمن والمخابرات.

رغم كل التحذيرات، ورغم حرص الناس على ألا تنصت الجدران إلى الأحاديث التي يتداولونها فيما بينهم، كان مصير عدد كبير منهم – البعض يقول إنه عشرات أو مئات الآلاف – الموت في السجون تحت التعذيب، وكل ذلك بسبب لسانهم الذي لم يصونوه.

قسم كبير من السوريين فضّل النزوح عن سوريا إلى مخيمات في دول الجوار، المحظوظ منهم وصل إلى أوروبا، حيث أصبح بإمكانه التحدث دون أن تصغي الجدران لما يقوله ويبوح به في جلسات خاصة. في أوروبا، لا تمتلك الجدران آذاناً. رغم ذلك، ومن خلال متابعاتي لما يجري هناك، وجدت أن قسماً كبيراً من اللاجئين السوريين استمروا في حذرهم، لأنهم كانوا يخشون تعرض أقربائهم وأهلهم الذين تركوهم خلفهم للملاحقة لينتهي الأمر بهم في "بيت خالتهم".

معظم المهن يمكن القيام بها دون الاضطرار للحديث، أو الكلام فيها يقتصر على مصطلحات ومفردات تتعلق بالمهنة، لكن ماذا يفعل مثقف أو فنان وسيلته الوحيدة للتواصل القلم أو الكلمة.

هذه المقدمة المطولة للوصول إلى هذا السؤال: ماذا يفعل المثقف في بلد تمتلك فيه الجدران آذاناً؟ ماذا يفعل مثقف وفنان مهنته الحديث والكتابة، وكيف يسلم إن فعل ذلك وهو يعمل في حقل مزروع بالألغام؟

منذ اللحظة الأولى كان واضحاً أن المثقف في سوريا أمام ثلاثة خيارات: أن يرحل عن سوريا، وهذا ما فعله عدد كبير منهم، أو ينافق السلطات ليأمن شرها، أو ينتظر زوار الليل والنهار ليرموا به في "بيت خالته".

قدر المثقف الذي يختار المواجهة أن يَلقى العقاب الذي أنزله كبير آلهة الإغريق زيوس بـ"بروميثيوس" الذي تجرأ وسرق النار وأعطاها للبشر، بتقييده إلى صخرة وسلّط عليه نسرا يأتيه كل يوم ليلتهم كبده. العقاب كان يتجدد كل ليلة ليعاني من نفس العذاب في اليوم التالي.

وقد يكون ما جاء على لسان النبي محمد (توفي عام 632 ميلادي) "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"، أفضل ما يعبّر بإيجاز كبير عن إشكالية المثقف مع السلطة.

في سوريا، من حاول تغيير "منكر" السلطة بيده ألصقت به تهمة الإرهاب، ومن اختار تغييرها بلسانه، إما غادر خارج البلاد، أو انتهى الأمر به في حبس انفرادي. أما من كتموا الغضب والغيظ في قلوبهم، فقد تحملوا الاتهامات بأنهم عملاء للسلطة. والآن بعد سقوط النظام، يلقب الذين قاوموها بقلوبهم بـ"المكوعين".

محاولة تصنيف البشر ممارسة عنصرية بشعة، وهي أشد بشاعة عندما تطبق على المثقف والفنان. الحكم على المثقف من خلال موقفه من السلطة، عدا أنه موقف جبان، هو موقف انتهازي غالبًا.. المثقف يدينه أو يتوّجه عمله فقط.

في سوريا، من حاول تغيير «منكر» السلطة بيده ألصقت به تهمة الإرهاب، ومن اختار تغييرها بلسانه، إما غادر خارج البلاد، أو انتهى الأمر به في حبس انفرادي.

أتمنى ألا يقع المثقفون والفنانون في سوريا في فخ التصنيفات، وألا يضطر فنانون ومثقفون كبار للدفاع عن مواقفهم وتقديم تفسيرات لها، وألا يسارع من دخل السجون منهم أو غادر البلاد لانتهاز الموقف والمطالبة بنياشين تعلق على صدره.

شعرت بألم لا يقل عن مشاعر الألم التي انتابتني وأنا أراقب المشهد من داخل الزنازين، عندما شاهدت صدفة الفنان الكبير – برغم أنوفنا جميعاً – دريد لحام، يقول ما أراد أن يقوله على مدى 60 عاماً "فروع المخابرات في سوريا كانت أكثر من المدارس،" وأن أكبر سجن في سوريا كان لأصحاب الرأي.

أريد أن أختم بمقولة تنسب إلى المؤرخ وعالم الاجتماع التونسي ابن خلدون (لا بد من الإشارة إلى أن نسبها إليه مشكوك فيه حيث لم يتم العثور على ذكر لها في أي من أعماله) المقولة هي: إذا دخلت أفريقية (تونس) وافق أو نافق أو غادر البلاد.

في سوريا، هناك مثقفون وفنانون نافقوا، وآخرون اختاروا مغادرة البلاد.. لكن، بالتأكيد لا يوجد مثقف حقيقي واحد أو فنان حقيقي واحد وافق على ما جرى داخل سوريا على مدى 54 عاماً.

معظم المهن يمكن القيام بها دون الاضطرار للحديث، أو الكلام فيها يقتصر على مصطلحات ومفردات تتعلق بالمهنة. لكن، ماذا يفعل مثقف أو فنان وسيلته الوحيدة للتواصل مع البشر القلم أو الكلمة المنطوقة.. ماذا يفعل في بلد للجدران فيه آذان وعيون؟

● صحافي سوري مقيم في انكلترا

عدالة تحت المحاكمة

فواز عويد خليل

توكلت عن عسكري مجند للخدمة الإلزامية ارتكب مخالفة حادث سير، وتمّ توقيفه أمام قاضي الفرد العسكري في دير الزور والرقة، حيث كان يداوم في الدير والرقة.

وبتاريخ حضور القاضي إلى الرقة، وفي الساعة الثامنة صباحاً، كنت واقفاً مع مجموعة كبيرة من المتقاضين في ساحة عامة أمام غرفة القاضي، ننتظر بدء المحاكمة. سألت موكلي الموقوف في غرفة خاصة للموقوفين: هل استجوبك القاضي؟

قال: لا، لم يستجوبني بعد.

القانون عادةً يُلزم القاضي باستجواب الموقوفين أولاً للضرورة قبل الطلقاء. ولكن القاضي بدأ بالطلقاء أولاً، وقدّرت أنه لن ينتهي من محاكمتهم قبل الساعة الواحدة ظهراً. لذا سألت العسكري الذي يُنظم الدور: متى يبدأ القاضي باستجواب الموقوفين؟ لكي أغادر الساحة وأعود في الوقت الذي يحدده القاضي لاستجواب الموقوفين. لمحني القاضي عندما سألت العسكري، فأشار لي بيده قائلاً: تعال، ادخل.

ما أن دخلت الغرفة واقتربت منه، بادرني سائلاً بجفاء: من أنت؟ وماذا تريد؟

أجبته: أنا المحامي فلان، وكيل الموقوف فلان، وحضرت لتمثيله أمام سيادتكم عند استجوابه. فأشار بيده نحو الباب طارداً: ما في حاجة، ما في حاجة، برّه.

نظرت إليه مندهشاً من حركته وصفاقته وعبارته، وقد خيّم عليّ صمتٌ غريب. قدرت في نفسي لعله كان سهراناً وسكراناً تلك الليلة، ولم يفق بعد من غفوته وغفلته. خرجت دون أن أنبس بكلمة.

بعد روية وتفكير، قررت أن أنتظر في الساحة حتى ينادي على موكلي لاستجوابه، عندها أدخل معه غرفة المحاكمة، عساه يكون قد استيقظ من غفوته وغفلته.

وهذا ما كان. أحضر موكلي أمام القاضي، ودخلت معه الغرفة. فنهرني القاضي قائلاً: لك شو؟ أنت ما بتفهم؟ ما قلتلك ما في حاجة؟ برّه.

فأجبته بحزم: ولماذا وكلني الموقوف إذا لم أحضر استجوابه أمامك؟

فصرخ قائلاً: وشو بدك تساوي له؟

قلت: أحضر استجوابه وأقدم له طلب إخلاء سبيل وطلب فك احتباس لسيارته المحجوزة، لأن أوراقها نظامية وليست مادة جرمية.

صرخ مجدداً قائلاً: أوف، أوف، كل هذا وبهل السرعة! شو ما بتعرف أنو موكلك مجرم وبيستحق العقاب؟

قلت: أنت لم تستجوبه بعد لتعلم إن كان مجرماً أو لا، ولم تدرس الإضبارة لتعلم إن كانت سيارته نظامية أم لا. وحتى لو كان مجرماً، فمن حقه قانوناً أن نقدم له طلب إخلاء سبيل وطلب فك احتباس لسيارته، ومن حقك أن ترد الطلب أو تجيبه.

فقال بعصبية، مشيراً إلى الباب: روح عنّا يا... برّه.

فقادني العسكري خارج غرفة المحاكمة.

في اليوم الثاني، تقدمت بشكوى ضد هذا القاضي، شرحت فيها الواقعة كما حصلت، ونوهت أنه أساء إليّ كمحام وإلى مؤسسة القضاء العسكري وإلى مهنة المحاماة معاً. وأخذت الشكوى مجراها من نقابة المحامين إلى وزارة الدفاع وإلى هيئة القضاء العسكري في دمشق.

استدعيت من قبل الرائد منجد بدران، المحقق في هذه الشكوى بالقضاء العسكري في المزة بدمشق لسماع أقوالي.

سافرت إلى دمشق، ودخلت غرفة الرائد المذكور، وكانت تضم عدداً من الضباط رفيعي الرتب. فرحب بي ترحيباً ودياً حاراً وقال: أنا آسف يا أستاذ لأنني حملتك مشقة السفر من الرقة إلى دمشق، ولكن كان لا بد من مقابلتك وسماع أقوالك في شكواك هذه.

فشكرته، وانسحب الضباط من القاعة تباعاً، ولم يبقَ فيها سوانا.

استدعى المساعد كاتب القوس، وقال له: ضع هذه الطاولة أمام الأستاذ، واجلس بجانبه لتكتب ما يمليه عليك الأستاذ.

وَأضاف: أستاذ، قبل أن نبدأ بكتابة أقوالك، أودّ أن أسمع منك الحادثة بالتفصيل. شرحتها له كما حدثت. فاستغرب من تصرفات القاضي وقال: العمى، هذا مجنون وليس قاضياً.

وأضاف: أستاذ، أريد أن أسألك سؤالاً.

قلت: تفضل.

قال: هل اشتكيت على هذا القاضي لسوء سلوكه معك، أم لأنه لم يُخلِ سبيل موكلك؟

فابتسمت وقلتَ له: أنا كمحام، دوري ينحصر بتقديم الطلبات والدفاع عن حقوق الموكل المشروعة بالقانون فقط، ولا علاقة لي بنتيجتها مطلقاً. ودور القاضي هو دراسة الدعوى واستجواب الأطراف وسماع أقوالهم وأقوال محاميهم واحترامهم، ومن ثمّ إجابة طلباتهم أو ردّها. ويقع ذلك على عاتقه وحده ومسؤوليته الخاصة، ولا شأن لنا بذلك مطلقاً. ولكنني تقدمت بالشكوى ضده لأنه أساء إليّ كمحام أمثل نقابة المحامين المنوطة بحق الدفاع عن الموكلين، سواء كانوا أبرياء أو مجرمين، ولأنه أساء إلى سمعة وهيبة مؤسسة القضاء العسكري المنوطة بتطبيق القانون على المواطنين. ومثله لا يصحُّ أن يكون قاضياً، وهو بهذا الجهل والصفاقة.

قال مبتسماً: صدقت. وكيف ترى أنه يجب عليه معاملتك كمحام؟

قلت: الأمر بسيط جداً؛ أن يستقبلني باحترام ويسمح لي بحضور استجواب موكلي، ويقرر ضم طلباتي إلى إضبارة الدعوى، وأغادره مودّعاً. لا زيادة ولا نقصان. ومن ثمّ يقرر لوحده منفرداً إجابة الطلبات أو ردّها. هذا شأنه وعلى عاتقه وحده.

قال: صدقت. هكذا يجب أن يتصرف القاضي.

سألني: هل تودّ أن تنصّب نفسك مدعياً شخصياً بحقه؟

أجبته: لا مصلحة لي في ذلك، ولا رغبة لدي في إلحاق الضرر به. ولم أشتكِ عليه لأنه أساء لي شخصياً، ولكن لأنه أساءَ لي كمحام، وأسَاءَ إلى مهنة المحاماة وأسَاء إلى مؤسسة القضاء العسكري. كما أسلفت، ولكي يتمّ تنبيهه عن سوء سلوكه وتوجيهه إلى سلوك القاضي الصحيح مع المحامين والمتقاضين.

ابتسم وقال: أنت نبيل يا أستاذ. والله إن ادعيت عليه لسعيت جاهداً لتسريحه. ولكن تأكد تماماً، أنه سوف يحضر إلى نقابتكم في الرقة ويعتذر لك شخصياً أمام زملائك.

وقال: الآن، نقل الكاتب الواقعة كما حدثت بالتفصيل وبلغتك وأسلوبك الخاص.

وهكذا كان. وحضر القاضي المذكور إلى فرع نقابة المحامين في الرقة وقدّم اعتذاره أمام أعضاء مجلس فرع النقابة، ولم أكن موجوداً ساعتئذٍ في قصر العدل. وقد أخبرني بذلك بعض الزملاء من أعضاء مجلس الفرع، وقال: بحثنا عنك في قصر العدل ليعتذر لك ولم نجدك في تلك الساعة.

قلت: الحمد لله الذي نصر الحقّ على الباطل بفضل من انتصر له.

● محامٍ وفنان تشكيلي سوري

شجيح عتيج

أصداء الغربة والذكريات

عيسى الشيخ حسن

وددت مثلك يا حواس أن أكتب عن تلك الأمسية البعيدة، الأمسية التي لبّت حاجة قديمة في أن تتمثّل لك النجوم. كنّا في الجزيرة موزّعين بين تلفزيون سورية وتلفزيون العراق، وإذاعة بغداد وإذاعة دمشق، نفطر مع فيروز، ونتابع أخبار الثامنة والنصف مع مهران يوسف، ونسهر مع ناظم الغزالي، ونمشي في شوارع شبابيكها تطلق أغنيات «مسافرين، واعزاز».

*

كان هذا منذ 19 سنة أو أقلّ قليلاً، حين جئت إلى الدوحة معلّماً، وقد سكنت في «وادي السيل» قبالة بناء المسرح الوطني، لا يفصلني عنه غير طريقٍ سريعٍ بمسارين، وقد خفّف هذا عنّي مؤونة الغربة.

*

قبل ذاك لم أسمع باسم «نصير شمّة» ولكن كونه عراقيّاً فقد كان فرصةً لأستعيد شيئاً منّي، بل منّا؛ نحن المفتونين بدمشق وبغداد على السواء، نحن البعيدين عن الضوء، نتلمّس نجوم الرياضة والفنّ في شاشات الأبيض والأسود. وندرك أنّ رؤيتهم ضربٌ من الحظّ، شاهدت محمود جبر وكنت في الصفّ الثامن، جاء يدعونا إلى مسرحيته «أظنها سراديب الضايعين» ويومها أبهرنا مدرس العربي أ. ياسين بارودي بأن خطف الحديث من محمود جبر، فقدمه كما يقدم البحتري والمتنبي في دروس النصوص الشعرية.

*

رأيت سعد الدين بقدونس في دمشق، وسلمت عليه بحرارة، كنا خارجين من صلاة جمعة، رأيت كثيراً من نجوم منتخب الكرة في الملاعب. ولكن أن تحظى بنجم عراقي تشاهده في الحقيقة فهذا مستحيل؛ فبيننا وبينهَم ما صنع الحدّاد، حتى إن أحد أبناء قريةٍ مجاورة من جيلنا كان يصرخ في الليل: «عدناااااااااااان» العبارة الشهيرة لمؤيد البدري وهو يعلق على هدف عدنان درجال على كوريا الجنوبية في بطولة اسيا عام 1984، وسمعت أن أباه بحث عمن يرافق ابنه إلى دمشق من مشجعي الكرة، يوم لعب منتخب العراق مع منتخبنا في تصفيات كأس العالم، كي يرى عدنان درجال فلم يجد.

*

حين دخلت قاعة المسرح في ذلك المساء، تمثّل لي نجومي، نجوم تلفزيون السانيو القديم بشراً من لحم ودم، عراقيون في قطر، بعد النزف البشري الهائلً الذي سبق الخراب، توافد الحاضرون، واقتربوا من ملء المسرح، ورائي مباشرة، وربما بعدي بصفّ جلس «مؤيد البدري» الذي أقام هنا حتى وفاته «رحمه الله». وبعد وقت قليل حضرت «أمل حسين» وتبادلت معنا التحية، نحن المحيطين بمؤيد البدري.

*

كانت أمل حسين، نجمة شاشة العراق، بجمالها وحضورها وذكائها ونبرة صوتها، وقد فتنتنا شباباً وهي تقدّم البرامج المختلفة، فيحضر الجمال العراقي السومري والعيون البابلية النجلاء، ومن رأى أمل حسين في حوارها مع جبّار عكّار، أو نزار قبّاني فقد أعذر الشاعر البدويّ الذي أنسنته حارات بغداد فقال «عيون المها بين الرصافة والجسر..»، تقرأ الإنكليزية والعربية فما تدري بأيهما تجيد الحديث، وتحدّث سناء جميل حديث المثقف بالفن والتمثيل، وتشارك الممثلين في برامج اللغة التعليمية، رفقة ممثلين أكفاء، فتقرّ معهم أنّ لغتنا مدينة واسعة الأبواب، تجاذبتها العوامل.

*

جاء «نصير شمّة» وعزف فأبدع، عزف بأصابعه المختلفة، وعزف بيد واحدة، وعزف مقطوعة العصافير، فانسربت في ذواتنا مويجاتُ سعادةٍ ومرح وضحك خفيف. كنت أسترق النظر إلى أمل حسين، لأرى كيف يترجم ذاك الوجه الملائكي إبداع هذا الموسيقي البارع؛ فأرى إشراق الفرح في عينيها، هو الفرح ذاته في تلك الشاشة، شاشة الأسود والأبيض، فأعود من جديد مندهشاً من براعة ذلك الموسيقيّ.

*

في مقطوعة العامريّة التي أعرف شدّة وقعها على العراقيين والعرب، وقد كنّا نتابع الحرب يوماً بيوم. «تكهرب» الجوّ فجأة، حين بدأ نصير يعزف، هربت العصافير والضحكات وإشراقات العيون من المسرح، كأنّ الدم ذاته صار ثقيلاً في جسدي، تساقطت جثث متفحّمة بين يدي العازف المتشنّجة، وكانت آخر استراقة نظر. «كانت أمل تبكي»... ولم أنظر إليها بعد ذلك.

***

حروفيات:

كنت طاءً صغيرةً في لفافة من قماش، أمّي لا تكاد تراني، حين هملت عين السماء، واقترب القطيع من النهر، لم أبحث عن اسم لي، ولم أسافر للعمل في بيروت. هناك يتعثّر العابرُون بالبحر والسفن وشارع الحمرا.

*

يومها انزلقت من يد خطّاط، يوم استعصيت على الخطوط جميعها، ولذت بما يشبه بيضة نعامة، كاد الرمل أن يفضحني، ولم أبحث عن اسم لي، لم أكن طاء الطفل لأركض وراء بائعي العنب علىً ظهور حميرهم المتعبة في براري الشمال، لم أكن طاء الطريق، لأشيلِ عنه خطأ الغزاة بخيولٍ حفرت في كتب التاريخ فصولاً وفصولًا، لم أكن طاءً الطريدة لأركض بقلب أمّ، وعين ذئب.

*

كنت طاءً فحسب، طريّاً مثل زبدة «حبّابتي» في الثامنة صباحاً، رشيقاً في شفتي الشيخ وهو يقرأ «والتين والزيتون* وطور سينين» فأحسب أن ذلك الشجر الذي لم أعرفه في البريّة يحتمل اسمي.

*

لم أبحث عن النجاة ولكنّني طرت، ولم أبحث عن قشّة ولكنّي طفوت، أنا حارس اللغة الغريب، أصطاد لأولادي في براري النصوص، أكمن للموت والأفكار والحرب، لا شباك لديّ تكفي لأقول لكم إن الحرب انتهت، ولا سلاقيّ تتبعني خلف ذكرياتٍ لا تتعب.

*

ربّما كنت طاء الطارئ والطارق وأنا أحذف المتاح، وأنوء بكلكل امرئ القيس، حين قال لي أستاذي في الجامعة أعرب البيت التالي، ولم يكن في يدي غير حروف جرّ نثرتها على ذلك البيت، كما تنثر أمّي الملح فوق «مفرّكة البطاطا».

*

حين تقولين لي هو نصّ، محض نصّ، فلن أزعل كثيراً، هل هي طاء الإحباط، أقول لك لم أحبط كثيراً، لأنّي لم أعوّل على شيءٍ، كنّا أصدقاء ولكنّ الحرب «ابنة كلب» عضّتنا جميعاً، فهلكت فينا أشياء كثيرة، ولكنّ الحرب منحتنا أكثر من لعبة، لنملأ الفراغات بالكلمات المناسبة.

*

حين تقولين إنه نصّ، ولكنّه طاعنٌ في العصيان، فلن أجد في يديّ ما يكفي لأصفّق، سأمتحن الراوي ليكتب مقدّمة تناسب فرحاً سوريّاً متخيّلاً، المقدّمات ضرورة، ولكنّ الروايات تموت حين تختصم طاء البطل، وطاء الوطن. حينها سيتمكّن منّي النعاس، وأحلم بك، تشبهين حلب، بحاراتها الجديدة، التي استضافت قرانا البعيدة، وسلّمت أهلها فؤوس النجارة، ومساحي عمّال الإسمنت.

*

كنت طاءً فحسب، حين يعود المؤلّف من رحلته، فقولي إنّهم غرّبوا، وصار بيننا جبال وبحور، لا تنخدعي بصورهم، وحساباتهم على الفيس، وحكاياتهم في اليوتيوب، هم بعيدون، وأنتِ هنا تبحثين عن طائي، التي أبحث معكِ عنها.

ـ طاء.. طاء طائية* حوّل وانزل ع الفرس..

● شاعر وروائي سوري مقيم في الدوحة

«بندقية أبي»

نضـــال وهـــوية عبـــر أجيـــال

المرّمار
عبد الكريم البليخ

رواية (بندقية أبي) للكاتب والسينمائي الكردي هنر سليم تُعد عملاً أدبياً استثنائياً يجمع بين السيرة الذاتية والحكاية الجماعية للشعب الكردي. عبر صفحاتها، تتجسد معاناة أمة بأكملها في شخصياتها وأحداثها، مما يجعلها شهادة أدبية عن النضال، الهوية، والصمود. الرواية ليست مجرد سرد شخصي، بل هي مرآة تعكس محطات التاريخ المأساوي للكرد، وتُبرز كيف أن النضال يتحول من فعل مادي إلى رمز ثقافي وفني.

يُقدم الكاتب بندقية الأب، «برنو»، كرمز مركزي في الرواية. ليست البندقية مجرد أداة حرب، بل هي جزء من الهوية الكردية، وشاهد على نضال طويل ضد القمع والاحتلال. في حياة شرو سليم ملاي، والد الراوي، كانت البندقية بمثابة الرفيق الذي لا يفارقه، مما يعكس مدى ارتباط النضال اليومي بحياة الكردي البسيط.

تُظهر الرواية كيف أن السلاح كان ضرورياً في مواجهة الأنظمة التي سعت إلى محو الهوية الكردية. ورغم ذلك، يشير الكاتب إلى أن النضال الحقيقي يتجاوز استخدام السلاح، ليشمل الإبداع والفكر. هنا، يبرز تحول النضال في حياة آزاد، ابن شرو، الذي يختار الكاميرا وسيلة لعرض قضية شعبه، مما يُبرز بُعداً جديداً للنضال يركز على القوة الناعمة للتأثير الثقافي.

تُوثق الرواية محطاتٍ حاسمة في التاريخ الكردي، بدءاً من قيام جمهورية مهاباد في إيران، وصولاً إلى النضالات التي قادها ملا مصطفى البارزاني. يعكس الكاتب بمهارة خيبات الأمل المستمرة للكرد، الذين طالما عانوا من خيانة القوى الدولية. في هذا السياق، يظهر المثل الكردي «لا أصدقاء سوى الجبال» كخلاصة للمرارة التي يشعر بها الكرد.

تُوثق الرواية محطات حاسمة في التاريخ الكردي، بدءاً من قيام جمهورية مهاباد في إيران، وصولاً إلى النضالات التي قادها ملا مصطفى البارزاني. يعكس الكاتب بمهارة خيبات الأمل المستمرة للكرد، الذين طالما عانوا من خيانة القوى الدولية. في هذا السياق، يظهر المثل الكردي «لا أصدقاء سوى الجبال» كخلاصة للمرارة التي يشعر بها الكرد

من خلال شخصية الأب، تسلط الرواية الضوء على الشجاعة والتضحيات التي قدمها المقاتلون الكرد، المعروفون بـ«البيشمركة». ورغم تصويرهم كأبطال، فإن الرواية لا تُخفي الجانب الإنساني لهؤلاء المقاتلين، الذين كانوا في نهاية المطاف بشراً يعانون ويأملون.

تُبرز الرواية أزمة الهوية الكردية كأحد المواضيع الرئيسية. يعيش الكرد في صراع مستمر مع هويات مفروضة عليهم من قبل الأنظمة المتعاقبة. من خلال السخرية التي يستخدمها آزاد، يُظهر الكاتب التناقضات التي عاشها الشعب الكردي. يقول آزاد: «كان جدي كردياً على أرض حرة، ثم أصبح عثمانياً، ثم تركياً، ثم عراقياً». هذا التصريح يُجسد فقدان الانتماء الوطني والشعور المستمر بالغربة.

الأب، شرو، يُمثل جيلاً لم يشعر يوماً بالانتماء لدولة العراق. بالنسبة له، كان الحلم دائماً هو كردستان حرة. من جهة أخرى، يُظهر آزاد كيف أن الهوية الكردية ليست مجرد مسألة سياسية، بل هي شعور عميق يتجاوز الجغرافيا والسياسة.

تشكل الهجرة موضوعاً محورياً في الرواية، حيث يُقرر آزاد مغادرة وطنه في سن مبكرة بحثاً عن طريقة جديدة للنضال. يأخذ آزاد معه رموزاً تعبّر عن هويته الكردية: شريط أغانٍ كردية، كتاب شعر كردي، وزيّاً تقليدياً. في المنفى، يتحول آزاد إلى مخرج سينمائي يستخدم الفن لنقل معاناة شعبه إلى العالم.

الهجرة في الرواية ليست هروباً، بل إعادة تعريف للنضال. تتحول الكاميرا إلى أداة لتوثيق الهوية الكردية، مما يُظهر أنَّ الكفاح يمكن أن يكون أكثر تأثيراً عندما يتم تقديمه بلغة الفن والإبداع.

تمتزج الرواية بسخرية سوداء تُظهر عبثية الواقع السياسي والاجتماعي. في أحد المشاهد، يصف الكاتب نادلاً يضطر إلى البصق على صورة الرئيس صدام حسين لتسهيل تنظيفها، في مشهد يُظهر التناقضات اليومية التي عاشها الناس في ظل الديكتاتورية.

كما تسلط الرواية الضوء على مأساة وفاة ابنة أخ آزاد بسبب إهمال طبيب وصفها بأنها «ابنة إرهابي». هذه الحادثة تُبرز مدى قسوة الحياة اليومية للكرد تحت القمع، وتعكس الظلم الذي كان جزءاً من حياتهم.

رغم التركيز على النضال، تُبرز الرواية الجانب الإنساني من خلال تصويرها للحياة العائلية. في مشهد مؤثر، يتخلى الأب عن آخر حلي والدته الذهبية لتعليم ابنه. هذا المشهد يُظهر التضحيات التي تقوم بها الأسرة الكردية من أجل مستقبل أفضل.

تُظهر الرواية أيضاً التوترات العائلية الناتجة عن النضال. أفراد الأسرة يتفرقون بين القتلى، واللاجئين، والمعتقلين، مما يُبرز الألم المزمن الذي يعانيه الكرد. ورغم كل هذا، تظل الأسرة رمزاً للأمل والاستمرارية.

تختتم الرواية برصد مصائر مأساوية لأبطالها. يموت الأب في المنفى، ويُحرم آزاد من حضور جنازته. أفراد الأسرة يواجهون مصائر مختلفة، تعكس الألم المزمن الذي يعيشه الشعب الكردي. ومع ذلك، تظل الرواية شهادة على الأمل والإصرار على البقاء.

تُظهر الرواية أن النضال ليس مجرد فعل مادي، بل هو حالة مستمرة من الحلم والإبداع. من خلال الفن، يتمكن آزاد من إعادة صياغة قضية شعبه وتقديمها للعالم، مما يجعل الرواية دعوة للتأمل في معاناة أمة لا تزال تكافح من أجل حريتها.

رواية «بندقية أبي» ليست مجرد قصة شخصية لعائلة كردية، بل هي وثيقة أدبية تعكس مأساة أمة بأكملها. بأسلوب يجمع بين الواقعية والرمزية، تُبرز الرواية قضايا الهوية، والسياسة، والنضال، مع التركيز على الإبداع كوسيلة للتغيير. إنها شهادة على الصمود والأمل، ودعوة للتفكير في قوة الحلم والإبداع في مواجهة الظلم.

رواية «بندقية أبي» ليست مجرد قصة شخصية لعائلة كردية، بل هي وثيقة أدبية تعكس مأساة أمة بأكملها. بأسلوب يجمع بين الواقعية والرمزية

خواطر قد لا تسر الخاطر

يكتبها
فيصل أبو شادي

*كان في الخمسينيات من عمره، رفيقاً ورقيقاً للأرض، بينما كنت أنا الطفل المتعثر بحصواتها، أسعى لملاحقة سلم العمر لأطاول قامته. كان طويل القامة، عريض الشارب، ذو وجه كبير وملامح بارزة لا تخطئها العين.

عرفته بعد أن نجحت في نطق الكلمات وفهم المعاني، فكان أكثر من مجرد عامل نظافة وجار. كان مفردة جميلة من مفردات الحي، رمزاً للزمان والمكان.

كنا أطفالاً ننتظر الفجر بشغف، لنشعر بطفولتنا، فنراه في الطرقات حاملاً مكنسته الطويلة، يدفع عربته التي تتوسطها براميل النظافة، وعلى جانبيها عجلتان تدوران في الأزقة والحواري، يجمع فيها مخلفات البيوت والحارات.

العم حُمدي...

كان النظافة في ذاتها، ما إن تُذكر النظافة حتى يُذكر هو. حضوره كان يعني النقاء، وغيابه كان يترك أثراً من التلوث في الشوارع والقلوب.

كان رجلاً قليل الكلام، كثير الابتسام، لا سيما مع الأطفال. حضوره كان يحمل معنى خاصاً لا ندركه في حينه. كنا لا نشعر بمرور اليوم إذا لم نرَ العم حُمدي.

يبدأ اليوم بشروق الشمس وظهور العم حُمدي.

أصوات لعبنا تتناغم مع حركاته في الشوارع، وينتهي النهار بعودته إلى منزله، بصمته المعتاد وابتسامته الخفيفة. وما إن يترك عربته أمام باب منزله حتى نتسابق، بصيحاتنا الطفولية، لدفع تلك العربة التي كانت لنا عربة أحلام.

أستذكر المطر وأيام الشتاء، عندما كنت أنتظر توقف الهطول لأخرج إلى الشارع حيث تتشكل البرك الصغيرة. كنت أنظر إلى خيالي المنعكس على وجه الماء الصافي، فيحضر طيف العم حُمدي، بنظافة الأرض ونقاء ماء السماء. ذلك الثالوث البسيط: أرض نظيفة، سماء صافية، والعم حُمدي... كان يشكل عالماً طفولياً لم أدرك قيمته إلا بعد فوات الأوان.

تلك الليلة...

تغيرت سكينة العم حُمدي المعهودة، عندما طافوا بي رفاقي وشيخي (الشيخ كامل)، وسط إصطفاف نساء الحارة ورجالها أمام بيوتهم، احتفالاً بحفظي جزءاً من القرآن الكريم.

كان التقليد أن يرتدي الطفل أجمل ثيابه، ويعلق حقيبة قماشية تخيطها أمه وتطرزها بالخيوط الملونة.

كان الشيخ يكمل زينته بوضع طربوش أبيض على رأسه، ثم يأخذ بيده ليطوف به شوارع الحارة.

كانت الحارة تستعد لذلك الموكب، والأطفال يتأهبون لما يُنثر من السكاكر، يلتقطونها في سباق طفولي بهيج. المهرجان كان يكتمل بتوزيع الكعك الشعبي (الكليجة) والشاي على الجميع، في مزيج من فرحة الطفولة وبهجة الكبار.

في ذلك اليوم، رأيت العم حُمدي يغادر صمته وهدوءه، يبتسم كطفل كبير، لافتاً بعثرات أسنانه المهترئة من شرب الشاي وتعاقب السجائر. لكن أكثر ما لفتني كانت دمعة حبيسة خلف عينيه الحزينة.

ربما...

كانت تلك اللحظة تُذكره بأنه لم يكن أباً. لكنه، في زوايا ذاكرتي، كان أكثر من ذلك. كان أباً للطهارة والنقاء الذي عشناه في أزقة الحي وحواريه.

اليوم...

أستدعي ذكراه من ذلك الزمن البعيد، وأقول له:

«لم أكن ابنك، لكنني أتذكرك... واشتقت لك».

اشتقت للأزقة والحواري، وتلك الأرض التي كانت تتباهى بنظافتها وطهارتها.

اشتقت لتلك الأفراح البريئة في زمن الطفولة الكبيرة.

أنتَ الوطن النظيف أيها العم حُمدي...

**

*قبل عقد ونصف من الزمان، كان الجد يسرد الحكايات، وها أنا الآن أروي حادثة جرت معي في ذلك الوقت.

كنت قد عدت من خارج البلاد، حيث بدأت تعليم اللغات للمرحلة الثانوية، والمواد المختلفة للأطفال في المتوسطة وما دونها لأبناء الحي فقط. كان يومي مليئًا بالاستفسارات والتساؤلات حتى زارني ذات يوم شاب ثلاثيني. لاحقًا عرفت أنه من الإخوة الأكراد، جاءني برجاء خاص، طالبًا مساعدتي لأخيه الأصغر الذي كان في الصف التاسع ويستعد للامتحانات، لكنه لا يجيد العربية لا قراءة ولا كتابة.

أخبرني شقيقه أنه لم يدخر جهدًا في تسجيله بدورات تعليمية مختلفة، لكن بلا جدوى، إذ لم يتعلم حرفًا واحدًا. وباعتباري قريبًا من الحي، أصبحت أمله الأخير. أتذكر أن أول ما خطر ببالي حينها هو سؤال بسيط لكنه مستفز بالنسبة لي:

«كيف وصل إلى هذه المرحلة وهو لا يجيد القراءة والكتابة؟»

ابتسم الشقيق الأكبر ورد قائلاً:

«يا أستاذ، صحيح أنك عشت في الخارج... لكن الأمر بسيط!»

كان صمتي حينها أبلغ من أي تعليق. استقبلت الشاب في اليوم التالي في وقت فراغي، بعيدًا عن الحصص الجماعية. ألفيته شابًا هادئًا لطيفًا، يتحدث العربية بخجل، لكنه كان يتجاوب معي.

عادةً، لا تستغرق لقاءات التعارف مع الطلاب الجدد أكثر من نصف ساعة، إلا أن تلميذي الجديد استدعى ثلاث لقاءات مختلفة، بعيدة عن أجواء المعلم والمتعلم، وبعيدة عن الدروس.

كانت لقاءات شخصية محضة. تعارفنا جيدًا، واستطعت الدخول إلى أعماقه النفسية والعصبية، حيث شكلنا نواة صداقة مختلفة عن أي علاقة تقليدية بين معلم وتلميذ.

لم يكن عجزه عن تعلم العربية مجرد فشل تعليمي، بل رفضًا نفسيًا كاملًا متجذرًا في وعيه الباطني. نشأ على فكرة أن تعلم العربية يعني فقدان هويته الكردية، وأنه إذا تعلمها، سيصبح «كائنًا عربيًا» على حد وصفه.

هذا الشعور عززته التنشئة والبيئة المحيطة، دون أن يدركه شقيقه أو أسرته. أرادت عائلته أن يتعلم فجأة بعد أن أدركوا أن الشهادة هي المفتاح لفتح أبواب كثيرة.

أوضح لي هذا الفتى أنه لم يكن يشعر بأي ضغينة تجاه العرب. كان يلعب ويمرح معهم كأي طفل آخر في الحي. لكنه كطفل صغير، لم يستوعب الصراعات النفسية التي كانت تتنازعه، خصوصًا حين كان يواجه ضغوطًا لم تكن بحجم إدراكه.

بفضل الصداقة التي بنيتها معه، اخترقنا معًا الحاجز النفسي الذي كان يهدد حلمه، بغض النظر عن ماهية هذا الحلم. فالنفس البشرية وعاء يمكنك أن تزرع فيه ما تريد إذا صلحت النوايا، وكانت الإمكانات والتخصص حاضرة. لا يوجد إنسان دون مشاعر وأحاسيس وقلب وعقل وكيان، والعلم يأتي ليرتقي بهذا الكائن ليضيء طريق البشرية دائمًا.

نجح تلميذي في تعلم العربية، وحصل على الشهادة التي كانت تعني الكثير له ولأسرته. دخل الجامعة وتخرج، وحقق حلمه. لم يصبح عربيًا، ولم يفقد هويته الكردية، بل ظل مخلصًا لروحه وثقافته ولسانه.

إلى كل من يعيشون تحت صخرة الحياة، أقول:

الحياة بستان كبير لمن يؤمن بها. لا تقهروا أحلام النشء، دعوهم يحلقون في فضاء الحياة!

أبحرت إلى كل الموانئ

ثمانون عاماً

من التجارب والأحداث

المرفأ عبد السلام العجيلي

مرفأ الذاكرة لدى كاتب هذه السطور، على اتساعه وطول أرصفته، يضيق بالأحداث والصور والأقوال التي تزاحم فيه وعليه، وليس ذلك مستغرباً على ما مر بي في ثمانين عاماً من العمر قد انقضت لي، وعلى ظروف مختلفة عشت فيها ونشاطات مارستها في مجالات العلم والأدب، ومجالات السياسة والحرب، وفي عملي كطبيب، وفي الأسفار والعلاقات الاجتماعية، وفي غير هذه وتلك وهاتيك.

أبعد ما استقر في ذاكرتي من صور هي بلا شك صورة ترجع إلى سني طفولتي الأولى، وذلك حين كنت في الثالثة من عمري أو حين خطوت أولى خطواتي في سنتي الرابعة، عرفت مبلغى من العمر أيام هذه الصورة بعد ما كبرت وسمعت ما رواه من أبناء بلدتي الصغيرة من تاريخ هذه البلدة، وهي الرّقة على شاطئ الفرات في شمالي سوريا، ومن حكايات الأحداث التي مرت بها زمن طفولتي، تلك الصورة هي منظر جسم لامع، فضي اللون، يرتسم على صفحة سماء خفيفة الزرقة ويسير على تلك الصفحة بخط مستقيم وبحركة تبدو بطيئة لبعدها عن عيني، ثم منظر قطع صغيرة، مستطيلة، تتساقط من ذلك الجسم اللامع، قطعتان أو ثلاث أو أربع، لا أذكر اليوم كم كان عددها على الضبط، تتساقط ويحجب عن بصري مكان وقوعها جدران المنازل التي كانت في الجانب المقابل للقبو الذي كنت أتطلع من بابه الضيق إلى السماء فوقي. ذلك القبو الذي كنت فيه مع أمي، ومع نساء كثيرات معهن أطفالهن، كلهن يتزاحمن ليتطلعن من باب القبو إلى السماء وإلى تلك القطع المتساقطة من ذلك الجسم الفضي السائر على صفحة السماء.

بداية مع الحرب

عرفت عندما كبرت أن الجسم السائر ذاك كان طائرة حربية وأن تلك القطع المتساقطة قنابل مهلكة كانت الطائرة تلقيها على مواقع متفرقة من بلدتنا، وأن ذلك حدث في الأيام الأخيرة من شهر سبتمبر من عام 1921. هذه أبعد ما حفظته ذاكرتي من صور. ولعل استقرار هذه الصورة بهذه القوة في ذاكرة الطفل الصغير الذي كنته قد ترك في لا وعيي تأثيراً اصطبغت به حياتي المقبلة في كثير من جوانبها، والجوانب الفكرية والسياسية منها بصورة خاصة. تلك الطائرة كانت واحدة من طائرات جيش فرنسا الذي غزا بلادنا واحتلها باسم الانتداب بعدما غدر الحلفاء بالعرب وتقاسموا بلادهم. وإلقاء بقنابلها على بلدتي الرقة، كانت هذه البلدة أصبحت في ذلك الحين مقراً لحركة وطنية أعلنت الرقة وما حولها دولة عربية مستقلة لا تعترف بانتداب فرنسا، بل جندت جيشاً وجهته إلى حلب لمحاولة انقاذها من يد المحتل الفرنسي، ذلك تاريخ مجهول لبلدتي الصغيرة بسطته في كتاباتي بعد مرور عقود طويلة من السنين على أحداثه، وليس هنا مكان روايته، ولكني أردت القول إنه قد يكون في استقرار هذه الصورة في خاطري طيلة ما يفوق ثلاثة أرباع القرن إرهاص لما ستكون عليه أفكار ذلك الطفل ويكون عليه سلوكه وتصرفه حين يغدو شاباً وبعد أن يكتهل ثم يشيخ.

تتزاحم الصور على مرفأ الذكريات بعد تلك الصورة الأولى المغرقة في البعد، كبر الطفل في الخامسة من عمره، وانتقل بذلك من حضن أمه إلى حضن المدرسة، كان انتقالاً مبكراً بالنسبة لانتقال أنداده الذين كانوا يفوقونه في السن، فأكسبه ذلك مكاسب، وعرّضه لبعض الهشاشة في تكوينه العلمي لم يتخلص منها إلا بعد عناء وزمن طويل.

عالمي الجميل

كانت المدرسة عالمي الجميل والمفضل، ولكنها لم تكن كل العالم لي، كانت هناك المطحنة التي يملكها والدي، وهناك مضارب أعمامي في البادية حول بلدة الرقة، أو بالأحرى في سهول تلك البادية التي تعشب في الربيع وتحرق أعشابها شمس الصيف الملتهبة فترتد مقفرة جرداء. كنت أتردد على المطحنة لأحمل لأبي طعام غدائه وعلبة دخانه اليومية من منزلنا، ولأتأمل في الرحى الدائرة وهي تتلقى الحنطة حبوباً قاسية وتقذف بها دقيقاً ناعماً، ولأتطلع إلى المحرك ذى الدولا بين الضخمين وهما يدفعان بالمكبس إلى جوفه ويجتذبانه من ذلك الجوف، في حركات منتظمة عنيفة ورشيقة في آن واحد، وحدث في إحدى مرات تطلعي ذاك أن علق طرف القنباز الذي كنت أرتديه بالسير الجلدي لمضخمة الماء التي كانت مركبة فوق بئر في جانب المحرك، وهو يدور على دولابه، فلم أشعر إلا وأنا مرتبط بذلك الدولاب مرتفعاً إلى قمته قبل أن ينحدر فيلقيني في قرارة البئر. سارع أرمين، ميكانيكي المطحنة الأرمني، إلىّ واجتذبني من يدي بقوة قاذفاً بي إلى الأرض بجانب فوهة البئر. وسلم الله ذلك الصبي الطلعة، القليل الحذر من هلاك محقق آنذاك.

أما مضارب أعمامي فقد كنت أتردد عليها، في الربيع، في العطل المدرسية وبعد الظهر من كل خميس ويوم الجمعة التالي له. كان أهل بلدتنا، وأسرتنا من بينهم، نصف حضر يسكنون منازل البلدة الحجرية نصف السنة ويخرجون إلى السهوب المعشبة في الربيع وأوائل الصيف مع أغنامهم يتنقلون بها بين

المراعي. والدي كان من أوائل الذين تحضّروا وسكنوا البلدة في السنة بكاملها، ولهذ كنت ألجأ إلى منازل أعمامي في بيوت الشعر في المراعي كلما أتيحت لي الفرصة، فأرعى مع صبيانهم الخراف وأطاردها حافي القدمين معهم، وأنام تحت سماء الربيع المتألقة النجوم وأستمع في الفجر، وأنا بين النوم واليقظة، إلى أحاديث المتسامرين المتحلقين حول النار الموقدة في كاسر البيت قبل أن يهب الرجال ليأتوا بنعاج القطيع إلى أمام المضارب وتهب النساء لتحلب تلك النعاج.

القصيدة الأولى

كان تلامذة مدرستنا الوحيدة في البلدة قد تهيأوا، بإشراف معلميهم، ليقوموا بتمثيل مسرحية عنوانها «وفاء السموءل»، كنت أحضر معهم تجاربها وأشاركهم في إعدادها، نظمت أنا لهذه المناسبة قصيدة، كانت أول قصيدة لي صحيحة الوزن وسليمة اللغة على ما أذكر، وعهدت بها إلى أحد الفتيان ليفتتح بها التمثيل مشترطا عليه ألا يذكر اسمي كناظم لها، كان اشتراطي هذا نابعا من انطوائي على نفسي وحياء مفرط يجعلني أتهيّب من كل إشارة إلىّ تميزني عن الآخرين، بدأ تمثيل المسرحية مسبوقاً بإلقاء تلك القصيدة، ولكن ما اشترطته على ملقيها لم يدخل فى حيز التنفيذ فقد أعلن ذلك الفتى اسمى بأعلى صوته منوها بأنى أنا ناظم القصيدة، وما جرى في اليوم التالي لحفلة التمثيل أن أقرباء أبى وأصدقاءه تكاثروا عليه بلومهم إياه على دفن مواهبي في العلم والأدب تحت غبار المطحنة وفي زيتها، وبمطالبتهم له بإعادتي إلى حلب كي أتابع الدراسة التي هجرتها في ثانويته.

وهكذا عدت إلى حلب ومدرسة التجهيز الثانوية فيها، وقد ضاعت على أربع سنوات من الدراسة، استدركت سنتين من تلك الأربع في فحص تأهيل، اجتزته بنجاح، وضاعت مني سنتان، ولكن هل ضاعت منى تلكما السنتان حقا؟ الصحيح أن لا. سنوات الانقطاع التي ضاعت منى، أو على، اكتشف بعدها أنها اكسبتني فوائد لا تقدر بثمن، عدا نضج الفكر وتجربة العمل ومعرفة أصناف الناس التي تحدثت عنها، وجدتني قد حصلت من قراءتي على زاد من المعرفة في علوم شتى أتفوق بها على أقراني فى المدرسة التي عدت إليها، وأحيانا أتفوق بها على أساتذتي في بعض تلك العلوم. وأهم من ذلك كله اكتشف أن تهيبي من الحساب والرياضيات والعلوم الحقيقية، الذى كنت أحسبه ضعفاً وعجزاً مني فيها، اكتشفت أن ذاك التهيّب قد فارقنى كلياً وتحول إلى مقدرة وولع شديد بتلك العلوم.

ثابرت في المدرسة الثانوية على قرزمة الشعر، أعلى نظمه نظماً هزيلاً في أول الأمر، إلى أن استقام لي أمره بالاستمرار وبتوسع المعرفة، إلا أنى لم أتعد فيه المزاح والتسلية، أسخر فيه من رفاقي وأرسم به صوراً ضاحكة لأساتذتي، وأحيانا أنظم به نظريات الهندسة ودروس الكيمياء في أراجيز ساخرة على طريقة ألفية ابن مالك! ذلك أن تعلقي الكبير

منعطف حياتي

بعد الدراسة الابتدائية كان علي أن أنتقل إلى حلب لمتابعة تعليمي لأن الرّقة لم تكن تحوي مدرسة ثانوية، وهنا وفي ختام السنة الأولى من الدراسة الثانوية، حدث ما اعتبرته بعد ذلك المنعطف الكبير في حياتي. أصبت في العطلة الصيفية بمرض ألجأ والدي إلى أن ينقلني إلى حلب ليعالجني أطباؤها، لا أذكر اليوم، وأنا الطبيب، ماذا كان ذلك المرض، الذي أذكره أن الدكتور مونييه، وهو الطبيب السويسري الجنسية الذي تولى العناية بي في مستشفاه نحواً من عشرة أيام ، أشار على أبي بأن يقطعني عن الالتحاق بالمدرسة عاماً كاملاً، بقيت العام التالى بطوله فى الرقة بناء على اشارة الدكتور مونييه، وبقيت عامين بعده فيها بناء على رغبة الوالد الذي أرادني على أن أنقطع عن الدراسة لأعينه في إدارة أعماله وأملاكه، أنا الذي كنت ولده الوحيد آنذاك. كان ذلك مصيراً قاسياً لي أنا الذي فتحت آفاق تفكيره وألهبت خياله قراءاته الكثيرة والمختلفة، ولكن رب ضارة نافعة، سورة البقرة آية 216 وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، كانت هذه الأعوام الثلاثة المتتابعة ضرورية لنضج تفكيري كما أنها ألحقني بمدرسة من نوع آخر، رحت أتلقى المعرفة فيها لا من أفواه المعلمين أو من صفحات الكتب، بل من مخالطة الناس وممارسة الحياة والتعامل المباشر مع أمورها. تلك هي مدرسة العمل إلى جانب والدى وتحت إشرافه، عملت في المطحنة التي كنا نملكها مشرفاً عليها وجابياً على غلتها، أتاح لي ذلك التعرف على أصناف الناس الذين كانوا يتوافدون علينا، نساء ورجالا، من البلدة ومما حولها في المنطقة الواسعة المحيطة بالبلدة، البدو كانوا يأتوننا بقمح مؤونتهم على جمالهم، والقرويون على الحمير، وسكان البلدة على عرباتهم التي تجرّها الكدش، وهي غير الأصائل من الخيل، أصبحت على معرفة بالقبآئل نسباً ولهجات كلام ورزاية أحداث سالفة وجيدة، هذا في النهار، أما في الليل فقد أتاح لي سن اليفع الذي قاربته أن أكون من روّاد مضافة أسرتنا، أجلس منها قريباً من المدخل، مستمعاً إلى أحاديث الكهول عن شؤون الأقارب والأباعد، في بلدتنا ومنطقتها وفي مدننا وبلادنا بأسرها. وفي شهر رمضان بصورة خاصة كنت أستمع إلى أحد أعمامي ممن كانوا يحسنون القراءة يتلو على رواد المضافة، بعد صلاة العشاء كل ليلة، فضلاً من كتاب فتوحات الشام للواقدى أو من رواية سرور آغا وصالحة خانم وسلطان عبد الحميد المترجمة عن التركية، وحين كانت تتأزم أمورنا السياسية مع فرنسا المحتلة كان حضور المضافة يتحلقون حول ذلك العم أو غيره وهو يتلو عليهم آخر افتتاحيات نجيب الريس، في جريدته القبس، في مهاجمة المحتل وتسفيه سياسته، فتلتهب النفوس حماسة وتعلو الأصوات بالاستنكار والاحتجاج والتنديد.

● العجيلي مع قائد الثورة السورية الكبرى سلطان باشا الأطرش

والجاد كان بالعلوم ال1حقيقة من فيزياء ورياضيات، يعجبني العناء الذي أتحمله في إتقانها والنجاح في روسها، في حين أن النجاح في الأدب، نثره وشعره، كان يواتيني بسهولة ويشهد بنتائجي المشرفة فيه المعلمون والرفاق، وإلى جانب هذا نمت في نفسي، مع تقدمي في الصفوف العليا، بذرة حب العمل العام، العمل لصالح الذين أنا منهم فى مجتمعي وفي الوطن الذى هو وطني. أصبحت في السنين الأخيرة من الدراسة الثانوية الرئيس المنتخب للجان الطلاب، والمؤسس لمجلة أصدرتها مع رفاقي وسميتها «صوت الطالب»، والمشارك مع إخواني في الإضرابات والتظاهرات ضد المحتل الفرنسي، والمتكلم باسم أولئك الإخوان حين يقتضى الأمر المديرين والوزراء.

اسماء مستعارة

وبمثل هذا التستر والتوقيع بالأسماء المستعارة نشرت كتابات أدبية كثيرة في عدد من الدوريات المشتهرة في ذلك الزمن، مثل مجلة «الحديث» في حلب و«المكشوف» فى بيروت، وهي دوريات كانت تحفل بما يكتبه أساطين الفكر والثقافة ويطمح الكثيرون إلى أن تظهر أسماؤهم فيها. أما أنا فكنت قانعاً بأن يجاور إنتاجي الأدبي في تلك الدوريات إنتاج المشاهير، وبأن يلقى الإعجاب من القراء دون أن يعرف أحد، إلا الندرة من أصحابي، بأني كاتب تلك القصص أو المسرحيات أو ناظم تلك القصائد، واستمر هذا إلى أن نلت شهادة البكالوريا من صف الرياضيات لا من صفوف الفلسفة أو الآداب، وإلى أن احتضنتنى الجامعة السورية في دمشق، في دراستي الطب فيها، بعد احتضان مدرسة التجهيز الثانوية لي في حلب.

العلضضم، والأدب، والعمل العام، هي المهام الرئيسية الثلاث التي حملتها معي من مرحلة الدراسة الثانوية إلى المرحلة الجامعية، ثم إلى جميع مراحل حياتي التالية لهذه وتلك .

في العلم كنت الطالب الجاد والدائم النجاح، ثم المتابع لكل ما هو جديد في الميدان الذي اخترته لحياتي، ميدان الطب والعلوم التي يستند إليها، والمطبق لمعرفتى بكل إخلاص وتفان على من هم بحاجة

> ”
>
> ## في العلم
>
> كنت الطالب الجاد والدائم النجاح، ثم المتابع لكل ما هو جديد في الميدان الذي اخترته لحياتي، ميدان الطب والعلوم التي يستند إليها، والمطبق لمعرفتى بكل إخلاص وتفان على من هم بحاجة إليها فى ذلك الميدان
>
> ## وفي الأدب
>
> تابعت مسيرتي كهاو له، أعتبره متعة وتسلية، ولكنى لا أستهين به ولا تهاون في تلمس الإتقان والجودة فيه، ظللت ردحا من الزمن
>
> ”

إليها فى ذلك الميدان، وفي الأدب تابعت مسيرتي كهاو له، أعتبره متعة وتسلية، ولكنى لا أستهين به ولا تهاون في تلمس الإتقان والجودة فيه، ظللت ردحا من الزمن، سبع سنوات أو ثمان، أنشر ما أكتبه في الدوريات المختلفة متسترا وراء الأسماء المستعارة، كنت أنتقل من اسم إلى آخر، معميا على من يريد معرفتي، إلى أن وقعت في فخ أحد الصحفيين الذي كشفني وعرف بي ثم أقنعني، بعد أن أصبح صديقاً لي، بأن ليس من حرج في أن يعرفنى قرائي ولا من خطر فى أن تلحق بى الشهرة ! وفي هذا المجال أذكر أن أحد الدارسين أحصى الأسماء المستعارة التى كتبت بها ذذذذبين عامي 1936 و1970 فوجدها تتجاوز اثنين وعشرين اسماً .

أما عن العمل العام، فقد كان استمراراً لما كنت بدأته في دراستي الثانوية، لا مجال في العمل العام للمجهولية وللتستر وراء الأسماء المستعارة، عرفت بين أقراني بالنشاط في هذا الميدان، وعندما بلغت الصفوف المتقدمة أصبحت رئيس لجنة الطلاب فى معهدي لعدة أعوام ومشاركا مرموقا في فعاليات الأوساط الجامعية من ثقافية ورياضية وسياسيه . وكانت تلك مقدمة لانغماري، بعد تخرجي في الجامعة السورية طبيباً، في خضم العمل السياسي فى بلدي، قمت بترشيح نفسى للنيابة في بداية عملي كطبيب فى بلدتي، الرقة، وفزت بعضوية المجلس النيابي السوري عنها، وكان ذلك في صيف عام 1947، أعنى منذ أكثر من نصف قرت مضى .

ذكريات العمل السياسي، كما باشرته بنفسى فى نحو من سنتين كنت فيهما أحد ممثلى الشعب فى المجلس النيابى ذاك، هي من الكثرة والأهمية بحيث يضيق بها مرفأ الذاكرة . كانت سوريا قد نات استقلالها التام بجلاء جيوش المحتل عنها منذ سنة واحدة فانصرف حكامها ووراءهم الشعب إلى الجهاد الأكبر بعد الجهاد الأصغر، أعني إلى معركة البناء واستعادة الحقوق المغتصبة والسعي لتحقيق المثل العليا . الذكريات كثيرة كما قلت. وأقف منها على ذكرياتٍ وقائع معينة كانت من أهم ما مربي تأثيراً لتفكيري وتوجيها لسلوكي. تلك هي الوقائع التي شهدتها أو شاركت فيها ثم تابعت

● الرقة مدينة عبد السلام العجيلي

مجرياتها ومازلت لها متابعاً، وأعنى بها وقائع القضية الفلسطينية.

العودة للأدب

وأعود إلى الأدب مرة أخرى خاتما به هذا الحديث الطويل. لقد دأبت على أن اعتبره لنفسي وأذكره للآخرين كهواية، ممتعة وسامية في آن واحد، أمارسها في غير عناء وفي قليل من الجد. ولكن، كما قال الشاعر القديم:

صار جداً ما لهونا به

رب جد جره اللعب!

فما يطفو على ألوان النشاط المختلفة في حياتي، وما يعرفني به الاخرون ويحاورونني فيه ويتقصون أخبارى فيه، هو الأدب قبل الطب وقبل السياسة وقبل فعاليات مختلفة أخرى أجدني ما قصرت فيها ع أداء ما وجب علي ولا عن تقديم ما قدمته، متطوعا ومفيدا، للناس حولي وللقيم والمعتقدات التي أومن بها، عطاءاتي الأخرى تنحصر معرفتها في حلقات ضيقة وبين أناس محدودين، أو أن دوامها لا يمتد إلى زمن طويل. أما العطاء الأدبي مني ومن أمثالي فإنه، إذا كان يحمل صفات تؤهله لذلك، طويل الديمومة وعريض الجمهور، لقد انتهيبي إصرار الآخرين على تقديم صفتي الأدبية على سائر صفاتي الأخرى أن تابعتهم أنا إلى الإيمان بقيمة هذه الصفة وأكاد أقول إن ذلك حدث على الرغم مني !

ولعلي في هذا الواقعة التي أرويها للقراء في مختتم المطاف أضرب مثلا لهذا الذي ذكرته عن تقدير من عدوني بتقديرهم لما رأوه في من موهبة تستحق التقدير.

حدث ذلك منذ ستة أعوام أو سبعة، زارني في بلدتي السيدك. لوشون، وهو الملق الثقافي في السفارة الفرنسية في دمشق أيامذاك، وكان قارئا لأعمالي المترجمة إلى الفرنسية ومعجبا بها، وف زيارة لي إلى دمشق بعد عودته هو إليها اتصل بي هاتفيا وسألني عما إذا كان بإمكاني أن أمر عليه، في مكتبه، قلت له: أفعل، وبكل سرور، فوجئت حين دخلت مكتب الملحق الثقافي الفرنسي بأن رأيت صورة كبيرة لي معلقة على أحد جدران المكتب. كانت صورة قديمة، أخذت لي في أيام الصبا، أبدو فيها ممتطياً فرساً أصيلة كنا نملكها في ذلك الزمن ومرتدياً ثياباً عربية، استغربت وجود هذه الصورة وسألته عنها. ابتسم وقال إنه عثر عليها بحجم صغير حين زار الرقة، وإنه كبرها وأحاطها بهذا الإطار في بيروت، وإنه استدعاني ليرجوني أن أضع توقيعي له عليها. لم أملك إلا أن أجاريه في الابتسام وقلت له: ولكنك تضع صورتي في صدر مكتبك الرسمي، هذا المكان ليس لي، إنه مكان المسو ميتران ! كان فرنسوا ميتران يومذاك هو رئيس الجمهورية الفرنسية . كان جواب الملحق الفرنسي، الموظف في سفارة بلاده، هذه الكلمة الغريبة التي قالها بلهجة اقتناع: أنت قيمة أكثر ثباتاً من المسيو ميتران!

بالطبع لم أكن من الغرور، أو من فرط الإعجاب بالنفس، بحيث أصدق أن قيمتي تفوق قيمة رجل كان رئيس جمهورية فرنسا في يوم من الأيام وكان مالئ الدنيا وشاغل الناس في زمن رئاسته، ولكن كلمة المجاملة التي نطق بها مخاطبي الكريم، السيدك. لوشون، تصور بجلاء اهتمام نخبة المثقفين، إن لم أقل عامتهم، في عالمنا الحاضر بالأدب وبمبدعيه وتقديرهم لهم وله. وعلى ما يشبه الرغم مني، كما أسلفت القول، أصبحت مجرورا إلى هذا التقدير وذلك الاهتمام بالفن الذي بدأت فيه هاويا مثل المستهين ثم انتهيت إلى أن أجده أجدر ما أختم به هذا الحديث عن مرفأ الذاكرة، وعن الخواطر التي رست فيه بعد طول الإبحار.

التطوع من أجل فلسطين

احتللت مقعدى فى مجلس النواب فى وقت وصلت فيه القضية الفلسطينية إلى قمة التأزم. تألب العالم الغربي، ومعه الاتحاد السوفيتي، على حق العرب وصدر قرار هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، على أن يطبق هذا القرار فى 15 مايو سنة 1948. لم يرض العرب1ذذذ، شعوبا وحكومات بالقرار الجائر وتنادوا إلى الحيلولة دون تنفيذه بقوة السلاح عن طريق الجهاد الشعبي المتمثل بأفواج جيش الإنقاذ، وهي أفواج تألفت من متطوعى البلاد العربية المختلفة، أولا، ثم بتدخل الجيوش السمية إذا اقتضى الأمر بعد ذلك، وفى غمرة أحداث تلك الفترة الحرجة وجدتنى أهجر مهامى كنائب فى المجلس وألتحق متطوعا بمجاهدي فوج اليرموك الثانى من جيش الإنقاذ، وهو الفوج السوري من ذلك الجيش، يرافقنى فى ذلك الالتحاق زميلي فى النيابة الأستاذ أكرم الحوراني، أكون فى مقدمة من دخلوا الأرض الفلسطينية من المجاهدين، سعيا وراء نصرة فلسطين العربية واستنفاذها من مخالب تحالف الصهيونية العالمية وأعداء العرب فى العالم الغربي على أرض العرب المقدسة.

كان فوج اليرموك الثاني بقيادة أديب الشيشكلي الذي كان ضابطا برتبة رئيس وهي الرتبة التي تحول اسمها اليوم إلى رائد أو مقدم، وكان دخولنا إلى فلسطين من الحدود اللبنانية، جنوب بنت جبيل والنبطية، فى ليلة الثامن من شهر يناير سنة 1948. باشرنا عملياتنا الاستكشافية والحربية التي لا مجال للتفصيل عنها طيلة الشهور الخمسة التي سبقت موعد دخول قرار التقسيم مرحلة التنفيذ.

واذا كنت قد عدت بعد تلك الشهور إلى ماكني فى مجلس النواب متابعا مسيرتي السياسة تحت قبة البرلمان وفي المحافل المختلفة وعلى صفحات الجرائد والمجلات، فإن التجربة التي عدت بها من المعاناة على أرض الواقع في فلسطين فتحت عيني على أمور كثيرة وبصرتني بأمور كثيرة كنت بعيدا عن معرفتها مثل الآخرين الذين لم يتح لهم معايشة ما عايشته أنا. أكتشفت في تلك التجربة أشياء كثيرة عن سير أمورنا، وعن خصائص شعوبنا، وعن أقدار رجالنا، ومن سوء الحظ أن تجربتي، كما رددت في مناسبات كثيرة، قد تكشفت لي عما خيب أمل الشاب المثالي الذي كنته في تلك الأيام، ومن سوء الحظ كذلك أن سير أمورنا القومية منذ عام 1948 إلى اليوم جاء مؤيداً تقديراتي السيئة عن وضعنا وإمكاناتنا، وهي التقديرات التي وضعتها لنفسي في ذلك الحين .

الدور الخفي للآباء في الأسرة

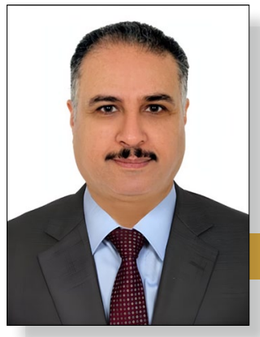

مجدي جادو

صدر في أمريكا مؤخراً كتاب بعنوان "أبي، ماذا تفعل خارج المنزل؟" يتناول دور الأب ومكانته في الأسرة والجهد الخفي الذي لا يراه الأبناء، والمشاكل التي يواجهها في عمله دون أن يشعر بها أحد. الأبناء يرون فقط ابتسامته، رغم قلة الأوقات التي يلتقي فيها بهم، إذ يتلقى التقارير اليومية كل مساء من الزوجة حول أحوالهم.

ويبدو أن الأم تستحوذ في تكوين الأسرة على اهتمام الأبناء وحبهم الفطري، وتفيض عليهم بمشاعر القلق تجاه أي مرض أو إرهاق أو ضيق يصيبهما. الأبناء يحسبون حساباً لغضبها ويتجنبون عقابها، خصوصاً إذا كانت من النوع الصارم الذي يحاسب الأبناء - البنين والبنات - على كل فعل أو كلمة أو علاقة مع الزملاء والأصدقاء. كما تفتش في ملابسهم وتتحسس رائحة الأبناء المراهقين الذين يحاولون تجربة التدخين بعيداً عن المنزل.

الارتباط بين الأبناء والأم هو ارتباط عاطفي يخلو من حسابات العقل، لأنها مصدر الطاقة والدفء والحماية من تقلبات الأيام، وهي الستار الذي يخفي عن الأب أي فعل قد يصل إلى مسامعه. السبب الأهم لهذا الارتباط هو أنها تتولى إدارة شؤون المنزل: الطبخ، النظافة، الأطباء، الأدوية، التعليم، الدروس الخاصة، تدريبات النادي، المناسبات، وأعياد الميلاد. كل هذه الأمور تقوم بها الأم، وأثرها يصل إلى جميع أفراد العائلة، كما أنها الوسيط بين الأبناء والأب في تحقيق مطالبهم واحتياجاتهم، أو التوسط عنده حين يغضب من أحدهم لأي سبب يلاحظه صدفة أثناء وجوده مع الأسرة وقت الراحة أو العطلات الأسبوعية.

إذن، أين الأب في الكيان الأسري؟ وما هي مكانته؟ ما دوره؟ وما علاقته بالأبناء؟ وماذا يفعل خارج المنزل لساعات طويلة؟ وما الحالة التي يسببها وجود الأب بين الأبناء؟

من أسوأ المشاعر التي يمكن أن تصيب الرجل أن يصبح مجرد مصدر للمال تعتمد عليه العائلة، دون اعتبار للجهد والعناء الذي يبذله، أو الأزمات التي يواجهها للوصول إلى أفضل مستوى معيشي للأسرة. إن المواقف الصعبة التي يمر بها الأب في عمله، وعلاقاته مع الزملاء والرؤساء والمتعاملين، تظل خفية عن الجميع.

الأب الذي يعاني خارج المنزل يعود ليترك كل همومه خلفه - سواء كانت معنوية أو مادية - حتى لا يشعر الأبناء بما في نفسه من ضيق أو ألم. الأب لا يفصح كثيراً عن معاناته ومشاكله، ويحاول دائماً أن يفرض الابتسامة والهدوء في المنزل، ليزرع في أبنائه إحساساً بالأمان والسكينة كل مساء.

الأب الحنون يمر على غرف الأبناء ليطمئن عليهم، يداعبهم، يستمع لمطالبهم واحتجاجاتهم على بعض قرارات الأم، ويوعدهم بأن الأمور ستكون بخير.

الأب يفعل الكثير خارج المنزل، وربما لا يراه الأبناء ولا يلمسون ذلك، لكن آثاره تعود عليهم عندما تتحقق رغباتهم ومطالبهم، دون أن يشعروا بحجم التضحيات التي قدمها من أجل سعادتهم.

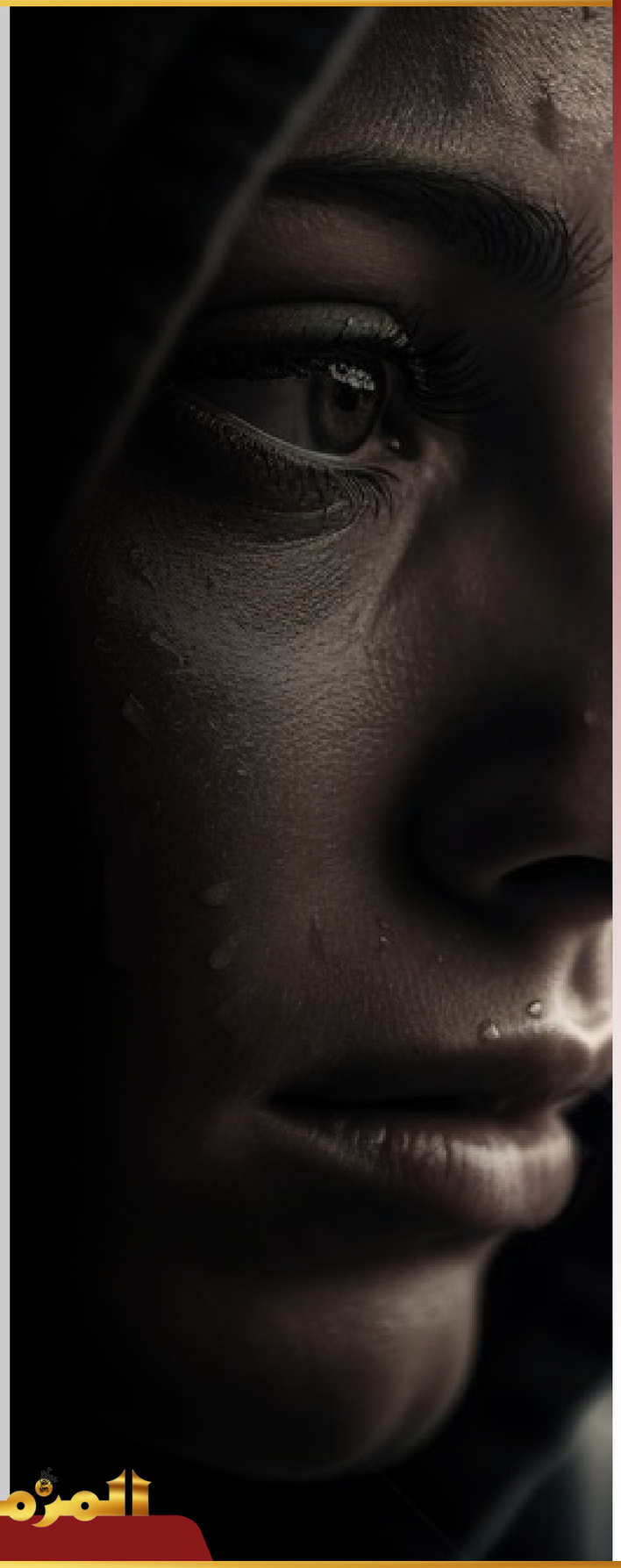

جثث وأكفان!

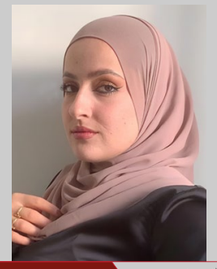

المرمار
نور عبد الكريم البليخ

على اتساع هذه الدنيا، بما تحمله من منغّصات تثقل كاهلنا، يمتد بؤسنا ومقتنا، وابتعادنا عن أنفسنا. نغوص في هموم هذه الحياة التي لا تنتهي ولا تفارقنا، وكأننا معقودون بها كارتباط الرضيع بحلمة أمّه، يمتصّ منها الحنان والدفء، على عكس ما نمتصّ نحن من هذه الحياة، التي تضخّ في أعماقنا الأحزان والأثقال، وتلقي بها على كواهلنا دون رحمة أو اكتراث!

هل ستنفكّ لعنة الحياة عنّا يوماً، لتتركنا نسير نحو وجهاتنا، برغباتنا، وبكل تفاصيلنا وأحلامنا وما نريد؟ كلٌ منا يحمل على عاتقه ما يكفي من المواقف، تلك التي، رغم أنها حنت ظهره، إلا أنها منحته دفعة قوية، كلجمة عنان، ليخرج من ذاته محرراً نفسه من قيود هذا الواقع وتشابكاته الملتوية.

فلترأف بنا أقدارنا ولتكتف بما فعلته بنا. رأفةً بما تبقى فينا من أحلام ورديةَ، باتت بالنسبة لنا أطيافاً بعيدة المنال، لا نرى منها إلا المستحيل والعدم، ذلك العدم الذي يعذّبنا كل يوم أكثر، ويعبث بنا كما تعبث الأقدام بكرةٍ تُركل من موضع إلى آخر!

نعم، أصبحنا كرات قدم تتقاذفها الأرجل، تُلقى بنا كل لحظة في مكان مجهول، كمسافر تائه في بيداء قاحلة تخلو حتى من أفقٍ يُرتجى.

تختلف نظراتنا إلى حياتنا، كما تختلف بصمات أصابعنا. وكل واحد منا أرهقته الحياة، فانحنى رأسه، وجفّ ريقه، وخارت قواه.

لقد مللنا الحديث، وسئمنا النقاشات الطويلة التي محت كل آمالنا وحفرت في أعماقنا فقدان الأمل. أجل، حفرت اليأس بداخلنا دون أن تُلقي التفاتة واحدة لصرخاتنا وشهقاتنا.

إلى متى؟!

لا وصل... لا ذكريات... لا شيء سوى أطياف مبهمة لا تزال، رغم قسوتها، تثير فينا شيئاً من الفخر!

● طالبة هندسة مدنية في جامعة TU فيينا / النمسا

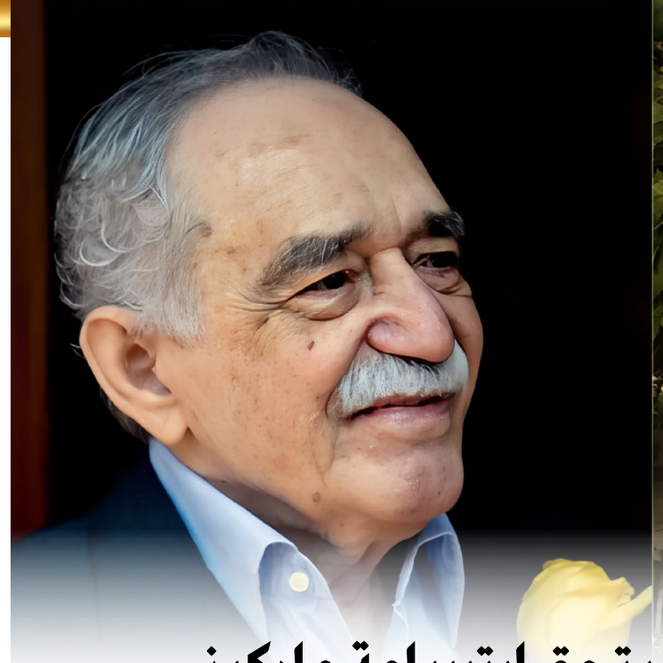

«مائة عام من العزلة» يستحق ابتسامة ماركيز...

مسلسلٌ ضخم على هيئة حلم مدهش

المرمار | كريستين حبيب

منذ اللحظة التي حصلت فيها «نتفليكس» على حقوق تصوير رواية «مائة عام من العزلة»، أدركت أنه لا يمكنها العبث بإرثٍ ثمين كهذا الإرث الذي تركه غابرييلّ غارسيا ماركيز. يوم عرض المنتج الأميركي هارفي واينستين على الأديب الكولومبي عام 1994 تحويل تحفته إلى فيلم هوليوودي، أجابه ماركيز: «وحدها مائة ساعة سينمائية ربما تَفي هذه الرواية حقّها». تراجعَ واينستين أمام عناد ماركيز وشروطه التعجيزيّة، ورحل الأخير عام 2014 ليوافق ولداه رودريغو وغونزالو (بعد 5 سنوات) على تنفيذ المشروع، بالتعاون مع المنصة العالمية.

بـ16 حلقة، مدّة كل منها ساعة، وبفريق عمل كولومبي مائةً في المائة، وباللغة الإسبانية، بدأ عرض الحلقات الـ 8 الأولى من المسلسل، الذي أشرف على تفاصيله وريثا ماركيز بصفة منتجَين منفّذَين، اشترطا على «نتفليكس» أن يجري التصوير في كولومبيا، وأن يفي النص لروح الرواية، فينطق بالإسبانية. أما الممثلون فهم جميعاً كولومبيون. ينتمي العمل إلى فئة الواقعيّة السحريّة، أي أنّ الخيال والحقيقة يتداخلان من دون أي خيطٍ رفيعٍ فاصلٍ بينهما، فيبدو السحر جزءاً طبيعيّاً من السرديّة. ولو قُدّر لماركيز أن يكون حياً ويتابع المسلسل، فإنّه على الأرجح كان سيبتسم إعجاباً بصورة عالية الجاذبيّة وبأداء تمثيلي خارق، أخلصا لروايته المدهشَة.

«بعد سنوات كثيرة، وبينما كان يواجه فرقة الإعدام، عاد الكولونيل أوريليانو بوينديا بالذاكرة إلى تلك الظهيرة البعيدة، عندما أخذه والده لاكتشاف الثلج». بتلك العبارة الشهيرة، يُفتَتح المسلسل لتنطلق رحلة 7 أجيال من سلالة بوينديا. بدءاً بالوالد المؤسس خوسيه أركاديو وزوجته أورسولا، وصولاً إلى أحفاد الأحفاد الذين يحملون الأسماء واللعنات ذاتها. في منتصف القرن الـ19، ومن قريتهما، حيث اعترضت العائلة على ارتباطهما

خوفاً من غضب القدَر، ينطلق خوسيه أركاديو وأورسولا إلى بقاع كولومبيا الشاسعة. ترافقهما في الرحلة مجموعة من شبّان البلدة وشاباتها، فيؤسسون معاً بلدة ماكوندو المتخيّلة. في ذلك المكان الذي يشبه مجسّماً صغيراً للبشريّة بجمالها وبشاعتها، بيوميّاتها الاعتياديّة وغرائبها، بخَيرها وشرِّها، تكبر عائلتهما وعائلات رفاقهما، لتتحوّل القرية الصغيرة تدريجياً إلى بلدة معروفة ومقصودة، إنما مسحورة في الوقت عينه.

ليس شبح الرجل الذي قتله خوسيه أركاديو في بداية القصة، والعائد أبداً لزيارته وزوجته، المتخيَّل الأول والأخير. ستدخل إلى ماكوندو مجموعة كبيرة من الغجر الذين سيجلبون معهم كثيراً من الغرائب والعجائب والظواهر غير المألوفة. يقع أركاديو في شَرَك ما ورائياتهم وألاعيبهم وعلم الفلك والخيمياء، فيصبح حبيس مختبَره مستطلعاً النجوم والكواكب، ومحاولاً تحويل الحديد إلى ذهب. فيما أورسولا تصنع الحلوى لتبيعها وتعيل العائلة. لا تجتاح الغرائب ماكوندو عبر سيّد الغجر ملكياديس الذي يعود من الموت فحسب، بل تدخلها كذلك مع ريبيكا، الطفلة ذات العينَين الجاحظتَين. تطرق باب الثنائي بوينديا حاملة عظام والدَيها في كيس يهتزّ وحده بين الفينة والأخرى، وتأكلُ التراب من الحديقة كلّما ساورتها نوبة حزن أو غضب. على كثرتها، لا تبدو الغرائب وكل الظواهر الخارجة عن الطبيعة نافرة. فهي، وكما آمنَ بها ماركيز، جزءٌ لا يتجزّأ من معتقدات شعوب أميركا اللاتينيّة والأساطير التي آمنت بها. كذلك يأتي الواقع ليطرق باب ماكوندو. يزورها على هيئة حكايات عشق تقلب حياة أولاد خوسيه أركاديو وأورسولا رأساً على عقب، أو على هيئة قاضٍ آت ليفرض القانون بواقعيّة المدن المتحضّرة. كما تدخل السياسة إلى البناء الدرامي، بصراعاتها وانتخاباتها ودمويّتها الزائدة عن حدّها أحياناً في المسلسل. بين الواقع والخيال، لا بدّ من أن

يقع المُشاهد في حب عمل تلفزيوني لا يقتصر تَميُّزُه على ضخامة الإنتاج (إحدى أكبر الميزانيّات الإنتاجيّة في تاريخ المنصة)، ولا على استلهام روح ماركيز وإحدى أجمل رواياته على الإطلاق، بل على كونه تُحفة بصريّة لا تبالغ في توظيف العنَاصر الخياليّة ولا تضخّم الرموز والفانتازيا، فلا تشعر العين بالتخمة أو بالاشمئزاز.

لإضفاء مزيدٍ من عناصر الإقناع والبساطة إلى مشاهد السحر وكل ما هو خارق للطبيعة، تجنَّب فريق الإنتاج قدر المستطاع الاعتماد على المؤثّرات البصريّة بواسطة الكومبيوتر. في مشهد الكاهن الذي يرتفع عن الأرض مثلاً، جرت الاستعانة بحبالٍ ورافعة. أما آلاف الأزهار التي انهمرت من السماء في مشهد آخر، فكلّها حقيقية، ولم تتكاثر بواسطة التكنولوجيا.

من دون أن يتحوّل إلى ترجمة حرفيّة للرواية الأصلية، أخلصَ مسلسل «مائة عام من العزلة» لروح كتاب ماركيز. أخذ خيال المؤلّف الكولومبي على محمل الجدّ، منحَه قيمة وبرعَ في إقناع المُشاهد به. بدا المسلسل لصيقاً بالأرض، بواقعيّتها وطبيعتها، على الرغم من امتلائه بمحرّكات المخيّلة. يمكن القول إنه من بين أفضل الإنتاجات الدراميّة التي نجحت في التعامل مع الواقعيّة السحريّة.

وقد فرض العمل نفسه في صدارة مسلسلات 2024، مغرّداً في الوقت نفسه خارج سرب باقي الإنتاجات؛ إذ إنه لا يشبهها بشيء، لا شكلاً ولا مضموناً.

من دون أن يتحوّل إلى ترجمة حرفيّة للرواية الأصلية، أخلصَ مسلسل «مائةُ عامٍ من العزلة» لروحِ كِتابِ ماركيز. أخذ خيالَ المؤلّف الكولومبي على محمل الجدّ، منحَه قيمة وبرعَ في إقناعِ المُشاهد به

يحلّق المسلسل فوق الحقبات العابرة على ماكوندو، من خلال نقلاتٍ زمنية سلسة وسريعة لا تُغرق المُشاهد في الملل؛ كأن تعبرَ سنواتٌ بثوانٍ بصريّة ممتعة. لا يُفقد هذا الأمر النصّ بلاغتَه ولا القصة تفاصيلها المزخرفة بعناية.

وما يساعد في ذلك، الأداء الآسر لممثلين كولومبيين غير معروفين عالمياً، إنما على مستوى عالمي من البراعة؛ على رأس هؤلاء ماريليدا سوتو بدَور أورسولا، وكلاوديو كاتانيو بشخصية أوريليانو بوينديا.

لم تعلن «نتفليكس» بعد عن تاريخ عرض الجزء الثاني من المسلسل، لكن لا بدّ من فسحة يلتقط فيها الجمهور أنفاسه قبل خوض القسم الثاني من الحلم المثير للدهشة.

ووفق المعلومات، فإنّ الآتي سيحافظ على المستوى ذاته من الإدهاش. مع العلم بأنّ التصوير جرى في مكانٍ قرب ألفارادو في كولومبيا؛ حيث بُنيَتْ 4 نُسَخ من بلدة ماكوندو، تجسيداً لعبور الزمَن على أجيال عائلة بوينديا.

أما المستفيد الأكبر من هذه الحركة الإنتاجية، فهم أهالي المنطقة والاقتصاد الكولومبي عموماً، الذي عاد عليه هذا النشاط بـ52 مليون دولار.

أيام سعيدة في حياتي

جميل مطر

اليوم أستطيع أن أعرب عن اعتقادي أنني عشت حياة سعيدة. حياة تخللتها ولا شك أيام تعيسة أو لحظات صعبة أو حزينة أو حرجة، ولكن في جملة المسيرة أو في حصيلة ما مررت به صعوداً وانحداراً، وبالمقارنة بما علمت عن تجارب في الأهل وبين الأصدقاء ومن اطلعت على سيرهم من المشاهير والعامة، وطبقاً لمقاييس عديدة، يجب أن أسجل أنها كانت سعيدة. ولكن ما دمت أتيت على ذكر التعاسة والحزن والصعوبة والحرج في وصف أيام أو لحظات مرت بي أو عشت فيها، أجد من واجبي أن أسجل أيضاً أنني لا ألقي على زماني مسؤولية أي من هذه الأيام، فزماني كزمان كل الناس كان مجرد شاهد غير منحاز. استضافني لعقود عديدة فكان كريماً ووفر لي أهلاً طيبين وزوجة متفانية وذرية صالحة. كان سخياً في كرمه.

أظن أن سعادتي بدأت مبكراً. أقول أظن لأنني أكتب عن طفل ما يزال في مرحلة الرضاعة. قيل وتردد القول كثيراً أمامي وأنا أكبر سناً ومن مصادر كثيرة ومتنوعة أنني كنت طفلاً يسعد إذا تعددت مرضعاته، يعرف كيف يسعى من أجل تحقيق هذا التعدد والمحافظة عليه، وكيف يبادلهن الرضا، وكيف يعبر عن اعترافه بجميلهن. قيل أيضاً وتردد القول بأنني كنت من هواة الهواء الطلق خلال الرضاعة. فضلت دائماً أن تقع الرضاعة خارج البيت وفي الليل وفي الهواء الطلق. سمعت أيضاً عندما كبرت من بعض أهالي أصدقائي أن معظم فترات هدوئي وراحتي ونومي كرضيع كانت تبدأ بمسيرة يتبادل عليها متطوعون من الجنسين تقطع شارعنا ذهاباً وإياباً خلال الساعات الأولى من الليل.

وقعت في الحب ولم أتجاوز الثامنة من عمري. تعاقد أهلي مع معلمة في مدرسة ابتدائية على ناصية شارعنا مع شارع خيرت. ساقها إلينا طموح أبي أن يقفز بي سنة دراسية أو أكثر فوق ما يسمح به عمري. نجحت الفكرة وإن تسببت في مشكلة التأقلم مع زملاء في مختلف مراحل التعلم، ومشكلة عند التقدم للعمل في وزارة الخارجية. كانت معلمتي رائعة في قدراتها الخاصة بالتعامل مع طفل في الثامنة من عمره ثم وهو في التاسعة. تعلقت بها حسب روايةٍ والدتي لي فيما بعد. تعلقت إلى حد «مرضي» بمعنى الكلمة. قالت إن حرارتي كانت ترتفع إن غابت أبلة «عيشة» لدواعٍ السفر أو المرض. قيل أيضاً إنني كنت أصر على ارتداء أفضل ما عندي وأقف على باب العمارة لاستقبالها عند وصولها. أعترف أنني ما زلت أتذكرها وأتذكر قدر سعادتي في تلك الأيام، أسعد أيام طفولتي.

كانت مصر في ذلك الحين في موقع الحليف لبريطانيا العظمى، العلاقة التي جعلتنا هدفاً لطائرات ألمانيا النازية. أذكر أنه خلال الغارات وبمجرد إطلاق صفارات الإنذار يوقظنا الأهل ونترك شقق السكنى بعد أن «نلتحف» بالبطاطين أو ملابس ثقيلة موجودة دائماً بجانب باب الخروج لننزل بسرعة إلى الطابق الأرضي. هناك ننقسم فريقين، فريق الرجال يدلف إلى شقة على اليمين وفريق النساء يتوجه لشقة على يسار السلم، وعلى الفور ومع طلقات المدافع المضادة للطائرات ينطلق الدعاء وما زلت أذكره بلحنه المميز: «يا نبي الألطاف نجنا مما نخاف». أما الأطفال، وأنا منهم، فيقضون في أحضان الأهل بعض الوقت كل حسب جنسه ليفترقوا بعد قليل عن الأهل ويخرجوا من الشقتين لنلعب على «البسطة» في ظلام الليل الدامس، يزيده ظلمة السد الحجري المشيد على باب العمارة ليحول دون وصول شظايا القنابل إلى الداخل. أذكر أننا كنا نبتكر لعبة جديدة في كل غارة ونغضب بشدة عندما تطلق صفارات الأمان إيذاناً بانتهاء الغارة وكذلك نهاية اللعب والسعادة التي ترافقه، وإيذاناً بضرورة العودة فوراً للنوم.

لن أنسى بأي حال وتحت أي ظرف ليلة العرس. كنت في الثانية والعشرين وكانت العروس على باب الثامنة عشرة. رأيت في نظرات زوجات أكثر من خمسين سفيراً أجنبياً والمئات من السياسيين الهنود نظرات فضول. كان هناك أيضاً عشرات من شباب السلك الدبلوماسي. أتذكر أنني أكاد أكون رأيت وأنا أمشي بين المدعوين ومن خلفي يمشي زميلان بزي السهرة خيال أمي التي كانت تحلم بأن تعيش لترانى في كوشة حفل زواج ودعاءها كدعاء أمها لي: «ربنا يرزقك يا بني بالزوجة المطيعة والذرية الصالحة». أتذكر العروس وقد شعرت بما يدور في ذهني في تلك اللحظة ربما لأنني تعثرت في مشيتي، فهمست بكلماتٍ تعني بها أنها تتفهم. وللحق، تفهمت وعاشت تتفهم. أمها أيضاً ساهمت، تركت ضيوفها واقتربت لتمشي معنا إلى جانبي. ليلتها وطول عمرها كانت نعم النصير.

من صفاتي غير الطيبة أنني لم أكن أكشف عن سعادتي وفرحي أمام الناس حتى أقربهم. كان أبي يسعى بعلاقاته لمعرفة نتيجة امتحانات الشهادات قبل أن تباع في عدد خاص لصحيفة يومية يصدر بعد ظهر يوم من أيام الصيف. أحياناً كان يحمل خبر النجاح ويستقل القطار ويأتي به خصيصاً إلى سيدي بشر حيث كنا نقضي الصيف أو بعضاً منه. كان الفرح من طبيعته وينقله للجميع. أتلقى الخبر السعيد بالرضا، وإن لزم الأمر، فبالأحضان التي فضلتها دائمًا كناقلة فرح وسعادة وحب. ذرفت الدمع مرة أخرى وأنا أتلقى شهادة الماجستير في جامعة ماكجيل الكندية لأن أبي الذي اختار نجاحاتي ساحات لأحلامه فاتته هذه الفرصة. صبي وابنتان وأحفاد سبعة وأولاد الأحفاد ثلاثة هم مصدر سعادتي. هؤلاء عشيرتي أسعد لوجودهم في حياتي وأشقى لمتاعبهم إن وجدت. كم تمنيت لو أن زوجتي، أي جدتهم، عاشت لتراهم كما أراهم كل يوم جمعة. يومها يحلو لي دائمًا أن أعود بالذاكرة إلى أيام شقيت، وشقيت هي معي، بسبب شقاوتهم، لتخلف الشقاوة والشقاء معاً سعادة لا توصف ولا تنسى.

الصرع

محمد الحاج صالح

الرحلة من الرّقة حيث تحكم الدولة الإسلامية إلى الحسكة حيث حكم الكرد متعبة وتكاد تكون مستحيلة لكثر الحواجز لولا أن العمّة المرافقة لابنة أخيها كانت مسلّحة بإضبارة صحيّة سميكة، وبلسان ذرب يعرفُ ماذا يقول على حاجز داعش، وماذا يقول على حاجز الأكراد. العمّة «زكوة» تحفظ الآيات القرآنية اللازمة لتسليك نفسها لدى الدواعش، وهي أيضاً تعرف كلمات كردية قليلة تكفي لأن تبعث السرور لدى الكردي الذي يمرّ بمرحلة اعتزاز وفخر.

قبل طريق الحسكة خبرت العمة وابنة أخيها لسنتين الدربَ الطويل إلى الشام حيث أطباء الأعصاب؛ عندهم عولجت ابنة الأخ من الصرع. كان من الممكن أن يتنبّه الأطباء إلى الإجهاد الذي تعانيه المرأتان ويزودان العمة بوصفات عديدة بعد أن بدا أن الأمور تسوء باستمرار. صار السفر خطراً. بل وعلى الطرق جرت مذابح. لكن أحداً منهم لم يفعل. كان من واجبهم أن يقولوا للعمة بوضوح وصراحة أن لا شفاء من نوبات الصرع كلّما توفرت العوامل المحرضة، وأن هذا هو الدواء ولا دواء غيره. ولكن أحداً منهم لم يفعل.

ثم أخيراً انقطع طريق الشام وتجزأت البلاد. وأصبح عادياً أن يتهم المسافر بالعمالة لطرف دون طرف.

ابنة الأخ مصابة بالصرع الكبير وهو مرض يأتي على شكل نوبات. نوبته مخيفة حقاً إذْ يسقط المريض أرضاً ويفقد وعيه وتختلج عضلاته وقد تنفلت مصرّاته.

كانت الجملة الأثيرة لدى العمة عند السؤال عن مرض ابنة أخيها «بأن في رأسها كهربا». التقطت الجملة من أول الأطباء الشوام الذي شرح بتبسيط أن مرض الصرع سببه انفلات شارات كهربائية في الدماغ. وهي لا تريد أن تصم ابنة أخيها بأنها مصابة بالصرع لأن تلك الكلمة كانت في ذهنها مرتبطة بالجنون. بهذا ترسخت وتثبتت كلمة كهربا على لسان العمّة وصارت اسماً لمرض ابنة أخيها. كهربا بالراس.

لم تكن نهاية طريق الحسكة تودي إلى طبيب ما. لا أبداً. وإنما إلى شيخ صوفي كردي. الناس عندنا يقولون «الغرقان يتلقّف الجراف». تصورْ غريقاً في مجرى الفرات يَخمش جدار الجرف محاولاً إنقاذ نفسه؟ عبث؛ لن ينجو بالطبع. إذْ إن الأجراف حادّة وطينية زلقة. ولكنه غريق، والغريق يتعلق بقشّة. لكثرة ما تداول الناس عن معجزات الشيخ اقتنعت العمّة، وطرقت الطريق مرات ومرات متمسّكة بالقشّة. وتحول تعريف مرض الفتاة عند العمة من الكهربا إلى الجنِ الكافر. هي لا تلفظ كلمة جن وإنما تشير سرّاً إلى رأسها مع فتل سبابتها وتحتار بين أن تدمدم جنٌّ في الراس أو كهربا في الراس، فلا تجد سوى ذاك النوع من الدمدمة مختلطة الحروف.

آخر مرّة تعترست الأمور. أعادهما حاجز الدولة الإسلامية مرفقتين إلى أحد المقرات للتحقيق بعدما روت العمّة القصة من طقطق للسلام عليكم. روت كل شيء منذ اليوم الذي قتل فيه كل أفراد عائلة الفتاة الأب والأم والأخوة الثلاثة في حادثة سقوط صاروخ السكود في ساحة المجمع. من يومها وليسٍ للفتاة إلا العمة. شكّ المحققون بأن هناك شيئاً ليس على ما يرام، وأفهموها أن الذهاب إلى ديار المرتدين في الحسكة جرم، كما أن الذهاب إلى الشام حيث دار الكفر جرم أيضاً. لا شاماً ولا حسكة بعد اليوم قالوها بحزم.

وفّر جو الضغط والخوف وتعابير وجه العمة الهلع والوجوه المقنّعة للمجاهدين والاتهام المريع ما يكفي لأن تأتي النسمة السابقة للنوبة؛ وهي قد تأتي بشكل رقصة كهربائية داخل الدماغ أو لمعاناً أوْ أوْ ثم تأتي الحركة المميزة تغزّ الفتاة عينها في السقف لثوان ثم تنلقب العينان ويختفي سوادهما ولا يبقى إلا البياض ثم السقوط والاختلاج.

تفرّج جمع من المجاهدين على المشهد، وعلى الرغم من أنهم تحاجزوا كي لا يروا من جسد الفتاة ما ليس من حقهم أن يروه، إلا أنهم ظلوا متسمّرين يحوقلون، وأجمعوا أن بالفتاة جنّاً، وأنها يجب أن ترقى في مركز الرقية. هكذا تخلصت العمّة من الاتهام والتحقيق، بل وتم نقلهما معزّزتين مكرّمتين إلى مركز الرقية. بناء مركزٍ الرقية قديم ومؤلف من طابق واحد وقد بني أولاً كي يكون مقرّاً للاتحاد النسائي في أواخر العقد السادس من القرن الماضي وجدد عدة مرات. وكانت الفتاة قد صحت خجلة مطرقة لا ترفع عينيها.

ما إن لمس الراقي جبين الفتاة حتى ارتجفت وأرسلت نظرات متضرعة إلى العمّة. كان الراقي رجلاً مَهيباً خمسينياً له لحية طويلة وخطها الشيب. وكانت غرفة الرقية منارة إنارة قوية تكاد تعمي. قرأ الشيخ المعوذات بسرعة وبصوتٍ خفيض وهو يكبس على رأس الفتاة ثم قال جهريّاً بصوت عال باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد. الله يشفيك. باسم الله أرقيك. أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك.

أنْ تتوالى نوبات الصرع بفترات متقاربة فإن في الأمر إنذار سيء للغاية. كانت الفتاة مرعوبة متمددة في وضع متشنج. وكلما حرك الشيخ يده رمعت. وفجأة غرست الفتاة عينها في السقف ثم كالعادة انقلبت عيناها وشرع جسدها يختلج ويرمع في حركات مفاجئة عنيفة واندلع لسانها معضوضاً مدمى وغابت عن الوعي والأدهى أنها بالت على نفسها. بللت ثيابها وبللت الديوانة. وبدا الراقي ذو اللهجة الخليجية حائصاً لا يدري ما يفعل مدمدماً بآيات من القرآن فاركاً الهواء بيديه.

بعد أيام، يوم 6 حزيران 2017 توقفت عدة سيارات تقل مجاهدين أمام بيت العمّة وبرفقتهم بعض من أقارب العمة. جاؤوا لخطبة الفتاة للشيخ الراقي. وخلف ستارة في غرفة الضيوف كانت العمّة تتسمع إلى لغط الرجال وفي رأسها تدور الرغبة العارمة والهمّة في طردهم مهما كانت العاقبة لولا أن الله أعفاها. فقد بدأ القصف العنيف واهتزّت الأرض. انفضّ المجاهدون وهم يكبّرون. وانسلّ الأقرباء خجلون.

● طبيب وكاتب قصة
سوريا ـ الرقة

ماذا تفعل أسماء الأسد؟

معن البياري

ليس من مصدر موثوق يؤكّد (أو ينفي) خبراً شاع عن طلب أسماء الأسد (49 عاما) الطلاق من بعْلها، في مقامهما المستجدّ في موسكو، لنيّتها المغادرة إلى لندن والإقامة مع والديْها، طبيب القلب المعروف هناك، فواز الأخرس، ووالدتها الدبلوماسية السابقة، سحر العطري. وخبرٌ من هذا اللون عصيٌّ على التحقّق، سيما في الظروف شديدة الخصوصية التي يوضَع فيها الرئيس الفارّ وزوجتُه، في العاصمة الروسية، غير أنه، في تجريدٍ ذهنيٍّ ومحض منطقي، خبرٌ قابل للتصديق، بل متوقّعٌ، وفي الوسع أن يخمّن واحدُنا أنه مؤكّد. ذلك أن لا شيء يضطرّ هذه السيدة للبقاء زوجةً لرئيس مخلوع، ستُلاحقه قريباً، فضلاً عن لعنات غزيرة راهنة (إلى الأبد)، متابعاتٌ قضائيةٌ كبرى في جرائم مشهودةٍ، إذا ما تيسّر لها أن «تتحرّر» من حالة شبه الاعتقال التي تُغالبها منذ نُزع عنها لقب السيدة الأولى في سورية فجر الثامن من ديسمبر/ كانون الأول الجاري. وفي البال أنها مريضةٌ باللوكيميا (الابيضاض النقوي الحادّ)، على ما أعلن بيانٌ رسمي، في مايو/ أيار الماضي، ولا بدّ تحتاجُ تطبيباً ومتابعة صحية، وهذان لم يعودا ميسوريْن لها في موسكو بالسلاسة التي كانت. وطالما أنها تحوز جنسيةً بريطانية، لم يُستجَب لمطالبات عديدة برفعها، فإن في وسعها، إذا ما أوكلت «قضيّتَها» لمكتبٍ محام قدير، أن تُغادر برودة موسكو إلى دفء ذكريات الصبا في لندن. أما قضايا النهب والفساد والإثراء غير المشروع، المتّهمة ببعضها قبل تحرّر سورية الأحد قبل الماضي، فإن مكتب محاماة متمكّناً قد يستطيع التوصل إلى «تسوياتٍ» مالية معها، في ظلال القضاء البريطاني.

هذا ما قد يُتَخيّل أن أسماء الأسد «تُحدِّث» نفسها به، أو ما قد يجوس في دماغها. والراجح أنه صحيحٌ ما انكتب عنها في «وول ستريت جورنال»، أخيراً، أنها تملك عقليةً تجارية، فقد أحرزَت خبرةً غير هيّنة، في العقد الأخير خصوصاً، في غضون مراكمتها أموالاً وحسابات بنكية وعقارات وشركات، صادرت بعضاً غير قليل من أصولها من الذئب الجريح في جمهورية النهب ومافيا الفساد المريع، رامي مخلوف. واستطاعت، في الأثناء، بناء شبكة خاصة بها لتنظيم «أعمالها» و«تبييض» أموالها وممتلكاتها. فضلا عن أنها، قبل اقترانها ببشّار الأسد، عملت مصرفيّة في «دويتشة بنك» و«جي بي مورغان»، بعد تدرّبها في هذا الميدان في نيويورك. وقبل هذا كله، كانت قد درست الحاسوب (والأدب الفرنسي!) في جامعة لندن. وهذه المقاطع، وحدها، من شطرٍ في حياتها، لا تفسّر «نباهتها» في جمع «ثروات غير مشروعة» (مع عائلتها)، على ما «اتّهمتهم» وزارة الخارجية الأميركية، بل هي شهوة الاستحواذ، والشهية المتوحّشة للتسلط، وانعدام أي حسٍّ أخلاقي وإنساني لديها، مع تغوّل زوجها الذي أمكن له أن «يرتّب» انتخاباتٍ رئاسية، و«يلتهم» الدولة، وأن تُساق إليه قطعان الشبّيحة والمطبّلين. وتلك عبارتُها، في رسالة إلى صديقة لها، تسرّبت إلى الصحافة، إنها «الدكتاتور الحقيقي» في العائلة، تؤشّر إلى ما يتوطّن في مدارك هذه السيدة التي ضمّتها الولايات المتحدة إلى الشخصيات المشمولة بعقوباتها، ووصفتها بأنها «من أسوأ المستفيدين من الحرب في بلادها».

وليس جموحاً في الخيال، قد يأتي إلى دماغ المرأة التي وصفتها كاتبةٌ في مجلة فوغ الفرنسية، إبّان نشبت الثورة السورية في 2011، بأنها «وردة في الصحراء»، أن الرئيس بوتين قد يبيع الأسد، فتضيع هي «فرق عملة» في حساباتٍ روسية مع الأميركان والأتراك وغيرهما، إذا جدّ جديدٌ، يُقايَضُ فيه بما قد يُقايَضُ به. وليس شططاً في التخيّل أن المرأة، الشغوف بالأحذية الفاخرة، جليسة براد بيت وأنجلينا جولي في قصر الرئاسة في دمشق، قد تجنح إلى سوء الظن بزوجها الذي باع سورية، وباع إخوته وجماعته، من أجل أن ينجو بجلده، فقد يفعل شيئاً مثيلاً، ويقدّمها «قربانا» ما لأمرٍ ما.

ليس ثمّة ما تصنعه أسماء الأسد في وحشتها، شديدة الكآبة، هناك في موسكو، سوى أن تقدّم وتؤخّر في مثل الأفكار أعلاه، وترتّب حساباتها، بعقلية الصيرفي السارق، وتهيئ أولويات أولوياتها، وتحسب لكل خطوةٍ ممكنة أو محتملة محاذيرَها ومآلاتها. وفي الأثناء، قد تجدّ من الضروري طلاقاً من زوجٍ صار رئيساً مخلوعاً، وبات ضارّاً.

دولة المعارضة

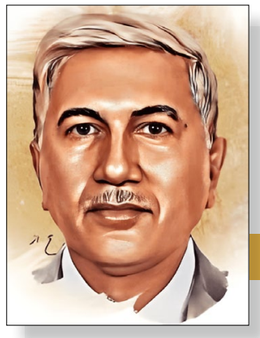

محمد زكي إبراهيم

ما حدث في سوريا خلال الأيام الأخيرة لم يكن ثورة ولا انقلاباً، ولا حتى حركة تصحيحية. إنه ببساطة موت سريري لنظام أدركته الشيخوخة، ولم يعد قادراً على البقاء. فلم يكن هناك جيش أو مقاتلون أو معدات ثقيلة في مواجهته.

لقد وصل هذا النظام إلى نقطة اللاعودة. أسباب هذا الضعف كثيرة، لكن أبرزها كان الوضع الاقتصادي المتدهور الذي أصابه بعد عام 2011. قبل هذا التاريخ، كانت سوريا تسير بخطى واثقة نحو القمة، مع عملية تصنيع وإنتاج وتطوير مستمرة، ونهضة أدبية وفنية واضحة. لكن مع اندلاع ما سمي بـ«الربيع السوري»، وتصاعد لغة السلاح، انقسمت البلاد إلى ثلاثة أقاليم متناحرة.

استقل الكرد بالمنطقة الشرقية، واحتكروا الغاز والنفط والغذاء تحت حماية أميركية، مانعين العرب من الاستفادة منها.

أعلن الإسلاميون سيطرتهم على الشمال بدعم ورعاية تركية.

كان ما تبقى من الدولة السورية يعاني من عقوبات «نظام قيصر»، الذي أحكم الطوق على الصناعة والزراعة والتجارة.

عندما يُذكر اسم سوريا، يُقصد عادة الجزء الأخير من الدولة، الذي يضم غالبية السكان. هذا الجزء تعرض للحرب الأهلية والعقوبات الدولية، وعانى من الحرمان من الموارد وتفكيك بنيته التحتية على مدى 14 عاما. هذه المعاناة جعلته عاجزاً عن تلبية احتياجات شعبه أو تقديم العون لأشقائه العرب، لا سيما خلال أزمات غزة. تشبه هذه الحالة ما حدث في العراق خلال التسعينيات، عندما عانى من الحصار والفقر والجوع لمدة 13 عامًا. تفشت الأمراض الاجتماعية كالفساد والرشوة والطائفية، وعندما اجتاحته قوات الحلفاء، سقط دون مقاومة تُذكر.

لا يبدو أن القوى التي تسيطر على الساحة السورية اليوم قادرة على البقاء طويلاً إذا لم تنجح في توحيد البلاد، واستعادة مصادر الطاقة والمال التي تسيطر عليها القوات الكردية. هذه القوات تخطط، مثل أخواتها في العراق وتركيا وإيران، للاستقلال، مدركة أن انفصالها عن بقية المدن والمحافظات كان السبب الرئيسي في سقوط نظام الأسد. إذا استمرت في هذا الوضع المدعوم من قوى كبرى، فإن ما يُسمى «دولة المعارضة» لن يصمد طويلا.

التاريخ مليء بدروس مشابهة. كل الإمبراطوريات والممالك القديمة التي انهارت تقاسمتها قوى وممالك صغيرة ضعيفة، وسرعان ما انهارت هي الأخرى. مثال ذلك، انهيار دولة المماليك في مصر والشام خلال القرن السادس عشر، بعد أن فقدت السيطرة على طريق الحرير لصالح الأساطيل الأوروبية. هذا الانهيار أدخل العرب في أربعة قرون من الظلام، حيث لم يكن لهم صوت مسموع أو تأثير يُذكر.

ربما يحصل النظام الجديد في سوريا على دفعة قوية إذا تم رفع العقوبات عنه. قد يشعر المجتمع السوري ببعض الراحة المؤقتة، لكن المواجهات الحقيقية قادمة لا محالة. القوى التي تقف وراء هذا التغيير ليست متجانسة أو متوافقة، مما يجعل التصادم أمراً حتمياً.

إن الربيع السوري الحقيقي لم يبدأ بعد. القادم سيشهد غربلة الشخصيات والمواقف، ولن يبقى إلا من يمتلك رؤية صحيحة وقوة حقيقية. في النهاية، لا يصح إلا الصحيح.

فريد الأطرش..

خمسون عاماً على الغياب..

حضور دائم في الوجدان الفني

في الذكرى الخمسين لرحيل الفنان الكبير فريد الأطرش، يستحق هذا العملاق الموسيقي والسينمائي وقفة تأملية تليق بإرثه الفني العريق. فبين أنغام عوده المتميزة وألحانه التي أسرت القلوب، وبين حضوره السينمائي الذي حمل نفحات من تراث الكازينوهات والاستعراضات الموسيقية، كان فريد الأطرش علامة فارقة في تاريخ الفن العربي.

وفي الوقت الذي تتصاعد فيه النقاشات حول «التفوق الموسيقي» و«الأصالة»، تبرز أهمية التركيز على مسيرة الأطرش بعيداً عن مقارنات لا تنصف مبدعي عصره. فإسهاماته الفنية شكلت جسراً فنياً بين أصالة الموسيقى الشرقية وتأثيرات الموسيقى العالمية، ما جعله يترك بصمة لا تُمحى في وجدان عشاق الموسيقى.

فريد الأطرش لم يكن فقط ملحناً مبدعاً وعازف عود استثنائي، بل كان أيضاً رمزاً للقدرة على التجديد داخل حدود التقليد، وللرقي في التعبير عن أعمق مشاعر الإنسان. واليوم، مع مرور نصف قرن على رحيله، لا يزال صوته يتردد في ذاكرة الأجيال، موسيقاه تتجدد في كل استماع، وتاريخه يلهم كل من ينشد الخلود في عالم الفن.

فريد الأطرش..
خمسون عاماً على الغياب.. حضور دائم في الوجدان الفني

المزمار فادي العبد الله

في الذكرى الخمسين لرحيل فريد الأطرش (19أكتوبر 1910- 26 ديسمبر 1974)، ربما يحسن بنا الالتفات إلى ما صنعه، وما فاته، تذكراً له، بدل الانغماس المعهود في الحكايات الشخصية عن الأشخاص وطباعهم وآلامهم الشخصية ومنافساتهم مع غيرهم.

لعل علينا أولاً أن ننبذ مسألة المنافسات هذه. إذ تحفل مواقع التواصل الاجتماعي على كثرتها بأخبار وفيديوهات يتنافس فيها عشاق فريد الأطرش مع محبي رياض السنباطي أو المعجبين ببليغ حمدي في التسويق لبطلهم في مسابقات الموسيقار «الحقيقي»، أي ضمناً التنافس مع محمد عبد الوهاب. ويعتمد مثل هذا التنافس في العموم على قدر لا بأس به من الاختلاق في الأخبار، حول حقيقة الجائزة التي نالها السنباطي من الـ«يونسكو» كمؤدٍّ لا كمؤلف موسيقي في الحقيقة، أو وسام الخلود الذي لم ينله مع فريد الأطرش سوى شوبان وثلاثة آخرين، أو دعوى الوصول إلى العالمية لأن بعض المراقص في الغرب عزفت هذه الأغنية أو تلك أو أن موزعاً مغموراً أعاد توزيع جملة ما في عملية استشراقية معتادة.

كما يعتمد مثل هذا التنافس على مناقشة «السرقة أو الاقتباس»، اتهاماً لأحدهم أو انكاراً. وأدلة هذا الاتهام لا تعدو في العموم كونها تشابها في بعض مناحي الجملة الموسيقية، مستقطعة من سياقاتها، أي تشابه الأبعاد والدرجات المستعملة، مع اختلاف الإيقاع، أو تشابه الإيقاع مع اختلاف المقام المستعمل، سواء طالت مدة هذا التشابه أو قصرت.

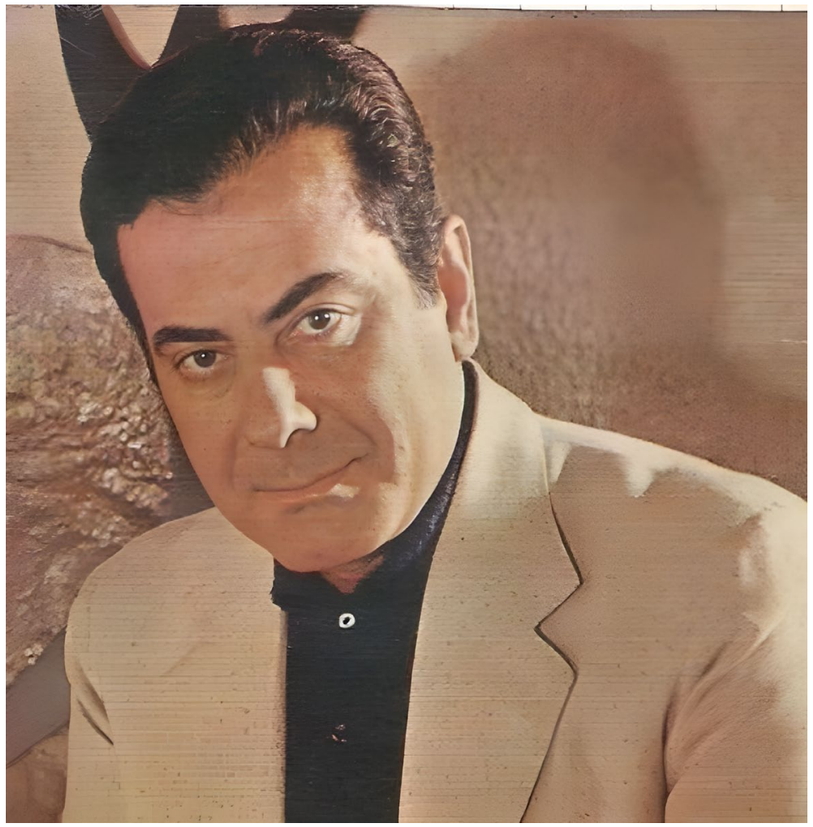

الجملة الموسيقية

يتجاهل هذا الأمر أن اختلاف الإيقاع أو اختلاف المقام يعنيان أننا أمام جملة جديدة «موسيقيا»، سواء استلهمت ـ عن وعي أو عن غير وعي ـ أصلا ما. فالجملة الموسيقية فريدة في ذاتها، وفرادتها هي في اندماج أبعاد النغمات المستعملة مع مدد زمنية محددة، وحتى «التنويع» عليها يعد كتابة متفردة (كتنويعات بيتهوفن مثلا على ألحان لآخرين). وهذا التشابه في كثير من الأحيان وارد، عمدا أو عن غير عمد كما أسلفنا، لأن المساحة النغمية التي تتحرك فيها جمل الملحنين عندنا لا تتجاوز عموما الجنس أو العقد الموسيقي (أربع أو خمس درجات) في جنس معين، والتناول المستخدم عموما في القرن العشرين يبحث عن تكرار التراكيب النغمية ـ الايقاعية على درجات متتالية (كأن تتكرر الثيمة نفسها على التوالي من الري، ثم الدو، ثم السي، ثم تختم بقفلة) وربط هذين الشرطين مع الغزارة في الأعمال سيحتم إنشاء تشابهات كثيرة. كذلك يتجاهل هذا الأمر، أي اتهامات السرقة، ما عرفه النقاد العرب قديما منذ العصر العباسي، سواء نقاد الشعر أو نقاد التلحين، من أن «السرقة» في حد ذاتها ليست طبقة واحدة بل دزينة من الطبقات، فهناك من يسرق ويجمّل، ومن يسرق فيسخّف، ومن يسرق بلا جهد ولا لطافة، ومن يصبح أحق من المسروق بجملته. أما المعاني في الشعر (ومثلها التراكيب النغمية ـ الايقاعية التي

السينمائي

أظن، أن إنصاف فريد الأطرش يقتضي بالدرجة الأولى التوقف أمام عمله السينمائي. فإلى جانب الغزارة في هذا المجال، وفي التلحين للسينما، فإن فكرة الفيلم الغنائي اختلفت بشكل جذري ما بين بداياتها مع عبد الوهاب وأم كلثوم، وما أتى به خصوصا فريد الأطرش ثم محمد فوزي، من موارد مخصصة لتحميل الفيلم الغنائي بإرث كازينو بديعة مصابني وما كان يجري فيه وفي أمثاله من «تابلوهات» أو استعراضات غنائية وراقصة، تتضمن تجميعا لموسيقات من مشارب مختلفة، مصرية وأجنبية.

هذا الإرث، الذي ساهم فيه أمثال فريد غصن، أحد أساتذة فريد الأطرش، يختلف في الحقيقة عن ارث المسرح الغنائي (سيد درويش وداود حسني ثم لاحقا زكريا أحمد) مثلما يختلف عن ارث الأداء الطربي (بخاصة المشايخ وآخر حبات عنقودهم، عبد الوهاب وأم كلثوم وفتحية أحمد). لأن من طبيعة تلك التابلوهات الرشاقة والرقص وتصوير موسيقات بلدان أخرى (وكثيرا ما نجد ذلك عند الأطرش ومحمد فوزي). بمعنى ما، حفظت لنا أعمال هذين الاثنين خصوصا نفحة من ارث الكازينوهات الذي فقد في غالبيته، وأغنوا به وبالموسيقى التي ألفوها للرقص فيه موارد الأفلام الغنائية وأخرجوها من أسر المطرب العاطفي الفرد.

فريد الأطرش..
خمسون عاماً على الغياب.. حضور دائم في الوجدان الفني

يسميها البعض بالتفاعيل) فمطروحة في الطرقات ما دمنا ندور في فلك شروط محددة تحتمها الموضة ولا يكسرها إلا قليلون (في الشعر قلائل، وفي الموسيقى عندنا سنجد أن عبد الوهاب والقصبجي قد حددا إطار معظم موسيقانا المغناة منذ أعمالهما في نهاية العشرينات حتى أربعينات القرن الماضي).

لذا أحسب أن اهمال مثل هذا النقاش الذي لا طائل منه ضروري كي نحاول الاستماع إلى ما أنتجه الملحنون فعلا.

إطار مفاهيمي

أحسب، ثانياً، أن علينا فهم الاطار المفاهيمي الذي حكم الإنتاج، في مصر خصوصاً منذ ظهور القصبجي وعبد الوهاب وفهم كيف أثر على سائر منتجي الموسيقى بعدهما. فهذا الإطار اعتمد على عدد من المصطلحات التي أنشأت شبكة يتم بناء عليها، تقييم أو تحقير العمل الموسيقي. منها، على سبيل المثل لا الحصر، مصطلحات ومسائل «الوصول إلى العالمية»، «التأليف الموسيقي»، «الأعمال الكبيرة»، «الاقتباس من الغرب دون المساس بروح وقلب الشرق» وما شابهها.

فعلى أساس من هذه الشبكة نعلي شأن استعمال الأوركسترا الكبيرة، حتى في أماكن لا تستحقها، وبالتالي يبحث الملحن عن جمل تناسب الأوركسترا، لا سيما في افتتاح أعماله، بينما العمل التلحيني نفسه يظل أبسط بكثير ولا يحتوي تنويعا في التوزيع ولا إنماء في اللحن يبرر اللجوء إلى مثل هذه الافتتاحيات «الفخمة».

وعلى أساس منها أيضاً تدان، في بعض الأحيان، الألحان التي تلجأ إلى ايقاعات مثل التانغو والرومبا وإلى آلات آخرها الإلكترونيات، بينما في الوقت نفسه يجري مديح استدخال آلات أخرى (من التشيلو إلى البيانو) وايقاعات أجنبة أيضا باعتباره تطويرا لكنه لا يمس «روح وقلب الشرق» الذين لا نعرف كيف نحددهما بدقة، بخاصة باعتبار أن مثل هذين، الروح والقلب، بالضرورة عابران للقرون وجوهران لا يقبلان التغيير الذي لم يخل منه يوما تراثنا الموسيقي في الحقيقة.

نرى أثر مثل هذه الشبكة المفاهيمية واضحا في إنتاج فريد الأطرش وجيله، سواء من حيث تقييمنا لهذا الإنتاج، أو من حيث رؤيتهم هم. نجد ذلك واضحاً في أعمال مثل «لحن الخلود» وما شابهها من ألحان سعى فيها فريد الأطرش جاهداً وقاصداً إلى «فخامة» مصطنعة، لم تلبث أن أصبحت مملة. لكنها كانت، في زمنه، تعتبر شرطاً للوقوف في مصاف كبار الملحنين والمطربين أمثال القصبجي وعبد الوهاب والسنباطي. مع الأسف، هذا الجهد المبذول في سبيلها أضاع عليه وعلينا فرص الاستمتاع بأعمال أبسط ربما، لكنها أقرب إلى موهبته. وهذه الأعمال تخفي، وراء مستواها المتواضع وهالتها الكبيرة، لطافة عدد كبير جدا من أعمال فريد الأطرش «الخفيفة»، ذات الجمل الرشيقة والظريفة، سواء لغيره، أو له منفرداً أو في دويتات كما في بعض أعماله السينمائية خصوصا مع شادية.

هذه الرغبة في «الفخامة» شأنها شأن الرغبة في «اثبات القدرة على الطرب»، كثيراً ما نجدها تفسد مقاطع أو كوبليهات في أعمال الأطرش (ومثل ذلك في أعمال محمد فوزي)، أو نجدها تجبره في بعض الأحيان على اللجوء إلى مواويل متكررة المضامين الموسيقية لإجراء استعراض صوتي من الزخارف التي أصحبت نوعاً من إمضائه الصوتي، في حين إن بإمكان تلك الأغاني أن تتخفف من ذلك كلياً.

العازف

أخيراً، يقتضي انصاف فريد الأطرش، بعد لفت الانتباه إلى موسيقاه بدون أحمال نظرية لا تفيدها وإلى أعماله «الخفيفة» وارث «التابلوهات» في أعماله السينمائية، الإقرار بدوره كعازف عود في نشر محبة هذه الآلة حتى اليوم حيث يكثر المتعصبون له، وكثيراً ما يكون الاعجاب به بداية الرغبة بتعلم العود. وكذلك ينبغي الاقرار بمحدودية هذا العزف في آن واحد بسبب ضغط الجمهور الذي استساغ تكرار جمل معينة و«استعراضاً» مهارياً محدداً واقتباساً «اسبانيا» ضئيلاً وضعيفا وبات يطالب به كل مرة، حتى نجد أن هذا الجمهور ينتشي من أول ضربات الريشة إن وافقت ما يعرفه مسبقا. أي إن هذا الانتشاء هو بالضبط نقيض الطرب، الذي يفترض مفاجأة بمجهول غير متوقع. للأسف، معظم تسجيلات فريد الأطرش الأكثر انتشارا، يمكن اختزالها إلى بضع جمل قليلة وجميلة ومكررة. وحتى في تسجيل له من جلسة مع محمد عبد الوهاب، لم يكن فريد الأطرش يستطيع ألا يستجيب للمطالبات له بتكرار حركة أو جملة ما، مما يقطع بناء التقسيمة بشكل متماسك. وإن كان في مثل هذه الجلسة أميل إلى الابتكار والتجلي والابهار بحليات غير تلك السطحية المشهورة المناسبة للعوام.

لم تنتشر كثيراً، حتى في زمن منتديات الموسيقى و و«يوتيوب»، جلسات خاصة لفريد الأطرش، وليس سبب ذلك واضحاً. لكن لعل الأوان يأتي كي يسعى من لديهم تسجيلات خاصة لعزفه وتقاسيمه إلى نشرها لإبراز جوانب مختلفة من هذا العزف أمام محبيه ولإكسابه محبين وعشاقا يتجددون بالاستماع، ومن ثم بفهم علاقات هذا العازف (الذي قد لا تشكل التقاسيم في الحفلات في رأينا إلا جزءاً بسيطاً ربما من امكاناته الحقيقية) بتاريخ عزف العود وبأساتذته كالقصبجي وغصن ومجايليه من عازفين ومن ملحنين. وقد يكون هذا، إن حصل، أفضل تكريم له في خمسينية وفاته.

ما يزال صوته يتردد في ذاكرة الأجيال.. وتاريخه يلهم كل من ينشد الخلود في عالم الفن

فارس قره بيت:

الكاريكاتور ليس فن النخبة

«أطرح بالكاريكاتور فكراً ينطوي على سياسة وحدث سياسي، ولعلني هنا أعتبر نفسي محظوظاً من حيث توافق الحدث السياسي الراهن وسخونته

المرمار رياض أحمد

من وجهة نظره هناك بين الكاريكاتور والصحافة علاقة جدلية قوامها الحرية والديمقراطية، وتطور الحالة التقنية لهذا الفن مرهون بتطور العملية الإعلامية، يبتعد عن النمطية ويحصر همه بالغاية الوظيفية للعمل والتأثير الآني للوحة بعيداً عن منطق ديمومة العمل الفني من عدمه.

الرسام الكاريكاتوري فارس قره بيت مؤمن بدوره ودور فن الكاريكاتور الذي يجده فن الشعب، ومنه أراد اقتران الصفة بالمكان فكانت صالة الشعب للفنون الجملية فضاءً بانورامياً لمعرضه الذي أقامه.

يقول في معرض رده على أعماله «أطرح بالكاريكاتور فكراً ينطوي على سياسة وحدث سياسي، ولعلني هنا أعتبر نفسي محظوظاً من حيث توافق الحدث السياسي الراهن وسخونته. الكاريكاتور ينمو في جو السخونة لا في جو الهدوء والسكينة».

يتابع فارس قره بيت فيما يتعلق بوجهة نظره بوصفه فناناً وقبلها إنساناً: «وجهة نظري واضحة في أعمالي حيث تجد شيئاً له علاقة بالهم اللبناني والفلسطيني والعراقي والوحدة العربية وبعض المواقف المتعلقة بقضايا اجتماعية وعمومية وقضايا إنسانية، ويمكنني القول إن معرضي هذا يمثل وجهة نظري بوصفي إنساناً حول كل ما يجري من أحداث، فأنا لا أعتبر نفسي صاحب وجهة نظر سياسية ولكن يمكنني القول إنني صاحب وجهة نظر إنسانية».

حول سؤالنا له عن طاقة اللوحة الكاريكاتورية وقدرتها على الاستمرار والديمومة مقارنة مع اللوحة التشكيلية أو الصورة الضوئية، يقول قره بيت «كل أنواع الفنون لها زمن تعيش فيه، إن كانت منحوتة فهي مرهونة بعمر الحجر المصنوعة منه، فمنطق ديمومة العمل الفني مرهونة بكثير من الأشياء وأهمها الزمن الذي نؤدي فناً فيه.

«الفن الفرعوني عمل عظيم في وقته، لكنه اليوم تحول إلى إرث

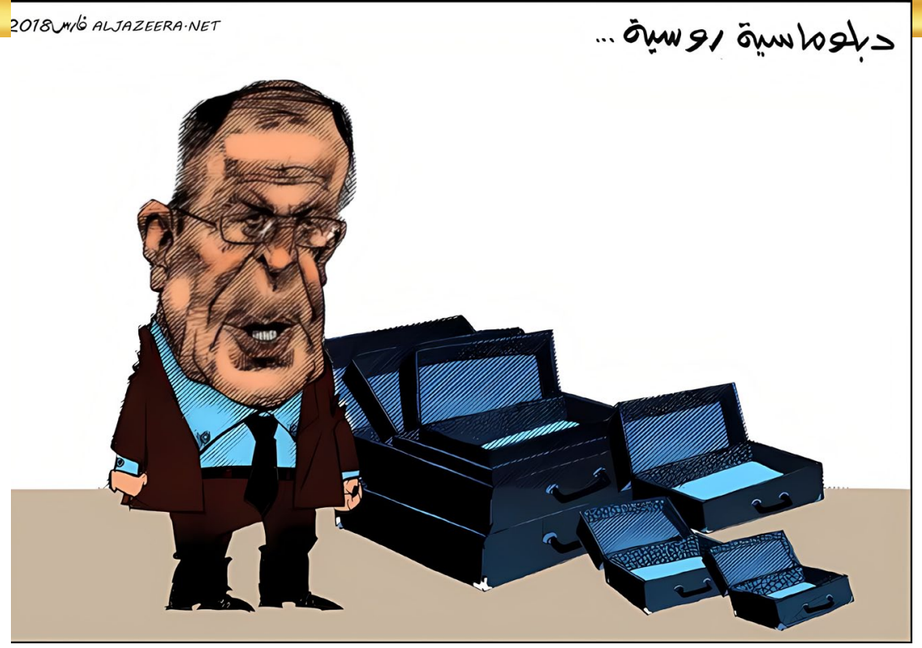

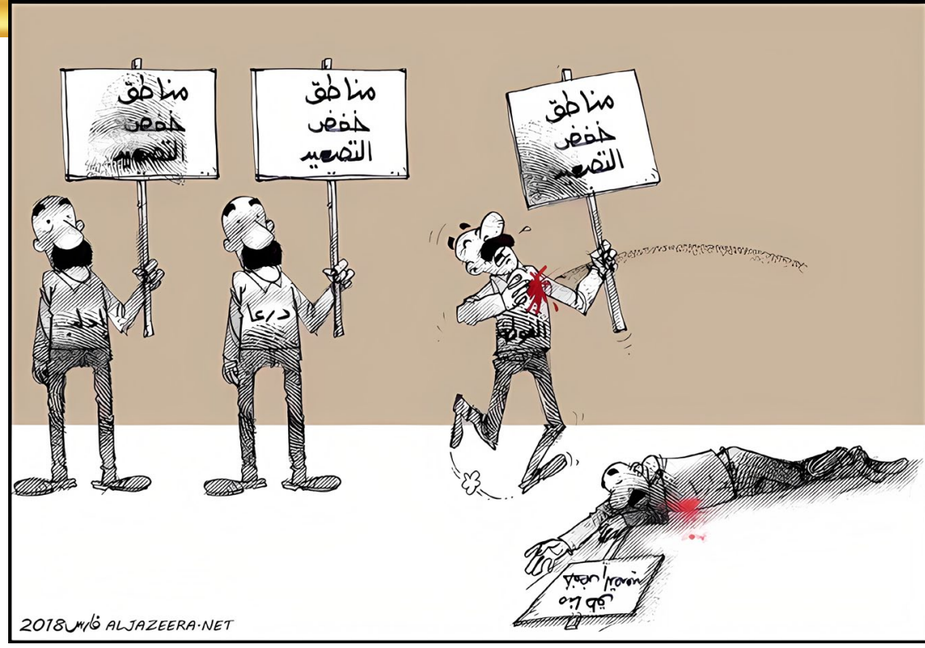

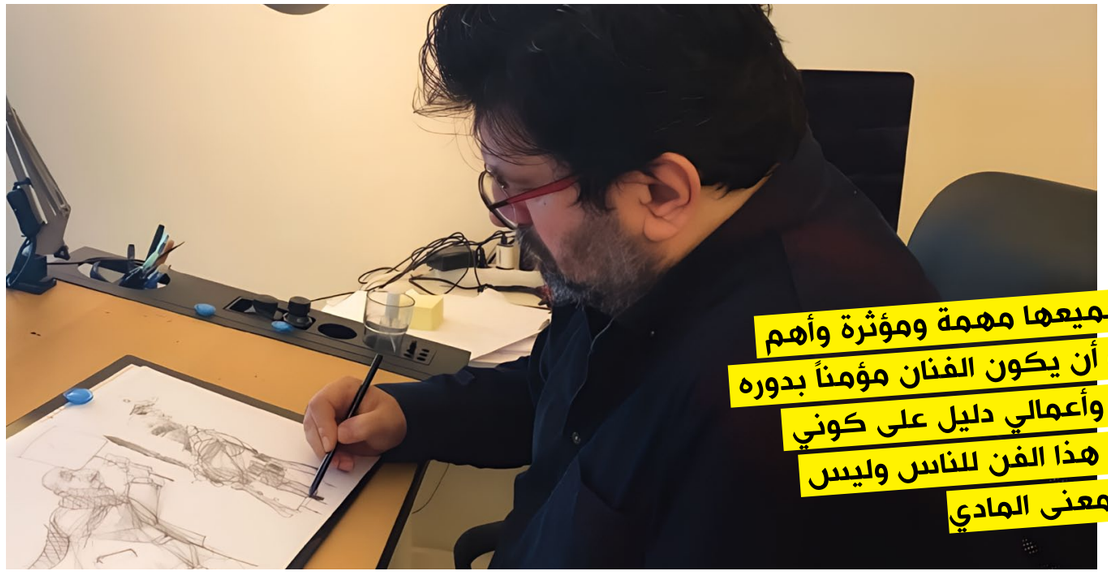

الفنون جميعها مهمة ومؤثرة وأهم شيء هو أن يكون الفنان مؤمناً بدوره وأهميته، وأعمالي دليل على كوني مؤمناً بأن هذا الفن للناس وليس للنخبة بالمعنى المادي

تاريخي وأصبح خارج إطار الفن وبالتالي عندما نتناوله فإننا نتحدث عنه تاريخياً، وبمعنى أكثر دقة لا يهمني اليوم قدرة اللوحة والفكرة على الاستمرار والبقاء بقدر ما يهمني تأثيرها في هذه اللحظة».

يضيف فارس قره بيت: «عموماً بما أن الكاريكاتور فن صحفي فذلك يعني أن ديمومته تتعلق بالحدث ذاته. هناك شيء عن القضية الفلسطينية وهو حدثٌ عمره أكثر من خمسين عاماً، إذاً ديمومة العمل الفني مرهونة بظروف كثيرة أهمها الغاية الوظيفية من العمل الفني ذاته».

حول سؤالنا عن أن الفن الكاريكاتوري مغبون قياساً بالفنون الأخرى يقول قره بيت «الفنون تحسد بعضها أحياناً فمثلاً أنا أحسد موسيقياً لأجده يحسد مسرحياً وهكذا، عموماً يمكنني القول إن الفنون جميعها مهمة ومؤثرة وأهم شيء هو أن يكون الفنان مؤمناً بدوره وأهميته، وأعمالي دليل على كوني مؤمناً بأن هذا الفن للناس وليس للنخبة بالمعنى المادي، وإنما يقدم لإنسان مسحوق لديه معاناة، وأنا موجود لهذا السبب وسعيدٌ بهذا الموقف».

حول ما إذا كانت المباشرة في الطرح وتقديم الفكرة تُفقد الكاريكاتور خصوصيته وحالته الفنية، يقول فارس قره بيت «بعيداً عن كل التصنيفات النصر في النهاية هو للفكرة التي تأتي في وقتها المناسب، فدائماً هناك توقيت لكل شيء وهو ما يحدد النجاح، وحينئذ لا يهمني إن كانت مباشرة أو غير مباشرة، فلسفية أو عميقة أو سطحية».

العربية .. تراث عالمي متجدد

إياد حسن

في يوم اللغة العربية، الذي يصادف 18 ديسمبر من كل عام، يُسلط الضوء على واحدة من أكثر اللغات جمالًا وثراءً في العالم. اللغة العربية ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي مستودع للحضارة والثقافة الإنسانية، وشاهد حي على تاريخ غني ومتنوع.

تُعد اللغة العربية واحدة من أكثر اللغات انتشاراً على مستوى العالم، حيث يتحدث بها أكثر من 400 مليون شخص كلغة أم، ويستخدمها الملايين كلغة ثانية. بفضل وجودها في قائمة اللغات الرسمية للأمم المتحدة، تحظى العربية بمكانة مرموقة في المحافل الدولية. كما أن انتشار الإسلام ساهم في جعل اللغة العربية لغة دينية وروحية لملايين المسلمين حول العالم، مما يعزز دورها كجسر يربط بين الثقافات والشعوب.

على الصعيد العلمي، كانت العربية لغة العلم والفكر في العصور الوسطى، حيث ترجم العلماء العرب والإسلاميون الفلسفات والعلوم من اليونانية والفارسية والهندية، وأضافوا إليها إسهاماتهم التي كانت الأساس لنهضة أوروبا العلمية. اليوم، ومع التحول الرقمي، تشهد اللغة العربية نهضة جديدة من خلال المحتوى الرقمي والإنتاج الأدبي والفني.

تلعب اللغة العربية دوراً محورياً في حفظ التراث الإنساني. فهي لغة القرآن الكريم، الذي يُعد نصًا دينيًا وثقافيًا عظيمًا يحمل بين طياته القيم الأخلاقية والإنسانية. كما أنها لغة الشعر الجاهلي، الذي يعتبر سجلًا فريداً لحياة العرب قبل الإسلام، ولغة الأدب العباسي الذي أسهم في تشكيل هوية أدبية عالمية.

الحرف العربي نفسه يمتلك جاذبية فنية مميزة، حيث استُخدم في فنون الخط والزخرفة، ليصبح جزءًا من التراث الثقافي والفني العالمي. وعبر النصوص العربية القديمة والحديثة، تم الحفاظ على التاريخ والعلوم والفلسفات، مما يتيح للأجيال الحالية استلهام الماضي لبناء المستقبل.

مع التطورات التكنولوجية، يلعب الذكاء الاصطناعي دوراً متزايداً في دعم اللغة العربية والحفاظ عليها. توفر تقنيات الذكاء الاصطناعي أدوات ترجمة فورية وتحليل نصوص تسهل الوصول إلى المحتوى العربي وفهمه. بالإضافة إلى ذلك، تساهم تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تحسين تعلم اللغة العربية من خلال برامج تعليمية متطورة تعتمد على التفاعل الشخصي وتحليل احتياجات المتعلمين.

كما تساعد تقنيات معالجة اللغة الطبيعية (NLP) في أرشفة النصوص القديمة وترجمتها إلى صيغ رقمية قابلة للبحث، مما يساهم في الحفاظ على التراث الثقافي العربي. على المستوى الرقمي، يُسهم الذكاء الاصطناعي في زيادة انتشار المحتوى العربي على الإنترنت، مما يعزز حضوره العالمي ويجعله متاحًا للأجيال القادمة.

رغم مكانتها العالمية، تواجه اللغة العربية تحديات متعددة، من بينها تراجع استخدامها في الأوساط العلمية والتعليمية، وهيمنة اللغات الأجنبية في بعض المجتمعات العربية. لكن هذه التحديات تُقابلها جهود متواصلة لتعزيز حضور اللغة العربية في العصر الحديث، سواء من خلال مبادرات تعليمية أو تعزيز المحتوى العربي على الإنترنت.

اللغة العربية ليست فقط أداة للتواصل، بل هي هوية وذاكرة جماعية. الحفاظ عليها يعني الحفاظ على جزء أصيل من التراث الإنساني. وفي عالم يزداد تداخله وتنوعه، يبقى للغة العربية دور فريد كجسر يربط بين الماضي والمستقبل.

في يومها العالمي، تتجدد الدعوات للاعتزاز باللغة العربية ودعمها كوسيلة للتواصل الثقافي والحضاري. إنها لغة تحمل في أعماقها أصوات التاريخ وأحلام المستقبل. وكما يقول الشاعر العربي الكبير حافظ إبراهيم: "أنا البحرُ في أحشائه الدرُ كامنٌ"، تبقى اللغة العربية بحرًا لا ينضب من الجمال والمعرفة.

● كاتب سوري مقيم في النمسا

السطو على الماضي

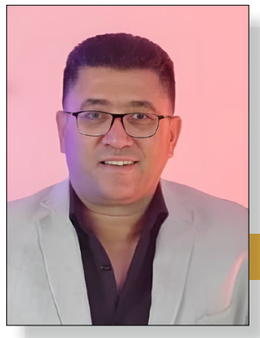

محمد رضوان

إن السائر على طريق الحق له من الملامح الرطبة الكثير، منها بالتأكيد توقير الماضي وعدم غمطه، فهو يرسم صورة أيامه الغابرة على جدران بيضاء بكل جسارة وبلا خجل. لذا، فإن سيمفونياته غير ناقصة، وطريقه محدد بتذكرة مرور واحدة لا اثنتين، وحاضره ملموس بين يديه، ومستقبله أبلج بين عينيه، أما ماضيه فقد تربع على عرش قلبه، فازدان به حاضره وانجلى له مستقبله.

وعلى النقيض يكون المعتوه الذي يُحاول طمس الأيام الفائتة والتبرؤ من أخبارها وحكاياتها، بل وتبرئة صحيفته من كل ما هو قادم من خوالي الأيام وبعيدها، فيصير بزوغه هذا مزورًا، ولباقته كذوبة، والأرض مرتجة أسفل أقدامه. فهو يسعى لمحو التاريخ الغابر، العتيق منه والقريب، بيد أنه في الحقيقة يحاول محو ذاكرات الناس وعقولهم.

إن من يقتلع الماضي من حسابات الزمن واقع في غيهب الوهم، بعد أن استند باختيال على بواعث الحاضر، وبكل غرور وصلف ظن أنه قابضٌ على تلابيب الأمور وممسك بجُل موجباتها. وفي مسعاه هذا يحاول أن يُضفي الحبكة اللازمة كي يروق له هذا الحاضر المبتور ماضيه، فيظهر منه التصنُّع والتكلف والمسكنة.

إن هذا التاريخ الذي انقضى له رونق بهي من البساطة والسعة، حيث كان حُسن الأدب والتواضع ولين الجانب لا يُعرض المرء للاستخفاف وقلة المبالاة به. وكان للعلم والعلماء الشأن العظيم والكرامة الشماء، حينها كان الحديث صدقًا، والالتزام ثقةً، والحق طبعًا وسليقة.

وقد حرق نيرون روما كلما تراءت له تلكم الإساءات التي لاقاها من الناس وتعسفهم عليه في طفولته، ولم يكن يفكر حينها بمحاسن مدينته. فقد عاش يُمني النفس بالخلاص منها بعد أن قاسى الأمرين من أهلها وتهكمهم عليه، بالإضافة لنكرانهم للجميل. وهو ما لم يقدر نعيم القصر ورفاهيته أن يُنسياه مرارة الأذى الذي لاقاه. وكلما تذكر هؤلاء الذين قضوا على سعادته وأحلامه، تراءى له من خلفهم صواريخ الدخان ولهيب النار يشق عنان السماء، وقد أخبروه يومًا وهو إمبراطور أن عضوًا من مجلس الشيوخ (السيناتو) قد سبه وهجاه، فقال: «لا أصدق ذلك، فإني لا أذكر أني أطفأت له حريقًا شب في داره!».

لقد بلغ نيرون من اليأس مبلغ البؤس والقنوط، لمجرد أن عقله لا زال صوب الماضي، لا ينفك عن التفكير في الإساءات القديمة، رغم أن حاضره هو الرغد والرفاهية والثراء. قلبه ضل الطريق، وضاع صواب عقله، فقرر حرق هذه الأرض التي عاش عليها. والمدهش أنه قرر البدء بالدار التي يسكنها زوج حبيبته، وقد وقف نيرون أمام المشهد العظيم يطلق مرثية من حشاشة نفسه، وقد ظن الناس أنه يُغني، إلا أنها كانت مرثية فاضت من قلبه الذي وقف لخدمة الإنسانية فلم يلاق غير العسف والأذى.

لقد تلظى نيرون في سعير الماضي، وترسبت منه فكرة صغيرة جعلته شريرًا يقتل الحياة ويقبر الأحياء، ولأجلها حرق مدينته جمعاء. وانكمش عقله وضمرت أفكاره وظل رهينًا للشر. وبالطبع يُصنفه التاريخ كأحد المجانين مع عمه كاليغولا والنازي هتلر، لكن الملفت أن هؤلاء قد حرقوا العالم من أجل حاضرهم، إلا أن نيرون فعل فعلته من أجل الماضي الأليم.

بالطبع ليس نيرون مثلًا وقدوة، إلا أن الحقيقة تقول إنه لا حاضر بلا ماض، وكل الجنون محاولة العبث في هذا الماضي. فإن قدرت على ذلكَ مع نفسك، فإني أُبشرك بأن التاريخ كله مُدون في عقول وألباب الناس، لن تقدر على محوه، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. لذا، لن ينفعك العبث مع الماضي ومحاولة تزوير أوراقه وتزييف حقائقه.

من الصعب جدًا أن يقع التاريخ بين الشك واليقين، لذا فقد يحتار الناس ولن يحتار التاريخ. وربما تهتز أوراق الشجر، وهو ما لن يحدث مع أوراق التاريخ. وربما يعرف الماضي التجاوز وغض الطرف، لكنه لن يقدر على وأد الحقائق وطمس الأنباء واستئصال الجرائر والآثام. وقد يقدر على ستر الصحف السوداء وحجبها، لكنه أبدًا لن يقدر على تمزيق حكاياتها وأخبارها.

وجب الآن على كاتبي التاريخ أن يضعوا أوزارهم جانبًا، وأن يجددوا أقلامهم، وأن يطلبوا الصفح والمغفرة، وأن يتركوا الحاضر يستلهم أحداثه من الماضي، هذا الماضي الذي هو كل شيء.

● أديب الرياضة

حين تتحول البنايات إلى موسيقى

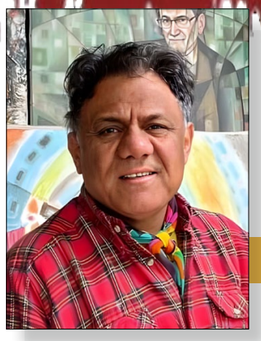

ستاركاووش

لم أتوقع أنني سأحب أعمال الفنان والمعماري النمساوي هاندرتفاسر (1928 – 2000) وأتعلق بإنجازاته الفريدة إلى هذه الدرجة. فرغم أنني كنت قد شاهدت له أعمالاً متفرقة هنا وهناك، إلا أنني عندما حصلت في إحدى المناسبات البعيدة على كتاب جميل ضمَّ أعماله، تعرفت جيداً على أفكاره وإنجازاته التي ليس لها مثيل. جذبتني عوالمه الغرائبية وأفكاره المتفردة التي تعلي من روح الإنسان والطبيعة، إذ مضى هذا الفنان بثبات قل نظيره لتحقيق فلسفته ورؤيته خارج كل ما هو مألوف ورتيب وتقليدي.

وها أنا أتجول بين أحياء مدينة فيينا التي ولد فيها هذا العبقري، وملأها بالبنايات الاستثنائية واللوحات المبتكرة التي ضمّها متحف فريد من نوعه. أمضي في شوارع المدينة باحثاً عن العوالم السحرية التي ابتكرتها مخيلة هذا العبقري، الذي يتسابق الناس من كل أنحاء العالم للوقوف أمام أعماله التي غيرت شكل الرسم والعمارة. أنا الآن في طريقي إلى متحفه، لكن هذا الطريق الذي يتشعب داخل المدينة الجميلة سيصبح طويلاً، لأنني سأرغم على التوقف هنا وهناك أمام بناياته المبتكرة التي توزعت مثل اللقى الأثرية التي تلتمع بين شوارع مدينة الجمال فيينا.

أمضي في الطريق، فيما بنايات هاندرتفاسر الغامضة تتقاطر أمامي واحدة بعد الأخرى مثل قلائد ملونة. أتوقف في أحد المنعطفات حيث تتجمهر مجموعة من الناس الذين جاءوا لمشاهدة الجنون الذي صنعه هذا الفنان في العمارة، وجرأته في تغيير مفهوم البيوت والبنايات بأشكالها غير المنتظمة وخطوطها المنحنية ونوافذها التي تنبثق منها أغصان النباتات وسطوحها التي تحولت إلى حدائق. وهكذا جعل هاندرتفاسر هذه البنايات أكثر حميمية وتواؤماً مع الطبيعة.

سعى هاندرتفاسر دائماً لجعل عمارته تنسجم مع الطبيعة والمحيط وروح الإنسان، حيث يكون الفضاء والشارع في متناول اليد، وإلا سيتحول الإنسان إلى سجين في علبة مغلقة. وقد رفض بشكل كامل كل ما هو تقليدي وعقلاني في البناء، داعياً إلى مبانٍ تكون صديقة للإنسان والبيئة. ومن خلال البيان الذي كتبه سنة 1973 قال: «نافذتك هي حقك، وشجرتك هي واجبك». ورأى أن غرس الأشجار في المدن يُعتبر واجباً مقدساً، حيث ذكر في أحد بياناته: «كل مرة نسير فيها وسط الطبيعة علينا أن نشعر بأننا ضيوف هنا، لذا وجب علينا أن نكون ضيوفاً جيدين الأخلاق والسمعة ونرد الجميل».

هكذا كان هاندرتفاسر لا يتوقف عن نشر البيانات وإلقاء المحاضرات وتصميم الكثير من الملصقات التي تُعلن كلها عن مطالبته بضرورة الانسجام مع الطبيعة ومراعاتها، بما في ذلك وقوفه ضد قوانين الطاقة الذرية ومناشدته للاعتناء بالمحيطات والاهتمام بالغابات.

تتميز بنايات هاندرتفاسر بأشكالها الحلزونية وفتحاتها الغريبة واستخدامه للموزاييك والزجاج الملون والشرائط الملونة، الأبواب والنوافذ غير المنتظمة، الأحجار الغريبة، الأبراج الغامضة، الدوائر، الأعمدة غير المتشابهة حتى في البناية الواحدة، إضافة إلى مواد أخرى تبدو لأول وهلة دخيلة وغير تقليدية، لكنه يضعها في أماكن مذهلة من البناء. ولم يكتف بذلك، بل عمد إلى جعل سطوح البنايات حدائق عامرة بالنباتات المختلفة. وهو في كل بناياته لم يستخدم خطاً مستقيماً تقريباً، إذ كان مهووساً بالخطوط المتعرجة المنحنية، وحتى أرضيات بناياته غير مستوية، والتي يقول عنها: «الأرضية المتموجة تمنح الأقدام موسيقى ونغمات».

انتشرت بناياته الفريدة في أغلب دول العالم، ولم يتوانَ عن تنفيذ فلسفته الشخصية في كل ما تنجزه مخيلته ويداه. سواء كانت بناياته متاحف للفنون، روضات أطفال، محطات تدفئة، مصانع للنبيذ، أو حتى مطاعم ومنازل، كان يضع فيها كل فلسفته ورؤيته التي تنسجم مع الطبيعة.

لم يكتفِ هذا الفنان العظيم بتصميماته المعمارية المبتكرة، بل كان يشارك في بنائها بنفسه مع العمال، حيث يمزج الأسمنت ويهيئ مواد البناء، يتأرجح على هذه السقالة ويصعد على ذاك السلم. وكم كانت سعادته كبيرة حين يحضر له أحد الشغيلة قطعة غريبة من الحجر أو الزجاج عثر عليها في مكان ما، فيأخذها منه كأنها كنز صغير ثم يجد لها مكاناً في واجهة هذا البناء أو ذاك الجدار، لتصبح جزءاً من تاريخ الجمال الذي صنعه هذا الرجل.

مررت ببنايته الفريدة ولامست بيدي الجدران الملونة والعجيبة التي تلألأت بين أحجارها قطع الزجاج الملون. تأملت الأعمدة الطريفة الساحرة التي تحول كل واحد منها إلى عمل فني مبهر، حتى دخلت إلى مجمع كبير ومتداخل من البنايات يُطلق عليه اسم «قرية هاندرتفاسر»، حيث وضع فيها كل تقنياته ورؤيته ولمساته التي توزعت في كل المكان.

بعد جولة صغيرة في هذه القرية تضمنت فنجان قهوة في مقهى صغير ومفتوح ذي أرضية متعرجة، أكملت طريقي حتى وصلت إلى ضفة نهر الدانوب، الذي انتصبت على ضفته بوابات غرائبية أنجزها هاندرتفاسر بأحجار ومواد مختلفة. لم يتبقَ لي سوى بضع خطوات لأصل إلى متحفه الذي تلألأت واجهته الملونة من بعيد. وأنا الآن على وشك الدخول لمشاهدة لوحاته التي سأتحدث عنها لاحقاً.

● ناقد وفنان تشكيلي عراقي

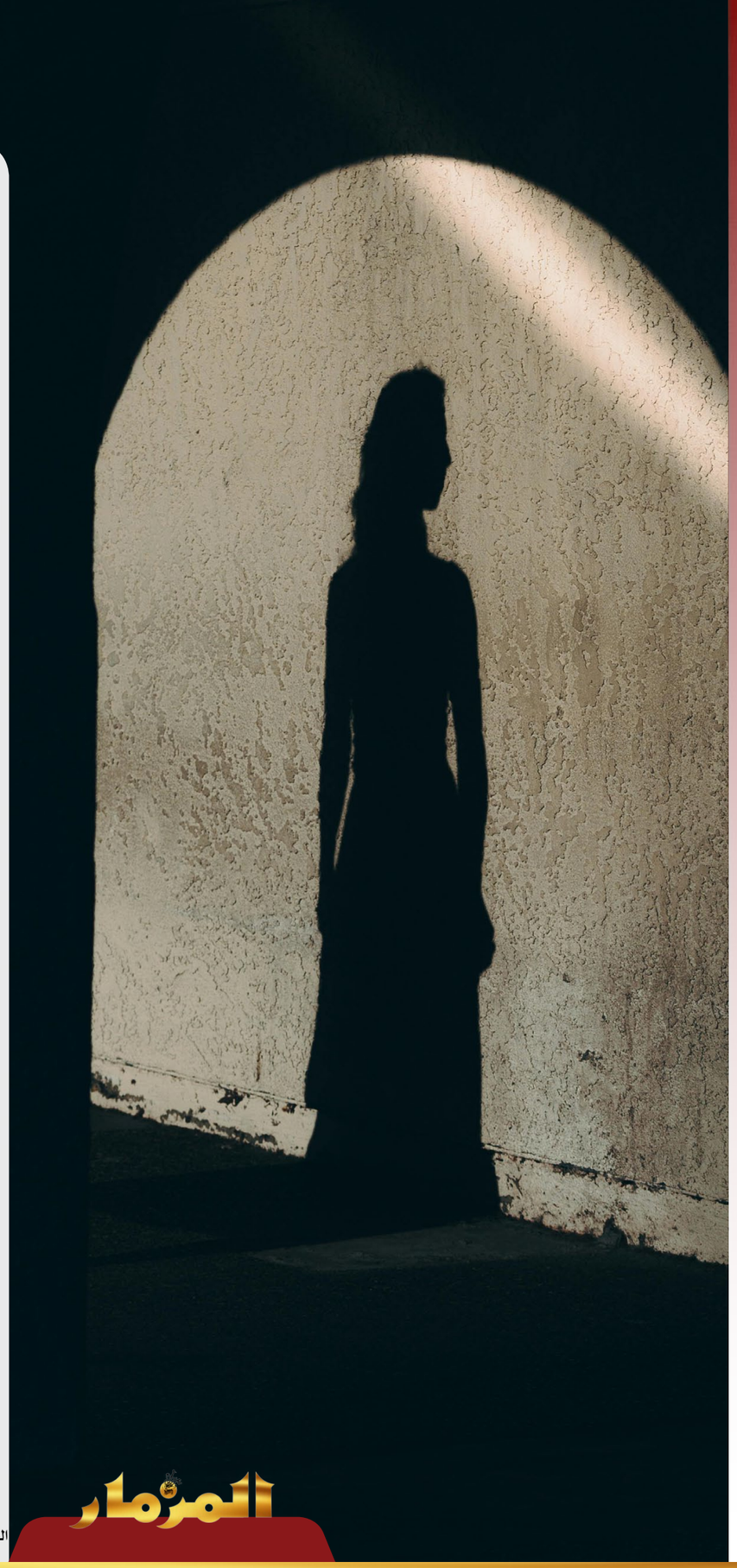

يقول ظلي... الوصية رقم (16)

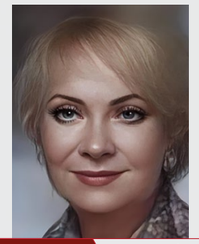

المزمار هدى المهتدي الريس

لن أعتب عليك
لم يعد داخل القنديل زيت
يكفي
فطام الصباح موعده أزف
والروح معلقة بستائر الغروب
الأصيل لعنة تزحف داخل
شريان العمر
والحلم اسمل عينيه ...وغاب
هات يديك أقرأ طالع يومي
قبل أن يداهمني صقيع ليل
ينقر على الأبواب
صوت ينادي هناك
همزة سؤال مصلوبة
و(باء) جواب غابت عن
حضن رحمها
من غزا خزائن أسراري
من غفا بين أوراقي
محدودب قلمي ولغتي جمر
أيا ظلي
أطلق شراع رغباتك
البحر عاقر
الموج (قارٌ) زبده
والتنور على صفحة الجسد
رمى وصاياه وطار

● إعلامية لبنانية

فنان الشعب الذي أضحك الأجيال

(40) عاماً على رحيل محمود شكوكو

رائد الاستعراض والبهجة

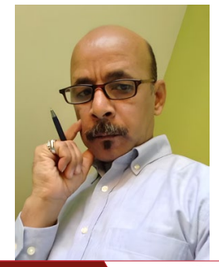

المرمار
عمر إبراهيم محمد

هو أحد صانعي البسمة والبهجة في عالم الفن المصري والعربي، صاحب الأسلوب المُميز في الغناء والتمثيل بالحركات والقفشات اللاذعة، خصوصاً في غناء فن (المونولوج)، كما أنه من الرعيل الأول في تقديم فن (الأراجوز) في مصر والوطن العربي.

هو الفنان المصري الشامل الراحل محمود إبراهيم إسماعيل، الشهير بـ محمود شكوكو (1912-1985م)، الذي اتخذ من أدواته المُميزة والشهيرة (العصا والطاقية) زياً له.

● محمود شكوكو في بداية الصبا

تنقل في العمل من الصالات والمسارح والإذاعة إلى الظهور في الأفلام الاستعراضية، محتفظاً بزيه الشهير الذي اشتهر به: الجلباب البلدي والطاقية الطويلة (الطرطور)، وأيضاً الحزام الحرير الذي كان يلفه حول خصره وهو يُغني ويرقص بالعصا رقصة أولاد البلد. وهو الفنان الوحيد الذي صنع له المصريون آلاف التماثيل في منتصف القرن الفائت من مادة (الجبس) للاقتناء بمنازلهم، ومن الحلوى للأطفال، وهو مرتدياً زيه الشهير. وكان يُباع التمثال في كل مكان بمصر (بقرش صاغ)، وأحياناً بزجاجة مياه غازية فارغة. وكان الباعة يضعونه على عرباتهم ويسيرون في الشوارع مُنادين: «شكوكو بقزازة».

ولد الفنان محمود إبراهيم إسماعيل (محمود شكوكو) في الأول من يونيو (1912) في حي الدرب الأحمر الشهير بالقاهرة، لأب يمتلك ورشة لنجارة الموبيليا. أدخله والده (الكُتّاب) لحفظ القرآن في بداية طفولته، لكنه لم يستمر ولم يُكمل تعليمه، فاصطحبه والده معه إلى الورشة لتعلم مهنة النجارة.

وقد تعلم شكوكو المهنة على يد والده وأصبح نجاراً ماهراً. واكتسب لقب شكوكو من (الشاكوش)، إحدى أدوات النجارة التي تعلمها واحتفظ بها حتى بعد احترافه الفن. كان يعمل مع أبيه نهاراً وفي الليل يُشبع هوايته بالغناء وإلقاء المونولوجات التي أحبها وحفظها على المقاهي، خصوصاً في شارع محمد علي (شارع الفن)، الذي كان قبلة كل الفنانين والموسيقيين آنذاك. وكان أيضاً يتردد على الأفراح والمناسبات بالأحياء الشعبية، فذاع صيته وأصبح يُطلب بالاسم، وكان أجره في الليلة وقتها (20 قرشاً).

وفي أواخر العشرينيات بدأ شكوكو الدخول إلى عالم الفن، عن طريق لطيفة نظمي، إحدى أعضاء فرقة (علي الكسار). فانضم شكوكو إلى الفرقة بعد أن اقتنع أفراد الفرقة به وبأسلوبه في تقديم المونولوج، وثبت قدميه باقتدار.

وبعد عدة سنوات من العمل في فرقة علي الكسار، وفي (1944) كان شكوكو قد تألق وذاع صيته وأصبح له جمهوره،

حكاية الطرطور والعصا التي أبهرت العالم

من نجار بسيط إلى أيقونة الاستعراض المصري

مما دفعه إلى ترك الفرقة وتأجير سينما (كليبر) بشارع فؤاد آنذاك، وتكوين فرقة خاصة تحمل اسم (فرقة محمود شكوكو الاستعراضية) لتقديم الاسكتشات.

وشاركه في الفرقة (إسماعيل ياسين، وإلياس مؤدب، وثريا حلمي) وغيرهم.

وفي ذات الوقت، التحق بالإذاعة المصرية عن طريق الإذاعي محمد فتحي، الذي طلب منه تقديم المونولوجات الفكاهية.

سجل شكوكو للإذاعة في تلك الفترة أشهر مونولوجاته مثل: (ورد عليك، ويا ورد يا صفر يا صفرفور، وحدارجي بدارجي) وغيرها. وصل أجره في الوصلة الواحدة إلى خمسة جنيهات في فترة الأربعينيات. من خلال الإذاعة، لفت شكوكو انتباه مخرجي السينما، فطلبه المخرج نيازي مصطفى للعمل معه. توالت الأعمال والأفلام حتى وصل رصيده إلى أكثر من 80 فيلماً، بدأها بفيلم (أحب البلدي، 1945) إخراج حسين فوزي، وأنهاها بفيلم (شلة الأنس، 1976).

بينهما، لعب شكوكو أدواره المميزة في أفلام مثل (حسن وحسن، وتاكسي حنطور، وورد الغرام، وليلة العيد، وظلموني الناس، وشمشون ولبلب) الذي تغيّر اسمه إلى (عنتر ولبلب)، وهو الفيلم الذي ما زال يُمثل قيمة فنية ودلالة فكرية عميقة، حيث يُعبر عن أخذ الحق والانتصار للناس العاديين البسطاء بمزيج

من الحيلة والذكاء والصبر والمرح.
كان للمسرح أيضاً نصيب من أعماله، حيث قدم على المسرح عدة مسرحيات منها: (موال من مصر، ووداد الغازية، والزيارة انتهت). وراح شكوكو يتنقل بين المسرح والسينما مروراً بالإذاعة ثم التلفزيون، حيث طور من فنه وقدم مونولوجات الفرانكو-آراب مثل: (أشوف وشك تومورو، وحبيبي شغل كايرو، وحمودة فايت يا بنت الجيران).
ثم أتت مرحلة مهمة في حياته، حيث كانت لشكوكو علاقة خاصة جداً مع المونولوج وفن العرائس. فهو الفنان الوحيد الذي أدخل فن (الأراجوز) ضمن حفلات الغناء بزيه المميز. تلقى دعوة من السفير الروماني بالقاهرة، الذي أعجب بمهارته في إحدى الحفلات، للسفر إلى رومانيا لدراسة فن العرائس، خصوصاً عرائس (الماريونيت) ومدى دمجها مع فن الأراجوز.
سافر شكوكو إلى رومانيا، ومنها إلى باريس وإنجلترا وألمانيا لتعلم فن العرائس، وأيضاً لتقديم بعض العروض هناك، والتي نالت إعجاب الكثيرين. عاد إلى مصر وأنشأ أول مسرح للعرائس، وأطلق عليه (مسرح شكوكو للعرائس).
نجحت بعض العروض التي قدمها، رغم أن الساحة كانت مزدحمة بالكثير من المونولوجستات، إلا أنه ظل بارزاً في الطليعة دائماً.
ورغم نجاح العروض، تكبد شكوكو خسائر مادية كبيرة، فلم يُكتب لتلك التجربة الاستمرار. في ذات الوقت، بدأت الدولة تهتم بهذا الفن، فأنشأت مسرحاً للعرائس في منطقة (العتبة) خلف المسرح القومي.

النجم الذي حمل بهجة البسطاء إلى السينما والمسرح

● محمود شكوكو ونجله سلطان

لم ييأس شكوكو من تجربته التي لم تستمر، فكثف نشاطه في السينما والمسرح الدرامي. واصل أداء المونولوج على المسرح وفي أعماله السينمائية، وكتب له كبار الشعراء. كما قدم له الموسيقار محمد عبد الوهاب لحن المونولوج الشهير (يا دبحة قلبي بقزازة لماذا الظلم ده لماذا؟)، وقد لحن له من قبل مقطعاً غنائياً في إسكتش (اللي يقدر على قلبي) في فيلم (عنبر، 1947) مع ليلى مراد وإسماعيل ياسين وعزيز عثمان.
الإسكتش كان مزيجاً من الطرب والفكاهة، كما لحن له عزت الجاهلي، ومحمد فوزي، وكمال الطويل، وغيرهم.
عاش شكوكو لفنه ولإمتاع جمهوره.
كرمته الدولة في عيد الفن عام 1979 بحصوله على جائزة الدولة التقديرية عن مجمل أعماله، وتسلمها من الرئيس الراحل أنور السادات. كما تم تكريمه من عدة جهات عربية ودولية.
في (21 فبراير 1985)، رحل محمود شكوكو، الفنان الذي ملأ حياتنا وما زال مصدر بهجة ومتعة. وصل بأعماله إلى العالمية في وقت لم يكن يجيد فيه القراءة أو الكتابة.

حكاية "جنيّ يركبك"!

عماد نداف

كان هناك رجل عجوز في حارتنا عاش حرب الأربعش، أي الحرب العالمية الأولى. كان اسمه الشيخ محمد، وهو مَحني الظهر، يرتدي طاقيةً بيضاء مصنوعة من خيوط الكركّر، حفر الزمن خطوطاً على وجهه، تراخت أجفانه، وخفّ نظره، ورسم البياض مساحة عليهما.
يختلف أهل الحارة حول عمره، فإذا كان عمره الحقيقي نحو تسعين عاماً، فإنهم يتوقعون أن يكون قد تجاوز المائة، ومنهم من يقول مازحاً إنه تجاوز المئتي عام إن لم يكن أكثر!
كان هذا العجوز يرفض الركوب في السيارة من أي نوع كانت، فهو لم يقتنع أن هذا (الأتوموبيل، كما كان يسميه)، الذي له عجلات تشبه عجلات عربة يجرها حصان يمشي بدون جر ويسير وحده، فهذه معجزة!
كيف يسير وحده، وهو ليس حماراً ولا حصاناً ولا جملاً؟!
كيف يسير وحده وهو من حديد، والله لم يخلق كائنات حية من الحديد؟!
كيف يسير وحده بلا تبن ولا شعير ولا شوك؟!
المسألة كانت تثير الدهشة عنده. ولايمكن الوصول معه إلى حل مقنع، فهذا (الأتوموبيل) هو جنّي. نعم جنّي، وكل (أوتوموبيل) هو جنّي.
ومسألة الجنّي لها تداخلات أخرى في حياتنا، فإذا تشيطن طفل، فكسر قطرميزاً في البيت، أو دفع الكرسي فأوقعه فوق أخيه الصغير، أو أهرق ماء الإبريق لأنه يمشي دون انتباه. تؤنبه أمه وتسأله: شو راكبك جني يا ابني؟!
لاحظوا المفارقة التي ستحصل معنا هذه الأيام.
الحرب على السوريين طالت كل شيء في حياتهم...
وحق المنتقم الجبار. طالت كل تفاصيل الحياة إلى الدرجة التي حمل فيها السوريون صلبانهم ومشوا في طريق العذاب. والمآسي لا تُعدُّ ولا تُحصى كأنها لعنة أصابت الناس، وآخر ما نعيشه هذه الأيام هو مأساة البنزين.
ذاك العجوز، الذي كان يعيش في حارتنا قبل أكثر من خمسين سنة، لم يكن يقتنع أن طعام الأوتوموبيل هو البنزين، ولو كان يعيش حتى الآن كنا نحن في إحراج شديد تجاه قناعاته.
فالبنزين مغشوش. والسيارات لا تحتمل هذا النوع من البنزين، ولذلك كثرت حالات تعطل السيارات ووقوفها في الطرق الصاعدة أو الهابطة، وكنت أسمع ولا أصدق، أشاهد ولا أقتنع إلى أن حصلت القصة معي.
توقفت السيارة في عرض الطريق، وكان الشارع ضيقاً في مشروع دمر، وكانت زوجتي معي، والوقت ليلاً. والبنزين مغشوش، وهذا يعني أن الأوتومبيل خاصتي حرن وتوقف والعياذ بالله!
ارتفعت أصوات الزمامير.
زوجتي لا تستطيع مساعدتي في دفع السيارة لنركنها في أقرب فراغ، وأنا أعجز عن دفعها وتوجيه المقود بآن واحد، والشارع الذي نحن فيه في اتجاه صاعد، أنا في ورطة، فماذا أفعل؟!
تذكرت حكاية العجوز، الذي يعتقد أن الأتوموبيل جنّي.
وتذكرت تساؤلات الأمهات عن شيطنة الأولاد.
فإذا أنا أمام حل واحد هو أن احمل سيارتي على ظهري.
نعم هذا الحل هو الحل الوحيد، وتوكلت على الله، وقلت أنزل تحت السيارة وأحملها، وفجأة أقلعت عن الفكرة، فكل من في الشارع سينظرون إلي، ويضحكون، وهم يرددون:
ــ راكبك جنّي!
ــ راكبك جنّي!
هذا ما وصلت إليه المعادلة، فوقفت وأوقفت السير، ولم يكن أمامي أصحاب السيارات إلى النزول لمساعدتي، في إبعاد الجنّي الذي كاد يركبني بدلاً من أركبه، عن وسط الطريق!

● كاتب سوري

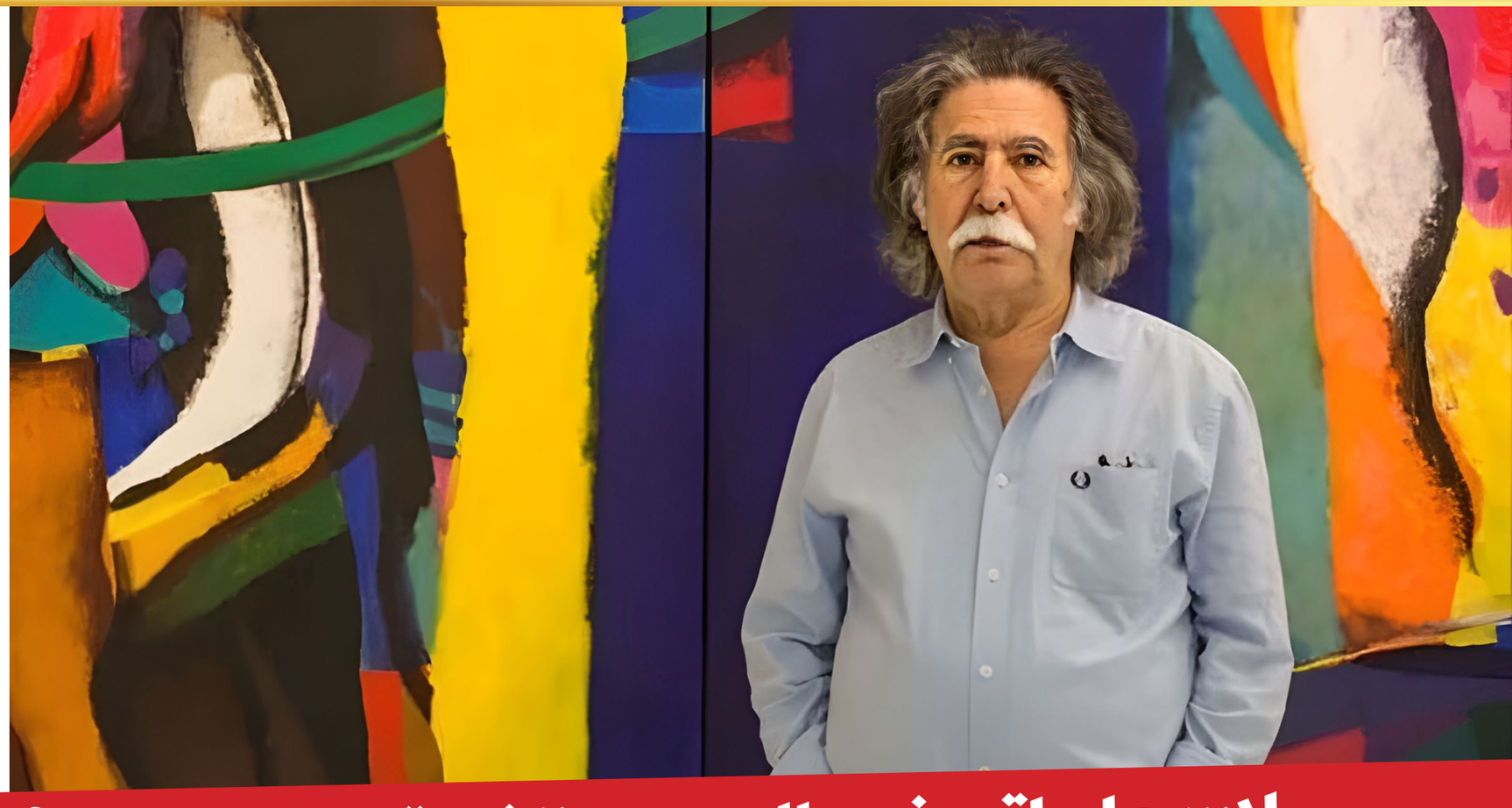

لإسهاماته في الرسم والنحت على مدى أكثر من نصف قرن

ضياء العزاوي يفوز بجائزة «نوابغ العرب» عن فئة الآداب والفنون

تُوج الفنان العراقي ضياء العزّاوي بجائزة «نوابغ العرب 2024» عن فئة الآداب والفنون، وهي الجائزة التي تسلط الضوء على الإنجازات العربية والتعريف بأثرها في مسيرة التنمية والحضارة الإنسانية.

وقال الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس دولة الإمارات رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي: «نهنئ الفائز بجائزة (نوابغ العرب) عن (فئة الأدب والفنون)، الفنان ضياء العزاوي، من العراق، حيث استلهم تراث بلاد الرافدين ليقدّم العديد من الأعمال الفنية التي عُرضت في أبرز متاحف ومعارض العالم. وتناولت أعماله قضايا إنسانية عربية، ودمجت بين الخط والشعر والتراث بأسلوب فني معاصر».

وأضاف: «نبارك للفنان ضياء العزّاوي فوزه، ونحتفي بإبداعاته التي ألهمت الأجيال وجعلت من الفن العربي رسالة عالمية مؤثرة».

ووفق ما صدر، فإن «الفنان ضياء العزّاوي، للفن العربي المعاصر، شكل على مدى أكثر من نصف قرنٍ من مسيرته الفنية والإبداعية نموذجاً للفنان الشمولي الذي حمل الثقافة العربية والإرث العربي إلى جهات العالم الأربع عبر أعمال فنية مختلفة ومتنوعة».

وتسعى جائزة «نوابغ العرب» إلى إبراز الدور الحضاري والإنساني الريادي للقامات العربية المتميزة وإبداعاتها التي تشكل محطات ملهمة، في 6 فئات حيوية هي: الأدب والفنون، والعمارة والتصميم، والطب، والاقتصاد، والعلوم الطبيعية، والهندسة والتكنولوجيا.

وذكر البيان الصادرة عن إدارة الجائزة أن الفنان العراقي ضياء العزّاوي «يمثّل عن جدارة واقتدار صورة الفنان الشمولي المبدع الذي جمع التشكيل والنحت والحرف العربي والثقافة وعلم الآثار في أعماله التي أنجزها طوال أكثر من نصف قرن». وهو فنان تشكيلي رائد في الفن العربي الحديث، «قدّم مساهمات استثنائية في تطوير الفن العربي المعاصر على مدى أكثر من 5 عقود، ويتميز بتوظيف الخط العربي والشعر والثقافة العربية في أعمال فنية حديثة، فقد قدّم الفنان ضياء العزّاوي أعمالاً فنية أحدثت تأثيراً نوعياً على الفن العربي المعاصر، وعُرضت في معارض عالمية كبرى، مما رسخ مكانته رمزاً للفن العربي الحديث».

العزاوي فنان تشكيلي رائد في الفن العربي الحديث، «قدّم مساهمات استثنائية في تطوير الفن العربي المعاصر على مدى أكثر من 5 عقود، ويتميز بتوظيف الخط العربي والشعر والثقافة العربية في أعمال فنية حديثة

وأعمال العزاوي الفنية متوفرة ضمن مجموعات عالمية بارزة في متاحف مثل، «متحف فيكتوريا وألبرت» في لندن، و«تيت مودرن» في لندن، و«متحف مقاطعة لوس أنجليس للفنون»، كما عُرضت أعمال له في «المتحف البريطاني» و«متحف الفن العربي الحديث».

وشارك الفنان ضياء العزاوي على مدى عقود في معارض فنية أقيمت بمتاحف عالمية، مثل «المتحف الوطني للفن الحديث» في بغداد، و«متحف الفن الحديث» في تونس، و«المتحف العربي المعاصر» في لندن، و«المتحف الوطني للفن المعاصر» في سيول، و«متحف بيكاسو» في برشلونة، و«متحف أشموليان» في المملكة المتحدة، و«متحف هوسبيس سان روش»

في فرنسا، و«متحف آغا خان» في كندا، و«متحف موما» في نيويورك.

درس العزّاوي علم الآثار في جامعة بغداد والفنون الجميلة في معهد الفنون ببغداد، وأضفى من خلال رؤاه الفنية الجديدة عمقاً تاريخياً وثقافياً على إبداعاته، وأسس العزاوي حركة فنية باسم «الرؤية الجديدة» في العاصمة العراقية بغداد عام 1969، وكانت آنذاك من أبرز الحركات الفنية الحديثة في العالم العربي، كما شارك على مدى عقود في فعاليات فنية دولية مثل «بينالي البندقية» في إيطاليا عام 1976، و«بينالي ساو باولو» بالبرازيل عام 1979، و«البينالي الطباعي الدولي» في برادفورد بالمملكة المتحدة عام 1984، و«البينالي الدولي للطباعة» في تايوان عام 1987.

وأقام الفنان ضياء العزاوي خلال مسيرته الفنية الحافلة كثيراً من المعارض الفنية التي جمعت بين فنون الرسم والتشكيل والتجريد والشعر والحرف والنحت والطباعة، ومن أبرزها «تخيلات متحققة» عام 2023، و«رسم الشعر» عام 2022، و«حلمي» عام 2017، و«نظرة استرجاعية» عام 2016، و«شيء مختلف: النحت والنسيج» عام 2015، «وشغف للمشاركة» و«أعمال مختارة» عام 2014، و«أطفال غزة» عام 2013.

ومن معارضه البارزة التي أقامها أيضاً «الرسائل في الفن» عام 2012 في دبي، و«لوحات جديدة» عام 2005 في باريس، و«فلسطين ومحمود درويش» عام 2003.

وقال محمد القرقاوي، وزير شؤون مجلس الوزراء رئيس اللجنة العليا لمبادرة «نوابغ العرب»: «(نوابغ العرب) مشروع استراتيجي عربي يترجم رؤية صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، بتوفير مبادرة عربية جامعة لأبرز العقول العربية المبدعة، والاحتفاء بدورها الحضاري والإنساني الريادي الملهم للمواهب الواعدة في المنطقة، والمحفز للشَباب العربي الطامح إلى المساهمة الإيجابية في تقدم الإنسانية».

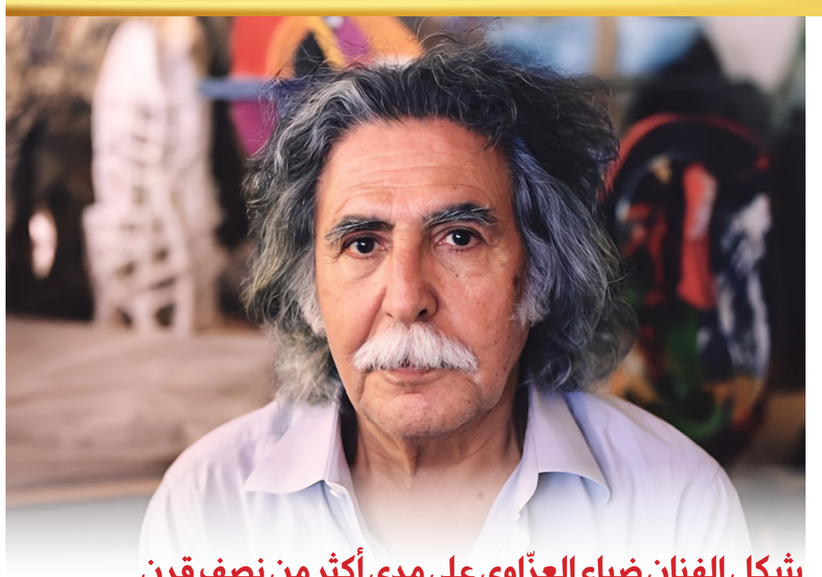

شكل الفنان ضياء العزّاوي على مدى أكثر من نصف قرن من مسيرته الفنية والإبداعية نموذجاً للفنان الشمولي الذي حمل الثقافة العربية والإرث العربي إلى جهات العالم الأربع عبر أعمال فنية مختلفة ومتنوعة

المزمار

نافذتك لتصل
بإعـــلانك إلى كل
شـــرائح المجتمـــع

ثقافة
فن
رياضة

بداية كل شهر.. توزع بكل أنحاء العالم
مجلة.. وموقع الإلكتروني.. ووسائل التواصل الاجتماعي

ثقافية رياضية
جامعة تصدر عن
«المركز العربي للإعلام والثقافة»
فيينا- النمسا

المركز العربي للإعلام والثقافة
Arabisches Zentrum für Medien und Kultur
فيينا - النمسا

البريد الإلكتروني:
Almizmar024@gmail.com

00436763901842

موقع المجلة على فيسبوك:
https://www.facebook.com/groups/arabischeszentrumfrmedienundkultur

موقع المجلة على انستغرام:
https://www.instagram.com/almizmarmagazin/

إرث موسيقي خالد.. وذكريات طفولة مرفهة

حسين نعمة

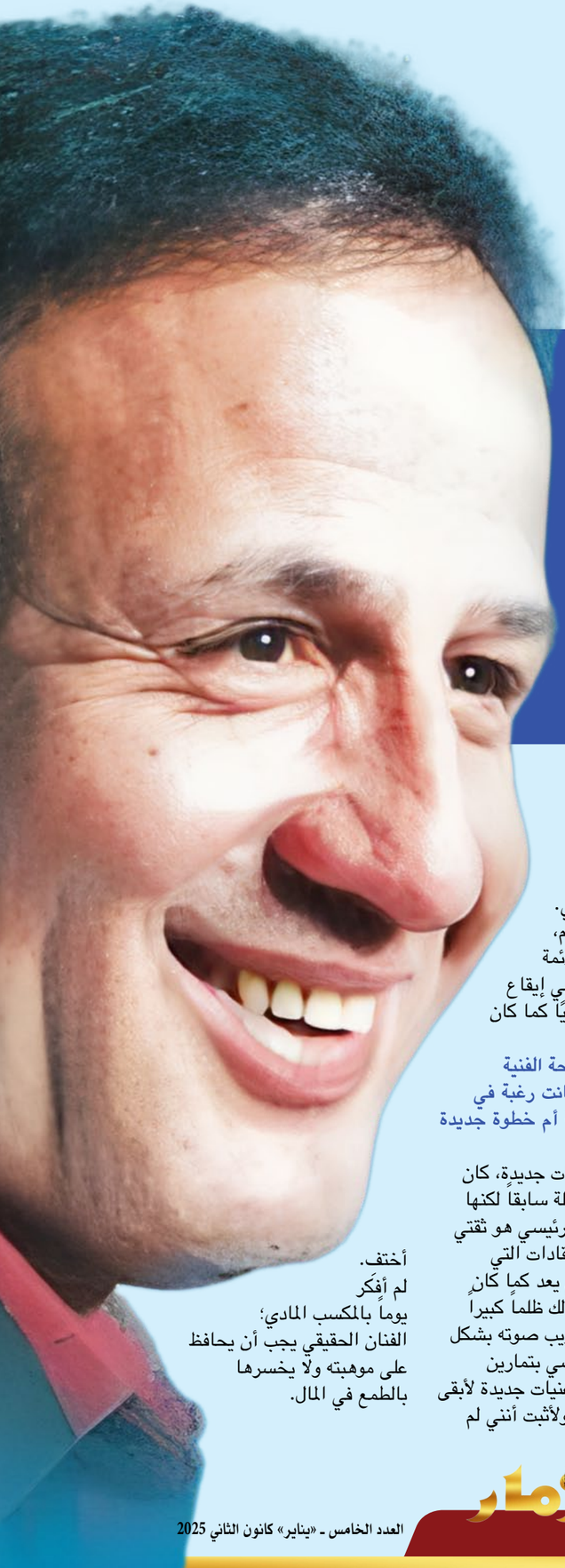

أيقونة جيل الرواد في الفن العراقي

المزمار بغداد – هدير الجبوري

الفنان الكبير حسين نعمة كان ولا يزال رمزاً فنياً كبيراً من رموز الأغنية العراقية منذ بداية ظهوره كمطرب أواخر الستينيات من القرن الماضي وحتى اليوم. التقيناه مؤخراً وأجرينا معه هذا الحوار. رحب بنا كثيراً، وأعرب عن سعادته بمخاطبة جمهوره عبر الصحافة المكتوبة. وتناول الحديث موضوعات عدة تشغله وتشغل جيل الرواد، الذي يُعتبر أحد رموزه البارزين.

– كيف يرى حسين نعمة واقع الفن والفنان العراقي اليوم؟ وما هي رؤيته الشخصية كونه واحداً من جيل الرواد المعروفين؟ وكيف كانت بداياته وهل واجه مصاعب حتى الوصول إلى النجومية؟

فعلاً أنا من جيل الرواد، وأجد أننا كنا محظوظين وضحايا في نفس الوقت. كنا محظوظين لأننا نلنا محبة جمهورنا العراقي، وقدمنا القصيدة الغنائية الرصينة التي ترافقت مع اللحن المميز في الإذاعة، بالرغم من أن الاستوديوهات آنذاك كانت بسيطة جداً وبدائية. أذكر أنني غنيت أغنية (يانجمة) في أواخر الستينيات، وتحديداً عام 1969، ونالت شهرة كبيرة رغم أن مخرجها لم يكن يمتلك الخبرة الكافية. المونتير كان يلجأ إلى قصقصة الشريط الذي كان عبارة عن بكرة كبيرة تُلصق أجزاؤها مع بعضها. هذا مختلف تماماً عن التقنيات الحديثة التي ظهرت فيما بعد ووصلت إلى زمننا الحالي في ظل الزحف الإلكتروني الذي غيّر كل شيء. لكن رغم بساطة الأجهزة المستخدمة آنذاك، كان هناك شيء إيجابي للغاية وهو أن أغانينا كانت تُغنّى بشكل مباشر. أجد في ذلك نوعاً من الحلاوة كما أحب أن أصفها. وهذا العمل أشبه بعمل سجادتين، إحداهما تُحاك يدوياً والأخرى تُنتج بنظام ماكنة. اليدوية أكثر جودة وحبكة واستمرارية. هكذا كانت أغانينا؛ رغم بساطة الإمكانيات، لكنها تركت أثراً دائماً في ذاكرة الجمهور. من الأسماء التي ظهرت معي آنذاك: الفنان ياس خضر، رحمه الله، وفاضل عواد، وبعد ذلك جاء سعدون جابر وفؤاد سالم وحميد منصور. تركنا بصمة كبيرة وجميلة في تاريخ الفن العراقي.

«يانجمة» البداية.. و«غريبة الروح» الخلود

طفولة مرفهة

– كيف ترى الفارق بين جيلكم وجيل الفنانين الشباب اليوم؟

شباب اليوم تتوفر لهم كل المستلزمات. إذا توفرت لديهم الأموال الكافية، يمكنهم الغناء بسهولة دون المرور باللجان. أما نحن، فقد واجهنا لجنة صارمة ودقيقة جداً. تعاملوا معنا بقسوة الفنان الحريص، وكنا نظن أنهم حاقدون علينا، لكن العكس كان صحيحاً. كان ذلك الحرص صادقاً على أن يكون الغناء والشعر واللحن بمستوى عالٍ من المسؤولية والفن الحقيقي. الشاعر كان يكتب قصائد جميلة ومعبرة، والملحن يضع لها ألحاناً رصينة. من بين هؤلاء الشعراء والملحنين زامل سعيد فتاح، عريان السيد خلف، كاظم الركابي، كاظم إسماعيل كاطع، طالب القره غولي، محسن فرحان، محمد جواد أموري، جعفر الخفاف، وأسماء كبيرة أخرى. بعضهم توفي، وبعضهم غادر العراق وأصبح بعيداً عن التواصل الفني. أما الأغنية العراقية اليوم، فأصبحت في الغالب ملائمة للأعراس والمناسبات، فهي إيقاع راقص وليست غناء طربياً كما كان في السابق.

– عن عودتك إلى الساحة الفنية بأغنيات جديدة، هل كانت رغبة في إحياء الأغنية السبعينية أم خطوة جديدة بامتداد حديث؟

حين قررت تسجيل أغنيات جديدة، كان لدي أيضاً أغنيات مسجلة سابقاً لكنها لم تُصوّر بعد. السبب الرئيسي هو ثقتي بنفسي، بالرغم من الانتقادات التي وُجّهت لي بأن صوتي لم يعد كما كان بألقه السابق. أرى في ذلك ظلماً كبيراً لي. المطرب يستطيع تدريب صوته بشكل مستمر كما يفعل الرياضي بتمارين اللياقة. قررت تسجيل أغنيات جديدة لأبقى متواصلاً مع جمهوري، ولأثبت أنني لم أختف.

لم أفكر يوماً بالمكسب المادي؛ الفنان الحقيقي يجب أن يحافظ على موهبته ولا يخسرها بالطمع في المال.

صوّرت أغنية (ضيعنا القدر) بمساعدة صديقي المخرج هادي ماهود، الذي يعيش حالياً في أستراليا. هذا العمل جاء بدافع الحب للفن، وأتمنى أن أقدم دائماً ما يُرضي جمهوري ويليق بذائقتهم.

– ما الذي يُمكنك قوله عن حسين نعمة الإنسان؟

هذا سؤال عميق وشامل. عشت طفولة مرفهة رغم الصعاب التي مررت بها بعد انفصال والديّ. تربيت في بيت جدي، حيث تعلمت قراءة وتجويد القرآن، وتأثرت بصوت عبد الباسط عبد الصمد. كبرت وأكملت دراستي، وعندما انتقلت إلى بغداد، واجهت عالماً جديداً وتحديات عديدة. الآن أعيش مع عائلتي وأبنائي الستة الذين هم مصدر سعادتي.

– حسين نعمة: إرث موسيقي خالد.

عاصرتُ العديد من المطربين والملحنين، وقدمنا معاً أعمالاً خالدة في ذاكرة العراقيين. لحن لي كمال السيد، جعفر الخفاف، محسن فرحان، طالب القره غولي، ومحمد جواد أموري، الذي كان له النصيب الأكبر في ألحاني. أغنيتي الشهيرة (يانجمة) كانت البداية عام 1969، وشكّلت لي ولزملائي مرحلة ذهبية امتدت لتكون جزءًا من تاريخ الأغنية العراقية.»

عندما قررت تسجيل أغنيات جديدة، لدى أيضاً أغنيات مسجلة سابقاً لكنها غير مصورة وليست قديمة. السبب الأول والأهم كان ثقتي بنفسي، على الرغم من الانتقادات الكثيرة التي وجهت لي، واعتقادي أنني وصلت إلى مرحلة كنت فيها شبه معتزل، وأن صوتي لم يعد بألقه السابق. أجد ظلماً كبيراً في هذا الانتقاد؛ لأنني أرى الأمر مشابهاً للرسام الذي يظل يرسم حتى آخر يوم في حياته، والشاعر الذي يكتب حتى آخر يوم، باستثناء الرياضي والمطرب، حيث يتأثر عطاؤهما باللياقة البدنية. لكن الوضع يختلف بينهما، فالرياضي يعتمد على لياقته البدنية التي تتأثر بتقدم العمر، بينما المطرب يمكنه تدريب صوته باستخدام تمارين خاصة مثل «صولفيج»، التي تعني تدريب الحنجرة وتقويتها، وهو أشبه بتمارين الرياضي.

مواصلة التدريب

يجب على المطرب أن يبقى متواصلاً مع هذا التدريب. أكرر ضرورة تدريب الصوت عشر مرات في اليوم لتجنب الحشرجة في الحنجرة وتفادي إصابة الحبال الصوتية. نحن نطلق على هذا «العُرب» علمياً، ويجب تقليلها، لا الإكثار منها، لأن العكس خطأ. بالعودة إلى حديثنا، امتلكتُ الثقة في نفسي. الأمر ليس سباقاً أو تحدياً لإثبات أنني ما زلت أغني بشكل جيد. لم تكن غايتي كذلك. أردت البقاء متواصلاً مع جمهوري من خلال ثلاث أغنيات لم أسجلها سابقًا، حتى لا أترك فراغاً بيني وبين الجمهور. كنت أهدف إلى إثبات أنني لم أنته، ولم أترك جمهوري. لم أفكر يوماً في المكسب المادي، لأن الفنان الحقيقي يجب أن يحافظ على موهبته دون التفكير في المكاسب المادية.

خططت لتصوير أربع أغنيات، لكن المخرج الذي استعنت به، وهو صديقي «هادي ماهود» الذي يعيش حالياً في أستراليا، اعتذر عن استكمال الأغنيات لأنه مخرج سينمائي وليس مخرجاً للأغاني. ومع ذلك، ومن حبه لي، وافق على إخراج أغنية واحدة فقط هي «ضيعنا القدر».

هناك أشخاص مهمون في حياتي، أبلغوني أنهم تأثروا بسماع الأغنية عندما بثت عبر قناة الشرقية. لمست من خلال ذلك محبة الناس وجمهوري الصادق لي. أعدهم دائماً بتقديم فن رصين يليق بهم.

أريد أن أقول شيئاً مهماً: عندما قدمت هذه الأغنية، لم تكن غايتي أن أعيش على ذاكرة الناس السابقة، بل أن أكون موجوداً ومستمراً معهم، وليس فقط ذكرى ماضية. طالما أنني حي وأرزق ولدي القدرة على تقديم الجديد، فسأستمر بذلك. غنيت في زمن كنا نحمل فيه رسالة ونؤدي واجبنا بقدسية وبمبادئ حقيقية. لا أريد أن أبقى أتعكز على تاريخ أغنياتي السابقة.

الآن، يجب أن أقدم شيئاً يتلاءم مع الجيل الحالي بفن رصين يحترم الإنسان. لطالما كنت أبحث عن التغيير مع التطوير.

– سؤالنا الأخير: من هو حسين نعمة الإنسان بعيداً عن تفاصيل الخصوصيات؟

هذا أخطر سؤال يمكن أن يوجه لأي إنسان؛ لأنه شامل لمسيرة حياة أي منا. من الصعب اختصار حياتي بكلمات. ما أستطيع قوله: أنا حسين نعمة لفتة عزيز الميالي.

عشت طفولة مدللة ومرفهة رغم الصدمة التي عانيت منها بسبب ابتعاد والدي ووالدتي عن بعضهما. لهذا السبب، عشت أنا وأخي مع والدتي في بيت جدي. كنت صغيراً جداً، وبعدها توفي جدي وجدتي، وبقينا في نفس البيت الذي كان تحكمه التقاليد الدينية الصارمة. تعلمت قراءة وتجويد القرآن، وكنت أحب سماع القارئ عبد الباسط عبد الصمد، وأصبحت أقلده في التجويد.

كنت طالباً مجتهدًا في الابتدائية والمتوسطة، وكونت صداقات عديدة في المحلة أو ما يُسمى بـ«العكد»، وكذلك في المدرسة. كان والدي حنوناً ومحباً لنا، رغم أنه لم يكن قريباً منا. كما كان جدي يغدق علينا كل ما نتمناه أنا وأخي الأصغر. لهذا قلت إنني عشت مدللاً.

الحياة آنذاك كانت جميلة، وكانت الأواصر الاجتماعية قوية. كنا نعيش حياة بسيطة ونحب بعضنا. كنت أتنزه مع أصدقائي في البساتين القريبة، نقطع ثمار الأشجار مثل الرمان والتوت والسدر. كنت أدعوهم لشرب العصائر وشراء الساندويتشات.

كبرت وأكملت دراستي، عندما انتقلت إلى بغداد، واجهت عالماً جديداً مليئاً بالتحديات. استمرت مسيرتي حتى وصلت إلى ما أنا عليه الآن. الحمد لله أعيش مع عائلتي وأولادي الستة، الذين هم سعادتي، بالإضافة إلى أحفادي.

لو أردت التحدث عن تفاصيل حياتي، سأحتاج إلى مجلد كامل، وليس لقاءً صحفياً. لكن هذه كانت محطات رئيسية من حياتي.

جميلة أيضاً، وكان هناك أواصر اجتماعية قوية والناس تعيش حياة بسيطة وتحب

الفن رسالة والحفاظ على الإرث مسؤولية

أعماله البارزة

أمتعنا حسين نعمة بأغاني مثل «حبيبي انساني وإني انساك»، «تحياتي إلك وين أنت موجود»، «انت على راسي»، «مكتوب أشوفك من بعيد»، «واشكد صار أعرفك»، «والله خسارة يا زمن»، «وأيامنا الحلوة»، وغيرها الكثير من روائعه الغنائية.

وصفه البعض بأنه امتداد للجيل السابق اعتبره البعض امتداداً لناصر حكيم، داخل حسن، وحضيري أبو عزيز. كان حسين سعيداً بهذا الوصف لأنه تأثر بالجيل الذي سبقه وأحب سماع أغانيهم التي ظلت عالقة في الذاكرة.

سيرة ومحطات

عاصر حسين نعمة العديد من المطربين والملحنين الذين تعامل معهم خلال مشواره الفني الطويل، وأثمر هذا المشوار نتاجاً فنياً زاخراً بالألحان الجميلة التي أعطيت له وتفوق فيها مع العديد من زملاء مرحلته آنذاك.

من خلال أغانيه التي ظلت راسخة في ذاكرة العراقيين، أصبحت هذه الأغاني بمثابة أرشيفه الخاص.

صوت حسين نعمة العذب قد غنى من خلاله كل الألوان، وأطربت أغنياته أجيالاً عديدة تربت على سماع أغانيه المميزة. رافقت هذه الأغاني قدرته الكبيرة على استعراض الإمكانية العالية لصوته العذب الذي وصفه كبار الملحنين والموسيقيين العراقيين بأنه من أفضل الأصوات في طبقة القرار الغنائية. بمؤهلاته، أمتعنا بين لحن وآخر بجمال أكثر في كل أغانيه. أطلق عليه بعض الملحنين العراقيين الكبار لقب «الصوت الحريري الدافئ».

حسين نعمة كان محباً للمقام العراقي جداً ويجيد غناءه، لكنه فضل عدم التعدي على مساحة مطربي المقام واحترم خصوصيتهم كقراء معروفين للمقام العراقي، واكتفى بغناء أغانيه الخاصة.

لحن له كبار الملحنين العراقيين، ومنهم كمال السيد، جعفر الخفاف، محسن فرحان، طالب القره غولي، ومحمد جواد أموري، الذي نال أعلى رصيد من الألحان التي تعامل بها مع حسين نعمة. أغنيته الشهيرة «يانجمة»، التي لحنها له كوكب حمزة، كانت البداية عام 1969.

أغاني نعمة.. بصمة لا تُمحى في ذاكرة العراقيين

بعضها البعض. كنت مع أصدقائي نذهب للتنزه في البساتين القريبة، نقطع ثمار الأشجار مثل الرمان والتوت والسدر، وأحيانًا أدعوهم لشرب العصائر وأشتري لهم الساندويشات وغيرها لأنني، كما قلت، كنت أمتلك مصروفًا يوميًا يعطيني إياه جدي بكرم.

كبرت وأكملت دراستي. عندما ذهبت إلى بغداد، واجهت عالمًا غريبًا جديدًا لم أكن أعرفه في مدينتي المتواضعة الناصرية. واجهت العديد من التحديات والمصاعب بأشكال وألوان عديدة. استمرت مسيرتي في الحياة حتى وصلت إلى يومنا هذا. الحمد لله أعيش مع عائلتي ولدي ستة من الأولاد والبنات، هم سعادتي، وكذلك أحفادي.

لو أردت الحديث عن تفاصيل حياتي، سأحتاج إلى مجلد، وليس لقاءً صحفيًا. لكنني تناولت محطات رئيسية من طفولتي وما تلاها.

مع أغنية «يانجمة»

المصادفة قادته للشهرة من خلال هذه الأغنية. عندما لبى كوكب حمزة دعوة أحد أصدقائه لحضور حفل أقامته نقابة المعلمين في الناصرية، كان حسين نعمة حاضرًا في هذا الحفل كمعلم آنذاك ولديه فقرة غنائية. سمعه كوكب حمزة عند حضوره وأعجب بصوته. طلب منه التعاون لاحقًا بغناء أغنية من ألحانه كتب كلماتها الشاعر كاظم الركابي. بذلك، تشكل ثلاثي متناسق جميل أخرج أغنية «يانجمة» للجمهور.

واصل حسين نعمة تقديم أجمل أغانيه خلال حقبة السبعينات، وكان أحد نجومها البارزين برفقة زملائه سعدون جابر، ياس خضر، وفاضل عواد. انتقل بعدها إلى مرحلة جديدة في الثمانيناتٍ والتسعينات، حيث اتخذت الأغنية أسلوبًا جديدًا وكلمات محدثة ترافقت مع التغيرات العديدة في الذائقة السمعية للفرد العراقي.

أصبحت الأغاني تعبر بشكل مختلف عن مشاعر الحب، القلق، الخوف من المجهول، والمستقبل. فرضت المرحلة الزمنية التي تزامنت مع اندلاع الحرب والحصار الاقتصادي مفردات جديدة في كتابة الأغاني، تعبّر عن حب الوطن وتفاصيل الحب والعشق واللوعة وانتظار الحبيب.

«غريبة الروح» حكاية جبّار الغزّي: شاعر مغترب وأم تذرف الحنين

جبّار الغزّي وأغنية غريبة الروح

أغنية «غريبة الروح» الشهيرة التي غناها المطرب حسين نعمة، وتُعد إحدى روائع الغناء العراقي، تحمل حكاية مؤلمة. كاتب الأغنية، الشاعر جبار الغزي، غادر مدينته الناصرية ليستقر في بغداد، وانقطع عن أهله بعد أن فشل في الزواج من حبيبته بسبب ظروفه المادية. غرق الغزي في حياة العاصمة المليئة بالصخب والصعلكة، حيث وجد في هذا الجو المتمرد متنفسًا له مع أصدقائه الذين اعتادوا التردد على النوادي الليلية وزوايا الباب الشرقي، ذلك المكان الذي يعكس جانبًا من صور بغداد الغريبة.

في أحد الأيام، كانت والدة الشاعر جبار الغزي في رحلة إلى بغداد برفقة أحد أبنائها، لزيارة مرقد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام). عندما مرت السيارة في منطقة الباب الشرقي، التي كانت تعرف أن ابنها يتواجد فيها حيث يعرض بسطته الصغيرة ويبيع بعض الحاجيات لتأمين مصاريفه، طلبت من ابنها الآخر أن يقودها لرؤية جبار. إلا أن الابن رفض، بسبب عدم تقبّله لطبيعة حياة أخيه وعاداته، خاصة مع علمه باحتساء جبار للخمرة باستمرار، وكانوا في طريقهم إلى زيارة الإمام الكاظم (عليه السلام).

لكن القدر شاء أن تتعطل السيارة في الباب الشرقي تمامًا، وهكذا وبمحض الصدفة، رأت الأم ابنها جبار جالسًا أمام بسطته، ربما على علبة صفيح (تنكة). أقبلت عليه بلهفة الأم التي اشتاقت لرؤية ابنها بعد غياب طويل. وبعد السلام عليه، عاتبته بحرقة وقالت له كلمات أشعلت نار الشعر في داخله. خاطبته بعتب الأم قائلة: «كم عيد مرّ وأنت ما جيت؟ وكم سنة مرت وأنت ما سألت؟» والكثير من العبارات التي تحمل في طياتها عتبًا حارًا.

هذه الكلمات أثرت في جبار الغزي وأيقظت داخله مشاعر عميقة دفعت إلى كتابة كلمات الأغنية الشهيرة «غريبة الروح»، التي تبدأ بعبارة:

«غريبة الروح... لا طيفك يمر بيها، ولا ديرة تلفيها... كثير أعياد مرّن وأنت ما مريت».

رحل جبار الغزي بعد أن عانى من الفقر والحرمان طوال حياته، وعاش صعلكة وغربة. لكنه ترك لنا أغنية «غريبة الروح»، التي ظلت حاضرة في ذاكرة الفن العراقي. ورغم شهرتها، لا يعرف الكثيرون حكايتها المؤثرة.

كلمات الأغنية

غريبة الروح
لا طيفك يمر بيها
ولا ديرة تلفيها
غدت وي ميل هجرانك
ترد وتروح
وعذبها الجفا وتاهت
حمامة دوح
آه غريبة الروح
تحن مثل العِطش للماي
تحن ويلفها المكابر ويطويها
وأنت ولا يجي أبالك تمر
مرت غُرب بيها
ولا طيفك !! يوعيها
وأحسك جرح بجروحي
يمرمرني وترد روحي
تفز جروح... محنة تفوح...

غريبة الروح
كم هلال هلّن وأنت ما هلّيت
كثير أعياد مرن وأنت ما
مريت
سنين الصبر حنّن .. وأنت ما
حنيت
تَرف ما حسبت بي
وأنه وغربتي وشوقي
نسولف بيك ليليه
نقول يمر... نقول يحن
وتظل عيونه ربّيه
يا الما مش الك جيه... الك
جيه
تفز جروح... محنة تفوح
وغريبة الروح... وغريبة
الروح.

رحلة القطار الأخيرة

زهير رمضان

في بلدة صغيرة تتناثر فيها المدارس والمزارع، كانت منال فتاة جميلة وذكية، تحب الحياة رغم هدوئها البسيط. تعمل معلمة للغة العربية في إحدى المدارس الابتدائية. أما جبير، معلم اللغة الإنجليزية، فكان شاباً طموحاً ومجتهداً، لكنه خجول للغاية.

يقول جبير: «في الصباح أمضي وقتاً في الانتظار على موقف الباص. قد يحضر باص ويتبعه آخر وأنا في مكاني أتردد في الصعود متعللاً بالازدحام أو الرد على مكالمة في الجوال. وحين تصل وتلقي التحية، أشعر بأن يوماً جديداً قد بدأ. نذهب إلى العمل سوياً دون أن نكف عن تبادل الأحاديث البسيطة والتعليقات المقتضبة عن الطقس أو الزملاء في المدرسة أو الدروس.

مر وقت طويل على مشوارنا اليومي معاً دون أن نكف عن تبادل النظرات. وقد حان الوقت الذي قلت فيه لنفسي: كفاك انتظاراً يا ولد، ولا بد أن تبوح لها بمشاعرك اليوم. وحين نغادر الباص في الطريق إلى المدرسة، تنشغل بمكالمة على جوالها لا تنتهي إلا عند الدخول إلى المدرسة. أتجه إلى صفي وأنا أشعر بخيبة الأمل ومرارة الهزيمة، فأنا لم أستطع البوح لها بحقيقة مشاعري. لا شك أن الصباح وقت غير مناسب. حسناً، ليكن صباح الغد. ولماذا الانتظار حتى الغد؟ وجوالها اللعين لا يكف عن الطنين! ليكن في الحصة القادمة؛ سأدعوها لتناول كأس من العصير بعد الدوام. نلتقي في غرفة المعلمين».

بين الدروس، وبين أكواب الشاي التي يتقاسمانها في الاستراحة، كان هناك شعور صامت لكنه عميق. لا كلمات واضحة، فقط ابتسامات خجولة وتبادل نظرات مختلسة.

«منال، أود لو تقبلين دعوتي إلى كأس من العصير».

«آسفة، أنت تعلم بأنني لا أستطيع لأنني أعمل في إعطاء الدروس ويجب ألا أتأخر على المواعيد». الحمد لله أنها لم توافق، لأني غير متأكد من قدرتي على مفاتحتها بالأمر.

مع مرور الأيام، أصبح السير معاً إلى المنزل عادة يومية. رغم بُعد المسافة، كانت خطواتهما تتباطأ كلما اقتربا من نهاية الطريق، وكأنهما يخشيان لحظة الفراق اليومية.

عدت إلى البيت وتناولت طعام الغداء بصمت، وانسحبت إلى غرفتي لأرتاح من عناء هذا اليوم. دخل أخي الأكبر، الذي رفع الكلفة في التعامل معي منذ حين، وهو يسألني عما بي. طلبت منه إعداد الشاي لأنني أرغب في أخذ رأيه بموضوع حساس.

حول طاولة الشاي، تنهد أخي وتمتم بصوت مفهوم أنه كان يرجو مثل هذه الفرصة أيضاً لمصارحتي بأمر يشغله. قال إنه يحب ابنة الجيران، لكنه لا يجرؤ على مصارحتها. وحين شعر بأني لست معه وبأنني في واد آخر، أبدى أسفه لاتكاله عليّ في مثل هذا الأمر المهم بينما لا أكلف نفسي عناء الإنصات إليه.

حاولت الاعتذار له لكثرة مشاكلي، وأحاول التخفيف عنه بأنصحه بأن ينتظرها في مدخل البناء ويفاتحها بالأمر. قال إنه انتظرها كثيراً، وكانت تقف قليلاً وكأنها تنتظر منه أن يقول شيئاً، لكن لسانه لم يطاوعه. نصحته بأن يكتب لها رسالة. خرج أخي من الغرفة سعيداً بهذا الاقتراح، وبدأت بالغوص في عالم الخيال... أحلام اليقظة تنتابني محاولاً إيجاد الوسيلة المناسبة لمصارحة منال.

في صباح اليوم التالي، لم أكن أعتقد أنني وجدت حلاً يرضيني، فانطلقت باتجاه العمل مقرراً ألا أحسب حساباً لأحد. وجدتها على موقف الباص. وكعادتها، ردت التحية بابتسامتها المعتادة. وقفت إلى جانبها وأنا شارد الذهن أفكر بإيجاد طريقة لأبدأ الحديث معها.

قطعت شرودي قائلة:

«ما بك يا زميل؟»

«لا شيء يا منال، فقط ذهني مشوش قليلاً.»

«آه، بالأمس رفضت دعوتي، فما رأيك اليوم؟»

قلت لها: «اسمعيني يا منال، أريد أن أكلمك بموضوع».

«تفضل».

وكان الباص قد توقف، وتزاحم عليه الركاب. قالت:

«ألا تريد الصعود؟»

قلت: «لا.»

صعدت هي، وبقيت واقفاً أشيع الباص بنظرات ناقمة. وجدتني أضغط على رقمها في جوالي، وحين جاءني صوتها، قلت وبدون مقدمات: «أنا أحبك!».

مرت لحظة صمت قاسية، ثم سمعتها تضحك قبل أن تقول:

«كل هذه الارتباكات والدعوات الملحة لكي تخبرني أمراً أعرفه جيداً منذ وقت طويل؟ وأنا أيضاً».

بعد نهاية امتحانات الفصل الدراسي الأول، وفي منتصف العام الدراسي، قررت منال السفر لزيارة أهلها وأقاربها في مدينتهم. لم تُفصح كثيراً عن تفاصيل سفرها، وودعت زملاءها سريعاً. في القطار، وبينما كانت تتأمل الحقول المترامية، تفاجأت بجبير يجلس في المقعد المقابل. تلعثم كلاهما للحظة، ثم ابتسم جبير بخجل.

قال لها إنه ذاهب إلى العاصمة لبعض الأعمال. كان اللقاء في القطار فرصة نادرة؛ فقد تكلما كثيراً، وضحكا على بعض ذكرياتهما من المدرسة.

عندما وصل القطار إلى وجهة منال، ودعها جبير بابتسامة حزينة، ثم أكمل رحلته إلى العاصمة. لم تكن منال تعلم أن هذا الوداع سيكون الأخير.

عادت الأيام إلى رتابتها، لكن جبير كان ينتظر عودتها بفارغ الصبر. مرت عطلة منتصف العام ولم تعد منال. مع كل يوم تأخرها، كان قلبه يثقل بالحزن.

أخيراً، قرر أن يسأل عنها، فاكتشف الحقيقة المؤلمة: منال ارتبطت بشاب من طائفتها، خطبة رتبتها العائلة سريعاً خلال رحلتها.

حاول جبير التواصل معها، لكنه فشل. حاول الاتصال بها مراراً، لكن هاتفها كان مغلقاً. لجأ إلى أختها، التي تعمل مذيعة في التلفاز المحلي. عبر مكالمة قصيرة، أخبرته أخت منال أن خطيبها يغار بشدة وقد أتلف شريحة هاتفها. كانت كلماتها مثل سهم في قلبه، لكنها قالتها بحنان، وكأنها تدرك ألم قلبه.

لم يستطع جبير النسيان، وحاول أن يمضي قدماً رغم مرارة الفقد. لكن في كل مرة يسير فيها في الطريق الطويل إلى المدرسة، يتذكر خطواتها بجانبه، وابتسامتها التي كانت تضيء صباحاته. كل شيء حوله كان يذكره بها. لذا قرر السفر إلى خارج البلاد. لم تكن النهاية كما حلم، لكنها كانت درساً عن الحب الذي لم يُكتب له أن ينضج.

● الرقة ـ سوريا

منارة ثقافية واجتماعية

القطري علي بن محمد يوسف المحمود

رمز العمل التطوعي والإنجاز الرياضي

المرمار محمد عاصم

*من السهل أن تحب الناس من حولك، لكن أن تجتمع الناس على حبك، فهذا يؤكد أن الشخصية المحبوبة لها قيمة وقامة، قيمة أخلاقية وأدبية وإنسانية. هذه القيم النبيلة هي نتاج عطاء طويل عبر السنوات، عطاء من أجل النهوض بالوطن في كثير من المجالات.

*في مدينة الوكرة القطرية تجد رجالاً لهم تاريخ ناصع البياض. مدينة تقع على الساحل الشرقي الجنوبي لدولة قطر، مدينة ساحلية كانت تشتهر بصيد الأسماك واللؤلؤ. أهلها ينعمون بروح صفاء ماء الخليج العربي، وطعم عصير الرمان، ورائحة عطر الزمان. رجال يجتمعون حول حب قطر والقيادة الرشيدة فيها. أهلها يعشقون الأخلاق الجميلة العالية التي تعلو بالقيم، قيم تغرد في عنان السماء.

*مدينة الوكرة القطرية تتميز بموقع جغرافي مميز، حيث تجمع بين الهدوء والسكينة ليلاً ونهاراً. وجاءت كلمة الوكرة من "وكر" الطيور التي كانت تتخذ من أرض وسماء الوكرة بيتاً لها. الوكر هو بيت الطيور، ومنه جاءت تسمية الوكرة.

*الأستاذ علي محمد يوسف المحمود شخصية قطرية يحبها الجميع. سنوات طويلة من العمل التطوعي والأهلي دون مقابل مادي. خدم في أكثر من مجال واستطاع خلال مشواره أن يكون نموذجاً قطرياً جميلاً أعطى الكثير لوطنه. ولد في مدينة الوكرة عام 1952، حيث نشأ في بيت عبد الرحمن بن سعد آل سعد. ويعد أحد كبار رجالات التعليم في مدارس قطر بمراحلها المختلفة. امتهن التدريس في عدة مدارس، كما كان من القيادات القطرية الأولى التي خدمت في إدارة رعاية الشباب والرياضة لعدة سنوات منذ أوائل السبعينيات من القرن الماضي.

*عمل أيضاً إدارياً في شباب نادي الوكرة الرياضي لكرة القدم عندما كان مقره في منطقة (أم غويلينة) إحدى ضواحي العاصمة الدوحة. كما عمل في عدة لجان رياضية، منها عضوية الاتحاد القطري لكرة القدم لفترة من الزمن في السبعينيات، وشغل كذلك منصب رئيس نادي شباب الدوحة.

التعليم والمسيرة المهنية

*تلقى الأستاذ علي محمد يوسف المحمود تعليمه في عدة مدارس منها: مدرسة عمر بن الخطاب الابتدائية بالبدع (الأول ابتدائي)، مدرسة عمر بن عبد العزيز الابتدائية بالوكرة، مدرسة الدوحة الإعدادية، مدرسة قطر الإعدادية.

*بعد المرحلة الإعدادية، التحق بدار المعلمين التي كانت تعادل المرحلة الثانوية في ذلك الوقت. تخرج منها في قطر عام 1970م، ثم أكمل دراسته الثانوية بنظام الثلاث سنوات بالدوحة الثانوية الليلية. كما درس بنظام الانتساب في جامعة بيروت العربية عام 1980/1979 وحصل على ليسانس الحقوق.

النشاط الكشفي

*عمل في النشاط الكشفي منذ أن كان طالباً في مدرسة رأس بوعبود الإعدادية (الأول والثاني الإعدادي)، التي كانت قريبة من مدينة الوكرة حيث عاش معظم حياته. تميز بنشاطه الكبير في هذا الميدان مع مجموعة من طلاب المدرسة خلال تلك الفترة من الزمن الجميل الذي لا يُنسى.

*شارك في تأسيس جمعية الكشافة والمرشدات القطرية، التي ضمت رواداً من رواد الكشافة القدماء، ومنهم: إسماعيل زينل، موسى زينل، حسن علي حسين الصلات، إبراهيم عبد الله حسن العجيل، عبد العزيز علي آل إسحاق، محمد صالح الصرامي، حسين محمد عبد الله الأنصاري، فرج دهام فرج السويدي، عبد الله مبارك إبراهيم السعيد، أحمد عبد الرحمن يوسف السبيعي، أمل علي خليفة الكبيسي، عبد الله حمّاد العبد الله، بدر فرج الحاج عبد الله، علي منصور عبد

إنجازات كبيرة وسيرة مشرّقة ترفع لها القبعة

الله الخالدي، ريم محمد إبراهيم المهندي، بعد تخرج الأستاذ علي محمد يوسف المحمود.

*بعد تخرج الأستاذ علي محمد يوسف المحمود من دار المعلمين، توظف في وزارة المعارف (وزارة التربية والتعليم) وعمل في عدة مدارس، منها:

مدرسة روضة راشد الابتدائية، مدرسة الخليج العربي الابتدائية، كما شغل عدة مناصب إدارية:

سكرتير إدارة المناهج بوزارة التعليم.، رئيس مكتب مدير رعاية الشباب بإدارة رعاية الشباب، مدير إدارة الإعلام والعلاقات العامة بالمجلس الأعلى لرعاية الشباب، مفتش إداري ومالي بوزارة التعليم، مدير إدارة الامتحانات وشؤون الطلاب بوزارة التعليم، مدير إدارة العلاقات الثقافية بوزارة التعليم، مدير إدارة تعليم الكبار ومحو الأمية بوزارة التعليم.

إنجازاته في كرة القدم القطرية

يظل الحدث الأبرز في تاريخ الكرة القطرية الإنجاز الدولي الكبير الذي حققه منتخب شباب قطر لكرة القدم عام 1981، حينما فاز بالمركز الثاني في بطولة العالم بأستراليا. ترأس البعثة القطرية الأستاذ علي يوسف المحمود، الذي نجح بامتياز في تحمل المسؤولية، وكان له دور كبير في ضبط إيقاع اللاعبين داخل المعسكر الذي سبق البطولة، ثم طيلة أيام البطولة.

تكون منتخب شباب قطر لكرة القدم من اللاعبين: خالد سلمان وبدر بلال (السد)، علي زيد وإبراهيم خلفان ومحمد دهام السويدي وأحمد الماجد وخميس دهام السويدي (العربي). فرج عباس وعيسى أحمد وعادل أحمد وعبد الله مبارك (الأهلي). محمد عفيفه ويونس أحمد وجمال خليفة وخميس سلطان (الريان). ماجد بخيت (نادي قطر).

الأعمال التطوعية

عمل الأستاذ علي محمد يوسف المحمود في كثير من الأعمال التطوعية دون مقابل في العديد من الجهات، من أبرزها:

أمين سر نادي الوكرة الرياضي، أمين صندوق اتحاد كرة القدم، أمين سر اتحاد التنس والإسكواش، رئيس اتحاد الجمباز القطري، نائب رئيس جمعية الوكرة التعاونية، رئيس اللجنة التنظيمية للجمباز الخليجية، رئيس بعثة منتخب قطر لكرة القدم للشباب الفائز بالمركز الثاني على مستوى العالم عام 1981م في أستراليا.

الشخصيات الرياضية التي عاصرها

عاصر الأستاذ علي محمد يوسف المحمود بعض الشخصيات الرياضية البارزة في المجال الرياضي، مثل: الشيخ ثامر بن محمد آل ثاني، أحمد علي الأنصاري، سلطان خالد السويدي.

إسهاماته في جمعية بيوت الشباب القطرية

عمل الأستاذ علي محمد يوسف المحمود في جمعية بيوت الشباب القطرية (1986)، وكان أحد المؤسسين لها بجانب كل من: الشيخ محمد بن عيد آل ثاني، محمد علي المهندي، عبد الرحمن عمير الجبر النعيمي، علي حسن مطر الربعان، صالح عبد الله المري، حمد عبد الرحمن عمرو الرميحي، حسين أحمد السادة، مبارك أمان العبد الله.

الأوسمة والتكريم

حصل الأستاذ علي محمد يوسف المحمود على العديد من الأوسمة وشهادات التقدير، منها وسام مجلس التعاون لدول الخليج العربية في مجال القيادات الشبابية والرياضية عام 1999م.

إصداراته ومؤلفاته

*للأستاذ علي محمد يوسف المحمود عدة مؤلفات منها:

"أوراق في الأيام" (وهو أوّل الإصدارات).
"نبضات قلب"، "شموع تضيء"،
"إضاءات قطرية على الساحة الرياضية" (جزءان)، "مسيرة كأس الأمير"،
"طروحات وهمسات من الوجدان"، "مداد قلمي".

خاتمة

تقتضي الأمانة في الكتابة أن أشير إلى اقتباس بعض الفقرات في هذا المقال عن العمل التطوعي والسيرة الذاتية للأستاذ علي محمد يوسف المحمود، من مقال للدكتور الراحل سعدون صباح الكواري، الذي نشره في مقال له سابقا. اللهم اغفر له وارحمه واسكنه الفردوس الأعلى في الجنة.

NETHERLANDS

هولندا

أرض الطواحين وعجائب الزهور

المرمار دلال المطيري

إلى بلد الطواحين... هولندا، حيث التاريخ يتعطر بالزهور. إن ما يحدث في هذا البلد الصغير الذي لا تتجاوز مساحته 42 ألف كيلومتر مربع، أمر محير، فهي تنتج كل عام 2 مليار زهرة، ما يقارب 60 في المئة من الإنتاج العالمي، وجعلت من الاستمتاع بهذه الزهور، حدثاً لا يقتصر على فصل الربيع، بل لكل فصل

هناك حقول مختلفة وزهور خاصة. بدأت هولندا حكايتها مع الزهور منذ 500 عام، وعلى الرغم من التحديات الكبرى وخطر الفيضانات والأراضي المنخفضة تمكنت من جعل زراعة الزهور تجارة ضخمة تقود بها العالم.

منذ هبوط الطائرة على مدرج مطار شيفول في أمستردام، والنظرة الأولى تؤكد أن هولندا هي بالفعل أرض الزهور. مراع خضراء وحقول متناثرة على الطريق، وزهور ملوّنة لا نهاية لها من الزنبق والتوليب والزعفران والخزامى والنرجس.

يقول الهولنديون: «خلق الله الأرض، لكن نحن من صنع هولندا»، حيث كان من الممكن أن يجرف البحر الأرض لو لم يتمكن الهولنديون من صنع السدود والقنوات المائية الدفاعية لحماية أراضيهم. فالأراضي الهولندية يقع نصفها إما تحت مستوى سطح البحر أو أقل من 3 أقدام فوق مستوى سطح بحر الشمال، وأكبر ثلاث مدن هي (أمستردام، روتردام، لاهاي)، تقع جميعها في هذه المناطق، لهذا السبب يطلق على هولندا «Netherlands» أي «الأراضي المنخفضة». على مر السنين، قام الهولنديون ببناء سلسلة من القنوات المائية المتعرجة ومحطات الضخ للحفاظ على منسوب مياه البحر وسدود تقدر مساحتها بأكثر من (2400 كيلومتر). هناك أيضاً طريقة أخرى اتّبعها الهولنديون، وهي عبر الطواحين الخشبية المنتشرة في مدن هولندا، والتي تعمل منذ 600 عام وحتى الآن على تجفيف

المستنقعات.
احترنا من أين نبدأ، فكل ركن وشارع في أمستردام ينطق سحراً. المختلف في العاصمة الهولندية (أمستردام) عن باقي العواصم الأوربية هي الحياة اليومية البسيطة المتحركة ليلاً ونهاراً. هنا يفضل السكان استخدام الدراجات الهوائية للتنقل بين شوارعها المتعرجة. يبلغ عدد الدراجات ثلاثة أضعاف عدد السيارات. لذا قررنا خوض هذه التجربة وتأجير دراجات للتنقل بين شوارع أمستردام.
لم نشعر بالتعب أثناء التجوال في شوارعها صعوداً ونزولاً، ويقال إن أمستردام مدينة وجدت لركوب الدراجات، هنا تتقاطع حركة الشوارع مع القنوات المائية والمحلات والمقاهي المنتشرة في الأحياء المرصوفة بالحجارة والمحاطة بها أبنية تتنافس في استعراض بهاء تاريخها المتشابك بحاضرها. سحر المدينة أدخلني في دهشة لم تتوقف.
يوجد في أمستردام قنوات مائية أكثر من البندقية الإيطالية، تقريباً 165 قناة، بينما في البندقية 150 قناة. هذه الممرات المائية الرائعة لا تقتصر على أمستردام فقط بل في الكثير من المدن الهولندية. فقد كان الهولنديون لعقود طويلة يحفرون قنوات للنقل والري والصرف، كما كانت القنوات الخارجية حول المدينة بمنزلة خط دفاع أثناء الحروب.
تُعرف هولندا ببلد الطواحين الهوائية والقنوات المائية والأجبان اللذيذة، ولكن مع وصول زهرة التوليب في القرن السابع عشر إلى الأراضي الهولندية جلبت معها لوناً وصناعة جديدة.
تعتبر أمستردام نقطة انطلاق رائعة لأي شخص يسعى لاستكشاف عجائب الأزهار. صادفنا في طريقنا سوق بلومينماركت وهو سوق عائم للزهور يقع على قناة سينجل. هنا توجد مجموعة كبيرة ومنوعة من الزهور والبذور بأسعار زهيدة، ويقدم المزارعون والبائعون النصائح لطرق زراعتها. لم نفوّت الفرصة لشراء أنواع مختلفة من البذور لزراعتها في حديقة المنزل بعد عودتنا. مشهد السوق والأزهار الملونة المنعكسة على مياه القناة شيء يصعب وصفه.

الزهور تعشق هولندا

تقع في العاصمة الهولندية أمستردام أكثر حقول الزهور شهرة، توجد أيضاً حقول رائعة في الجزء العلوي من مقاطعة شمال هولندا، وفي قسم من مقاطعة فليفولاند، المكان الذي تزهر فيه زهور الزعفران والنرجس والزنابق من نهاية شهر مارس وحتى نهاية شهر مايو. وفي الصيف، تبدأ زهور الداليا، والقرنفل، وزهور النجمة بالظهور. بمعنى أن السياح يمكنهم الاستمتاع بالزهور طوال العام وفي أي مدينة من مدن هولندا.
في جنوب أمستردام تقع أهم هذه الحقول. ومع اقتراب موسم أزهار التوليب من ذروته تقدم الكثير من المؤسسات في هولندا رحلات جماعية منظمة للسياح والمهتمين لزيارة هذه الحقول.
ذهبنا مع ساعات الصباح الأولى إلى مؤسسة «توليب إكسبيرينس أمستردام» التي تقدم رحلات استكشافية إلى حدائق كيوكينهوف مع خبراء للزهور، للتعرف على كل ما يتعلق بهذه الأزهار، بدءاً من جذورها وصولاً إلى عملية الزراعة والحصاد الحديثة. وبالطبع ستتيح لنا هذه الرحلة التمتع بفترات طويلة من السكينة والهدوء لتأمّل جمال الطبيعة.

حدائق كيوكينهوف

عند وصولنا للمكان وجدنا أنفسنا محاطين ببحر من الأزهار المتمايلة بين أحضان الطبيعة. لغز الجمال فيها محير علي مَن اعتاد العيش في صخب المدينة. يتفتّح هنا في هذه الحديقة أكثر من 7 ملايين نبتة من 800 صنف مختلف.
أفضل الأوقات للتجول في هذا المكان هو من منتصف شهر مارس وحتى شهر مايو. حدائق فسيحة ملونة، تحتضن أصنافاً نادرة. تبلغ مساحة الحدائق 32 هكتاراً. وتحتوي على سوق للبذور ومشاتل تباع فيها المنتجات الطازجة والهدايا التذكارية، بالإضافة إلى متحف به سينما ليتعرف الزوّار على قصة الزهور من وجهة نظر الفلاحين، وعرض التقنيات الحديثة والآلات الزراعية التي يعود تاريخها إلى عقود طويلة.
هناك مسارات للمشي لمسافات طويلة يبلغ طولها (15 كم). أثناء سيرنا شاهدنا عروض الزهور الفريدة والبرك الجميلة مع العديد من أماكن للاستراحة والمطاعم والمقاهي، بالإضافة إلى أنها تحتوي على عدد كبير من التماثيل صنعها فنانون هولنديون. تستقبل هذه الحديقة أكثر من 1.5 مليون سنوياً من جميع أنحاء العالم. المكان ساحر لالتقاط أجمل الصور التذكارية.

القنوات .. التوليب والطواحين .. رموز هولندا الخالدة

بحر الشمال

السبب وراء ازدهار الزهور هنا أكثر من جنوب هولندا، كما قال لي قائد الرحلة، هو المناخ المناسب الذي يمزج بين حموضة الرمال وهواء البحر الرطب والمياه المالحة. وهذا هو المناخ الذي تفضله معظم البصيلات المزهرة الربيعية مثل التوليب.

يقوم الهولنديون بالكثير من الأبحاث والدراسات بشكل مستمر. قال لي أحد المزارعين والمستثمرين في صناعة الورد: «نتشارك نحن كمزارعين المعرفة والخبرة باستمرار، ونضع الحلول المناسبة للمشكلات التي تعترضنا. ومن أهم مشكلاتنا حالياً هي مشكلة الحشرات، منها تريبس، الحشرة البيضاء ذات الأجنحة الخشنة التي يُخشى منها بشدة، وهي العدو الأول للأزهار. وقد تم استخدام طرق جذرية لمكافحتها في الماضي عن طريق المواد الكيميائية، ولكن اليوم يتم استخدام عصير بعض النباتات لقتل الحشرات بدلاً منها». ويقول أيضًا إن المزارعين يستخدمون كلاب التتبع

يوجد في أمستردام قنوات مائية أكثر من البندقية الإيطالية، تقريباً 165 قناة، بينما في البندقية 150 قناة. هذه الممرات المائية الرائعة لا تقتصر على أمستردام فقط بل في الكثير من المدن الهولندية

في تجربة جديدة لمكافحة الفطريات غير المرئية في زهرة الأماريليس، وهي زهرة مشهورة جدًا هنا في هولندا وغالية الثمن.

الأمر ليس سهلًا للحصول على أصناف جديدة دون فقدان السمات الأساسية للزهرة، كما قيل لي من أحد المختصين، قد يستغرق الأمر عشرين عامًا لزراعة صنف جديد من زهور التوليب أو غيرها، وعادة ما تكون المختبرات محاطة بالسرية، وتؤدي الاكتشافات الزراعية الجديدة إلى إثارة واهتمام كبيرين بين المزارعين.

ينصح المزارعون الهولنديون بإبقاء الأزهار عند درجة حرارة لا تقل عن 9 درجات مئوية قبل ظهور البراعم وزيادتها بمقدار درجتين أسبوعيًا بعد ظهورها، حتى 19 درجة مئوية. بعد أن تبدأ الزهور في التفتح، يمكن خفض درجة الحرارة إلى 15 درجة مئوية.

بلومين (طريق الزهور)

أشهر الطرق في هولندا هو طريق بلومين الذي يبلغ حوالي (40 كيلومترا) ويمتد من منطقة هارلم شمالاً إلى لايدن جنوبًا، وهو ممتلئ بزهور التوليب الرائعة الألوان، مكوناً لوحة فنية رائعة في مساحات شاسعة على مد البصر في صورة مبهرة. يبعد الطريق مسافة 20 دقيقة فقط من محطة القطار في أمستردام.

يبدأ طريق بلومين بالتشكل في شهر يناير، عندما تظهر أولى زهور الزعفران. وتليها أزهار النرجس البري والزنابق والأضاليا ثم زهرة التوليب، التي تتفتح بكل الألوان.

قرية الطواحين

لا يمكن تخيّل هولندا من غير الطواحين الخشبية الجميلة. ظهرت هذه الطواحين لأول مرة هنا في القرن الثاني عشر وكانت تستخدم لطحن الحبوب. في القرن الخامس عشر، ظهرت أول طاحونة من نوع «بولدر»، استخدمها الهولنديون لتصريف مياه المستنقعات والبحيرات حتى يتمكنوا من استصلاح الأراضي. وبعد ذلك بكثير، ظهرت طواحين أخرى لمصانع نشر الخشب، ومصانع النفط، ومصانع الورق، ومصانع الصباغة، وغيرها. اليوم، لم يتبق في هولندا سوى ألف طاحونة هوائية من أصل تسعة آلاف طاحونة.

هناك مكانان مشهوران بطواحين الهواء، هما كيندرديك، أحد مواقع التراث العالمي لليونسكو ويوجد بها 19 طاحونة قديمة، تم بناؤها في القرن الثامن عشر، وهي المكان المناسب للتعرف على قدرة الهولنديين على إدارة المياه، وهناك قرية الطواحين زانس شانس، ويوجد بها 15 طاحونة قديمة، وهذان المكانان هما منطقتا جذب سياحي، والأكثر زيارة في هولندا بعد العاصمة أمستردام. كانت الأقرب لنا قرية (زانس شانس) التي تقع على ضفاف نهر زان، على بعد 20 كم فقط من أمستردام، وهي أسهل رحلة نهارية من أمستردام لمشاهدة طواحين الهواء، لذلك توجهنا لها.

مشهد جميل يحتضن كل سحر الحكايات. من مسافة بعيدة يمكنك رؤية أشرعة طواحين الهواء وهي تتحرك ببطء، ومراعي خضراء واسعة النطاق في الخلفية ومنازل خشبية. القرية متحف صغير في الهواء الطلق، فيها سوف تتخيل كيف كانت الحياة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في الريف الهولندي. في فترة الستينيات من القرن العشرين، نقل إليها الكثير من المباني التاريخية وطواحين الهواء القديمة من أجزاء أخرى من منطقة زان والقرى الهولندية.

جميع طواحين الهواء الموجودة حالياً هي طواحين تعمل، وتؤدي وظائف مختلفة. هناك طاحونة لنشر الخشب، وطاحونة طحن الأصباغ، ومطحنة زيت لطحن بذر الكتان والفول السوداني لاستخلاص الزيت.

لم نسمع ضجيجاً إلا عند اقترابنا من الطواحين. دخلنا إحداها المخصصة للزوار، بعد أن دفعنا 5 يورو رسوم الدخول. صرير الخشب والأجزاء المتحركة في بطن الطاحونة عالٍ جداً. يوجد في الطابق الأرضي معصرة للزيت، وأحجار طحن ضخمة تسحق الفول السوداني، يتم تشغيلها يدويًا بواسطة أشرعة الطاحونة التي يحركها الهواء، ثم يتم تحميصه وضغطه حتى يستخلص منه الزيت.

صعدنا إلى سطح الطاحونة عبر سلالم خشبية ضيقة، لرؤية أشرعة طاحونة الهواء وهي تمر، والاستمتاع بإطلالة بانورامية جميلة لمنطقة زانس شانس.

يوجد العديد من المتاحف الصغيرة في القرية، ومحلات تبيع المنتجات الهولندية الطازجة، مثل الجبن والوافلز، ومصنع صغير للأحذية الخشبية. في هذه المتاحف والمصانع الصغيرة لا تزال الآلات الأصلية تعمل حتى يومنا هذا، في مشهد يعيدك بالزمن إلى الوراء. يوجد أيضًا في القرية متجر ألبرت هاين الأول الذي افتتح عام 1887، والتي أصبح فيما بعد أكبر شركة متاجر في هولندا، وتوجد أفرعها الآن في جميع دول أوربا، ولكن ما يميز هذا المتجر هو محافظته على نفس شكله وأدواته التي كانت تستخدم في القرن التاسع عشر.

هناك أكشاك لبيع الزهور على طول الطريق يقيمها بائعو الزهور. هنا يقام أيضًا مهرجان الطبيعة الملون حيث تمتلئ الحقول بالزهور الملونة ويعرض المزارعون إنتاج مزارعهم.

تجارة الزهور

تجارة الزهور أصبحت تجارة دولية مربحة لهولندا. كميات كبيرة تنتج على هذه الأراضي من جميع بصيلات الزهور المستمرة، ولخبرة المزارعين الهولنديين ومهارتهم تطورت زراعة التوليب وتأقلمت مع الأجواء الباردة في هولندا، لتصبح مع الوقت أضخم منتج في العالم للأزهار البصيلية، وتمكنوا من

التوليب

بدأت حكاية زهرة التوليب في هولندا ببصيلة واحدة من تركيا عام 1593، تسمى التوليبان على اسم شكل العمائم التي يرتديها الرجال الأتراك، أحضرها البحارة الهولنديون الذين كانوا يبحرون حول العالم. وبدأ المزارعون بغرس أول زهرة منها في الأراضي الهولندية، وبفضل التجارب والأبحاث المستمرة، ولخبرة المزارعين الهولنديين ومهارتهم تطورت زراعة التوليب وتأقلمت مع الأجواء الباردة في هولندا، لتصبح مع الوقت أضخم منتج في العالم للأزهار البصيلية، وتمكنوا من وضع زهرة التوليب على الخريطة الزراعية بدلاً من الأتراك، وطوروا أصنافاً جديدة منها إلى أن أصبحت زهرة التوليب رائجة في أوربا ورمزًا لهولندا. وتم تخصيص يوم رسمي للاحتفال بها في هولندا، وهو ثالث سبت من شهر يناير من كل عام.

كان الهولنديون مهووسين بزهرة التوليب، لدرجة أنه في ذلك الوقت، كانت تكلفة بصيلة التوليب تعادل تكلفة بقرة، أو قطعة أرض، أو منزلًا. وتعد منتجًا فاخرًا لا يوجد ما ينافسها في جمال أوراقها المشبعة بالألوان، وهي ترمز أيضًا للنبالة والمكانة العالية، ويطلق عليها ألقاب مثل «أميرال» و«جنرال». أما أندر أنواع التوليب فهي التي تشتهر ببتلاتها الحمراء والبنية والأرجوانية، بها خطوط صفراء أو بيضاء تشبه ألوان اللهب. وتصبغها هذا نتج عن إصابة بصيلاتها بأحد أنواع الفيروسات النباتية، وهو من أنواع الفيروسات غير المؤذية، لذلك تعد غالية الثمن.

لا تنمو التوليب سريعاً، وقد يستغرق الوقت لزراعتها عن طريق البذور أو البراعم عشر سنوات، لذلك يقوم المزارعون بزراعتها من البصيلات مباشرة بعد وضعها في التربة. وعندما تنمو للبصيلة ساق وأزهار، فإنها تختفي وتتكون مكانها بصيلة مماثله لها، وتنتج براعم كثيرة، وهذا يفسر سبب ندرتها وارتفاع ثمنها.

موسم زهور التوليب قصير جداً ولن ترى أي حقول لها إلا في شهر مايو، وما ستراه في محلات بيع الزهور من ديسمبر إلى مايو، هي التي تنمو في الحميات والبيوت الزجاجية.

زهرة التوليب صنعت تاريخ هولندا

النقل الجوي والبري إلى معظم البلدان المستهلكة الرئيسية، وتطوير المزادات والمنصات التجارية الإلكترونية، مثل Fleurop وFlowers وEuroflorist، لإتمام المبيعات المباشرة مع المستهلكين بدلًا من استخدام وسيط كتاجر الجملة.
ويتوقع أن يزداد حجم المبيعات في هولندا من 4.67 مليارات دولار أميركي في عام 2023 إلى 5.87 مليارات دولار أميركي بحلول عام 2028.
أكبر الأسواق التي تصدر لها الزهور هي ألمانيا، ثم المملكة المتحدة تليها فرنسا والاتحاد الروسي وبولندا. وكما ذكر في تقرير مركز التجارة الدولي (ITC)، صدرت هولندا في عام 2021 (680.090) طناً متريا من الزهور المقطوفة بقيمة 5.7 مليارات دولار أميركي.

الزهور في الفن الهولندي

ثراء ألوان الزهور، ورمزيتها هي أمور جاذبة وملهمة في كل عصر ولكل فنان. رسامون هولنديون عبقريون كانت أهم أعمالهم وأشهرها هي الزهور، كلوحة عباد الشمس لفنسنت فان جوخ، حتى الفنان بيت موندريان الذي يعد أحد رواد الفن التجريدي، فكان يرسم دائمًا الزهور بين أعماله التجريدية. حصل هذا الارتباط بين الفنانين الهولنديين والزهور في القرن السابع عشر، وهو ما يطلق عليه العصر الذهبي أو الأيام الأولى للزهور الهولندية. نظرًا لأن الزهور كانت تزرع في فصل واحد وتبقى نضرة لفترة قصيرة، وأراد الناس الاستمتاع بها طوال العام، فأصبحت اللوحات هي البديل. ورسم الزهور فن رائع ونوع

شائع من القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر. وقد اشتهر في تلك الفترة، الأخوان الهولنديان جيرارد وكورنيليس فان سبايندونك اللذان سافرا إلى باريس لرسم الزهور على الجدران والقماش والأرضيات في البلاط الملكي للملك لويس السادس عشر، وأماكن أخرى في نهاية القرن التاسع عشر.

جيثورن (البندقية الصغيرة)

أجمل وأروع قرية في هولندا هي قرية تسمى «جيثورن»، القرية التي لا يمكن لسكانها سوى الإبحار أو المشي أو ركوب الدراجة للتنقل فيها. بنى سكان جيثورن منازلهم في الجزر الصغيرة المحاطة بالبحيرات وربطوا هذه الجزر بالجسور الخشبية التي يبلغ عددها تقريباً 176 جسراً معلقاً فوق المياه. وبالتالي لا يمكن لسكان القرية الوصول إلى منازلهم الا باستخدام قوارب، لذا سوف ترى أمام كل منزل قاربًا، وليس سيارة، لهذا تسمى القرية بالبندقية الصغيرة.
تقع القرية في الجزء الشمالي الشرقي من هولندا مسافة ساعة ونصف الساعة عن العاصمة أمستردام، ويزورها أكثر من مليون زائر سنوياً. تعتبر قرية جيثورن مثالاً رائعاً على قدرة الهولنديين على العيش مع الماء وتطويع الطبيعة لصالحهم، كانت الأرض في الأصل مستنقعات خثية. واستطاع سكانها استخراج الخث، واستصلاح الأرض وزراعتها والعيش بها.
كنا متخوفين من الإبحار بأنفسنا داخل جيثورن، فاخترنا تأجير قارب صغير يقوده شخص من سكان جيثورن للقيام برحلة بحرية في قنواتها، والاستمتاع بالقصص الجميلة عن كل شيء من تاريخ قرية جيثورن من ذاكرة سكانها. تستغرق الرحلة في القارب حوالي ساعة من الزمن. خلال الجولة شاهدنا مزارع رائعة تعود إلى القرن الثامن عشر وبيوتاً خشبية مسقوفة بالقش، حولها حدائقها الصغيرة الممتلئة بالزهور من كل الأنواع والألوان. كل تفاصيل القرية تجعلك تشعر بأنك في مكان افتراضي خارج هذا العالم. لذا فإنّ تمضية إجازة قصيرة في جيثورن سوف يكون لها ذكرى جميلة لا تنسى للأبد.
في جيثورن المطاعم والمقاهي، تطل معظمها على القنوات المائية، لذلك لديك دائماً أماكن فاخرة للجلوس بها. تعتبر أسعار الطعام في جيثورن جيدة، خاصة بالمقارنة مع مناطق الجذب السياحي الأخرى، مثل أمستردام أو زانس شانز أو ماستريخت أو أوترخت أو أيندهوفن، بالإضافة إلى أنك ستستمتع بتجربة طعام هادئة ومريحة.
هولندا ليست مجرد وجه جميل، بل كيفما تصفحت مدنها وقراها الآمنة تجد إبداعات الإنسان وروحه الثورية. مساحتها الصغيرة لا تجعلك تحتاج فيها إلى وقت طويل لاكتشاف تفاصيلها المخفية، ولا تحتاج إلى ميزانية كبيرة كي تنعم بإجازة جميلة ملونة ومعطرة بالزهور.

هولندا ليست مجرد وجه جميل، بل كيفما تصفحت مدنها وقراها الآمنة تجد إبداعات الإنسان وروحه الثورية

متحف زيدرزي

هناك تحديات كبيرة يواجهها الهولنديون بسبب تغيير المناخ وارتفاع درجات الحرارة، الذي يؤدي بالتالي إلى ذوبان الأنهار والصفائح الجليدية، ومع تدفق المياه في النهاية إلى المحيطات سيرتفع مستوى سطح البحر حوالي 75 مترًا، وحتى الآن ارتفع مستوى سطح البحر حوالي 8 بوصات، وتشير التوقعات إلى ارتفاعه بين حوالي 1 و6 أقدام ونصف بحلول عام 2100. لذا فإن ارتفاع مستوى سطح البحر سيكون أمرًا يراقبه الهولنديون عن كثب للتأكد من أن حواجزهم وأنظمتهم الدفاعية توفر الحماية الكافية لأراضيهم.
توجهنا إلى متحف زيدرزي، لمشاهدة عرض عن الفيضانات في تاريخ هولندا. وهو أحد أهم المتاحف في منطقة إنكهاوزن، يركز على كيف كانت الحياة في زيدرزي وموضوعات المياه ومستقبل المنطقة، ويعتبر المتحف الخارجي بمبانيه التاريخية والمتحف الداخلي مع معارضه المنوعة رواية تاريخية مهمة عن هولندا. يحكي المتحف قصة نهر زيدرزي، وهو مدخل بحر الشمال، وما سببه من حدوث العديد من الفيضانات. واندهشنا من عدد الفيضانات الخطيرة التي شهدتها هولندا، وما فعله الهولنديون لحماية بلادهم. كانت زيدرزي منطقة صيد غنية ومصدرًا رئيسيًا للدخل في هولندا. لكن أودت فيضانات العواصف العنيفة، مثل فيضان القديسين عام 1675، وفيضان العاصفة عام 1825، والفيضان الكبير عام 1916، بحياة آلاف الأشخاص، وتسببت في أضرار جسيمة. وفي عام 1918، وقعت الملكة فيلهلمينا ملكة هولندا على القانون الذي سمح ببناء سد في هذه المنطقة. وبنى الهولنديون سداً ضخمًا به مضخات تعمل بشكل مستمر لإغلاق جزء من المحيط بطول 32 كم.
هناك استراتيجية يستخدمها الهولنديون لإدارة المياه تسمى «مساحة للمياه». في بعض الأحيان، يضطرون إلى السماح للمياه بغمر بعض الأراضي، من أجل حماية الباقي. وهناك أيضا استراتيجية تسمى «مساحة للنهر» من خلال التأكد من أن الأنهار لديها الكثير من الانحناءات، لأن من الممكن للأنهار المستقيمة أن تجري بسرعة كبيرة، مما يؤدي إلى تآكل السدود بسرعة، ولا تعطي وقتاً للتفاعل مع الفيضانات. كذلك استراتيجية الممرات المائية المتعرجة، حيث يقومون بإنشاء سدين حول الممرات المائية الرئيسية، سد داخلي لمستويات المياه الطبيعية وسد خارجي في حالة تجاوز المياه السد الداخلي أثناء الفيضان. وجزء أساسي من الاستراتيجيات يتمثل في سلسلة ضخمة من الحواجز التي تغلق قنوات المياه إذا ارتفع منسوب المياه إلى مستويات عالية للغاية.

مقاهي بيروت الثقافية.. رئة المدينة وروحها

المرمار محمد ناصر الدين

لطالما اقترن اسم العاصمة اللبنانية بيروت بالمقاهي المنتشرة في ربوعها وساحاتها وزواياها وأحيائها وعلى رصيفها البحري، ففكرة المقهى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمدينة وأحوالها، وهي أقرب إلى روحها وكائناتها وبشرها، فمنها ما يعمّر طويلاً، ومنها ما يكون مصيره إلى الزوال، ومنها ما يحاول بثّ الروح في عروقه، فيوائم بين الأصالة والطابع المحلي من جهة، والعولمة الممتدة على قدم وساق إلى كل مفاصل الحياة المدينية من جهة أخرى.

حفظ رواد «باريس الشرق» – كما كان يحلو للعرب مناداتها – عن ظهر قلب أسماء مقاهٍ بيروتية كانت علامات فارقة في زمانها، مثل الباريزيانا، واللاروندا، والحاج داود، وفلسطين، والبحر، وفتّوح، وكوكب الشرق، والنجّار، والقزاز، وفاروق، والروكسي، والإكسبرس، وفيصل، ودولتشي فيتا، والمودكا، والروضة، وغيرها الكثير، ولئن أمكن تصنيف مقاهي بيروت من قبل المؤرخين والدارسين إلى مقاهي الساحات والميادين، ومقاهي الأحياء والحرفيين، ومقاهي السياسيين والصحفيين في ساحة الإتوال القريبة من المجلس النيابي، ومقاهي البحر، ومقاهي الأرصفة، ومقاهي العولمة (مثل ستاربكس وكوستا ودانكين وغيرها)، إلا أن العاصمة اللبنانية بيروت قد نجحت، منذ نهضتها الحداثوية في ثلاثينيات القرن الماضي، في ابتداع صنف جديد هو «المقاهي الثقافية»، التي نجحت في استقطاب أهل الأدب والموسيقى والفنون التشكيلية بشكل خاص ومحبي الثقافة بشكل عام، وأصبح هذا النوع من المقاهي التربة الصالحة للقاء الأفكار الكبيرة والنظريات المتضاربة منها والمتصالحة، ولطالما فضّ نادل باسمٍ الثغر في أحد هذه المقاهي البيروتية خلافاً بين مثقف وآخر حول نظرية «الفن للفن» أو «الفن الملتزم»، أو تدخلت طالبة تدرس الأدب في الجامعة الأمريكية في بيروت لتدوير الزوايا بين شاعر متحمس لقصيدة النثر، التي كانت تتلوها جماعة مجلة «شعر» كل ليلة خميس في مقهى «أوتيل بلازا»، وبين شاعر متعصب للتفعيلة أو القصيدة العمودية على أوزان الخليل، كما كانت المقاهي المكان المفضّل للشعراء والفنانين المشاغبين على السلطة، التي لم يسلم أصحابها من سهامهم؛ فمقهى «الحاج داود» الشهير كان من روّاده الشاعر أمين نخلة والفنان التشكيلي مصطفى فروخ، وجمع مقهى «البحرين» رشيد وهبي، وإلياس أبو شبكة، وصليبا الدويهي برجالات السياسة مثل عبدالله اليافي وسامي الصلح، لتشتبك الثقافة بالسياسة وينتقل صوت المثقفين إلى الدوائر السياسية الحاكمة، كما كان للفنون الأخرى مثل الموسيقى، حضور وازن في هذه المقاهي الثقافية، إذ يُروى عن مقهى «فتوح» أنّ حامل الفونوجراف كان يطوف في أرجائه فيبث من صندوقه أغنية محمد عبدالوهاب «جفنه علّم الغزل» على مسمع من كاتبها الشاعر بشارة الخوري، أو «الأخطل الصغير»، الذي كان يتنقل بين «فتوح» و«مقهى ومطعم أبو عفيف»، حيث ولدت قصيدة «يا عاقد

استحوذ شارع الحمراء على حصة الأسد من المقاهي الثقافية البيروتية، وإذا صح على بيروت لقب «باريس الشرق»، فإننا لا نجانب الصواب أيضاً في محاكاة شارع الحمراء للشانزيليزيه، من حيث المقاهي المنتشرة على أرصفته

الحاجبين» التي غنتها فيروز فيما بعد، وكذلك ولدت في المقهى ذاته الكثير من قصائد الشاعر عمر الزعني، الملقّب بـ«موليير الشرق»، الذي كان يشاغب بقصائده على سلطات الانتداب الفرنسي، التي كانت تعتقله في المقاهي البيروتية ثم تطلق سراحه أمام أحد أبوابها.

مقاهي بيروتية

ما لبث شارع الحمراء، القائم في منطقة رأس بيروت والذي يكاد يكون الشارع الوحيد في لبنان الذي حافظ على تنوعه الاجتماعي والثقافي والديني في خضم الحرب الأهلية، أن استحوذ على حصة الأسد من المقاهي الثقافية البيروتية، وإذا صح على بيروت لقب «باريس الشرق»، فإننا لا نجانب الصواب أيضاً في محاكاة شارع الحمراء للشانزيليزيه، من حيث المقاهي المنتشرة على أرصفته، والتي شكّلت مختبراً حقيقياً لأفكار بيروت الطليعية في الشعر والأدب والمسرح، منذ خمسينيات القرن الماضي وحتى بداية الحرب الأهلية اللبنانية المشؤومة في 13 أبريل من سنة 1975، وصارت مقاهي الحمراء بمثابة البيت الثاني للكثير من المثقفين اللبنانيين والعرب، وفيها كتبوا القصائد والمسرحيات والبيانات الشعرية الطليعية أو البيانات المعارضة لقمع الكلمة وحرية التعبير، ومن بين هؤلاء محمد الماغوط، ومحمود درويش، وعمر أبو ريشة، وأنسي الحاج، ومحمد الفيتوري، ونزار قباني، ويوسف الخال، وأدونيس، وبلند الحيدري، وعصام العبدالله، وشوقي بزيع، وعباس بيضون، وغيرهم.

ثلاثة مقاه شكّلت ثالوث الحمراء الثقافي في تلك الفترة الذهبية من تاريخ العاصمة اللبنانية بيروت، هي «الهورس شو»، و«الكافيه دو باريس»، و«الويمبي»، الأول الذي افتُتح في نوفمبر من عام 1959، ولا يبعد سوى مئتي متر عن مبنى جريدة «النهار» اللبنانية، صار مقصداً للصحفي والمفكر اللبناني غسان تويني (مدير تحرير «النهار») ومثقفي مجلة «شعر»، التي انطلقت في بيروت في الفترة ذاتها، وكان بعض كتّابها يعملون في القسم الثقافي في «النهار»، مثل أنسي الحاج وشوقي أبي شقرا، إضافة إلى زملائهم مثل: أدونيس، وخالدة سعيد، وعصام محفوظ، ونذير العظمة، ومحمد الماغوط، وما لبث «الهورس شو» أن صار حاضنة لكثير من اللقاءات الثقافية والإبداعات الفنية، لا سيما المسرحية، ولا ينسى النقاد والمتابعون كيف تحولت باحة المقهى إلى ساحة لعرض مسرحية «مجدلون»، التي كتبها هنري حاماتي وأخرجها روجيه عساف، بعد أن مُنعت من العرض في الصالات اللبنانية بقرار من الأمن العام اللبناني، واستمتع الجالسون على مقاعد المقهى برؤية نضال الأشقر ورفاقها يترجمون فكرة الحرية، التي اشتهرت بها بيروت، إلى عرض ممسرح رأوه بأمّ العين في عام 1969، أما مقهى «المودكا» فقد اشتهر بتصميمه المعماري الذي ابتدعه المهندس طوني نصير على شكل سفينة، ويبعد «المودكا» أمتاراً قليلة عن «الهورس شو»، وقد كان المكان المفضّل للشاعر الكبير نزار قباني في زياراته للعاصمة بيروت، فيه كان يُعقد الصالون الثقافي للصحفي ميشال أبو جودة مساء كل يوم، كما كتب الشاعر بول شاوول على طاولته المفضّلة كتابه «يوميات رصيف»، الذي يؤرخ لتفاصيل حياة المدينة ومثقفيها وأهلها بعينيّ شاعر يرصد من المقهى طقوس عيش وأمزجة وحوارات وطرائف المدينة المثقفة.

أمسيات شعرية وثقافية

أما مقهى «الويمبي» فبالإضافة إلى استضافته الكثير من الأمسيات الشعرية والثقافية، يرتبط اسمه بالعملية البطولية التي نفذها الشاب خالد علوان على رصيفه أثناء مقاومة المدينة للغزو الصهيوني في اجتياح سنة 1982، كما لا يمكن إغفال دور مقهى «فيصل» في شارع بلس، الذي تقع فيه الجامعة الأمريكية في بيروت، وكان «فيصل» أشبه بمرجل كبير يغلي فيه جمر النظريات السياسية الكبرى التي تُطبخ وتُشرّح وتنضج أو تبور في بيروت، مثل: القومية العربية والماركسية والليبرالية والماوية والإسلام السياسي وغيرها، كذلك كانت تناقش قضايا الساعة بين المثقفين، مثل القضية الفلسطينية والوحدة العربية والتحرر والنضال، ومعظم رواده كانوا من السياسيين المثقفين، وعلى رأسهم كمال جنبلاط، ومحسن إبراهيم، وعادل عسيران، إضافة إلى بعض أبرز قادة ذلك الزمان، كجورج حبش، وإنعام رعد، وشفيق الحوت، وكمال ناصر، وسعدون حمادي، كما احتضن أدونيس، وكمال الصليبي، وسمير قصير، وهشام شرابي، وغيرهم من الذين لعبوا دورًا مهمًا في كتابة وتوثيق تاريخ لبنان والمنطقة.

لم يُقدّر لهذه المقاهي الأربعة في شارع الحمراء البقاء في الفترة الصعبة الممتدة من نهاية الحرب الأهلية حتى بداية الإعمار، فقد هجَر روادها تلك المقاهي إلى أخرى تمركزت في الوسط التجاري، لا سيما مقهى «الإتوال»، الذي كان يجتمع فيه رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري أسبوعياً مع نخبة من أهل الصحافة والثقافة، أو مقاه أخرى توزعت بين منطقة الجميزة وساحةً ساسين في الأشرفية، كما استعاض بعضهم عن مقاهي الحمراء بتلك القائمة على الكورنيش البحري، مثل مقهى «الروضة» العريق، الذي صار مقصداً يومياً لكوكبة من أهل الثقافة، مثل المسرحي رفيق علي أحمد، والشاعر زاهي وهبي، والروائي رشيد الضعيف، والتشكيلية خيرات الزين، وغيرهم، كما كتب الشاعر شوقي بزيع الكثير من مجموعاته الشعرية من على شرفة مقهى «دبيبو» بإطلالته الخلابة على صخرة الروشة المنتصبة في قلب البحر، وما هي إلا سنوات قليلة حتى استعاد شارع الحمراء بريقه ومقاهيه الثقافية عبر انطلاقة لمقاه استضافت العديد من التجارب الشبابية بين سنتي 2000 و2010، مثل مقهى «جدل بيزنطي»، الذي قرأ فيه الكثير من الشعراء الشباب قصائدهم في تلك الفترة أو وقّعوا مجموعاتهم الشعرية، مثل: ناظم السيد، وغسان جواد، وفيديل سبيتي، وسمر دياب، وزينب عساف، إضافة إلى الجيل الأسبق، مثل: إسكندر حبش، ويحيى جابر، ويوسف بزي، وفادي أبو خليل، وغيرهم.

مقاهي بيروت الثقافية، قبل كل شيء، فسحة للحب قبل أن تكون مكانًا لتزجية الوقت وملء الفراغ، وستظل تغري المبدعين اللبنانيين والعرب بالتقاط لحظة الإبداع والجمال وتجسيدها في قصيدة أو لوحة أو مسرحية

مواكبة الشعر والموسيقى

وبعد إغلاق «جدل بيزنطي»، برزت تجربة مميزة لأمسيات «شهرياد» الثقافية التي انطلقت في عام 2013 بمبادرة من مجموعة من الشعراء والناشطين الثقافيين اللبنانيين، ومنهم: نعيم تلحوق، ومكرم غصوب، وهبة عبدالخالق، ومحمد ناصر الدين، وباسكال صوما، ورامي كنعان، وليندا نصار، وطارق بشاشة، وتوزعت أمسيات «شهرياد» على مقهى «عرمرم» في شارع المكحول ومقهى «وست أفنيو» في شارع صوراتي، واستضافت أكثر من 400 شاعر وشاعرة وضيوفاً من لبنان والعالم العربي، مثل: سيف الرحبي، وشوقي عبدالأمير، وطلال حيدر، وعباس بيضون، وعدنان الصائغ، ومهى بيرقدار الخال، وتحولت المقاهي التي استضافت هذه الأمسيات إلى ملتقى يجمع الشعر باللوحات التي يرسمها الفنانون التشكيليون من وحي القصائد، ناهيك عن الموسيقى على آلات الساكسوفون أو العود التي واكبت الشعر والموسيقى. لم تتوقف مفاجآت بيروت والحمراء تحديدًا عند الدينامية التي أطلقتها أمسيات «شهرياد»، إذ عاد اليوم مثلث جديد إلى الظهور، يقوم على مقاهي «دار المصور»، الذي يضم في طابقه العلوي صالة لعرض الأعمال التشكيلية والصور الفوتوغرافية، إضافة إلى مقهى «ة مربوطة» ومقهى «برزخ»، اللذين تفردا بفكرة «المقهى–المكتبة». والمقهى الأول يوفّر للمثقفين والباحثين في طابقه العلوي مكتبة ممتازة وشبكة إنترنت سريعة وجوًّا مثاليًا لحلقات النقاش المصغّرة، إضافة إلى باحة خارجية تنظّم فيها العديد من الأمسيات الشعرية والندوات المتنوعة ضمن البرنامج الثقافي للمقهى، إضافة إلى مكتبة سينمائية يمكن للراغبين اقتناء محتوياتها، أما المقهى الثاني «برزخ»، الذي يشغل طابقًا كاملًا فوق مكان «الهورس شو» القديم، فيُشكّل علامة ثقافية فارقة اليوم، إذ إن مساحته الكبيرة، ومكتبته الضخمة باللغات الثلاث (العربية والفرنسية والإنجليزية)، وبرنامجه الثقافي الغني الذي يستفيد من البث عبر الوسائط الرقمية المتقدمة، جعلت منه المركز الرئيس الذي تتركز فيه ندوات المثقفين وحلقاتهم في العاصمة اللبنانية بيروت، كما يحتضن الأمسيات الشعرية والحوارات التي تقيمها دار النهضة العربية بوتيرة شهرية مع الشعراء العرب القادمين إلى بيروت من بلدانهم أو مهاجرهم.

ستبقى بيروت بمقاهيها الثقافية مدينة تصنع حريتها وإبداعها كل يوم، مدينة تقوم من رمادها، لا سيما في الحرب الهمجية الأخيرة عليها، لتنتصر لقيم الانفتاح والتنوير وضيافة القريب والغريب، وتفرش كل صباح كراسيها ومقاعدها في ساحات المقاهي لتحضر للقصيدة محرابها وزينتها وطقوسها وقهوتها، فمقاهي بيروت الثقافية، قبل كل شيء، فسحة للحب قبل أن تكون مكانًا لتزجية الوقت وملء الفراغ، وستظل تغري المبدعين اللبنانيين والعرب بالتقاط لحظة الإبداع والجمال وتجسيدها في قصيدة أو لوحة أو مسرحية.

زواج الأقارب في الجزائر..

أمراض نادرة تفتك بالأبناء!

المرمار | الجزائر- نهال دويب

أصبح واقع سهيلة مؤلماً جداً بعدما فارق طفلها الأول الحياة. أما الآخر، فيخوض صراعاً مع المرض ذاته الذي قضى على شقيقه. والمرض وراثي ناجم عن زواج الأقارب.

«زيتنا في دقيقنا» أي (زيتنا في طحيننا) هو واحد من الأمثال الشعبية التُراثية التي ساهمت في تأصيل معتقد داخل المجتمع الجزائري ولا يزال حياً بيننا وذا تأثير كبير، لا سيما في القُرى المحافظة التي لا تزال مُتمسكة بمنظومة منهجية توارثتها عن الأجداد.

ويُضرب هذا المثل للدلالة على عدم خروج عن المنفعة أو المصلحة عن حُدود الأسرة أو العائلة الكبيرة. وهُو يُطلق عادة في مسألة تزويج البنات لأبناء عمهم وعدم تزويجهن من خارج العائلة. لكن يجهل كثيرون خُطورة هذا النوع من الزيجات ونتائجه الوخيمة على الأطفال والإعاقات الوراثية التي قد تُنقل إليهم، باعتبار أن الإعاقات الوراثية تُورثُ للأبناء نتيجة هذا الزواج بين أولاد العمومة من الدرجة الأولى، لأنهم يشتركون في الجينات الوراثية نفسها، ومن ثم فإن هذا الزواج يؤدي دوراً في الإصابة بالتشوهات الخلقية وأمراض نادرة كثيرة.

هذا الواقع المر وجده الكثير من الأزواج عن قناعة أو بسبب الأعراف والعادات التي تحظى بقدسية كبيرة في محيطهم، وهم ينصحون اليوم رفقة الأطباء الأقارب بعدم تكرار الأخطاء ذاتها والابتعاد عن هذا الزواج لضرورات صحية.

طفلة مريضة ووالداها هما ابنا خال

تنقل لنا «إسراء» في العقد الثاني، طبيبة مُتدربة كانت في مرحلة تربص في إحدى مصالح طب الأطفال، معاناة طفلة في السابع من عمرها، أصيبت خلال فترة وجودها بالمصلحة بجلطتين دماغيتين AVC، بسبب إصابتها بأحد الأمراض الوراثية الناتجة من زواج الأقارب. فوالداها هما ابنا خال.

المرض الذي أصيبت به الطفلة، وفقا لتصريحات الطبيبة يُلقبُ بفقر الدم المنجلي Drépanocytose وهو منتشر بقوة في الشرق الجزائري. ويُلقب هكذا لأن سببه طفرة تُؤدي إلى تشوه في شكل كريات الدم الحمراء فتعطيها شكل المنجل أو الهلال.

وتشرح الطبيبة طبيعة هذا المرض والخطر الذي قد يسببه قائلة إن "الشكل العادي المقعر لكريات الدم الحمراء يمنحُها انسابية في المرور عبر الأوعية الدموية. أما الشكل المنجلي المشوه فيمنحها العكس، وهو ما يزيد من خطر الانسداد ونتائج وخيمة لأن الانسداد قد يقع في أي مكان من الجسم بما فيها الدماغ.

واقع رث وفظيع جدًا

لم تكن الحياة الزوجية مُشرقة كما تصورتها سهيلة، وهي ربة بيت في العقد الثالث من عمرها، تنحدر من إحدى مدن قسنطينة العريقة. فقد كان الواقع رثَ الحقيقة وفظيع جداً، بعد أن فارق طفلها الأول الحياة. أما الثاني، فيخوض صراعاً مع المرض من أجل البقاء حياً. وهذا كله بسبب مرض وراثي نجم عن زواج الأقارب.

ويُقلب هذا المرض حسبما كشفته سهيلة في إفادتها بداء «ويلسون». وهو حالة مرضية وراثية نادرة تُؤدي إلى ارتفاع كبير في مستويات النحاس في أعضاء عدة من الجسم، لا سيما الكبد والدماغ والعينين. ويُشخّص هذا الداء لدى معظم المرضى الذين تتراوح أعمارهم بين 5 أعوام و 35 عامًا فهو يُصيب الأصغر والأكبر سناً.

وعن تجربتها المريرة مع هذا الابتلاء، تقول: «اتضحت لي الرؤيا بعدما ظهرت على ابني الأول مؤشرات توحي بإصابته ويلسون، وتتمثل في الشعور بالتعب وفقدانه للشهية واصفرار الجلد وبياض العين ومشكلات في الكلام أو البلعم أو التنسيق الجسدي. كذلك كان يشعرُ بطعم معدني غريب في فمه. في البداية كنت أدرج كل هذه المؤشرات في طبيعة الجسم لأنني لا أفقه بالطب ولا أفهم تفاصيله إطلاقاً. لكن بعد ذلك خُضتُ تجربة صعبة ومريرة استغرقت أكثر من 5 أشهر كاملة لأكتشف إصابة طفلي الأول بمرض وراثي نادر قائم على رباط الدم».

وفي ردها على سؤال عما إذا كانت على علم بهذه المشكلة الوراثية، ردت: «لم أكن على علمٍ إطلاقاً بهذا

270 مرضاً نادراً بسبب زواج الأقارب

يكتفي حالياً المُقبلون على الزواج في الجزائر على إجراء التحاليل المتعارف عليها والمحددة في القرار الوزاري الوارد في الفقرة السابعة، المادة 84 -11 من قانون الأسرة الجزائري الصادر بتاريخ 9 يونيو/ حزيران 1984، والذي شُرع في تطبيقه منذ عام 2008. وكشفت إحصائيات حديثة قدمها رئيس جمعية الأمراض النادرة والتوحد في الجزائر تسجيل أكثر من 270 مرضاً نادراً في عدد من المدن، و»يرجع في الدرجة الأولى إلى زواج الأقارب».

ووفقاً له، تأتي مدن تيزي وزو وبجاية وغرداية وجيجل في صدارة المدن الجزائرية التي تنتشر فيها الأمراض النادرة، بنسبة تتخطى 35 بالمائة. وهذا بسبب طبيعة العلاقات الأسرية التي هي عبارة عن جماعات مغلقة، لها عادات وتقاليد وثقافة مجتمعية خاصة تُفضل زواج الأقارب. فابن العم وابن الخال أو الخالة لهم الحق بالزواج بالدرجة الأولى، وهم طبعاً أولى من الغريب.

وكان الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون أصدر تعليمات إلى وزارة الصحة والسكان في البلاد تقضي بضرورة تكفل الدولة مجانا بـ373 طفلا مريضاً بالاستقلاب الخلوي ونقص المناعة، في 18 ولاية (محافظة)، عن طريق توفير المكملات الغذائية والأدوية. كذلك أمر بالتنسيق مع الجمعيات المتخصصة بالأمراض النادرة لإبقاء هذه الأمراض تحت مجهر الدولة لكشفها مبكراً.

المرض الوراثي لأننا لم نقم، زوجي وأنا، بالفحوص الطبية اللازمة للتأكد من سلامتنا الجسدية وقابلية انجابنا لأطفال سليمي البنية».

وعن أسباب عدم لجوئها إلى المراكز المتخصصة لإجراء تحاليل طبية مُفصلة للتعرف الى التاريخ المرضي للعائلة، تقول سهيلة: «لم تكن تظهر علينا أي أعراض. وهُنا مكمن الخطورة. فمعظم الأمراض الخفية تُورثُ للأطفال بعد الزواج، مثل التخلف العقلي وخلل التمثل الغذائي ومرض الكبد وضمور المخ وأمراض الدم الوراثية».

وبعد أشهر كاملة من العلاج، حدث أسوأ أمر في حياة سهيلة بعد أن فارق ابنها الأول الحياة، وللأسف زاد الوضع سوءاً. فالمأساة لم تتوقف عند هذا الأمر، بل أصيب ابنها الثاني بالمرض ذاته ولم تعد سُهيلة تُدرك ليلها من نهارها وكل أيامها سواء.

خُطوة مُهمة... وتساؤلات

وقد وعت الجزائر كغيرها من الدُول خطورة زواج الأقارب ونتائجه على الأطفال والإعاقات الوراثية التي تُنقل إليهم، باعتبار أن الإعاقات الوراثية تورث للأبناء نتيجة هذا الزواج بين أولاد العمومة من الدرجة الأولى، لأنهم يشتركون في الجينات الوراثية نفسها. ومن ثم فإن هذا الزواج يؤدي دوراً كبيراً في الإصابة بالتشوهات الخلقية وأمراض كثيرة.

ولهذا الغرض قامت الحكومة الجزائرية بتعديل كيفيات إعداد الشهادة الطبية المشترطة في عقد القران بين الزوجين. وقد ورد في المرسوم التنفيذي رقم 24 - 366 المؤرخ في 5 جمادى الأولى عام 1446 الموافق لـ7 نوفمبر/ تشرين الثاني عام 2024، أن الهدف هو ضبط كيفية إعداد الشهادة الطبية بعد الفحص الإلزامي.

ويهدف المرسوم المتعلق بتعديل الشهادة الطبية والفحوص والتحاليل إلى الكشف عن الأمراض المتنقلة أو عوامل الخطر التي قد تسبب لطالبي الزواج بمشاكل صحية.

وفي التفاصيل يشترط المرسوم إجراء فحص طبي لدى طبيب ممارس على كل من طالبي الزواج، ثم تسليمهما شهادة طبية.

واعتبر المرسوم أن الشهادة الطبية لا يتم تسليمها إلى طالبي الزواج إلا بعد إجراء فحوصات قياس الضغط وقياس الوزن والطول والفحص العيادي.

ومن جانب آخر، نص المرسوم على عدم تسليم الشهادة الطبية إلا بعد إجراء تحاليل وفحوص بيولوجية وتحديد فصيلة الدم وفحوص مصلية لداء الحصبة والمقوسات. وتتمثل الفحوص البيولوجية في اختبار التهاب الكبد الفيروسي «ب» و«ج» واختبار لفيروس العوز المناعي.

كذلك ألزم المرسوم الجديد الموثق أو ضابط الحالة المدنية بعدم تحرير عقد الزواج إلا بعد تقديم الشهادة الطبية لطالبي الزواج.

والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم هو هل تكفي هذه الخطوة للحد من العواقب الوخيمة الناجمة عن زواج الأقارب أم أنه بات من المستحسن الابتعاد عنه لضرورات صحية علمًا أنه لا يُوجد قانون يمنع هذا الزواج؟

قبل إجابته على هذه التساؤلات، يُسارع الدكتور محمد كواش، الطبيب والباحث في الصحة العمومية، إلى تقديم تصوره الخاص للمشكلة التي يعالجها تحقيقنا، قائلا إن «الأمراض النادرة أو المُلقبة بالأمراض اليتيمة قليلة الحدوث ولكنها موجودة، وهي صعبة العلاج ومكلفة بالنسبة للمرضى أو الدولة، وعادة ما نجد شخصا واحدا مصابا بمرض نادر من أصل 600 ألف».

قامت الحكومة الجزائرية بتعديل كيفيات إعداد الشهادة الطبية المشترطة في عقد القران بين الزوجين. وقد ورد في المرسوم التنفيذي رقم 24ـ366 المؤرخ في 5 جمادى الأولى عام 1446 الموافق لـ7 نوفمبر/ تشرين الثاني عام 2024، أن الهدف هو ضبط كيفية إعداد الشهادة الطبية بعد الفحص الإلزامي

وكي تظهر هذه الأمراض المخفية، يقول امحمد كواش إنه يجب أن يكون الزوجان قريبين من الدرجة الأولى، أي أنهما يشتركان في الجينات الوراثية ذاتها.

وهو ما يُسبب ضعف الخلقة للأبناء ووجود مشاكل صحية ونفسية. وقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا النوع من الزواج خشية من انتقال الأمراض بسبب الكروموسوم المتنحي الأب والأم. وإذا اجتمعوا في الابن فيكون كروموسوم سائدا.

وقد تلقى الأطباء الجزائريون تعليمات تقضي بضرورة توعية الأقارب المقبلين على الزواج للأخطار الطبية الناجمة عن هذا الزواج وإمكانية تقصي التاريخ المرضي للأسرة وما إذا كانت بعض الأمراض متوارثة بين أفرادها، مثل مرض الثلاسيميا، وهو مرض وراثي ينتقل من الآباء إلى الأبناء ويعتبر من أمراض الدم ويُصبح الجسم غير قادر على إنتاج الهيموغلوبين بشكل طبيعي. وهناك أيضا مرض الهيموفيليا وهو عبارة عن نزف وراثي يؤدي إلى عدم تجلط الدم بالشكل الصحيح مما يمكن أن يُسبب نزفا تلقائيا. لكن يبقى هذا القرار غير كاف. فالمطلوب اليوم ضرورة إجراء الفحوص الوراثية، وهي تحاليل شاملة للحمض النووي للفرد بهدف الكشف عن أي تغييرات جينية قد تكون مرتبطة بأمراض وراثية سواء كانت موجودة حالياً أو قد تظهر في المستقبل. وهي غير متوفرة حالياً في الجزائر وباهظة الثمن.

الإنصات.. قمة الأدب

محمد النغيمش

يقول العلامة ابن خلدون إن «قمة الأدب أن تنصت إلى شخص يحدثك في أمر أنت تعرفه جيدًا وهو يجهله». هذا الرجل لا يتحدث من فراغ، فقد قضى حياته في التجوال بين ثقافات متعددة، منها 24 سنة في تونس، و26 سنة متنقلاً بين أرجاء المغرب والأندلس، و24 سنة في مصر والشام والحجاز. وهو ما أثمر على ما يبدو في تكون فضيلة الإنصات لديه التي أعانته على تبصر حال الأمم المتقدمة آنذاك (الأندلس) والمتأخرة قليلاً عنها، فدون لنا رائعته (المقدمة) التي كانت نواة لعلم الاجتماع الحديث الذي نفهم من خلاله الشعوب.

معضلة المستمعين تنشأ عند التظاهر بالعلم والإلمام بجوانب القصة قبل أن يكمل المتحدث حديثه. مع أنٍ المتكلم يكرر ما يَعْرف، أما المنصت فيتعلم شيئاً جديداً بحسن إنصاته. وأثمن ما يدركه المنصت أن محدثه لا يفقه شيئاً مما يثرثر به. وإذا لم يعترف المرء صراحة بأنه لا يعلم بواطن الأمور سيجد نفسه يزاحم المتحدثين في كل شاردة وواردة حتى يثبت أن لديه «إلماما» بالموضوع. هي محاولة لردم هوة الشعور بالنقص بمجريات الحوار. ولهذا يطمئن سقراط هؤلاء بقوله «الحكمة الحقيقية هي أن تعرف أنك لا تعرف شيئاً».

ويردد فقهاء المسلمين: من قال لا أعلم فقد أفتى.

فأولى خطوات التعلم الاعتراف بجهلنا. والخطوة الثانية تأتي بالإنصات الصادق بكل جوارحنا بقصد الفهم والتعاطف. فليس كل من يرهف السمع يخرج بحصيلة معرفية كافية، والدليل أن مستمعين يفهم أحدهما القصة ولا يفهمها الآخر لأنه كان شارد الذهن.

فلسفة الإنصات تقوم على محاولة فهم ما يريد إيصاله المتكلم من معلومات وأفكار ومشاعر. وفي لحظة المقاطعة ينقطع حبل الأفكار وتتبعثر المشاعر، وكثرة المقاطعات تفسد مشاعر البوح فيضيق صاحبها ذرعًا بجليسه ليبحث عن أذن أخرى مرهفة.

الدقائق الأولى في الحوار في غاية الأهمية، وهي ملك المتحدث لا يجدر بالمستمعين أن ينازعوه عليها. ولذلك من أبجديات الدبلوماسية أن يصغي السفير باهتمام إلى حديث رئيس الدولة المضيفة مهما كان عمق اطلاعه على الموضوع تجنباً لأي إيحاء بالتعالي أو عدم الاحترام. وهذا يشمل كل إنسان حتى لو كان يعيد الفكرة مرات عديدة، التي قد تعود لأسباب متعلقة بإحساسه بأن المتلقي لا يتفاعل معه فيضطر إلى التكرار. ولذا يرتاح المتكلم حينما نُظهِر له إيماءات تنم عن تركيز واهتمام وفهم.

أحياناً نضطر إلى عدم إظهار العلم بالشيء على أمل أن يؤكد المتحدث معلوماتنا أو يصححها. يا لها من طريقة ذكية في تعزيز الأدب وترسيخ المعلومة. فالبعض ما أن يدرك أن جليسه لديه علم بالموضوع يضطر إلى اختصاره فتفوتنا جوانب مهمة لم تتناهَ إلى أسماعنا.

الإنصات يزيد الحصيلة المعرفية وهو سبب لإدخال السرور على قلوب الناس. والإنصات نافذة نطل بها على عوالم الآخرين، وبحسنه ننال شرف المعرفة مرتين، تارة بالعلم وتارة بالأدب.

حكاية من شوق

المرمار فهد الحسن

حكايتنا:
صهيل يؤجج فوهة الصمت
وأزمنة تعيد الشوق
إلى سكون الضوء والجمرات
لا ماء يغمرنا من ذاك السحاب
الذي شكله رصيف البرق
والملهاة
والمدن ظل مهاجر
وموانئ
نقشت وشمها على سدرة
الماء
ليؤرخ السجانون
مشهداً متخيلاً
ينفث أحلامنا كدخان تائه
أرقه الكلام

***
وصايا الريح
بين وصايا النبوءات
ما يشبه البوح
كالظل
بنفسجياً كان أم أزرق
بريقان مدلهمان
يسطوان
على شرائع الريح
وهما يرفلان
بما تيسر لهما
من صبوة الصخر
أو من هزائم الوقت
كهمهمات فراشة
لما تزل
توشوش لقداسها
وتمضي

أحزان
ما بعد نشوة الجماع

يعاني رجال كثيرون من ظاهرة قليلاً ما يجري تداولها علانية وبصراحة، على غرار أشياء عديدة تتعلق بالجنس عند الذكور، تُسمّى «أحزان ما بعد نشوة الجماع». ومن الشائع تماماً معرفة أن نساءً كثيرات يُصبن بكآبة ما بعد الولادة، على الرغم من الفرح الذي يتوقع غالباً أن يرافق ذلك الحدث. وكذلك يُعرف عن شريحة واسعة من الإناث معاناتهن حزناً يعقب انتهاء الجماع، حتى لو جرى بشكل ممتع ووصلن فيه إلى النشوة.
في الآونة الأخيرة، ظهرت غير دراسة وثّقَت معاناة كثيرٌ من الرجال لتلك المشاعر المتضاربة. وتبيّن أيضاً أن هنالك رجالاً يحزنون ويبكون ويصلون إلى حافة التوتر المَرَضي، عقب الانتهاء من الجماع والمرور بالنشوة الجنسيّة!

أحزان الرجال

وعلى مدار عقود مديدة من عمر الطب الحديث، لم تكن خافية معاناة الإناث لظاهرة «الاغتمام بعد الجماع». وفي المقابل، اقتضى الأمر انتظار العقد الثاني من القرن 21، قبل أن تُنجَز دراسة أولى من نوعها عن وجود تلك الظاهرة عند الذكور. وقد نهض بها آنذاك فريق أكاديمي في «جامعة كوينزلاند للتكنولوجيا» الأوستراليّة، ونشر نتائجها في «المجلة العالميّة للجنس والعلاج الزوجي».
وحينها، أجريت تلك الدراسة عبر الإنترنت مع الحفاظ على سرّية هوية المشاركين فيها. وشملت 1208 رجال من أوستراليا وأميركا وبريطانيا وروسيا وألمانيا ونيوزيلاندا. وأفاد 41% ممن شملتهم الدراسة أنهم عانوا «أحزان ما بعد الجماع» في وقت ما من حياتهم، وكابدها خُمسَهم خلال الأسابيع الأربعة التي سبقت الدراسة، فيما أفاد 4% منهم عن معاناة ذلك الألم بصورة مستمرة ومنتظمة.
ووفق توضيح من الخبراء الذين نهضوا بتلك الدراسة حينها، تراوحت أعراض «أحزان ما بعد الجماع» بين النفور من ملامسة الشريك الجنسي كليًا، والتوتر المتمازج مع الأسى والسخط، إضافة إلى الإحساس بفراغ داخلي شامل وانعدام المشاعر كليًا.
وبالنتيجة، خلص أولئك الخبراء الى استنتاج مفاده أن تجربة الذكر الجنسيّة تبدو أعقد مما ساد الاعتقاد بشأنها طويلاً. وكذلك رجّحوا أن تستند ظاهرة «أحزان ما بعد الجماع» إلى أسباب متنوّعة وجديرة بالتحرّي عنها.

صراع في اللاوعي

ومن وجهة نظر المدرسة الفرويدية في التحليل النفسي، من المستطاع النظر إلى الأحزان التي تلي النشوة الجنسية، سواء عند الذكور أو الإناث، إلى صراع في اللاوعي البشري، وهنالك ما لا يحصى من الظواهر والمواقف التي يظهر فيها، للعين الفرويدية التي تذهب إلى ما وراء المنكشف والواعي، ذلك التمازج والتصارع بين طاقتي الموت واللذة. ولا يتسع المجال للتوسع في ذلك الأمر الذي تتوافر حوله، لمن يرغب في ذلك، كتابات غزيرة وكثيرة.
وهنالك أيضاً النظرة الرومانسية، ربما ليست بعيدة كثيرة من الفرويدية، التي تذهب إلى أن الجمال بحدّ ذاته، يحرك في الإنسان إحساساً بالحزن العميق. وقد يرتبط ذلك بأن لذة الجمال تذكر بالفناء عبر كونها عابرة وغير دائمة بحدّ ذاتها، بالإضافة إلى أن مَن يحس بها يعيش حياة يشكّل الموت الحقيقة المؤكّدة فيها.
وأيا كان الموقف الذي قد تميل إليه، فلعله من المفيد أن تبدأ أولا بملاحظة تلك المشاعر والاعتراف بها، ثم التفكير في الحصول على استشارة نفسية متخصصة، إذا بلغت تلك الأحزان حدّاً جامحاً ومؤذياً.

استراحة المزمار

نعيش الواقع بصدق بعيد عن أي رتوش.. ونحاول كسر حاجز الصمت في الإدلاء بما يمكن أن يُحكى عنه بكل صراحة، لا سيما أننا بحاجة إلى معرفة آراء من يعيش الواقع بالرغم من مؤسياته، وما الإنسان إلّا خلاصة ما استوعب من تجارب، فضلاً عن أنها تسلط الضوء على حياتنا الخاصة، ما يمكن أن تفيض به ذاكرتنا وما يحيط بنا من صور مفرحة وحزينة تلامس حكاياتنا النابضة بالحياة وما أكثرها.
استراحة "المزمار" تُعنى بعشاقه وبجماهيره ومحبيه.. وبالحالمين بغدٍ أجمل..

عبد الكريم البليخ

تأمل وإبداع

الكتابة تحمل الكثير من الإبداع والإمتاع والتأمل، وإن كانت تتضمن أيضاً الكثير من الخطورة والتحدي والمهارة!
عندما نكتب، فهذا يعني أننا نتنفس، وما دمنا نتنفس، فهذا يؤكد أننا نعيش حياة تتطلب منا أن نكون أكثر قوة وشجاعة، مخلصين في عملنا، أوفياء لمبادئنا. علينا أن نحترم وجهات النظر المختلفة، حتى وإن كانت تأخذ منحى آخر لا علاقة له بما يُطرح. وهذا كله يستند إلى الإيمان بالله تعالى، والتحلي بالصبر، الذي يعد أساساً لكل خطوة تهدف إلى تحقيق مستقبل واعد.
الكتابة، برأيي، وسيلة للتواصل والتعرف على الناس جميعاً، بغية التسابق لتحقيق الأمل والطموح.
وكما أن للكتابة شأنها، فإن المطالعة المستمرة لا تقل أهمية. فهي أساس التواصل وخلق الإبداع واحترام الآخر، كما أنها تسهّل التعامل مع الآخرين بروح عصرية. هذا أحد مكاسبها، وما نحاول أن نتعلمه ونمارسه.

الحب ومكانه الجديد

عندما نتحدث عن الحب وموقعه في المجتمع الحديث، فإننا لا نقصر الحديث على الطبقة الاجتماعية الغنية اللامعة أو غيرها، بل نناقش مكانته ومستقبله بالنسبة للمجتمع ككل.
إن مشكلة المجتمع – بكافة أطيافه – تكمن في السعي الحثيث لزيادة الإنتاج! في تكريس الجهود لرفع مستوى المعيشة، وتطوير المجتمع مادياً واقتصادياً واجتماعياً، ليهيئ بيئة تسمح للحب أن ينمو ويزدهر. ليصبح عاطفة صحية تعزز السلامة، بدلاً من أن يكون حالة مرضية أو سبباً للشذوذ.
لا يمكننا أن ندعي أنّ كل الناس في بلادنا يمتلكون سيارات من نوع تويوتا، سكودا، فولكس فاجن، بي إم دبليو، مرسيدس، أو كاديلاك، لمجرد وجود بضع مئات ممن يمتلكون هذه الأنواع الفاخرة. وبنفس المنطق، لا يمكننا أن نزعم أن الحب عاطفة شائعة لدى الجميع لمجرد أن هناك نسبة محدودة نسبيًا ممن يتمتعون بها.
لا يمكن القول إن كل شاب وشابة من الملايين الذين يعيشون في بلادنا، يمكنهم، بفضل ظروفهم المادية والاجتماعية والثقافية، أن يستقلوا في اختياراتهم ويعيشوا تجربة الحب بمعناها العميق، أو يستمتعوا بالأشياء الجميلة والعواطف النبيلة. فالثراء في بلادنا – كما كان وما زال – يظل حكراً على قلة، والحب أيضاً ظل مقصوراً على بعضهم، مثلما ظل تذوق الجمال تجربة محدودة لا تتاح للجميع.
هناك ملايين من الناس يرهقهم السعي لتلبية احتياجاتهم الأساسية، من غذاء وصحة وملبس وراحة، وهذه الاحتياجات تحرمهم من فرصة اختبار أشكال الحب المختلفة والاستمتاع بجمال البشر والفن والطبيعة. وفي المقابل، توجد قلة جعلت من الحب حرفة، كما لو أنه مهنة تؤدى، مثلها مثل فلاحة الأرض.
وعندما يتحول الحب إلى حرفة لدى البعض، يفقد معناه الحقيقي ويغدو مجرد أدوار تمثيلية تؤدى وتُبدل وفق الظروف، مما يؤدي إلى تقديم صورة مشوهة للحب أمام المجتمع.

عُرف بملح الرجال ... لماذا تلجأ أغلب نساء الوسط المخملي الى الكذب والتفاخر؟!

احترام الآباء واجب مقدس

كثيراً ما نشاهد صوراً ومواقف في الأماكن العامة تثير الحزن والاستغراب. في المطاعم، الحدائق، عيادات الأطباء، المراكز الصحية، الشوارع، وحتى في زيارات الأقارب والأصدقاء. هذه المشاهد، بكل تفاصيلها، تفجّر اليأس وتستفز المشاعر، وتشمئز منها النفوس التي تحرص على فعل ما يرضي الله سبحانه وتعالى. وأين نحن من قوله تعالى: «ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً»؟
هذه الآية الكريمة تذكّرنا بقيمة البرّ بالوالدين، وهو ما أصبح غائباً في كثير من المواقف اليومية التي نراها. للأسف، انتشرت أفعال غير محببة، بل مؤذية، تعكس قلة احترام الأبناء والبنات لآبائهم وأمهاتهم، بل وصل الأمر في بعض الأحيان إلى الصراخ في وجوههم، أو إجبارهم على القيام بأمور لا تليق بمكانتهم.
في إحدى الحالات التي شهدتها، طلبت فتاة من أمها أن تخلع حذاءها أمام الطبيب، دون خجل أو مراعاة لهيبة الأم، في مشهد يثير الحرج والأسى. الأم، التي حملت أعباء التربية والعناية بابنتها لسنوات، تجد نفسها الآن أمام تصرف كهذا من ابنتها التي تنتظر يوماً أن تصبح زوجة وأماً! كيف يمكن لفتاة أن تتجاهل ما يفرضه الدين والأخلاق من احترام لأمها في موقف كهذا؟
وفي مشهد آخر، ترى شباباً يرافقون والديهم إلى الحديقة، يجلسون على المقاعد بينما يظل الآباء واقفين دون أن يلتفت أحد منهم لإفساح المجال لهم للجلوس. وكأن الأب والأم مجرد مرافقين بلا قيمة، رغم أن وجودهم هو الأصل في حياة هؤلاء الأبناء.
من الصور الأخرى التي تلفت الانتباه، دخول الأبناء إلى المطاعم قبل والديهم، دون أن يتركوا لهما مكانتهما في التقدم أو اختيار المقاعد المريحة. هذه المواقف تعكس تراجعاً كبيراً في القيم والأخلاق التي تعلّمناها حول احترام الوالدين وتقديرهما.
في كثير من الحالات، نشاهد أن الأم، التي قضت حياتها في خدمة أبنائها، تُعامل وكأنها خادمة. بدلاً من أن تُقدَّر ويُعتنى بها، تجد نفسها مضطرة لتحمل أعباء إضافية من أبنائها وبناتها الذين يبدو أنهم نسوا ما قدمته لهم من تضحيات.
الأبناء الذين بلغوا مرحلة النضج لا يجب أن ينسوا فضل والديهم عليهم. الأم التي سهرت الليالي وربّت وتحملت المشاق، تستحق أن تُدلَّل وتُعتنى بها، لا أن تكون عُرضة للتجاهل والإهانة.
لا شك أن احترام الأب والأم واجب مقدس لا يقبل الجدل. هذا الواجب يتجاوز الكلمات إلى الأفعال التي تعكس العناية والاهتمام، وتقدير الجهود التي بذلها الآباء من أجل أبنائهم.
على الأبناء أن يدركوا أن العمر يمضي بسرعة، وما يُغفَل عن أدائه اليوم من برّ للوالدين قد يتحوّل إلى ندم في المستقبل.
البرّ بالوالدين ليس مجرد واجب ديني، بل هو انعكاس للإنسانية والأخلاق والقيم التي تعبر عن جوهرنا كأبناء. الأب والأم هما الأصل والمرتكز في حياة كل فرد، واحترامهما ليس فقط ديناً علينا، بل هو شرف نؤديه بحبّ وامتنان.
فلنتذكّر دائماً أن الوالدين نعمة لا تُعوَّض، وأن أقل ما يمكن تقديمه لهما هو الاحترام والرعاية، ورد الجميل لهما بالطريقة التي تُرضي الله وتُكرّم إنسانيتهما.

ويبقى السكوت أجمل عتاب لكل من خاب الظن فيه

إلى أبناء وطني الأحبّة...

صباح الخير يا دموع الوطن الحيرى، يا نبض القلوب وأحلام المساء!
صباح الخير على كل أم وأب، على كل عاشق وحالم، على كل من يعيش مرارة المعاناة وأمل الغد.
صباح الخير على من ودّع أحبّته، مكلوماً بجروح لم تندمل، وعلى من حمل الإسلام ديناً نقيّاً بعيداً عن كل ما لوّث قدسيّته.
صباح الخير على من صافح زهرةً في ربيع عربيٍّ تحوّل خريفاً ويموت ببطء بين أنامل الزمن.
صباح الخير على أبناء وطني الذين يقاومون برد الشتاء وعواصف الحياة، يحملون فوق أكتافهم عبء السلاح الذي لم يجلب لنا سوى الخراب، والدمار، والفقر، والحرمان، والشتات.
صباح الخير على من أحبّ بصدق، بروح نقية في زمن طغت فيه الخرافات، والبغضاء، والطغيان.
صباح الخير على كل مهاجر حمل وطنه في قلبه ورمى بنفسه في عرض البحر، باحثاً عن كرامة مفقودة.
صباح الخير على كل عين ترقّ بذكرى وطن بعيد، وكل قلب يعتصر ألماً على حبيبٍ فارقه.
صباح الخير على كل عائلة اجتمع شملها بعد شتات، وعلى كل حلم بُني من جديد وسط ركام الأمل المكسّور.
ومساء الخير على طهارة أطفالنا، الذين يزرعون براءتهم في أرضٍ لا تزال جراحها نازفة.
مساء الخير على أمهاتنا الثكلى، وشيوخنا الصابرين، وآبائنا في مرقدهم، الذين رحلوا بأحلامٍ لم تكتمل.
مساء الخير على أطفالنا الذين هم ثمرة الربيع العربيّ، يتشبّثون بخيوط الأمل ويحلمون بمستقبلٍ أكثر إشراقاً.

إلى أحبتي...
أدعو لي ولكم على أمل اللقاء في أقرب زمن، حيث لا حزن ولا فراق، حيث الوطن يحتضن أبناءه من جديد.

دش بارد

تلقى أحد الصحفيين تذكرتي دعوة لافتتاح موسم «الباليه» الذي تقدمه احدى الفرق الأجنبية، ولكنه فوجئ بأن زوجته دست احدى صديقاتها مع زوجها لتناول العشاء عندهما، فاتصل بصديق له بالتلفون وقال له:

عندي تذكرتان لافتتاح الباليه هذا المساء، ولكن زوجتي قالت لي أنها دعت شخصين الليلة للعشاء عندنا، فما رأيك في أن تذهب أنت وزوجتك لتشهدا هذه الحفلة الجميلة؟

فأجابه صديقه بقوله:

آسف يا عزيزي.. فإننا مدعوان الليلة أنا وزوجتي التناول العشاء عندكما!

معقول!

اشتهر الاسكتلنديون ببخلهم الشديد، وذات يوم وقف مدرس الكيمياء في احدى المدارس الاسكتلندية يشرح لتلاميذه كيف تتآكل المعادن بواسطة الأحماض، وأخيراً أمسك بقطعة من النقود من فئة شلنين وقال:

- والآن سألقي بهذه القطعة في هذا الحامض فهل سيأكلها؟

فعجب المدرس لتسرع التلميذ في الاجابة: وسأله لماذا أجاب بهذه السرعة، وبلهجة التأكيد فقال:

- لأنه لو كان الحامض سيأكلها حقاً، لما فكرت أنت في أن تلقيها فيه!

رجل.. بمعنى الكلمة!

انا يا صديقي في منزلي السيد المطاع، صاحب الكلمة النافذة.

تصور أنني قلت لزوجتي أمس: «اريد ماء ساخناً».

- وهل أحضرته لك؟

- طبعاً وبأسرع ما يمكن .. فمن غير المعقول يا صديقي أن أغسل الصحون بماء بارد!

وعلى الفور أجاب أحد التلاميذ: لا .. لن يأكلها!

سمو مكانة المرأة

المرأة كانت وما زالت تمثل كياناً مهماً وحضوراً بارزاً في الأسرة والمجتمع، حيث تُعتبر ركيزة أساسية لاستقرار الحياة الأسرية والاجتماعية. من الضروري تقدير مكانتها واحترامها والعمل على تلبية احتياجاتها المشروعة باعتبارها حقاً أصيلاً من حقوقها الإنسانية. فالتعامل معها ينبغي أن يكون بكل ذوق ورقي، وليس كأداة تُستهلك ثم تُهمل، أو كخادمة يُقذف بها جانباً بعد الانتهاء من مهامها اليومية. هذا السلوك غير الإنساني لا يمكن أن يتقبله أي عاقل.

الأم ليست مجرد فرد في الأسرة، بل هي كيان مفعم بالأحاسيس والمشاعر الفياضة التي لا ينضب معينها. من واجبنا جميعاً أن نراعي هذه المشاعر ونهيئ لها الظروف التي تجعلها تشعر بالسعادة والاحترام. عندما تدرك الأم أن أسرتها تقدر جهودها وتثمن تضحياتها، فإنها تصبح أكثر استعداداً للعطاء بلا حدود.

تلبية احتياجاتها ومتطلباتها ليس مجرد واجب، بل هو استثمار في بناء أسرة قوية ومتينة. فالمرأة، حين تجد التقدير والدعم، تصبح قادرة على تجاوز الضغوط والصعوبات، وحتى على التعامل بصبر مع شريك حياة قد يكون غير منصف أو قليل المراعاة.

الحياة الزوجية ليست مجرد شراكة يومية، بل هي علاقة قائمة على العدل والاحترام المتبادل، والإخلاص، والتفاهم. المرأة ليست مجرد عاملة منزلية تنحصر مهامها في تربية الأطفال وتنظيف البيت وتلبية رغبات زوجها. بل هي شريكة حقيقية تساهم في بناء الأسرة واستقرارها. على الرجل أن يفهم أن المرأة ليست «آلة» تُدار لتلبية متطلباته فقط، بل هي إنسانة مفعمة بالمشاعر والأحلام، تحتاج إلى الحب والاهتمام والرعاية.

المرأة هي وردة البيت الجميلة التي تضفي عليه عبق الحب وروح الألفة. غيابها يعني فقدان الأسرة لروحها وأساسها. وجود الأم – الزوجة في المنزل هو ضمانة للأمان والاستقرار والثقة بالنفس، وهو ما يمنح الأسرة متعتها وأملها بالمستقبل.

علينا أن نتعلم كيف نفهم المرأة ونعي دورها جيداً. لا يجوز أن تُركن جانباً كما لو كانت قطعة أثاث في المنزل. بل يجب أن يُنظر إليها باعتبارها القلب النابض للأسرة، الذي من دونه تفقد الأسرة كثيراً من أسسها وقيمها.

وجود الأم – الزوجة يعني وجود الأمان والسعادة في الأسرة. إنها ليست مجرد فرد يقوم بمهام معينة، بل هي كيان يحمل الأسرة كلها على كتفيه. دورها يتجاوز كل المعايير والقيم المادية؛ فهي الحاضنة التي تجمع شمل الأسرة وتمنحها القوة والدفء.

لا شك أن غياب الأم يؤدي إلى تفكك الأسرة وانهيارها. لهذا، يجب أن ندرك أن استمرارية الأسرة وسعادتها تعتمد بشكل كبير على وجودها ودورها الفاعل.

حماية المرأة واحترامها وتأمين احتياجاتها ليست ترفاً، بل هي ضرورة للحفاظ على كينونتها ودورها الفعّال. المرأة ليست مجرد جزء من الأسرة، بل هي عمودها الأساسي. هذه الحقيقة يجب أن يعيها الجميع، فلا يمكن إنكار أهمية حضور المرأة في المنزل وأثره العميق على استقرار الأسرة وسعادتها.

في النهاية، الأم – الزوجة تظل محتفظة بمكانة لا تعلوها مكانة أخرى. قيمتها تتجاوز كل المعايير المادية، ولا يمكن مقارنتها بأي شيء آخر. دورها هو الركيزة الأساسية في بناء أسرة سعيدة ومستقرة، وهو ما يجعل تكريمها واحترامها أولوية لا تقبل النقاش.

أغواني السفر بالتعرّف على الناس، وعلّمني التسامح والصبر واحترام عادات الآخرين وأفكارهم..

عندما يتحوّل النبل إلى قناع

ما زال هناك أشخاص نتوهم أنهم يحملون صفات من النبل والبساطة والمحبة، بينما هم في الواقع يسعون إلى استغلال الآخرين والضحك على عباد الله. لكنهم، في نهاية المطاف، لا يخدعون إلا أنفسهم. هؤلاء الأشخاص هم عالة على المجتمع، يتفاخرون بشهادات وأوسمة لم يحصلوا عليها إلا عبر الوساطة أو بدفع المعلوم.

إن ما يعيشونه ليس سوى تهيؤات بنوا حياتهم عليها، متسترين تحت عباءات فخرية زائفة. يسعون للارتقاء إلى مواقع لا يستحقونها، مغتصبين أدوار غيرهم، بينما هم في الحقيقة أبعد ما يكونون عن الصفات التي يدّعونها. تجدهم يتباهون بأصولهم وأهلهم وعشيرتهم، متجاهلين أنهم ينظرون للناس بنظرة دونية، وكأنهم يعيشون في أبراج عاجية، مغلقة على عقولهم الخشبية، المنفصلة عن الواقع الذي نشأوا فيه.

تقرأ في نظراتهم البغيضة وكبريائهم المزيّف خبثاً ينبعث من كلماتهم. هم لا يتوانون عن ازدراء الآخرين، غافلين عن الحقيقة الواضحة: أن الزمن لن يكون في صالحهم. في عالم اليوم، حيث الميديا تكشف الحقائق يومياً، بات الناس قادرين على التفريق بين الصدق والزيف، بين الخيط الأبيض والأسود.

لقد لفظ المجتمع هذه الشخصيات المقرفة، وأصبح يتجاهل زيفهم وتحايلهم، الذي لم يعد له مكان في مجتمعاتنا المرهفة بمآسيها. هؤلاء المغالون بماضيهم وشهاداتهم المسوخة باتوا جزءاً من الماضي، الذي لم يعد له أي قيمة تُذكر.

نقولها بصوت عال: اصحوا من غفلتكم أيها المتخفّون خلف الزيف. أوراقُكم باتت مكشوفة أمام الجميع، وزيفكم وادعاءاتكم أضحت جزءاً من التاريخ الذي لا يلتفت إليه أحد....

ما مبرر صداقة المصلحة؟

الصداقة مفهوم نبيل يرتكز على قيم سامية مثل الوفاء والإخلاص والاحترام المتبادل. ومع ذلك، يبرز في مجتمعنا اليوم شكل مختلف من العلاقات يُطلق عليها «صداقة المصلحة»، التي تُبنى على دوافع مادية أو نفسية تخدم طرفاً دون الآخر، وهي علاقات سرعان ما تؤول إلى الفشل لأنها تفتقر إلى الأسس الحقيقية التي تضمن استمراريتها.

نعم، يمكن أن يتحوّل بعض الأصدقاء إلى أعداء في صورة منافقين يتظاهرون بالولاء بينما يخفون نواياهم الحقيقية. هؤلاء الأصدقاء غالباً ما يتعاملون بمنطق الاستفادة الشخصية دون أدنى اعتبار لمشاعر الطرف الآخر أو لخصوصية العلاقة. والحيلة أمام أمثال هؤلاء تكمن في الحكمة والوعي؛ إذ يجب أن نتعلم التمييز بين الصديق الحقيقي، الذي يُقدّم الدعم والصدق، وبين الصديق الذي يتخذ من الصداقة وسيلة لتحقيق غاياته الخاصة.

الصداقة الحقيقية تنبع من احترام عميق بين الأطراف، وتقوم على الصدق والصراحة. هي علاقة تُبنى على أسس متينة تعززها المواقف الصعبة التي تختبر مدى صدق المشاعر. أما الصداقة المزيفة، فهي علاقة تفتقر إلى الروح الحقيقية، وتستنزف الطرف الآخر دون أن تمنحه شيئاً في المقابل. مثل هذه العلاقات، مهما حاول أصحابها تجميلها بالكلمات أو التظاهر بالإخلاص، سرعان ما تنكشف وتفقد بريقها.

الصداقات التي تنشأ بهدف تحقيق مصلحة معينة غالباً ما تكون فارغة من أي مضمون حقيقي. هي علاقات مؤقتة، تنتهي بمجرد تحقيق الغرض منها. هذه العلاقات لا تدوم لأنها تفتقد إلى الركائز التي تجعل الصداقة تنمو وتزدهر مع مرور الوقت. إنها علاقات أقرب ما تكون إلى التعاقد المؤقت الذي ينتهي فور انقضاء مدته.

في عصرنا الحالي، بات العثور على صديق حقيقي أشبه بالعثور على جوهرة نادرة. الصديق الحقيقي هو من يحترم خصوصيتك، يدعمك دون انتظار مقابل، ويتقبل أخطاءك دون أن يحكم عليك. هو من يجعل الصداقة تجربة نقية تُثري حياتك وتمنحك شعوراً بالراحة والأمان.

لحماية الصداقة من أي شائبة، علينا أن نكون صادقين مع أنفسنا ومع الآخرين. يجب أن نحترم قيمة الصداقة وأهميتها، وأن نضع الحدود التي تحميها من التحول إلى علاقة استغلالية. علينا أيضاً أن نتعلم كيف نختار أصدقاءنا بعناية، وأن ننهي أي علاقة تؤدي إلى استنزاف عاطفي أو معنوي.

الصداقة الحقيقية تستمر لأنها تقوم على الصدق والإخلاص، أما صداقة المصلحة فهي زائلة لأنها تفتقر إلى المعنى. إنّ التمسك بالأصدقاء الحقيقيين الذين يضيفون قيمة لحياتنا هو السبيل للحفاظ على نقاء هذا المفهوم النبيل. أما الصداقات المبنية على الغش والخداع، فلا بد من إنهائها لأن وجودها أشبه بالسراب الذي لا يثمر.

الصداقة ليست مجرد كلمة؛ إنها التزام عاطفي وأخلاقي. ومهما تغيرت الظروف أو الأشخاص، تبقى العلاقات الحقيقية صامدة لأنها مبنية على المحبة الصادقة والنية الحسنة.

المَوهِبة نعمة تنطفئ اذا لم تعرف كيف ترعاها بالثقافة والمعرفة والتحدّي

يقول جان جاك روسّو: يولد الإنسان حرّاً، ولكنّه في كلّ مكان يَجرُّ سلاسل الاستعباد..

كاريكاتير

بريشة الفنان فارس قرة بيت

في الشبكة

توهج النجوم العرب

حصاد عام 2024 كان حافلاً بالإنجازات الرياضية في قارة آسيا، حيث تألق نجوم العرب وأثبتوا حضورهم في الساحة الإقليمية والدولية، ليصنعوا قصص نجاح مُلهمة أبهرت عشاق كرة القدم.

تصدر منتخب قطر المشهد القاري بتتويجه بلقب كأس آسيا للمرة الثانية على التوالي، في بطولة استضافتها الدوحة وشهدت حضوراً جماهيرياً لافتاً. قاد النجم القطري أكرم عفيف منتخب بلاده لتحقيق هذا الإنجاز التاريخي، حيث كان الأداء الإستثنائي لصانع الألعاب ملهماً طوال البطولة.

في المباراة النهائية أمام الأردن، سجل عفيف ثلاثية من ركلات الجزاء، ليمنح «العنابي» فوزاً مستحقاً بنتيجة 3-1. هذا الأداء لم يمر دون تكريم، إذ نال عفيف جائزة أفضل لاعب في آسيا لعام 2024، ليؤكد مكانته كأحد أبرز نجوم القارة.

حقق المنتخب الأردني إنجازاً استثنائياً بوصوله إلى نهائي كأس آسيا للمرة الأولى في تاريخه. قاد موسى التعمري منتخب «النشامى» بمهاراته الفريدة وقدرته على تسجيل الأهداف وصناعة اللعب، ليكون القوة الدافعة خلف هذا الإنجاز. لم يقتصر دوره على البطولة القارية، بل واصل تألقه في تصفيات كأس العالم، مسجلاً خمسة أهداف حاسمة قادت الأردن إلى المرحلة النهائية من التصفيات.

من جهة أخرى، برز المهاجم العراقي أيمن حسين كأحد أفضل الهدافين في القارة. أثبت اللاعب البالغ من العمر 28 عاماً حضوره القوي داخل منطقة الجزاء وسجل في جميع مباريات منتخب العراق في كأس آسيا، ليؤكد أنه قوة لا يستهان بها في هجوم «أسود الرافدين».

على صعيد الأندية، حقق فريق العين الإماراتي بقيادة المغربي سفيان رحيمي إنجازاً كبيراً بفوزه بدوري أبطال آسيا. كان أداء العين في المراحل الإقصائية مذهلاً، حيث أطاح بالهلال السعودي في نصف النهائي ثم تفوق على يوكوهاما إف مارينوس الياباني في النهائي. قاد رحيمي فريقه بمهاراته التهديفية الفذة ليضمن مكان العين في البطولات العالمية، مثل كأس القارات للأندية، حيث واصل الفريق تقديم أداء مميز.

في كرة القدم النسائية، خطفت الكورية الشمالية تشوي إيل سون الأنظار في كأس العالم للسيدات تحت 20 عاماً. أظهرت تشوي موهبة استثنائية بتسجيلها أهدافاً حاسمة قادت منتخب بلادها إلى تحقيق اللقب. نالت تشوي الحذاء الذهبي، لتثبت أن كرة القدم النسائية في آسيا تزخر بالمواهب الواعدة.

من تتويج قطر بلقبها القاري إلى الإنجازات الاستثنائية للأردن والعين الإماراتي، ومع بروز أسماء مثل أكرم عفيف وموسى التعمري وأيمن حسين، بالإضافة إلى التألق النسائي بقيادة تشوي إيل سون، كان عام 2024 علامة فارقة في تاريخ كرة القدم الآسيوية. هذه الإنجازات تعكس تطور اللعبة في القارة وترسخ مكانتها على الساحة العالمية، لتبقى ذكريات هذا العام مصدر فخر وإلهام للأجيال القادمة.

كأس العالم بين المغرب والسعودية

المرمار حفيظ دراجي

منح فيفا السعودية حق تنظيم بطولة كأس العالم 2034 وحدها، ووافق رسمياً على تنظيم المغرب لمونديال 2030 مع إسبانيا والبرتغال، وهو القرار الذي كان منتظراً منذ مدة في ظل غياب المنافسين، فأصبح الحلم حقيقة في ما يخص بلدين عربيين آخرين، بعد النجاح الباهر لقطر في نسخة عام 2022 الذي كسر حاجزاً كان يلازم بقية العالم تجاه البلدان العربية غير القادرة على صناعة الحدث في نظر كثير من صناع القرار في العالم، رغم نجاح جنوب أفريقيا عام 2010 في تحطيم تلك الصورة النمطية التي تعتبر بلدان العالم الثالث مجرد كيانات تسعى للمشاركة في المونديال لاستكمال عدد المنتخبات المشاركة، رغم ما فعله المنتخب المغربي في مونديال قطر عندما بلغ الدور نصف النهائي عن جدارة واستحقاق.

وساهمت نتائج منتخب أسود الأطلس في مونديال قطر بشكل كبير في موافقة فيفا على انضمام المغرب إلى إسبانيا والبرتغال لتنظيم نهائيات كأس العالم سنة 2030، وهو الذي فشل في خمس مناسبات سابقة منذ سنة 1994، فوجدت فيفا المناسبة فرصةً لمكافأة المغرب على سعيه المستمر، وجهوده في تشييد المرافق الضرورية، وتأهيل بنيته التحتية التي سمحت له بتنظيم عددٍ من الأحداث الرياضية القارية، خصوصاً نهائيات كأس أمم أفريقيا المقررة نهاية السنة المقبلة، التي تسمح له بإعادة تأهيل مرافقه الرياضية حتى لو احتضن أقل عدد من المباريات مقارنةً بإسبانيا والبرتغال كما هو منتظرٍ لأنهما الأصل في الملف الذي كان ثنائياً قبل أن تلتحق به المغرب.

أما فوز السعودية بتنظيم أول مونديال من 48 منتخباً وحدها، فيُشكل الحدث الأكبر رغم غياب المنافسين الذين يعتقدون أن التنظيم المنفرد صار مكلفاً جداً، يتطلب جهداً كبيراً ومالاً كثيراً، لا تقدر عليه إلا بضع دول حالياً، من بينها السعودية التي شهدت تحولات لافتة منذ أن انتهجت سياسة استقطاب النجوم إلى دوري روشن التي جعلت منها قبلة لعشاق الكرة في العالم، وسهلت عليها مأمورية تغيير تلك الصورة النمطية التي كانت مرتبطة بالسعودية بلداً إسلامياً مغلقاً لا يمكنه الاستجابة للشروط وتوفير الإمكانيات في نظر كثير من الرافضين لمبدأ تنظيم كأس العالم في بلد عربي ثانٍ وحده بعد قطر رغم النجاحات التي حقَّقتها.

ولن تكون مأمورية المغرب صعبة بعد ست سنوات من الآن وتحديداً في عام 2030، لأنه استجاب اليوم لكثير من متطلبات دفتر الشروط الخاصة بفيفا، كما أن إسبانيا والبرتغال يخففان عليه الضغط الذي كان مفروضاً على قطر سنة 2022، والمرتقب على السعودية بحكم تنظيمها المُنفرد للحدث، وتوجه الأنظار نحوهما بشكل استثنائي كونهما بلدين خليجيين تعرضا لكثير من الانتقادات وحملات التشكيك والتشويه، مثلما تعرض المغرب قبلهما مرات عديدة للإقصاء في كل محاولاته السابقة لاستضافة الفعاليات على مدى أكثر من عقدين من الزمن، لكنها ساعدته على بناء المرافق والمنشآت وتأهيل بنيته التحتية والاستثمار في قطاع الرياضة الذي تحول مع الوقت إلى وسيلة لتحقيق تنمية مستدامة كما فعلت قطر.

أما مهمة السعودية فستكون أصعب نسبياً وخصوصاً أنها مطالبة بتشييد 11 ملعباً جديداً، من أصل 15 ملعباً مخصصاً لاستضافة المباريات، بالإضافة إلى 230 ألف غرفة وشقة فندقية في المدن الخمس التي يتطلبها دفتر شروط فيفا في مُدن الرياض، جدة، الخبر، أبها، ونيوم، ما يعني إضافة ما يقارب 200 ألف غرفة فندقية جديدة على ما هو موجود حالياً، وهو ما يتطلب تخصيص موارد مالية كبيرة تحتاج إليها عمليات تشييد المنشآت الأساسية والمرافق المصاحبة الأخرى المرتبطة بالحدث، وتوفير كل الشروط والتسهيلات لاستقبال المنتخبات وجماهيرها بعد عشر سنوات من الآن، التي سيكون فيها العالم غير عالم اليوم على كل المستويات.

بعد نسخة جنوب أفريقيا 2010، ثم نسخة قطر 2022، سيأتي الدور على المغرب ولو بالاشتراك مع إسبانيا والبرتغال، ويأتي بعده الدور على السعودية في أكبر تحد على الإطلاق، لأنها ستُنظم المونديال وحدها بمشاركة 48 منتخباً.

أكثر 10 شخصيات تأثيراً في كرة القدم

تعدّ كرة القدم اليوم أكثر عولمة من أيّ وقت مضى، إذ تجاوزت حدود السياسة والثقافة والاقتصاد، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية في مختلف أنحاء العالم، بل شهدت نمواً هائلاً في العقد الأخير بما يشير إلى استمرار هذا الاتجاه في المستقبل القريب.

توجد شخصيات قوية تؤثر بشكل عميق في اتجاهات اللعبة، سواء على مستوى الملعب أم على الصعيد الإداري بعيداً من الكرة.

وصنّف موقع «GIVEMESPORT“ الإنكليزي أكثر عشر شخصيات تأثيراً في عالم كرة القدم اليوم بناءً على عدد من العوامل الرئيسة، منها التأثير الحالي في اللعبة، الانتشار العالمي، القوة المالية، الابتكارات التي قدّموها، والإنجازات التي حققوها.

وهنا أبرز هذه الشخصيات:

1 جياني إنفانتينو

الوظيفة الحالية: رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)

يعدّ جياني إنفانتينو أقوى شخصية في عالم كرة القدم اليوم، منذ تولّيه رئاسة الـ«فيفا». قاد العديد من الإصلاحات الكبرى في عالم كرة القدم، ويشرف على العديد من المبادرات التي تهدف إلى تحسين بنية اللعبة على المستوى العالمي، من بينها برنامج «FIFA Forward“ لدعم الاتحاداتٍ الوطنية.

وباعتباره لاعباً رئيسياً في تحديد من سيستضيف كأس العالم كلّ أربع سنوات، قاد إنفانتينو أيضاً توسيع البطولة من 32 فريقاً إلى 48 فريقاً، بدءاً من عام 2026، كما أشرف على تجديد كأس العالم للأندية، وخصص بطولة صيفية ستقام كلّ أربع سنوات، بداية من الدورة المقبلة 2025.

2 ألكسندر سيفرين

الوظيفة الحالية: رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا)

منذ أن تولى سيفرين رئاسة الاتحاد الأوروبي لكرة القدم «يويفا»، أصبح من أبرز صناع القرار في كرة القدم العالمية. بفضل خبرته القانونية، يشرف على تنظيم البطولات الكبرى مثل دوري أبطال أوروبا، ويعمل على تعزيز تطوير كرة القدم النسائية والشعبية في القارة.

3 أرسين فينغر

الوظيفة الحالية: رئيس تطوير كرة القدم العالمية في «فيفا»

المدرب الفرنسي الشهير أرسين فينغر، الذي قاد آرسنال لعدة سنوات، أحدث ثورة في مجال اللياقة البدنية وتنظيم النظام الغذائي للاعبين. أما الآن، وفي منصبه الحالي في الـ«فيفا»، فإنه يُشرف على تطوير كرة القدم العالمية، ويُسهم في تشكيل مستقبل اللعبة على مستوى الاحتراف والشعبية. ومن دون شكّ، فإن القرارات، التي يتّخذها الآن، قد تكون لها تأثيرات كبيرة على كيفية تطور اللعبة على مدى العقد المقبل.

4 بيب غواردیولا

الوظيفة الحالية: مدرب مانشستر سيتي

يُعتبر بيب غواردیولا أحد أكثر المدربين تأثيراً في العقدين الأخيرين؛ أسلوبه في الاستحواذ على الكرة، واستخدام التكتيكات المبتكرة مثل «الظهيرين المقلوبين»، أثّرت بشكل كبير على كرة القدم الحديثة، كما أن فلسفته في اللعب أطلقت موجة من التغييرات التكتيكية في العديد من الأندية الكبرى.

5 خورخي ميندیز

الوظيفة الحالية: وكيل لاعبين

يُعدّ خورخي ميندیز، وكيل اللاعبين البرتغالي، من أقوى الشخصيات في كرة القدم العالمية بفضل شبكة علاقاته الواسعة. ومن خلال وكالته «Gestifute“، يمثل ميندیز أبرز اللاعبين في العالم، مثل كريستيانو رونالدو وبرناردو سيلفا، وله تأثير كبير في الانتقالات والتعاقدات الكبرى التي تشهدها أسواق الانتقالات.

6 ليونيل ميسي

الوظيفة الحالية: لاعب في نادي إنتر ميامي

يُعتبر الأرجنتيني ليونيل ميسي من أعظم اللاعبين في تاريخ كرة القدم، وقد أثرت أساليبه الفريدة في المراوغة على طريقة لعب العديد من اللاعبين في جميع أنحاء العالم. وإلى جانب مهاراته الفنية، أسهم ميسي في تشكيل ثقافة كرة القدم الحديثة، ولا يزال تأثيره محسوساً في الأجيال الجديدة من اللاعبين.

7 كريستيانو رونالدو

الوظيفة الحالية: لاعب في نادي النصر

يعتبر كريستيانو رونالدو أكثر لاعبي كرة القدم متابعة على منصات التواصل الاجتماعي، حيث يتابعه أكثر من 645 مليون شخص عبر إنستغرام، مما يعكس مدى تأثيره الثقافي الواسع؛ وبفضل إنجازاته الرياضية المذهلة، أصبح رونالدو مصدر إلهام للعديد من اللاعبين حول العالم، ورفع معايير اللياقة البدنية في كرة القدم إلى مستويات غير مسبوقة.

8 يورغن كلوب

الوظيفة الحالية: رئيس قسم كرة القدم العالمية في شركة ريد بُل

إنه من أبرز المدرّبين الذين أحدثوا ثورة في تكتيكات كرة القدم الحديثة، حيث طوّر أسلوب «الضغط العكسي» الذي أصبح أحد الأساليب الرئيسية في كرة القدم الحديثة. تأثيره تجاوز فريقه ليفربول ليشمل العديد من المدربين في أوروبا وحول العالم. ويواصل كلوب التأثير على طريقة لعب الفرق بفضل فلسفته التكتيكية.

تبنت كرة القدم الألمانية هذه الفلسفة بشكل خاص، حيث أصبح الدوري الألماني ملاذًا لعشاق الضغط المضاد في منتصف وأواخر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين. وتعلم العديد من المدربين كيفية تنفيذ أنظمة الضغط المتماسكة، بناءً على أفكار كلوب الأولية ومبادئه الأساسية.

9 فلورنتينو بيريز

المنصب الحالي: رئيس ريال مدريد

يعد فلورنتينو بيريز، رئيس نادي ريال مدريد، من أبرز الشخصيات في كرة القدم الأوروبية والعالمية، بفضل سياساته المالية المبتكرة، بما في ذلك الاستثمار في اللاعبين البارزين وإطلاق دوري السوبر الأوروبي. أصبح بيريز قوة دافعة في تطور كرة القدم الأوروبية، كما أن استثماراته في الفريق تؤثر بشكل كبير على سوق الانتقالات العالمي.

10 كارلو أنشيلوتي

الوظيفة الحالية: مدرب ريال مدريد

يعتبر الإيطالي كارلو أنشيلوتي أحد أبرز المدربين في تاريخ كرة القدم المعاصرة. يعتبر أسلوبه التدريبيّ المستند إلى السماح للاعبين بالتعبير عن أنفسهم وتطوير أساليب لعب مخصصة لكل فريق من أبرز الإسهامات التكتيكية التي أثرت في العديد من المدربين حول العالم. ويعدّ إرث أنشيلوتي، الذي امتدّ كلاعب ومدرب، جعل منه شخصية مؤثرة في مجال التدريب، حيث سيستمر تأثيره لعقود بعد اعتزاله.

غادة شعاع

رمز رياضي في مواجهة قمع النظام السوري

عبد الكريم البليخ

غادة شعاع، صاحبة الميدالية الأولمبية الذهبية الوحيدة في تاريخ سوريا، ليست مجرد رياضية بارزة، بل هي شاهدة على عقودٍ من القمع والفساد في ظل نظام الأسد الذي دمّر جيلاً كاملاً من الرياضيين السوريين. منذ فوزها بالميداليةِ الذهبية في أولمبياد أتلانتا 1996، ظلت شعاع تمثل صوتاً حراً يروي معاناة الرياضيين السوريين، الذين طالهم ظلم نظام لا يعترف إلا بالقمع.

رغم كل ما عانته، لا تزال غادة شعاع متفائلة بمستقبل سوريا. ترى في سقوط النظام فرصة لبناء وطن جديد يقوم على العدالة والكفاءة. تقول: «رغم الغموض، لدي أمل كبير أن تخرج سوريا من هذه الأزمة لتصبح وطناً لكل من يحبها ويؤمن بها». ورغم الإنجاز التاريخي الكبير الذي حققته، عانت غادة شعاع من التجاهل والتهديدات من قبل نظام الأسد.

تقول شعاع «عائلة الأسد سرقت فرحتي، ففوزي كان من أجل الشعب السوري وليس النظام الذي ادعى تمثيله للسوريين». تضيف: «تلقيت وعوداً كثيرة بعد فوزي، لكن كل ما حصلت عليه كان الأكاذيب والتهديدات. حتى حافظ الأسد هدد بقتلي عبر أجهزته الاستخباراتية عندما رفضت الادعاء بأنه كرّمني أو منحني حقوقي».

بعد أولمبياد سيدني عام 2000، اضطرت غادة للبقاء في ألمانيا بسبب إصابة تعرضت لها، ما أدى إلى فرض عقوبات مالية عليها من النظام السوري. تقول: «لا يمكن تصور حجم القمع والظلم الذي عشته. تعرضت لتهديدات بالقتل بشكل مستمر، وآخرها كان في عام 2021 عندما وجدت متفجرات تحت سيارتي».

رغم هذه المخاطر، عادت شعاع إلى سوريا عام 2022 بسبب مرض والدتها، لكنها وجدت نفسها محاصرة بمزيد من الضغوط، بما في ذلك تعيينها مستشارة رياضية تحت تهديدات النظام.

تشير شعاع إلى أن الاتحاد الرياضي العام، الذي أسسه حافظ الأسد في عام 1971، أصبح «مقبرة للرياضيين». تشرح: «الفساد استشرى في الاتحاد بشكل لم يترك مجالاً للإصلاح. يتم تعيين مسؤولين فاسدين مكان مسؤولين فاسدين آخرين، مما دمر جيلاً كاملاً من الرياضيين».

تتهم شعاع رئيس الاتحاد السابق، فراس معلا، باستخدام سلطته لقمع الرياضيين واستغلال منصبه لخدمة مصالح عائلته المرتبطة بالنظام. وتطالب بمحاكمته أمام الشعب السوري على الجرائم التي ارتكبها.

بعد سقوط نظام الأسد في ديسمبر 2024، وصفت شعاع هذا الحدث بأنه «عرس سوريا»، معربة عن أملها في أن تؤدي هذه اللحظة التاريخية إلى بناء وطن أفضل. تطالب غادة الحكومة الجديدة بإنشاء وزارة مستقلة للرياضة وتبني سياسات تعزز الكفاءة والنزاهة.

رغم كل ما عانته، لا تزال غادة شعاع متفائلة بمستقبل سوريا.. ترى في سقوط النظام فرصة لبناء وطن جديد يقوم على العدالة والكفاءة

كما تدعو إلى إرسال الرياضيين السوريين الواعدين إلى الخارج لصقل مهاراتهم، وإعادة المواهب التي فرت من البلاد بسبب القمع والفساد.

ورغم مطالب التغيير، تؤكد غادة على أهمية الاحتفاظ بالعلم الذي فازت تحته بميداليتها الذهبية، قائلة: «هذا العلم ينتمي إلى الشعب السوري وليس لنظام الأسد. يجب أن نتقدم للأمام، لا أن نعود إلى الوراء».

تشدد شعاع على ضرورة تمكين النساء السوريات في المناصب القيادية، قائلة: «بناءِ الرياضة جزءٍ مهم من نجاح أي بلد، سواء كانَ النجاحِ سياسياً أو اقتصادياً. يجب أن تلعب السوريات دوراً كبيراً في هذه المرحلة».

غادة شعاع ليست فقط بطلة رياضية، بل رمز للشجاعة والصمود في وجه الظلم، وصوت يطالب بالحرية والكرامة لشعب يستحق مستقبلاً أفضل.

ع. الهادي

زيزو "حيّر" الزمالك وكولر يلعب في "العداد" !

عيد فؤاد

وضع مجلس إدارة نادي الزمالك برئاسة الكابتن حسين لبيب نفسه في مأزق أمام جماهير القلعة البيضاء، بعدما أعلن موافقته على الاستجابة لطلبات نجم الفريق الأول لكرة القدم أحمد السيد زيزو وتجديد النادي تعاقده معه بالمبلغ الذي طلبه اللاعب، وهو 100 مليون جنيه في الموسم الواحد. نسي مجلس «البيت الأبيض» أن تلبية هذا الطلب الغريب يعني حدوث انقسام كبير قد يصل إلى حد الانشقاق في غرفة خلع ملابس الفريق، بل وربما تأليب باقي اللاعبين وانقلابهم على مجلس الإدارة الذي وضح أنه يكيل بمكيالين، في وقت يعاني فيه النادي أصلاً من أزمة مالية طاحنة تكاد تعصف به. توجد مستحقات متأخرة لجميع اللاعبين لدى النادي لم يحصلوا عليها منذ شهور، سواء مرتبات أو مستحقات مالية من تعاقداتهم مع الزمالك، أو الذين انتهت عقودهم وسيضطر النادي إلى تجديدها مثل عبد الله السعيد، الذي من المتوقع أن يجدد النادي له موسماً آخر، إضافة إلى نبيل عماد دونجا، والذي ينتهي تعاقده مع النادي بنهاية الموسم الحالي 2025/2024، والتونسي حمزة المثلوثي الذي أصبح من حقه التوقيع لأي نادٍ آخر في الميركاتو الحالي، وإن كانت رغبته الأولى حتى الآن هي البقاء بالزمالك.

كافة المؤشرات تؤكد أن مشكلة الزمالك الحقيقية تكمن في كيفية توفير السيولة المادية اللازمة لتجديد عقود لاعبيه الأربعة الذين يعدون من أهم أعمدة الفريق. وإن كانت تبدو للجميع أن المشكلة الأكبر تتمثل في كيفية إقناع زيزو بالبقاء مع منحه وعوداً مكتوبة بالالتزام بتوفير المبالغ المالية المطلوبة حتى يستمر مع النادي ثلاث مواسم أخرى، سواء من خزينة النادي أو من محبيه.

مجلس إدارة الزمالك يسعى جاهدًا لتوفير مقدم عقد اللاعب على الأقل حتى يوافق على البقاء داخل جدران ميت عقبة أو يحمل عصاه ويرحل إلى الخليج للاحتراف في الدوري السعودي على وجه التحديد، والذي يعد الأقرب إليه عن أي وقت مضى، في ظل تعثر مجلس إدارة الزمالك حتى الآن في إنعاش خزينة النادي وحل الأزمة المالية التي يمر بها وتحول دون التجديد للاعبيه الأربعة، بمن فيهم زيزو.

وإذا كان زيزو قد أصبح على أعتاب الرحيل من ميت عقبة في حالة فشل مجلس إدارة ناديه في تلبية طلباته، إلا أنه على الجانب الآخر، وفي النادي المنافس وهو الأهلي، نجد أن اللاعب الجزائري أحمد القندوسي أصبح يمثل صداعاً كبيراً في رأس مجلس الإدارة برئاسة الكابتن محمود الخطيب. باتت عودة اللاعب ضرورية للفريق عقب انتهاء إعارته، في ظل حاجة خط الوسط إلى جهوده، وإن كان الواقع يشير إلى صدام محتمل بين بيبو والسويسري مارسيل كولر، نتيجة رفض الأخير عودة القندوسي، على الرغم من أن اللاعب "مكسّر الدنيا" مع فريقه الحالي. تسبب هذا في الضغط على إدارة الأهلي والخواجة من أجل الموافقة على عودته إلى صفوف الفريق للاستفادة من جهوده، على الأقل في بطولة كأس العالم للأندية بنظامها الجديد، والتي تقام في أمريكا خلال الفترة من 14 يونيو وحتى الثالث عشر من يوليو 2025 القادم بمشاركة 32 فريقاً.

المعلومات المتوفرة لدي تؤكد أن "عناد" الخواجة مع مجلس الإدارة والتمسك برأيه في عدم السماح بعودة القندوسي للفريق يعني أنه، أي كولر "يلعب في عداد بقائه" بالنادي مستقبلاً. وأن تجديد عقده هو شخصياً مع النادي قد يصبح محل شك في ظل "تطفيش" الخواجة نفسه العديد من العناصر المهمة من الفريق للاحتراف الخارجي، سواء بالبيع النهائي أو للإعارة مثل حمدي فتحي، أو أحمد عبد القادر، أو أليو ديانج، أو محمد عبد المنعم، ومعهم القندوسي بالطبع.

جمع بين الإعلام والقيادة الرياضية

مؤيد البدري

شيخ المعلقين الرياضيين العرب في شريط الذكريات

البدري والكويتي أحمد السعدون.. طردا إسرائيل من الاتحاد الآسيوي لكرة القدم

المرمار محمد عاصم

* هو شيخ المعلقين الرياضيين العرب، «العراقي مؤيد البدري»، عليه رحمة الله، توفي عام 2022 في لندن برفقة ابنته الطبيبة التي كانت تعمل هناك، وزوجته الطبيبة التي كانت ترافقه دائماً، بعد مشوار حافل بالنجاح.
* أسطورة التعليق الرياضي على مدار 30 عاماً، منذ بدأ عمله التلفزيوني على شاشة تلفزيون العراق من مارس 1963 حتى مارس 1993.
* في حي السفينة على شواطئ نهر دجلة العراقي، كانت ولادة شيخ المعلقين الرياضيين العرب، «مؤيد عبد المجيد البدري»، في عام 1934.
* على مدار 30 عاماً متواصلة، كان مؤيد البدري، المعروف بشهرته «بوزيدون» نسبة إلى ابنه «زيدون»، أسطورة في الأخلاق العالية، والوفاء مع الأصدقاء، والموسوعة الرياضية، والانتظام في تقديم البرنامج الرياضي الأسبوعي. لمدة 30 عاماً، ظل يقدم برنامجه الرياضي الأسبوعي «الرياضة في أسبوع»، إضافة إلى التعليق الرياضي على مباريات الكرة.
* أجريت معه عدة حوارات في الدوحة، وكان يشترط قبل بداية أي حوار شرطين: إذا خرجنا عن الاتفاق، سيتوقف الحوار. كان هذان الشرطان عدم التطرق إلى العلاقة مع الرئيس صدام حسين أو ابنه عدي صدام حسين، وظل هذا الاتفاق قائماً حتى اللحظة الأخيرة.
*العراقي مؤيد البدري انتقل للعيش في الدوحة منذ عام 1993، وظل خارج العراق لسنوات طويلة، بعد نزوحه عقب سقوط الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين، والانفلات الأمني في العراق، وبروز التكتلات الطائفية والعرقية والحزبية والدينية. كان من الصعب عليه أن يستقر في العراق، فاتخذ الدوحة ملاذاً له. هناك، تعاقد معه النادي العربي القطري ليكون مديراً تنفيذياً رياضياً له بصلاحيات مطلقة، وحظي بحب كبير من أهل قطر. ظل خارج العراق حتى توفي مع ابنته الطبيبة في لندن عام 2022، برفقة زوجته الطبيبة التي رافقته في كل خطوة.

لماذا مؤيد البدري شيخ المعلقين الرياضيين العرب؟

لأن العراق كان أول دولة عربية تدخل البث التلفزيوني المباشر لأول مرة في الشرق الأوسط في الأول من مايو 1956.
* العراقي مؤيد البدري هو الشخصية

الرياضية العربية الوحيدة التي قدمت برنامجاً رياضياً أسبوعياً على شاشة تلفزيون العراق لمدة 30 عاماً متواصلة، من عام 1963 حتى 1993. خلال تلك الفترة، كان المعلق الرياضي الأشهر في تلفزيون العراق.

* في أواخر العهد الملكي في العراق، وتحديداً في عام 1956، حضرت شركة «باي» البريطانية للمشاركة في المعرض البريطاني التجاري الذي استضافته بغداد. كان من بين معروضاتها منظومة بث تلفزيوني باللونين الأبيض والأسود مع أستوديو جاهز للبث الفضائي. لفتت المنظومة انتباه الملك فيصل الثاني، الذي طلب شراء المعدات من الشركة ونصبها في موقع الإذاعة العراقية في سقيفة الحديد، أو ما تعرف شعبياً بـ«البنكلة».

* صارت منطقة «البنكلة» في العراق لاحقاً مقر تلفزيون بغداد، الذي يعد أقدم محطة تلفاز في الشرق الأوسط والوطن العربي، حسب الإعلامي والباحث العراقي محمد خليل التميمي.

ويشير الباحث العراقي الإعلامي محمد خليل التميمي إلى أن عدنان راسم النعيمي كان أول مدير للتلفزيون العراقي، فيما كانت بنت العراق «صبيحة المدرس» أول مذيعة على الشاشة الصغيرة في بلاد الرافدين.

وقال التميمي إن الحكومة العراقية واجهت صعوبة في شراء محطة البث التلفزيوني من شركة باي الإنجليزية بسبب معوقات مالية وفنية، حيث عُرضت بمبلغ 65 ألف دينار عراقي، وكان هذا المبلغ يساوي تقريبًا موازنة الإذاعة العراقية لسنة كاملة. وفي النهاية، قررت الشركة البريطانية تقديم محطة التلفزيون كهدية للحكومة العراقية.

* العراقي مؤيد البدري هو الشخصية الرياضية الإعلامية العربية الوحيدة التي نجحت في الحصول على منصب نائب رئيس الاتحاد الآسيوي لكرة القدم، وبالتالي عضوية تنفيذية الفيفا من عام 1978 حتى 1982. هذا منصب لم يتحصل عليه أي إعلامي عربي حتى الساعة، ما جعله يجمع بين دور الإعلامي الرياضي وعضوية تنفيذية الفيفا، وهو إنجاز لم يحظَ به إعلامي عربي على مدار التاريخ.

* في مصر، دخل البث التلفزيوني عام 1960، لتكون مصر ثالث دولة عربية تعرف البث التلفزيوني.

«مؤيد البدري».. الإعلامي العربي الوحيد الذي شغل عضوية تنفيذية في الفيفا

كان له السبق والدور الأكبر في دخول منتخب بلاده العراقي للمشاركة في دورة الخليج عام 1976

في مصر أيضاً، يظل جيل تلفزيوني عملاق قد دخل التاريخ من خلال التعليق على مباريات الكرة إذاعيًا وتلفزيونياً. بدأ هذا الجيل مع محمود بدر الدين، الذي كان أول صوت إذاعي مصري وعربي يقوم بالتعليق الإذاعي على مباريات الكرة بشكل مباشر عام 1934 حينما عرفت مصر لأول مرة البث الإذاعي. تبعه جيل من العمالقة مثل محمد لطيف، علي زيوار، حسين مدكور، محمود بكر، ميمي الشربيني، والفلسطينيين أكرم صالح وزاهد القدسي، وغيرهم.

* في قلب مدينة الدوحة الفيحاء، كان يعيش العراقي الرياضي الأشهر في القرن العشرين «مؤيد البدري» مع زوجته في حالة من الهدوء بعد اعتزاله العمل عقب رحلة طويلة في بلاد الرافدين. كان مؤيد البدري من أبرز صناع القرار الرياضي طيلة النصف القرن الماضي في العراق، وملأ السمع والبصر والفؤاد في منطقة الخليج. شغل مناصب قيادية متعددة، منها رئاسة الاتحاد العراقي لكرة القدم، تقديم برنامج تلفزيوني رياضي على مدار 30 عاماً، عضوية اللجنة التنفيذية بالفيفا، ورئاسة لجنة المسابقات بالاتحاد الآسيوي، وغيرها من المناصب الداخلية والخارجية.

* يحلو للكثيرين أن يطلقوا على الراحل العراقي مؤيد البدري «أبو زيدون». جاء إلى الدوحة عام 1993 عن طريق اللواء الدكتور عبد الله المال، رئيس النادي العربي الأسبق، وظل اللواء الدكتور المال معه يومياً يوفر له كل متطلبات الحياة. ظل البدري مديراً للعربي حتى تقاعده لأسباب صحية، ثم عينه هتمي الهتمي، رئيس النادي العربي الأسبق، مستشاراً للنادي العربي القطري.

* مؤيد البدري الشخصية العراقية كان له السبق والدور الأكبر في دخول منتخب بلاده العراقي للمشاركة في دورة الخليج عام 1976، لأن دورة كأس الخليج لكرة القدم كانت تضم كلاً من قطر والسعودية والبحرين والإمارات وسلطنة عمان، ولاحقاً تم ضم كل من العراق واليمن.

*سألت مؤيد البدري حينئذٍ في أحد الحوارات معه: هل تشعر بالجفاء من الأصدقاء في عقد الثمانين مع احتياجك للعلاج والرعاية الاجتماعية؟

قال مؤيد البدري: أكشف لك سراً، عبد الخالق مسعود، رئيس الاتحاد العراقي الأسبق لكرة القدم، كان يزورني الدوحة كثيراً ويصر على الحضور إلى منزلي، ويبلغني تحيات كل الرياضيين في العراق، وتحمل اتحاد الكرة العراقي ووزارة الشباب العراقية كل تكاليف علاجي في أي مكان في العالم. مسعود كان عندي دائماً، وكذلك الوزير العراقي عبد الحسين عطبان، الذي كان معي على الهاتف يدعم كل شيء، وهي خطوة أعتز بها كثيراً. النجم العراقي حسين سعيد كان يتواجد معي بصفة مستمرة حينما كان رئيساً للاتحاد العراقي لكرة القدم، وكان يعرض عليّ كل الدعم الصحي والاجتماعي.

وأضاف مؤيد البدري: من حسن الحظ، كانت مجموعة من رموز الكرة العراقية معي يومياً، مثل عدنان درجال، حارث محمد، راضي شنيشل، عبد الفتاح نصيف، حسين سعيد، رعد حمودي، فلاح حسن، مجبل فرطوس، وغيرهم. حققنا إنجازات يشهد لها التاريخ، مثل التأهل إلى أولمبياد موسكو 1980، مونديال 1986 بالمكسيك، دور الثمانية في أولمبياد لوس أنجلوس 1984، والفوز بكأس الخليج مرات عديدة. نحن الدولة الوحيدة في الخليج التي استطاعت تحقيق هذه الإنجازات رغم أننا لم نكن نلعب على أرضنا. كانت لدينا أجيال من العمالقة ونجوم أصبحوا في ذاكرة كل العراقيين. فزنا ببطولة آسيا للشباب بالكويت عام 1975، وكان هذا الفريق نواة ازدهار الكرة العراقية بالجيل الذهبي.

* **سألت مؤيد البدري عن عدم اعتراف الفيفا بدورات الخليج لكرة القدم، فقال:** عدم اعتراف الفيفا بالدورة الخليجية لا يهمنا، هذه دورة لها بريق الجمال في كل الدول الخليجية. دورات الخليج كانت النواة الأولى لتواجد الكرة الخليجية في المونديال، وقادت الإمارات إلى مونديال 1988، وقادت الكويت إلى مونديال 1982، والعراق والسعودية لاحقاً. ساعدت هذه الدورة على قفزة كبيرة في القنوات الرياضية الخليجية لأنها تنعش الخزائن من خلال بيع حق البث والدخل الجماهيري والإعلانات. الدورة ينتظرها كل اتحاد خليجي لإنعاش الخزينة بملايين الدولارات.

* **سألت مؤيد البدري: هل صحيح أنك من أدخل منتخب بلادك إلى دورة الخليج؟**

قال لي: كنت أميناً للسر العام بالاتحاد العراقي 1974. أثناء هذه الفترة أقيمت بالكويت دورة كأس الخليج الثالثة، وكنت في زيارة مع وفد عراقي للكويت. هناك، التقيت أحمد السعدون (رئيس مجلس الأمة الكويتي الأسبق) الذي كان رئيساً للاتحاد الكويتي لكرة القدم خلال الدورة. طلبت من السعدون أن يكون المنتخب العراقي مشاركاً في دورة الكويت هذه 1974، ولكنه اعتذر لضيق الوقت مع انطلاق المباريات، ووعدني بالتفاؤل.

* يضيف مؤيد البدري: «أتذكر أن أحمد السعدون أخبرني أن لائحة دورة كأس الخليج تُفوض الدولة المستضيفة باختيار من تشاء للمشاركة في الدورة التي تقام على أرضها، طبقاً للوائح. وكان الدور القادم على قطر لتستضيف خليجي 1976، ومن حقها دعوة العراق للمشاركة. وهنا اقترحت على السعدون أن يلاقيني مع رئيس الاتحاد القطري لكرة القدم الذي كان متواجداً بالكويت».

وأضاف مؤيد البدري: «كان علينا الانتظار من أجل موافقة الدوحة، لأن لائحة الدورة تقول إنها تخص دول مجلس التعاون الخليجي فقط، والعراق ليس عضواً في مجلس التعاون الخليجي. وأعتقد أن قطر كانت حريصة على تواجد العراق بروح

● مؤيد البدري مع الصحافي محمد عاصم في الدوحة

الود وبحكم علاقات الجغرافيا والتاريخ، وكانت سباقة إلى احتضان الكرة العراقية في هذا التجمع الخليجي لأول مرة عام 1976. ويُحسب لها هذا الترحاب. وبترتيب من السعدون تم تحديد مقابلة مع أحمد الأنصاري، رئيس الاتحاد القطري لكرة القدم حينذاك، وكانت مفاجأة من العيار الثقيل».

وأضاف البدري: «ثم كانت المفاجأة؛ أحمد الأنصاري، الذي كان رئيساً للاتحاد القطري لكرة القدم، كان تلميذاً عندي في معهد التربية الرياضية العالي الذي كنت أحاضر فيه في بغداد. كنت أعرفه جيداً، ومن حرارة المفاجأة وعدني أحمد الأنصاري بأن العراق سوف يكون ضيفاً على الدوحة في خليجي الذي يقام بالدوحة. وفعلاً، قبل انطلاق كأس الخليج في الدوحة، كنت مع وفد عراقي هناك وتقدمنا بطلب رسمي للاتحاد القطري، الذي وافق على المشاركة العراقية الأولى عام 1976. وكانت الدوحة فأل خير ووجه السعد على الكرة العراقية، وشاركنا لأول مرة في كأس الخليج».

يضيف مؤيد البدري: «كانت لدينا أجيال من العمالقة ونجوم أصبحوا في ذاكرة كل العراقيين. كان الخط البياني للكرة العراقية في تصاعد. لدينا ملعب الكشافة الذي أُنشئ عام 1936 في العهد الملكي، وملعب الشعب عام 1966. كان لدينا مدربون أجانب في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي. فزنا ببطولة آسيا للشباب بالكويت عام 1975، وكان هذا الفريق هو نواة ازدهار الكرة العراقية بالجيل الذهبي».

* سألت مؤيد البدري: هل كان برنامجك التلفزيوني في العراق «الرياضة في أسبوع» يخضع للرقابة؟

قال: «يا أخي، للعلم فإن المسؤولين في التلفزيون كانوا لا يعرفون ماذا سأقول في البرنامج، ولم يحدث أن سمحت لأحد أن يتدخل في عملي. لم يكن هناك رقابة، ولكن من طبيعة الإعلامي أن يعرف الضوابط وألا يصطدم مع السلطة. أنا أعمل في إطار سلطة الدولة».

*سألت مؤيد البدري: هل توليت رئاسة الاتحاد العراقي بدعم من الدولة حينذاك؟

قال: «أبداً. الانتخابات في الاتحاد العراقي كانت مفتوحة، وهناك من الأحياء الذين كانوا مشاركين معنا. كانت الانتخابات مفتوحة ونجحت لأنني تدرجت في المناصب من عضو إلى أمين سر إلى رئيس اتحاد. و3 مرات كنت رئيساً للاتحاد العراقي. شخصيتي كانت عنوان النجاح، والترحيب من الجميع، ومن الطبيعي أن يكون بيننا التنسيق لأن الاتحاد ناطق باسم الدولة».

* سألت مؤيد البدري: كيف أسهمت في طرد إسرائيل من عضوية الاتحاد الآسيوي لكرة القدم؟

قال مؤيد البدري: «في عام 1974 كانت اجتماعات الجمعية العمومية للاتحاد الآسيوي لكرة القدم في ماليزيا برئاسة الماليزي تانجو عبد الرحمن، رئيس الوزراء في بلاده حينذاك، ومعه كان داتو حمزة أميناً للسر العام في الاتحاد الآسيوي. وخلال الاجتماع، تقدمنا بطلب إلى الاتحاد

«الرياضة في أسبوع».. برنامج أسطوري قدمه البدري لـ30 عاماً وساهم في دخول منتخب بلاد الرافدين إلى دورات الخليج

الآسيوي بطرد إسرائيل من الاتحاد الآسيوي، لأنه كان من الصعب علينا أن نلعب معها تنفيذاً لقرار جامعة الدول العربية بمقاطعتها وعدم التعامل معها. وأثناء الاجتماع، كنا ننتظر مناقشة الطلب العراقي–الكويتي، وتمت مناقشة الطلب، وباتفاق مع كثير من الدول، وحققنا الهدف بطردها من الاتحاد الآسيوي».

* سألت مؤيد البدري: كيف ترى موقف كبار الرياضيين معك في الغربة داخل قطر؟

قال مؤيد البدري: «أنا سعيد بتواجد مجموعة كبيرة من الرياضيين معي دائماً في منزلي داخل الدوحة. عبد الخالق مسعود، حينما كان رئيساً للإتحاد العراقي لكرة القدم، كان يزورني دائماً في البيت، وعرض علي أن يتحمل الاتحاد العراقي تكاليف العلاج في أي مكان، لكني اعتذرت لأني لا أستطيع الحراك إلا على الكرسي. كذلك الوزير العراقي عبد الحسين عطبان، الذي قدم لي عروضاً كثيرة للعلاج في أي مكان، لكني اعتذرت أيضاً. حسين سعيد، حينما كان رئيساً للاتحاد العراقي، عرض علي كثيراً أن يتحمل الاتحاد تكاليف العلاج، لكني اعتذرت وقدمته الشكر. أيضاً رعد حمودي، رئيس اللجنة الأولمبية العراقية الأسبق، فلاح حسن، وعدنان درجال كانوا معي دائماً يومياً في بيتي لأن عدنان كان يعمل في الدوحة. كذلك عبد الفتاح نصيف، حارس مرمى المنتخب العراقي الأسبق، كان معي يومياً، وأيضاً مجبل فرطوس وراضي شنيشل وغيرهم كانوا معي دائماً».

**** في السنوات الأخيرة مع مؤيد البدري، كان يضطر إلى الجلوس في بيته بسبب عدم القدرة على الحركة، وكان يتنقل على كرسي داخل بيته بمساعدة زوجته. زوجته الدكتورة كانت تحرص على ترجمة كل ما يقوله بالاشارات، وتوضحه لي أثناء الحوار».**

**** في منزل مؤيد البدري داخل مدينة الدوحة، كانت صور الزعيم جمال عبد الناصر تزين كل مكان. في كل ركن تجد صورة للزعيم، مما يعكس عشقهما الكبير لعبد الناصر».**

مع اشتداد المرض عليه، سافر مع زوجته إلى ابنته الطبيبة التي تعمل في لندن، ومكث هناك حتى وافته المنية في 11 يونيو 2022.

العراقي مؤيد البدري في سطور

- من مواليد 21 نوفمبر 1934، توفي في إنجلترا في 11 يونيو 2022.
- من مواليد بغداد، منطقة الأعظمية، محلة السفينة، على شواطئ نهر دجلة.
- تخرج من ثانوية الأعظمية عام 1953، ثم التحق بالمعهد العالي للتربية الرياضية جامعة بغداد عام 1954، وتخرج منه عام 1957.
- حصل على بعثة دراسية إلى الولايات المتحدة، حيث نال درجة البكالوريوس والماجستير في العلوم الرياضية.
- أول معلق رياضي عراقي، وتقاعد من العمل الوظيفي عام 1993.
- أمين صندوق الاتحاد العراقي لكرة القدم.
- مدير عام الرياضة المدرسية 1962–1984.
- مدير الألعاب الرياضية في وزارة الشباب 1962–1984.
- أستاذ في كلية التربية الرياضية بجامعة بغداد.
- سكرتير الاتحاد العراقي لكرة القدم 1970–1977.
- رئيس الاتحاد العراقي لكرة القدم في 1977، 1980، و1988.
- نائب رئيس الاتحاد الآسيوي لكرة القدم، وعضو اللجنة التنفيذية في الفيفا عن آسيا 1978–1982.
- أشهر برامجه «الرياضة في أسبوع»، الذي استمر لـ30 عامًا منذ 1963 حتى 1993.
- أسهم مع أحمد السعدون في طرد إسرائيل من عضوية الاتحاد الآسيوي لكرة القدم.
- عمل في العديد من المشاركات والكتابات في الصحف والمجلات، وكان أولها كتابة سلسلة مقالات بعنوان «الغيث» عام 1957.
- عمل محرراً في مجلة السينما العراقية، في قسم الأخبار الرياضية، مما أضاف بُعدًا إعلامياً لخبرته في الرياضة.
- تولى رئاسة تحرير جريدة «الملاعب»، التي كانت واحدة من أبرز الصحف الرياضية في العراق.

مونديال السعودية 2034

خطوة نحو العالمية

المرمار

السعودية لا تسعى فقط إلى استضافة نسخة ناجحة من المونديال، بل تسعى إلى تقديم تجربة استثنائية تجعل من هذه النسخة علامة فارقة في تاريخ البطولة

خبر فوز المملكة العربية السعودية بشرف تنظيم كأس العالم لكرة القدم لعام 2034، وعن جدارة طال انتظاره، مؤكدةً موقعها كواحدة من أبرز دول العالم التي تسعى لتحقيق إنجازات كبرى في مختلف المجالات. جاء هذا الإعلان من الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا)، ليُدخل المملكة التاريخ كأول دولة تنظم نسخة موسعةٍ من كأس العالم بمشاركة 48 منتخباً، لتكون النسخة الأكثر شمولية وتحدياً منذ انطلاق البطولة لأول مرة عام 1930.

يأتي هذا الفوز كجزء من سلسلة الإنجازات الرياضية التي حققتها السعودية في السنوات الأخيرة. ففي ظل رؤية المملكة 2030، بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان وولي عهده الأمير محمد بن سلمان، أصبحت الرياضة جزءاً محورياً من استراتيجية السعودية للتنمية المستدامة والانفتاح على العالم. مونديال 2034 سيكون شاهداً على قدرة المملكة على تنظيم حدث عالمي بهذا الحجم، ويؤكد استعدادها لاستقبال ملايين المشجعين والرياضيين من جميع أنحاء العالم.

كما يُعد الفوز بتنظيم هذه البطولة تتويجاً لجهود السعودية في تطوير البنية التحتية الرياضية وتعزيز مكانتها كوجهة رياضية عالمية. ما يجعل استضافة السعودية لمونديال 2034 حدثاً فريداً هو التقييم العالي الذي حصل عليه ملفها التنظيمي. فقد منح الفيفا الملف السعودي درجة تقييم بلغت 4.18 من 5، وهي درجة غير مسبوقة في تاريخ طلبات الاستضافة. بالمقابل، حصلت ملفات مونديالي 2026 و2030 على درجات أقل وتوصيفات أعلى للمخاطر.

هذا الإنجاز يعكس الثقة الدولية في قدرة السعودية على الوفاء بمتطلبات التنظيم، بدءاً من البنية التحتية المتطورة، ومروراً بالضمانات اللوجستية، ووصولاً إلى التجربة الثقافية المميزة التي ستقدمها المملكة لضيوفها.

مونديال 2034 ليس مجرد بطولة رياضية، بل هو انعكاس للرؤية السعودية التي تهدف إلى وضع المملكة في قلب الأحداث العالمية. تنظيم كأس العالم يفتح الباب أمام استضافة ثقافات وحضارات متعددة، ويعزز من مكانة السعودية كملتقى عالمي.

السعودية لا تسعى فقط إلى استضافة نسخة ناجحة من المونديال، بل تسعى إلى تقديم تجربة استثنائية تجعل من هذه النسخة علامة فارقة في تاريخ البطولة. يتطلب ذلك العمل على تحسين البنية التحتية بشكل شامل، بدءاً من الملاعب والمرافق الرياضية، ومروراً بتطوير شبكات النقل، ووصولاً إلى تعزيز قطاع الضيافة والخدمات.

كرة القدم ليست مجرد رياضة؛ إنها صناعة متكاملة تؤثر في السياسة والاقتصاد والثقافة. تنظيم السعودية لمونديال 2034 يعني ضخ استثمارات هائلة في قطاعات متعددة، مثل السياحة والتجارة والتكنولوجيا. كما يساهم في تعزيز سمعة المملكة كمركز للاستقرار والانفتاح على العالم.

السعودية، التي كانت تعرف لعقود بأنها دولة ذات طابع تقليدي، تُثبت اليوم أنها قادرة على الجمع بين الأصالة والحداثة. المونديال سيكون فرصة لتعريف العالم بثقافة المملكة وتقاليدها، إلى جانب إبراز تقدمها في مجالات التكنولوجيا والبنية التحتية.

يأتي فوز السعودية بتنظيم المونديال كجزء من توجه استراتيجي لتعزيز التواصل مع العالم. المملكة تسعى إلى استخدام الرياضة كأداة لبناء الجسور الثقافية والحضارية. هذا التوجه يعكس التزاماً واضحاً بمسار الانفتاح الذي تبنته القيادة السعودية، وهو مسار معاكس تماماً لكل مظاهر التطرف والانغلاق التي عانت منها المنطقة.

في الوقت الذي تستخدم فيه بعض الحركات والتيارات السياسية الدين والهوية لزرع الانقسام والفوضى، تسير السعودية في اتجاه مغاير، حيث تؤكد على أهمية الحوار والانفتاح والتعايش.

يمكن بسهولة ملاحظة الفرق بين المسار السعودي، الذي يركز على البناء والتواصل مع العالم، وبين المسارات الأخرى في المنطقة التي تروج للفوضى والتطرف. ما تقوم به السعودية اليوم هو بناء نموذج يحتذى به في المنطقة، نموذج يجمع بين التنمية المستدامة والانفتاح الثقافي، بعيداً عن الشعارات الجوفاء.

من اليوم وحتى عام 2034، ستكون السعودية تحت أنظار العالم وهي تعمل على التحضير لهذا الحدث الضخم. هذا التحدي يتطلب تضافر الجهود على جميع المستويات، بدءاً من الحكومة، مروراً بالقطاع الخاص، ووصولاً إلى المواطنين. الجميع مدعو للمساهمة في جعل مونديال 2034 حدثاً يليق باسم المملكة وتاريخها.

مونديال السعودية 2034 ليس مجرد حدث رياضي؛ إنه رسالة للعالم بأن المملكة تسير بخطى ثابتة نحو مستقبل مشرق. إنه تتويج لرؤية طموحة تهدف إلى جعل السعودية مركزاً عالمياً للتواصل والثقافة والرياضة.

بهذا الإنجاز، تؤكد المملكة أن المستقبل يصنع بالعمل الجاد والرؤية الواضحة، وأنها قادرة على تحقيق المستحيل. مونديال 2034 سيكون فرصة للعالم ليشهد على حضارة سعودية تنبض بالأمل والطموح.

مونديال 2034 ليس مجرد بطولة رياضية، بل هو انعكاس للرؤية السعودية التي تهدف إلى وضع المملكة في قلب الأحداث العالمية. تنظيم كأس العالم يفتح الباب أمام استضافة ثقافات وحضارات متعددة، ويعزز من مكانة السعودية كملتقى عالمي

تميم الحزامي

نجم تونسي أضاء سماء كأس العالم 1978

المزمار عبد الكريم البليخ

عندما نتحدث عن تاريخ كرة القدم التونسية، لا يمكننا تجاهل اللحظات المضيئة التي رسمتها أسماء خالدة في ذاكرة الرياضة الوطنية. ومن بين تلك الأسماء يبرز تميم الحزامي، اللاعب التونسي الشهير الذي شارك في أول ظهور لمنتخب تونس في بطولة كأس العالم 1978 التي أقيمت في الأرجنتين. كانت هذه المشاركة حدثاً تاريخياً ليس فقط لتونس، بل للعرب والأفارقة، حيث تمكن المنتخب التونسي من تقديم أداء مذهل وكسر الصور النمطية عن أداء الفرق الإفريقية والعربية على الساحة العالمية.

وُلد تميم الحزامي في بيئة عاشقة لكرة القدم، وبرز كلاعب موهوب منذ صغره. ساهمت مهاراته العالية وأداؤه الثابت في أن يصبح أحد الركائز الأساسية في منتخب تونس في السبعينيات. كان الحزامي أحد اللاعبين الذين ساهموا في تحقيق الإنجاز التاريخي بتأهل تونس لأول مرة إلى كأس العالم بعد مشوار صعب في التصفيات الإفريقية.

تأهل المنتخب التونسي إلى مونديال 1978 كان لحظة فخر واعتزاز للشعب التونسي، وجاء بفضل مجموعة من اللاعبين الذين اجتمعوا على هدف واحد: رفع اسم تونس عالياً في المحافل الدولية. كان تميم الحزامي من بين هؤلاء الأبطال الذين حلموا بتحقيق المستحيل وأصبحوا رموزاً في تاريخ كرة القدم التونسية.

في الأرجنتين، وجد المنتخب التونسي نفسه في مجموعة قوية ضمت كلاً من المكسيك، وبولندا، وألمانيا الغربية، حامل لقب كأس العالم 1974. ورغم التحديات الكبيرة، لم يكن لدى نسور قرطاج نية للاستسلام.

بدأت تونس مشاركتها بمباراة ضد المكسيك، وكانت الأنظار مشدودة إلى الفريق الذي يمثل العرب وأفريقيا. قدم المنتخب التونسي أداءً مبهراً بقيادة لاعبين مميزين مثل تميم الحزامي، الذي كان يتمتع برؤية حادة للملعب وإرادة قوية لتحقيق الأفضل. انتهت المباراة بفوز تاريخي لتونس بنتيجة 3–1، وهي أول

تأهل المنتخب التونسي إلى مونديال 1978 كان لحظة فخر واعتزاز للشعب التونسي، وجاء بفضل مجموعة من اللاعبين الذين اجتمعوا على هدف واحد: رفع اسم تونس عالياً في المحافل الدولية. كان تميم الحزامي من بين هؤلاء الأبطال الذين حلموا بتحقيق المستحيل وأصبحوا رموزاً في تاريخ كرة القدم التونسية.

● الرميحي مع تميم الحزامي 1980

فوز لمنتخب عربي وأفريقي في تاريخ كأس العالم.

كان هذا الانتصار بمثابة انفجار للفرحة في تونس والعالم العربي، وأكد أن الكرة التونسية تملك ما يؤهلها للتفوق على الساحة الدولية. لم يكن هذا الفوز مجرد انتصار في مباراة، بل كان إعلاناً عن دخول تونس بقوة إلى عالم كرة القدم العالمية.

كان تميم الحزامي لاعباً يتميز بالذكاء التكتيكي والمهارات الفردية، ولعب دوراً حيوياً في خط الوسط خلال مباريات تونس في البطولة. برز كحلقة وصل بين الدفاع والهجوم، وكان دائم الحركة على أرض الملعب، يبحث عن التمريرات الحاسمة ويصنع الفرص لزملائه.

في المباراة الثانية، واجهت تونس منتخب بولندا، الذي كان من أقوى المنتخبات الأوروبية في ذلك الوقت. ورغم الأداء القوي الذي قدمه نسور قرطاج، انتهت المباراة بخسارة تونس بهدف دون رد. ومع ذلك، أثبت المنتخب التونسي أنه قادر على مواجهة الكبار بندية وشجاعة.

أما في المباراة الثالثة، فكانت المواجهة مع ألمانيا الغربية، بطل العالم السابق. قدمت تونس أداءً بطولياً ونجحت في فرض التعادل السلبي، وهو إنجاز كبير بالنظر إلى قوة الخصم. مرة أخرى،

كان تميم الحزامي أحد اللاعبين الذين ساهموا في هذا الأداء التاريخي، حيث أظهر انضباطاً تكتيكياً وروحاً قتالية عالية.

كان تميم الحزامي لاعباً يتميز بالذكاء التكتيكي والمهارات الفردية، ولعب دوراً حيوياً في خط الوسط خلال مباريات تونس في البطولة. برز كحلقة وصل بين الدفاع والهجوم، وكان دائم الحركة على أرض الملعب، يبحث عن التمريرات الحاسمة ويصنع الفرص لزملائه.

● تميم مع نادي اتحاد جدة

رغم خروج المنتخب التونسي من دور المجموعات، إلا أن مشاركته في كأس العالم 1978 كانت نقطة تحول في تاريخ كرة القدم التونسية والإفريقية. أصبح تميم الحزامي وزملاؤه رموزاً وطنية، وألهموا الأجيال القادمة للتمسك بالحلم والعمل على تحقيقه.

إن إنجازات تميم الحزامي لم تكن مجرد أرقام أو مباريات تُذكر، بل كانت قصة نجاح محفورة في الذاكرة الجماعية للشعب التونسي. كان الحزامي مثالاً للاعب الملتزم والمثابر، الذي ساهم في رفع مكانة بلاده رياضياً على الساحة الدولية.

ما بعد البطولة

بعد كأس العالم، استمر تميم الحزامي في تمثيل تونس بكل شرف، وأصبح أحد أعمدة المنتخب الوطني. كما أن خبرته الكبيرة ألهمت الكثير من اللاعبين الصاعدين في تونس، وشكلت مشاركته في مونديال 1978 إرثاً يتناقله عشاق كرة القدم في البلاد.

يبقى تميم الحزامي رمزاً للأداء الرائع في أول مشاركة لتونس في كأس العالم، وذكرى الانتصار التاريخي على المكسيك الذي أضاء طريق الفرق العربية والإفريقية للمنافسة بثقة على الساحة العالمية. إن تاريخه يمثل أكثر من مجرد مسيرة رياضية؛ إنه يعكس الروح التونسية في الكفاح والإصرار.

ستظل الأجيال القادمة تذكر تميم الحزامي وزملاءه كرواد في تاريخ كرة القدم، وكمصدر إلهام لتحقيق المزيد من الإنجازات في المستقبل.

ريال مدريد يتوشح بذهب أبطال القارات

العملاق الأوروبي فرض سيطرته وباتشوكا حاول واستحق الاحترام

بحضور سعادة الشيخ حمد بن خليفة بن أحمد آل ثاني وزير الرياضة والشباب، توَّج جياني إنفانتينو رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم FIFA، فريقَ ريال مدريد بلقب كأس القارات للأندية قطر 2024، بعد فوزه على باتشوكا المكسيكي بطل الكونكاكاف 3–0 في نهائي البطولة على استاد لوسيل في ذكرى مرور عامين على نهائي المونديال التاريخي «قطر 2022» وذكرى اليوم الوطني لدولة قطر «18 ديسمبر»، وسط حضور جماهيري غير مسبوق.

وسجل للريال: الفرنسي كيليان مبابي (37) والبرازيليان رودريجو (53) وفينيسيوس جونيور (84 من ركلة جزاء) أهدافَ النادي الملكي الذي توج بلقبه الثاني هذا الموسم بعد الكأس السوبر الأوروبية، والخامس هذا العام بعد الكأس السوبر المحلية و الدوري الإسباني ودوري أبطال أوروبا.

ولم تكن المباراة سهلة أمام ريال مدريد ونجومه كيليان مبابي وجود بيلينجهام وفينيسيوس، حيث دفع كارلو أنشيلوتي مدرب الفريق بالثلاثي في خط الهجوم من بداية المباراة بالإضافة إلى رودريجو من أجل حسم المباراة مبكراً إلا أن باتشوكا فاجأ الريال بأداء متوازن وقوي وهدد مرماه في أكثر من مُناسبة عن طريق لوبيز رودريجيز والمغربي أسامة الإدريسي ونجمه سالمون روندون، ولم يشعر الجميع بالفوارق الكبيرة بين بطل أوروبا والفريق الأفضل في العالم أمام فريق باتشوكا الواعد.

وانتظر ريال مدريد 37 دقيقة لافتتاح التسجيل عن طريق نجمه الفرنسي كيليان مبابي، بعدما مرر بيلنجهام كرة إلى فينيسيوس الذي توغل من الجانب الأيسر وتلاعب بالحارس كارلوس مورينو، ويمررها إلى مبابي الذي لم يجد صعوبة في وضعها داخل الشباك.

وعزز البرازيلي رودريجو، في الدقيقة 54 تقدم فريقه الريال بعدما سدد كرة قوية على حدود المنطقة لتسكن الزاوية البعيدة لباتشوكا. وظل اللعب مفتوحًا من الجانبين، بمحاولات باتشوكا للعودة مع محاولات من الريال للتعزيز، وفي الدقيقة 81 مرر فاسكيز من الجهة اليمنى ولكنه تعرض لعرقلة ليحتسب الحكم ركلة جزاء بعد العودة لـ«VAR»، سجلها فينيسيوس في الدقيقة 84 ليحتفل بأفضل طريقة بفوزه بجائزة THE BEST كأفضل لاعب في العالم لعام 2024، ورغم فوز الريال بثلاثية إلا أن باتشوكا استحق الاحترام.

حصل البرازيلي فينيسيوس جونيور على لقب أفضل لاعب في بطولة كأس القارات قطر 2024، بعدما أسهم بهدفين في فوز فريقه ريال مدريد، أمام باتشوكا 3–0 باستاد لوسيل، حيث صنع الهدف الأول

لمبابي وسجل الهدف الثالث، فيما حصل زميله فيديريكو فالفيردي على ثاني أفضل لاعب، وإلياس مونتيل لاعب باتشوكا على ثالث أفضل لاعب بالنهائي، وقام سعادة الشيخ حمد بن خليفة بن أحمد آل ثاني وزير الرياضة والشباب، بتتويج اللاعبين بالجوائز. وباتت الدوحة فائل خير على فينيسيوس بعد تتويجه خلال يومين فقط بلقب أفضل لاعب في العالم «THE BEST» ولقب كأس القارات للأندية وحصد جائزة أفضل لاعب في المباراة وجائزة أفضل لاعب في كأس القارات. من جهة أخرى عاد النجم الفرنسي كيليان مبابي للتسجيل من جديد في استاد لوسيل، بعد عامين من نهائي مونديال قطر 2022، حيث سجل الهدف الأول للريال، فيما كان مبابي قد سجل «هاتريك» في استاد لوسيل قبل عامين أمام الأرجنتين ولكن منتخب بلاده فقد اللقب بركلات الترجيح. وعلق حساب بطولة كأس العالم على عودة مبابي للتسجيل في لوسيل قائلًا: «بعض الأشياء لا تتغير أبدًا».

قدم النجم البرازيلي روبرتو دي أوليفييرا، الشهير بـ «بيبيتو»، كأس بطولة «كأس القارات للأندية قطر 2024» قبل دخول فريقي ريال مدريد الإسباني و باتشوكا المكسيكي إلى استاد لوسيل، وسط تفاعل كبير من الجماهير.

ويعد بيبيتو أحد أبرز أساطير كرة القدم في البرازيل وأيضاً بطولات كأس العالم، حيث كان أحد اللاعبين الفائزين مع منتخب البرازيل «السامبا» بكأس العالم 1994، وأمتع الجماهير بمهاراته العالية مع زملائه روماريو، الظاهرة رونالدو، ريفالدو، وله طريقة مُميزة بالاحتفال، من خلال مد ذراعيه إلى الأمام يحركها يميناً ويساراً وكأنه يحمل بين يديه طفلاً صغيراً لتتحول إلى واحدة من أشهر احتفالات كرة القدم.

كما حمل البرازيلي بيبيتو والإيطالي أندريا بيرلو الفائز بكأس العالم 2006، كأس البطولة ووضعها على المنصة قبل التتويج، بحضور الشاب القطري غانم المفتاح.

حصل البرازيلي فينيسيوس جونيور على لقب أفضل لاعب في بطولة كأس القارات قطر 2024، بعدما أسهم بهدفين في فوز فريقه ريال مدريد

جواردیولا.. هل أنت بخير؟

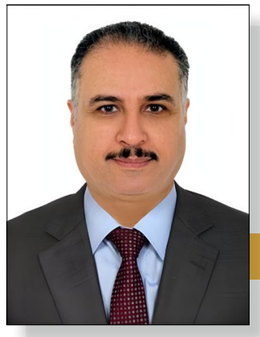

مجدي جادو

لا شك أن الإسباني بيب جوارديولا من الشخصيات العبقرية التي شكلت جزءاً هاماً من تركيبة كرة القدم في القرن الحادي والعشرين. هذا الرجل الذي أبهرنا حين قدّم أروع صورة للكرة الممتعة مع فريق برشلونة، وحصد معه 14 لقباً، منها ثلاث مرات لقب الدوري الإسباني، ولقب كأس الملك مرتين، وكأس السوبر الإسباني ثلاث مرات. وعلى الصعيد الأوروبي، حقق لقب دوري الأبطال مرتين، والسوبر الأوروبي مرتين، وكأس العالم للأندية مرتين، خلال أربع سنوات قضاها مدرباً للبارسا قبل أن يغادر عام 2012 معللًا ذلك بأنه فقد الاتصال مع اللاعبين.

جواردیولا، الذي لعب محترفاً في برشلونة تحت قيادة المدرب الهولندي يوهان كرويف، اكتسب سمات القائد ولديه قدرات شخصية فائقة وضعته في تصنيف أفضل مدربي كرة القدم في تاريخ اللعبة، قياساً على إنجازاته مع برشلونة، وبايرن ميونيخ، وأخيراً مانشستر سيتي. هذا النادي الذي حقق طفرة هائلة على صعيد البطولات والنفقات بفضل الدعم السخي من الملاك الإماراتيين والإدارة المحترفة، التي تتمسك بالمدرب وجددت عقده لموسمين قادمين، رغم الهزائم المستمرة. حيث خسر الفريق ثماني مباريات من إحدى عشرة مباراة خاضها خلال نوفمبر وديسمبر، وهبوطه إلى المركز السابع بعدما كان منافسًا في المربع الذهبي في الدوري الممتاز.

جواردیولا يخرج بعد كل مباراة بتصريح واحد: «أنا لست بخير». وهو ما يدفعني لأن أسأل: لماذا قررت الاستمرار وأنت تعلم أن الفريق بحاجة لعملية قلب مفتوح، وأنك بالفعل لست بخير وتحتاج للراحة بعد عناء مواسم طويلة حققت فيها إنجازات من الصعب أن يحققها غيرك من المدربين؟

كان ينبغي عليك أن تقرر الرحيل لترتاح، وتفعل ما فعله صديقك اللدود يورجن كلوب.

أعتقد أن الأمر كان سيكون أفضل كثيراً لك ولمانشستر سيتي. وبالتأكيد ستكون بخير حين تأخذ قسطاً من الراحة.

لماذا تغيب المجلات الرياضية المتخصصة؟

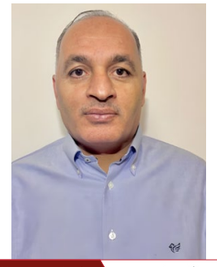

المرمار | رضوان علي الحسن

مع كل دورة من دورات كأس الخليج العربي لكرة القدم، تعود الذكريات الجميلة لعشاق الرياضة إلى مجلات رياضية كانت بمثابة الفاكهة اللذيذة لهذه البطولة. تلك المجلات، مثل «الصقر» و«العربي الرياضي» و«عالم الرياضة» و«الوطن الرياضي» و«سوبر» و«عيناوي»، والقائمة تطول، كانت تحمل في طياتها مقالات متميزة وتحليلات عميقة، فضلاً عن تغطية شاملة لأدق تفاصيل المباريات والنجوم.

غياب تلك المجلات يعكس تحولاً كبيراً في كيفية استهلاك المحتوى الرياضي، حيث انتقل الاهتمام بشكل متزايد إلى التغطية الرقمية والإلكترونية. ورغم الفوائد العديدة للتكنولوجيا، إلا أن هناك شعوراً بالحزن والحنين لتلك الأوقات التي كانت فيها المجلات تشكل جزءاً أساسياً من تجربة البطولة.

كانت المجلات الرياضية توفر تجربة فريدة لا تُنسى، حيث كان المشجعون ينتظرون صدورها بشغف لمتابعة التحليلات الدقيقة، والقصص الإنسانية، والمقابلات الحصرية مع اللاعبين والمدربين. تلك اللحظات التي تجمع بين رائحة الورق والمعلومات الغنية كانت تعزز من متعة البطولة وتضيف لها لمسة من الحميمية والتواصل الشخصي.

الافتقاد لتلك المجلات يشبه فقدان جزء من الهوية الرياضية الثقافية التي كنا نتبادلها مع الأصدقاء والعائلة. ومع غيابها، نجد أنفسنا نتساءل عن المستقبل وكيفية إعادة هذا الجانب الجميل من التراث الرياضي إلى حياتنا.

إذاً، بينما نتطلع إلى المستقبل ونعانق التكنولوجيا الحديثة، يبقى لنا دائماً أن نتذكر بحب وشغف تلك المجلات التي كانت تملأ قلوبنا حماساً وفخراً ببطولة كأس الخليج العربي لكرة القدم.

ولكن لماذا توقفت معظم المجلات الرياضية العربية عن الصدور؟

هذا السؤال يطرح نفسه على عشاق الرياضة في الوطن العربي، الذين اعتادوا على متابعة أخبار وتحليلات ومقالات ومقابلات حول مختلف الألعاب والبطولات المحلية والإقليمية والدولية. إلا أنه في السنوات الأخيرة، شهدنا تراجعاً كبيراً في عدد وجودة هذه المجلات، التي كانت تمثل مصدراً مهماً للمعلومة والثقافة الرياضية لدى الجمهور. فما هي أسباب هذا التوقف؟ وهل من أمل في عودة المجلات الرياضية العربية إلى سابق عهدها؟

الأسباب متعددة ومتشابكة، وتتعلق بالجوانب السياسية والاقتصادية والتكنولوجية والإعلامية.

من ناحية سياسية، تأثرت المجلات الرياضية بالأوضاع الأمنية والسياسية المضطربة في بعض الدول العربية، التي شهدت حروباً وثورات وانقلابات وتدخلات خارجية. هذه الأوضاع أثرت سلباً على استقرار وحرية الصحافة، وعلى قدرة المجلات على تغطية الأحداث الرياضية بشكل مستقل وموضوعي. كما أثرت على توفير الموارد المادية والبشرية لإنتاج المجلات بشكل جيد.

من ناحية اقتصادية، تعاني المجلات الرياضية انخفاضاً في مبيعاتها وإيراداتها، نتيجة لانخفاض قوة الشراء لدى الجمهور، وزيادة التكاليف المتعلقة بالطباعة والتوزيع والضرائب. كما تواجه المجلات منافسة شديدة من قبل المنصات الإعلامية الأخرى، مثل التلفزيون والإنترنت والهواتف الذكية، التي تقدم خدمات إخبارية رياضية سريعة ومجانية أو رخيصة. هذه المنصات تستقطب جزءاً كبيراً من اهتمام وزمن الجمهور، وتقلص من فرص المجلات في جذب قرائها.

ومن ناحية تكنولوجية، تفتقر المجلات الرياضية إلى التحديث والابتكار في استخدام التكنولوجيا لخدمة رسالتها. فبينما تستفيد المنصات الإعلامية الأخرى من التطورات التكنولوجية في تحسين جودة صورتها وصوتها وإنتاجيتها وتفاعلها مع الجمهور، تبقى المجلات الرياضية مقتصرة على النص والصورة الثابتة، دون استغلال إمكانيات التكنولوجيا في تقديم محتوى رياضي متنوع ومبتكر ومشوق.

كانت المجلات الرياضية توفر تجربة فريدة لا تُنسى، حيث كان المشجعون ينتظرون صدورها بشغف لمتابعة التحليلات الدقيقة، والقصص الإنسانية، والمقابلات الحصرية مع اللاعبين والمدربين..
الافتقاد لتلك المجلات يشبه فقدان جزء من الهوية الرياضية الثقافية التي كنا نتبادلها مع الأصدقاء والعائلة. ومع غيابها، نجد أنفسنا نتساءل عن المستقبل وكيفية إعادة هذا الجانب الجميل من التراث الرياضي إلى حياتنا

من ناحية إعلامية، تعكس المجلات الرياضية نقصاً في المهنية والمصداقية والتنوع في تقديم المحتوى الرياضي. فبدلاً من أن تكون مجلات رياضية مستقلة وموضوعية ومحايدة، تتحول بعضها إلى أدوات للدعاية والترويج لبعض الأندية أو اللاعبين أو الرعاة أو السياسيين. كما تقع بعض المجلات في فخ التحيز والانحياز والتشهير والإساءة لبعض الأطراف الرياضية. وبدلاً من أن تكون المجلات رياضية شاملة ومتنوعة، تركز بعضها على بعض الألعاب أو البطولات أو الفئات الرياضية، دون اهتمام بالأخرى.

هذه هي بعض من الأسباب التي أدت إلى توقف معظم المجلات الرياضية العربية عن الصدور. ولكن هل هذا يعني نهاية هذه المجلات؟ أم هناك أمل في عودتها؟

الإجابة على هذا السؤال تتطلب تحليلاً موضوعياً للواقع والتحديات التي تواجه المجلات الرياضية، وإيجاد حلول عملية وإبداعية لتجاوزها. فالمجلات الرياضية لها قيمة ودور مهم في نشر الثقافة والوعي الرياضي، وفي تشجيع ودعم المواهب والإنجازات الرياضية، وفي تحقيق التفاعل والحوار بين مختلف فئات المجتمع حول قضايا رياضية هامة. لذلك، يجب على المسؤولين والصحفيين والباحثين والخبراء والجمهور، أن يسعوا إلى إحياء المجلات الرياضية، بما يخدم مصالح الرياضة والإعلام في الوطن العربي.

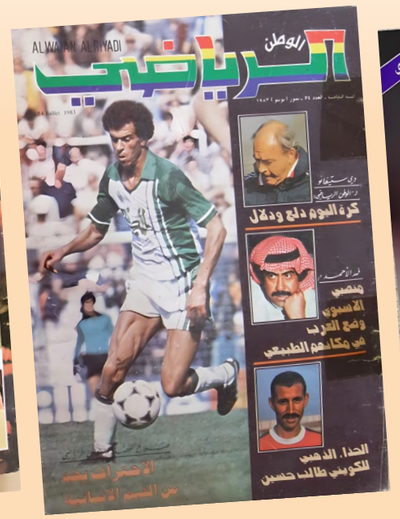

إيزاك المهاجم الذي سيُشعل الصراع في أوروبا

ألمرمار
آية جبر

تألّق المهاجم السويدي ألكسندر إيزاك، البالغ من العمر 25 عاماً، مع نادي نيوكاسل يونايتد هذا الموسم، بعدما لعب دوراً حاسماً في تحقيق الانتصارات في مباريات عدة، من بينها مواجهة إيبسويتش تاون ضمن منافسات الدوري الإنكليزي، حيث نجح في تسجيل «هاتريك».

مع تسليط الأضواء في الدوري الإنكليزي على بعض الفرق التي تزخر بمجموعة من النجوم، مثل ليفربول الذي يضمّ محمد صلاح، ومانشستر سيتي الذي يضمّ إرلينغ هالاند، يبدو أنّ العديد يتجاهل الأرقام المميّزة التي يحققها بعض اللاعبين الآخرين مثل المهاجم السويدي ألكسندر إيزاك.

يمتلك اللاعب السويدي مجموعة من الإمكانيات التي تميّزه عن العديد من مهاجمي الـ«بريميرليغ»، مثل قدرته على المراوغة بسهولة حتى في المساحات الضيّقة، ومهارته الفردية العالية.

كذلك، يُظهر تفوّقه في الكرات الثنائية، إلى جانب كونه واحداً من أكثر المهاجمين المتكاملين في البطولة حتى الآن.

إضافة إلى ذلك، قاد نيوكاسل يونايتد لتحقيق انتصارات عدة في مباريات حاسمة، كان آخرها المواجهة أمام إيبسويتش تاون، حيث سجّل 3 أهداف.

وفي المباريات الأربع الأخيرة في الـ«بريميرليغ»، تألّق بشكل لافت بمساهمته في 8 أهداف، 6 منها سجّلها بنفسه وصنع اثنين لزملائه. كما أنه وصل إلى المساهمة التهديفية رقم 14 في البطولة خلال 15 مباراة فقط.

وبفضل هذه الإحصائيات والمهارات الكبيرة التي يمتلكها إيزاك، نجح في أن يصبح رابع أكثر لاعب تسجيلاً للأهداف في الدوري، بعد كل من محمد صلاح وكول بالمر وبوكايو ساكا.

بالإضافة إلى تألّقه في دخول سباق المنافسة على لقب هداف المسابقة لهذا الموسم، بعدما سجّل 10 أهداف، مبتعداً بفارق 3 أهداف عن كل من صلاح وهالاند، وبفارق هدف واحد عن بالمر.

ورغم هذا الأداء المميّز، لا يحظى اللاعب بالقدر نفسه من الاهتمام الإعلامي لنجوم آخرين، والسبب يعود إلى أنه لم يتمكن من الانضمام إلى صفوف أكبر أندية الدوري الإنكليزي، حيث يلعب مع نيوكاسل يونايتد.

وهذا الأمر لا ينفي قدرته على أن يكون محوراً لإشعال منافسة حامية بين كبار الأندية الأوروبية خلال فترة الانتقالات الشتوية المقبلة أو مع نهاية الموسم الحالي، خصوصاً مع تطلع العديد من هذه الأندية للتعاقد مع مهاجم يتمتع بإمكانيات استثنائية كالتي يمتلكها إيزاك.

ويتصدّر ليفربول المشهد، المعروف بسعيه المستمرّ لضمّ المواهب الواعدة وتجديد دماء الفريق، ومن المتوقع أن يُفرّط في اللاعبين الذين تجاوزوا الثلاثين قريباً.

كذلك، يبرز أرسنال كمنافس قوي لـ«الريدز» على خطف خدمات إيزاك، إلى جانب أندية إسبانية مثل برشلونة وريال مدريد.

سيميوني يخلط حسابات فليك!

حفيظ دراجي

ما يحدث لمانشستر سيتي في الدوري الإنجليزي من انهيار متواصل، بسبب سلسلة هزائمه لم يمنع عشاق الكرة من توجيه الأنظار نحو برشلونة الإسباني، الذي ضيّع صدارة الدوري بخسارته على ميدانه أمام أتلتيكو مدريد، رغم المباراة الرائعة التي قدَّمها و بداية الموسم الموفقة التي دفعت بالكثير من المحللين إلى التهليل للمدرب الألماني هانزي فليك واعتباره المنقذ وصاحب الفضل، قبل أن تبدأ الشكوك تحوم بسبب الخسائر الثلاث المتتالية على ميدانه، والرابعة في آخر 7 مباريات في الدوري لفريق لم يخسر سوى 4 مباريات في 34 مباراة سابقة، قبل أن يعيده سيميوني إلى حجمه الحقيقي كفريق شاب لم يبلغ الرشد بعد، ولا يرقى للمنافسة على اللقب.

مواجهة أتلتيكو كانت اختباراً مُهمًا لفليك وقدرات البرشا الذي أنهى الشوط الأول مُتقدماً بفضل هدف بيدري، لكن حنكة سيميوني تفوقت على سذاجة هانزي فليك، في غياب نجمه الصاعد لامين جمال المصاب الذي لم يخسر معه البرشا المباريات التي شارك فيها أساسياً، وكان غيابُه عن التشكيلة الأساسية محسوساً، في غياب بدائل أخرى يمكنها صناعة الفارق خاصة في الهجوم رغم المستوى الذي أظهره رافينيا، وعودة بيدري وغافي.

منذ الفوز التاريخي على الريال بالأربعة اعتقد البرشا أنه في مستوى المنافسة على اللقب، قبل أن يهزمه لاس بالماس وليغانيس على ميدانه، ويكشف عيوبه دييغو سيميوني الذي حقق أول انتصار له على البارشا في عقر داره، وأول انتصار لفريقه على البارشا في الدوري منذ 2006، وهو في أوج قوته بعد أن حقق 12 انتصاراً متتالياً في جميع المسابقات من بينها سبع انتصارات في الليغا، ما يؤهله للمنافسة على اللقب والاستثمار في تعثرات البرشا والريال على حد سواء، ويشعل المنافسة على الدوري الإسباني لهذا الموسم، خاصة مع تألق أتلتيك بلباو الرابع بفارق خمس نقاط عن الأتلتيكو.

الحديث عن تعثر البارشا وتراجعه إلى المركز الثالث و الصعوبات التي تصادف هانزي فليك، لا يمنعنا من تثمين فوز الأتلتيكو واستمرار تألقه، وتثمين ما يفعله سيميوني الذي صار شريكاً قوياً في المنافسة على اللقب بعد أن خلط حسابات المحللين بانفراده بالريادة بناقص مباراة للريال، وتراجع البرشا إلى المركز الثالث المثير للتساؤلات وعلامات الاستفهام حول قدرة الفريق الكاتالوني على المنافسة وقدرة فليك على صناعة فريق تنافسي في ظرف وجيز تحت ضغوطات تتزايد في أوساط إعلامية وجماهيرية تعودت على الانتصارات والألقاب.

لقد أدرك فليك أن الذي أنجزه منذ بداية الموسم غير كاف، والتفوق على سيميوني وأنشيلوتي يتطلب جهداً إضافياً، وخيارات جريئة، وحسابات تكتيكية متنوعة تجمع بين الصرامة الألمانية والخصوصية الإسبانية التي لم يستوعبها لحد الآن رغم قدراته التي لا يشك فيها أحد.

FIFA ينصف فينيسيوس في الدوحة

في ليلة استثنائية احتضنتها أكاديميةُ أسباير، أقيمت النسخة التاسعةً من حفلِ جوائز The Best لعام 2024 المقدّمة من الاتحاد الدولي لكرة القدم (FIFA)، التي تزامنت مع الذكرى العشرين لتأسيس الأكاديمية.

تميّز الحفل بحضور شخصيات رياضية بارزة يتقدمهم سعادة الشيخ حمد بن خليفة بن أحمد آل ثاني، وزير الرياضة والشباب، والسويسري جياني إنفانتينو رئيس ال FIFA، والشيخ سلمان بن إبراهيم آل خليفة رئيس الاتحاد الآسيوي لكرة القدم، وسعادة السيد محمد بن يوسف المانع، النائب الأول لرئيس اللجنة الأولمبية القطرية، وسعادة الدكتور ثاني بن عبدالرحمن الكواري النائب الثاني لرئيس اللجنة الأولمبية القطرية، وفلورنتينو بيريز رئيس نادي ريال مدريد الإسباني، وسعادة السيد محمد بن همام رئيس الاتحاد الآسيوي لكرة القدم السابق، وأرسين فينجر، مدرب أرسنال السابق، ورئيس قسم تطوير كرة القدم العالمية في FIFA، بالإضافة إلى حضور كوكبة من أعضاء مجلس FIFA وأساطير FIFA وسفراء محليين وإقليميين وأسماء لامعة من عالم المستديرة الساحرة، وعدد من المسؤولين من الاتحاد القطري لكرة القدم وأكاديمية أسباير. وتمّ الإعلان عن الفائزين بجوائز The best، الذي أقيم بصورة افتراضية مثلما جرى في إعلان الدول الفائزة بتنظيم مونديالي 2030 و2034، والإعلان عن الجوائز بشكل إلكتروني دون حضور النجوم مثلما هو معتاد في الصورة الطبيعية للحفل، وذلك بسبب جدول المباريات المزدحم خلال الفترة الحالية، وقد منح الاتحادُ الدولي لكرة القدم FIFA، جائزة أفضل لاعب إلى البرازيلي فينيسيوس جونيور، نجم ريال مدريد الإسباني. وأنصف FIFA، النَّجم البرازيلي بمنحه جائزة The best، بعد خسارته الكرة الذهبية لمصلحة الإسباني رودري، خلال حفل عشاء أقيم أمس في أكاديمية أسباير. وأقيم الحفل عشية المباراة النهائية لكأس القارات للأندية بين ناديي ريال مدريد الإسباني وباتشوكا المكسيكي، والذكرى السنوية الثانية لإقامة نهائي كأس العالم 2022 في قطر. وأصبح فينيسيوس أول برازيلي يحصد الجائزة منذ فوز كاكا بها في 2007، لينضم إلى كوكبة من النجوم البرازيليين وهم: روماريو (1994) ورونالدو (1996 و1997 و2002) وريفالدو (1999) ورونالدينيو (2004 و2005) وكاكا (2007).

فينيسيوس: أنا ألعب في أكبر أندية العالم

قالَ النَّجمُ البرازيلي فينيسيوس جونيور، لاعب ريال مدريد، عقب تسلمه الجائزة، من جياني إنفانتينو، رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم، في كلمته المؤثرة: لا أعرف من أين أبدأ، ولكن كان من المستحيل أن أتخيل أن أصل لهذه المكانة عندما كنت طفلًا ألعب في الشارع ببيئة فقيرة، الوصولِ إلى هنا مصدر إلهام للأطفال الذين يحلمون بالمستقبل. وأضافَ: أشكر كل من صوّت لي من لاعبين، ومدربين، وصحفيين، إنها جائزة مهمة جدًا بالنسبة لي. كما أشكر عائلتي التي آمنت بحُلمي وساندتني في كل خُطوة لتحقيقه. ووجّه الشكرَ لرئيس النادي فلورنتينو بيريز، والمدرب كارلو أنشيلوتي، قائلًا: أشكر رئيس ريال مدريد فلورنتينو بيريز، والمدرب كارلو أنشيلوتي على ثقتهما الكبيرة بي، وأعدهما بالاستمرار في تقديم الأفضل ومساعدة الفريق على تحقيقَ المزيد من الإنجازات. كما لم ينسَ فينيسيوس ناديه السابق فلامنجو، حيث أضافَ: أشكر نادي فلامنجو الذي أعطاني فرصة ممارسة كرة القدم على المستوى الاحترافي، كما أشكر زملائي في منتخب البرازيل على مساعدتي ومنحي القوة. واختتمَ النَّجم البرازيلي رسالته بالقول: أسعى دائمًا لصنع الفارق بمساعدة زملائي، وأتطلع للاستمرار طويلًا مع ريال مدريد، النادي الأكبر في العالم.

سيطرَ لاعبو ريال مدريد على تشكيلة الأفضل المقدّمة من الاتحاد الدولي، ووقع الاختيار على خماسي ريال مدريد أنطونيو روديجر، وداني كارفاخال وتوني كروس، الذي اعتزل بنهاية الموسم الماضي، وجود بيلينجهام وفينيسيوس جونيور ضمن التشكيلة المثاليّة.

وساهم حصول إسبانيا على لقب بطولة أوروبا في انضمام رودري لاعب مانشستر سيتي ولامين يامال مهاجم برشلونة إلى التشكيلة أيضاً.

وحجزَ الحارسُ إيميليانو مارتينيز مكانَه في التشكيلة بعد فوز الأرجنتين بكأس كوبا أمريكا، ليجمع بين جائزتي أفضل حارس من فرانس فوتبول وFIFA. التشكيلة الأفضل لموسم 2023–2024: حارس مرمى: إيميليانو مارتينيز، خط الدفاع: داني كارفاخال – أنطونيو روديجر – روبن دياز – ويليام ساليبا، خط الوسط: جود بيلينجهام – توني كروس – رودري، الهجوم: لامين يامال – إيرلينج هالاند – فينيسيوس جونيور.

كأس الخليج
ما لها وما عليها

المزمار | إياد جليل

لا يمكن لأحد في منطقة الخليج، على الأقل، إنكار أهمية دورات كأس الخليج العربي لكرة القدم على مدار تاريخها الطويل الذي يمتد لأكثر من نصف قرن. فقد خلفت هذه البطولة إرثاً كروياً كبيراً أثر في جميع دول المنطقة وسكانها، لتكون شاهدة على تطور رياضي وثقافي تجاوز حدود الملاعب. بطبيعتها الخاصة، تحتفظ بطولة كأس الخليج بنكهتها الفريدة ومميزاتها التي تجعلها تزداد رونقا وجاذبية كلما مرّ الزمن. فقد أصبحت بمثابة أيقونة تاريخية تحفظ في طياتها قصصاً وحكايات تصلح لتتحول إلى فيلم سينمائي بارع. ومن الواضح أن لهذه البطولة الفضل الكبير في تطور كرة القدم الخليجية، حيث قدمت الفوائد الجمة للفرق المشاركة وأسهمت في تطوير أدائها وتحقيقها لطفرات نوعية في أكثر من جانب. أحد أبرز إسهامات كأس الخليج هو دفع الدول الخليجية إلى الاستثمار في البنية التحتية الرياضية. على سبيل المثال، كانت الإمارات العربية المتحدة على موعد لاستضافة النسخة الخامسة من البطولة في عام 1978، لكن عدم جاهزيتها آنذاك حال دون ذلك، فتمّ نقل البطولة إلى العراق الذي كان مستعداً تماماً لاستضافة الحدث في بغداد عام 1979. هذه التجربة دفعت الإمارات للعمل بجدية على تطوير منشآتها، ليتم افتتاح مدينة زايد الرياضية واستضافة النسخة السادسة في عام 1982.

لم يكن هذا الإنجاز حكراً على الإمارات وحدها، بل انسحبت التجربة إلى المملكة العربية السعودية التي عملت على إكمال منشآتها الرياضية، ومنها استاد الملك فهد الدولي، الذي استضاف النسخة التاسعة عام 1988. قطر أيضاً لم تكن بمعزل عن هذا التطور، فقد بذلت جهوداً جبارة في منتصف السبعينيات لتطوير بنيتها التحتية لاستضافة النسخة الرابعة من البطولة في عام 1976 بالعاصمة الدوحة.

لم تكن تأثيرات كأس الخليج مقتصرة على الجانب الرياضي فقط. فقد شهدت دول الخليج طفرة نوعية في مجالات عديدة بفضل استعداداتها لاستضافة هذه البطولة، بما في ذلك الإعلام، التنظيم، التسويق، الفندقة، البنية التحتية، الطرق والجسور، وغيرها.

لقد أصبحت البطولة منصة تدريبية متكاملة ساعدت على اكتساب الخبرة في مختلف القطاعات، مما ساهم في تحسين جودة الحياة في تلك الدول بشكل عام.

ساهمت البطولة بشكل مباشر في تطور كرة القدم الخليجية، حيث أدى الاحتكاك المستمر بين المنتخبات المشاركة إلى تعزيز المنافسة وإعداد الفرق للتألق في الساحات القارية، الأولمبية، والعالمية. كما دفعت الطموحات المتزايدة لتحقيق لقب البطولة الدول المشاركة إلى استقدام نخبة من أفضل المدربين العالميين، مثل كارلوس ألبرتو باريرا وزاجالو، الذين تركوا بصمة واضحة على الكرة الخليجية.

تمكنت كأس الخليج من الحفاظ على مكانتها المميزة عبر الزمن، ليس فقط لأنها بطولة رياضية، ولكن لأنها تمثل جسراً ثقافياً واجتماعياً بين شعوب المنطقة. تجمع البطولة بين الحماس الرياضي والعاطفة القومية، لتكون واحدة من أكثر الفعاليات تأثيراً في تعزيز الوحدة الخليجية وترسيخ العلاقات بين الدول المشاركة.

اجتذبت بطولة كأس الخليج العربي لكرة القدم خيرة الكوادر الإعلامية في النقل التلفزيوني والصحفي، وساهمت في تعزيز الحوار الإعلامي والتفاعل المجتمعي. فقد أصبحت منتخبات الدول المشاركة مصدر فخر لشعوبها، لدرجة أن بعض الدول قامت بتشكيل منتخبات خاصة فقط للمشاركة في هذه البطولة، نتيجة للصدى الإعلامي الكبير الذي رافق انطلاقها.

على مدار تاريخها، قدمت كأس الخليج أسماءً كبيرة في عالم كرة القدم الخليجية، تحولت إلى رموز خالدة في ذاكرة الجماهير. أسماء مثل إبراهيم دريهم، يوسف سويد، فتحي كميل، جاسم يعقوب، ماجد عبد الله، محمد عبد الجواد، يوسف الثنيان، وعدنان الطلياني، وحسين سعيد، وغيرهم كثيرون، أثروا بتطور كرة القدم الخليجية وأصبحوا أيقونات خالدة. هؤلاء اللاعبين صنعوا لحظات استثنائية جعلت من كأس الخليج منصة تفرز النجوم وترفع من سقف الطموحات.

التنافس في دورات كأس الخليج له طابع خاص؛ كل مباراة تبدو وكأنها معركة كروية. حتى الفرق التي كانت أقل حظاً لم تكن تستسلم بسهولة، بل قاتلت بشغف وإصرار.

البداية شهدت هيمنة كويتية واضحة، حيث توج المنتخب الكويتي بالبطولة عدة مرات، حتى جاء العراق ليكسر تلك السيطرة في النسخة الرابعة ويحقق لقبه الأول. استمر الصراع بين العراق والكويت لست نسخ متتالية، فيما ظهرت أسماء جديدة على الساحة مثل قطر والسعودية، اللتين توجتا باللقب خلال فترة غياب العراق عن البطولة بين عامي 1990 و2004.

رغم مرور البطولة بفترات اعتبرها البعض باهتة، إلا أن الحماسة تعود مع انطلاق كل نسخة جديدة. في عام 2023، أحيا العراق الروح في كأس الخليج عندما استضافت مدينة البصرة النسخة الخامسة والعشرين. كانت تلك البطولة نقطة تحول؛ حيث سجلت الجماهير العراقية حضوراً رائعاً وخلقت أجواءً استثنائية حتى في المباريات التي لم يكن المنتخب العراقي طرفاً فيها.

في النسخة الحالية بالكويت، أثبتت المنتخبات المشاركة اهتمامها بالبطولة من خلال الحضور بالصف الأول من لاعبيها، باستثناء العراق الذي اضطر للعب بدون بعض محترفيه الأوروبيين نظراً لتزامن البطولة مع ذروة المنافسات في مختلف القارات.

كأس الخليج ليست مجرد بطولة رياضية؛ إنها محطة تاريخية وثقافية تجمع شعوب المنطقة وتعززِ الروابط فيما بينها. أصبحت البطولة جزءاً من الموروث الشعبي للدول الخليجية، إلى جانب دعمها من مجلس التعاون الخليجي كمنصة لتعزيز التفاعل الثقافي والسياسي بين الدول الأعضاء.

كأس الخليج ليست مجرد بطولة رياضية؛ إنها محطة تاريخية وثقافية تجمع شعوب المنطقة وتعززِ الروابط فيما بينها. أصبحت البطولة جزءاً من الموروث الشعبي للدول الخليجية

ما القادم؟

يبقى السؤال الأهم: من سيكون بطل هذه النسخة؟ الإجابة ستأتي مع بداية العام الجديد، الذي نتمنى فيه التوفيق للكرة العربية جمعاء. وكما عودتكم «المجلة»، سنعود في العدد القادم لنكمل لكم القصة، ونكشف عن هوية البطل الذي سيخطف الأنظار هذا الشتاء.

كأس الخليج، برغم كل التحديات، ستبقى علامة فارقة في تاريخ كرة القدم الخليجية، ونقطة انطلاق مستمرة للأجيال القادمة.

قرعة التصفيات الأوروبية لمونديال 2026

مجموعات متوازنة.. مباريات واعدة

54 منتخباً تتنافس على 16 معقداً

المرمار يحيى السويد

أجريت مؤخراً قرعة التصفيات الأوروبية المؤهلة لكأس العالم القادمة في كل الولايات المتحدة وكندا والمكسيك في العام 2026 حيث قسمت المنتخبات الأوروبية الـ 53 على 12 مجموعة، تضم المجموعات السابعة والثامنة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة خمس منتخبات، فيما ضمت بقية المجموعات أربعة منتخبات.

المقاعد الأوروبية:

بعد زيادة عدد المنتخبات في النهائيات اعتباراً من النسخة القادمة، ارتفعت حصة القارة العجوز إلى 16 منتخباً، بعد أن كانت 13 منتخباً في السابق.

طريقة التأهل:

يتأهل بطل المجموعات الـ 12 مباشرة إلى النهائيات، ويتبقى 4 مقاعد تتنافس عليها المنتخبات التي تحتل وصافة المجموعات الـ 12 بالإضافة لأفضل أربعة منتخبات، في دوري الأمم الأوروبية القادمة، ممن لم تتأهل إلى النهائيات، على تقسم المنتخبات الـ 16 إلى أربع مسارات، تلعب منتخبات كل مسار نصف نهائي ونهائي، بحيث يلحق بطل كل مسار بركب المتأهلين.

المجموعات:

من بين المنتخبات الـ 54 المشاركة في التصفيات 32 منتخباً سبق لها الظهور في النهائيات، فيما هناك 22 منتخباً ستحاول الوصول إلى النهائيات لأول مرة.

المجموعة الأولى:

(الفائز من ألمانيا وإيطاليا) في ربع نهائي دوري الأمم الأوروبية الحالية – إيرلندا الشمالية – سلوفاكيا ولوكسمبورغ.

المجموعة الثانية:

سويسرا – السويد – سلوفينيا وكوسوفو.

المجموعة الثالثة:

(الخاسر من البرتغال والدنمارك في ربع نهائي دوري الأمم الحالية) اليونان – أسكتلندا وبيلاروسيا.

المجموعة الرابعة:

(الفائز من كرواتيا وفرنسا في ربع نهائي دوري الأمم الحالية) أكرانيا – أيسلندا وأذربيجان.

المجموعة الخامسة:

(الفائز من إسبانيا وهولندا في ربع نهائي دوري الأمم) تركيا – جورجيا وبلغاريا.

المجموعة السادسة:

(الفائز من البرتغال والدنمارك في ربع نهائي دوري الأمم الحالية) المجر – جمهورية ايرلندا وأرمينيا.

المجموعة السابعة:

(الخاسر من إسبانيا وهولندا في ربع نهائي دوري الأمم الحالية) بولندا – فنلندا – ليتوانيا ومالطا.

المجموعة الثامنة:

النمسا – رومانيا – البوسنة والهرسك – قبرص وسان مارينو.

المجموعة التاسعة:

(الخاسر من ألمانيا وإيطاليا في ربع نهائي دوري الأمم الحالية) والنرويج – الكيان وإستونيا.

المجموعة العاشرة:

بلجيكا – ويلز – مقدونيا – كازاخستان ولشتنشتاين.

المجموعة الحادية عشرة:

إنجلترا – صربيا – ألبانيا – لاتفيا وأندورا.

المجموعة الثانية عشرة:

(الخاسر من كرواتيا وفرنسا في ربع نهائي دوري الأمم الحالية) جمهورية التشيك – الجبل الأسود – جزر فارو وجبل طارق.

تبدأ التصفيات في آذار مارس 2025، وتنتهي في نوفمبر تشرين الثاني من نفس العام.

المشاركات الأوروبية في النهائيات:

من بين المنتخبات المشاركة في التصفيات، هناك 32 منتخباً وصلت إلى النهائيات، وهي حسب عدد المشاركات:

1- ألمانيا 20 مرة من أصل 22 أولها 1934 وآخرها 2022

2- إيطاليا 18 مرة أولها 1934 وآخرها 2014

3- فرنسا 16 مرة (1930 – 2022)

4- إسبانيا 16 مرة (1934 – 2022)

5- إنجلترا 16 مرة (1950 – 2022)

6 – بلجيكا 14 مرة (1930 – 2022)

7 – سويسرا 12 مرة (1934 – 2022)

8 – السويد 12 مرة (1934 – 2018)

9 – هولندا 11 مرة (1934 – 2022)

10 – المجر 9 مرات (1934 – 1986)

11 – بولندا 9 مرات (1938 – 2022)

12 – أسكتلندا 8 مرات (1954 – 1998)

13 – البرتغال 8 مرات (1966 – 2022)

14 – رومانيا 7 مرات (1930 – 1998)

15 – النمسا 7 مرات (1934 – 1998)

16 – بلغاريا 7 مرات (1962 – 1998)

17 – الدنمارك 6 مرات (1986 – 2022)

18 – كرواتيا 6 مرات (1998 – 2022)

19 – صربيا 4 مرات (2006 – 2022)

20 – النرويج 3 مرات (1938 – 1998)

21 – إيرلندا الشمالية 3 مرات (1954 – 1986)

22 – جمهورية ايرلندا 3 مرات (1990 – 2002)

23 – اليونان 3 مرات (1994 – 2014)

24 – تركيا مرتان (1954 – 2002)

25 – ويلز مرتان (1958 – 2022)

26 – سلوفينيا مرتان (2002 – 2010)

27 – الكيان مرة واحدة (1970)

28 – التشيك مرة واحدة (2006)

29 – أوكرانيا مرة واحدة (2006)

30 – سلوفاكيا مرة واحدة (2010)

31 – البوسنة والهرسك مرة واحدة (2014)

32 – إيسلندا مرة واحدة (2018)

المنتخبات التي لم تتأهل:

وهناك 22 منتخباً لازالت تنتظر وهي: لوكسمبورغ – كوسوفو – بيلاروسيا – أذربيجان – جورجيا – أرمينيا – فنلندا – ليتوانيا – مالطا – قبرص – سان مارينو – إستونيا – مولدوفا – مقدونيا – كازاخستان – لشتنشتاين – ألبانيا – لاتفيا – أندورا – الجبل الأسود – جزر فارو وجبل طارق.

غواردیولا... دوام الحال من المحال

المرمار
علي محمد علي

واصل مانشستر سيتي سقوطه ونتائجه السلبية في مختلف البطولات، سواء في الدوري الإنكليزي الممتاز وكأس الرابطة، أو دوري الأبطال. وكان آخرها الهزيمة 1-2 أمام أستون فيلا في الجولة 17 من «البريميرليغ»، فقد خاض الفريق 12 مباراة مؤخراً في جميع المسابقات، تعرض خلالها لتسع هزائم، منها ست في الدوري واثنتان في دوري الأبطال، بالإضافة إلى الخروج من كأس الرابطة، بعد الهزيمة أمام توتنهام 1-2 في دور الـ 16، بينما حقق فوزاً واحداً فقط في الدوري على نوتنغهام فورست 3-0، وتعادل مرتين مع فاينورد الهولندي أوروبياً 3-3، وكريستال بالاس محلياً 2-2، مما وضع ضغطاً كبيراً على المدير الفني الإسباني، بيب غواردیولا (53 عاماً)، الذي يواجه موجة من الانتقادات الحادة.

ويواجه غواردیولا حملة اتهامات وتشكيك في قدرته على إخراج «السيتي» من هذه الأزمة، إذ لم يشهد طوال مسيرته التدريبية هذا التراجع في الأداء، وفقدان الحلول والأفكار اللازمة للخروج من هذا المنحدر، وهو صاحب الفلسفة الكروية المبدعة، التي حقق بها نجاحات كبيرة مع كل الأندية التي دربها، إذ فاز مع برشلونة خلال الفترة من عام 2008 إلى 2012 بـ14 لقباً، أبرزها ثلاثة ألقاب في «الليغا» الإسبانية، وأحرز دوري أبطال أوروبا مرتين، محققاً سداسية تاريخية مع «البلاوغرانا» بموسم 2009-2010، بينما قاد بايرن ميونيخ الألماني، اعتباراً من العام 2013 إلى 2016، توجها بسبعة ألقاب، منها ثلاثة ألقاب بـ«البوندسليغا» ولقب كأس العالم للأندية، قبل أن ينتقل إلى مانشستر سيتي، منذ عام 2016، محرزاً 18 لقباً حتى الآن، من بينها ستة ألقاب بـ«البريميرليغ»، منها أربع مرات متتالية، محققاً رقماً قياسياً بـ100 نقطة في موسم 2017-2018، بالإضافة إلى تحقيق حلم دوري الأبطال في 2023.

ويُلقب بيب غواردیولا (53 عاماً) بـ«الفيلسوف» و«الداهية»، بفضل فلسفته الكروية الاستثنائية، التي صنعت له مسيرة حافلة بالإنجازات في عالم التدريب. ورغم نجاحاته الكبيرة، فإن البعض يراه محظوظاً بوجود كوكبة من النجوم، الذين يمتلكون إمكانات استثنائية، ساعدت في تحقيق تلك البطولات. فمع برشلونة كان لديه جيل لا يُنسى من اللاعبين، مثل ميسي وتشافي وإنييستا. ومع بايرن ميونيخ، قاد لاعبين، ومنهم: فرانك ريبيري وفيليب لام ومانويل نوير وأرين روبن، وروبرت ليفاندوفسكي، إلى ألقاب عديدة. ومع مانشستر سيتي، كان هناك يايا توريه، وسيرجيو أغويرو، ورياض محرز، وبرناردو سيلفا، وكيفين دي بروين، والإسباني رودري، وصولاً إلى النجم النرويجي، إيرلينغ هالاند، الذي أصبح أحد أبرز المهاجمين في العالم.

وبدأ مانشستر سيتي الدوري الإنكليزي هذا الموسم بنتائج مخيبة، إذ يحتل المركز السابع برصيد 27 نقطة من 17 مباراة، محققاً ثمانية انتصارات، وثلاثة تعادلات، ونال ست هزائم، وسجل الفريق 29 هدفاً، بينما استقبل 25، مما يعكس تدني الحالة الدفاعية للفريق، في حين يتربع ليفربول على صدارة «البريميرليغ» منفرداً، برصيد 39 نقطة، وله مباراة مؤجلة أمام إيفرتون، يليه تشيلسي بـ35 نقطة، وأرسنال بـ33 نقطة، كما يعاني «السيتي» تراجعاً ملحوظاً في دوري الأبطال، بعد احتلاله المركز 22 برصيد ثماني نقاط بعد ست جولات، محققاً فوزين فقط على سلوفان السلوفاكي (4-0) وسبارتا التشيكي (5-0)، بينما تعادل مع إنتر ميلان الإيطالي 0-0 وفاينورد الهولندي 3-3، وتعرض لخسارتين ثقيلتين أمام سبورتينغ لشبونة البرتغالي (1-4) ويوفنتوس الإيطالي (0-2)، وسجل 13 هدفاً وتلقى تسعة أهداف. ورغم هذه النتائج، فقد جدد بيب غواردیولا عقده مع النادي، في نوفمبر/تشرين الثاني الماضي، حتى 2026. لكن، يظل الفريق يواجه تحديات كبيرة في معالجة الثغرات الدفاعية، وغياب الإبداع، وتراجع القدرة على صناعة الفرص والأهداف، والعجز عن إيجاد الحلول.

وسبب غياب رودريغو رودري عن مانشستر سيتي فراغاً كبيراً في التوازن بين الأدوار الدفاعية والهجومية، مما أثر بوضوح على أداء الفريق، إلى جانب تراجع القوة الهجومية للسيتي على نحو لافت، فقد سجل عشرة أهداف فقط في الدوري خلال آخر شهرين، كما يعاني النجم النرويجي، إيرلينغ هالاند، تراجعاً في مستواه، بعدما أحرز هدفين فقط في آخر ثماني مباريات، رغم تصدره قائمة الهدافين الموسم الماضي، مكتفياً بـ13 هدفاً فقط، ليحتل المركز الثاني خلف النجم المصري محمد صلاح، الذي سجل 15 هدفاً هذا الموسم.

ويثير تراجع مستوى الفريق في الآونة الأخيرة تساؤلات حول فلسفته التدريبية، خاصة مع غياب الحلول والأفكار التي اعتاد عليها، رغم امتلاكه كوكبة من النجوم، مثل هالاند ودي بروين، إلا أن أداء الفريق بات يتسم بالفتور، مما يدفع البعض للاعتقاد بأنه فقد شغفه ورغبته في تحقيق المزيد من الألقاب.

وتزايدت الانتقادات له بعد التفريط في لاعبين مثل كول بالمر، الذي أصبح أحد أبرز نجوم الدوري الإنكليزي مع تشلسي. ورغم هذه الظروف الصعبة، لا توجد إشارات من إدارة النادي حول رحيله، خاصة بعد سلسلة من الهزائم غير المسبوقة... فهل تكون كأس العالم للأندية 2025 في الولايات المتحدة، والتي سيواجه فيها الوداد المغربي، والعين الإماراتي ويوفنتوس الايطالي، آخر مهامه مع السيتي؟ أم يأتي الانفصال والرحيل قريباً دون الانتظار لنهاية الموسم؟ وهل يحقق حلمه بتدريب منتخب كبير، مثل البرازيل، بعد كأس العالم 2026؟ قد تأتي الإجابة في الأسابيع المقبلة، لكن يبدو أن رصيده من النجاح قد نفد، مع الواقع المرير الذي يواجهه الآن.

يثير تراجع مستوى الفريق في الآونة الأخيرة تساؤلات حول فلسفة غواريولا التدريبية، خاصة مع غياب الحلول والأفكار التي اعتاد عليها، رغم امتلاكه كوكبة من النجوم، مثل هالاند ودي بروين، إلا أن أداء الفريق بات يتسم بالفتور، مما يدفع البعض للاعتقاد بأنه فقد شغفه ورغبته في تحقيق المزيد من الألقاب

أرقام محمد صلاح «الخيالية»!

خلدون الشيخ

يبرز من دون منازع النجم المصري محمد صلاح الذي يستمر في خطف الأنظار واثارة الدهشة والاعجاب بأهدافه، المسجلة والمصنوعة، الى درجة أنه بات يزاحم أعظم الأساطير في تاريخ الدوري الانكليزي الممتاز وأيضاً ناديه ليفربول، فبعد هدفين سجلهما وآخرين صنعهما، خلال الفوز الساحق على توتنهام الاحد الماضي، بات في صدارة الهدافين في صراعه مع «الماكينة» ايرلنغ هالاند على جائزة الحذاء الذهبي في نهاية الموسم.

لا شك أن صلاح أصبح أيقونة العرب في العالم الكروي، رغم الكثير من «العتب» والمآخذ على مواقفه السياسية، أو على قلتها، الا أنه كروياً لا يعلى عليه، ويستحق عن جدارة لقب «فخر العرب» كروياً فحسب. فصاحب الأهداف الـ15 في الدوري والتي صنع خلاله 11 هدفاً أيضاً، جعلته على قمة الهدافين والصانعين، بل ورغم عدم اليقين على مستقبله مع «الريدز»، حيث ينتهي عقده في نهاية الموسم الجاري من دون الوصول الى اتفاقٍ حتى الآن، ويحق لأي ناد خارج انكلترا التفاوض معه بدءاً من مطلع السنة الجديدة، الا أنه ما زال يحطم الأرقام ويسجل انجازات غير مسبوقة، جعلته يقارن مع أفضل مع لعب في البريميرليغ على مر تاريخه.

ربما سمعنا كثيراً عبارات الاشادة المبالغ بها والزائدة على الحد، لكن في الواقع تخصيص هذه المساحة في هذا التوقيت من السنة لابراز «روعة» النجم المصري، مستحقة عن جدارة، للنجم الذي سجل 12 هدفاً في آخر 12 مباراة، ويلعب بلياقة بدنية وكأنه شاب في مطلع العشرينات، ويذكرنا الى حد كبير بلياقة النجم البرتغالي كريستيانو رونالدو. فصلاح الذي ساهم في تسجيل وصنع 33 هدفا لليفربول هذا الموسم في مختلف المسابقات (سجل 18 وصنع 15)، وهي أكثر بـ4 أهداف من أي لاعب آخر في كل الدوريات الأوروبية الخمس الكبرى، حطم 3 أرقام قياسية بعد مباراته الاخيرة أمام توتنهام، فأصبح أول لاعب يسجل ويصنع 10 أهداف أو أكثر قبل فترة الأعياد (الكريسماس)، وأول لاعب يسجل ويصنع على الأقل 10 أهداف في 4 مواسم متواصلة، وأول لاعب يفعل ذلك في ستة مواسم متواصلة، متخطيا أسطورة مانشستر يونايتد وين روني (5 مواسم).

والآن سيطارد صلاح رقماً قياسياً آخر هذا الموسم، وهو تصدر الهدافين حتى النهاية للمرة الرابعة، ليعادل رقم أسطورة أرسنال تييري هنري. وصلاح سجل على الأقل 18 هدفا في كل موسم من المواسم السبعة الماضية، وهو سجل ومستوى مغايرٍ تماما لما يمر به هداف السيتي هالاند، الذي سجل 27 هدفاً الموسم الماضي، و36 هدفا قبله، وفي مطلع الموسم الجاري بدا وكأنه مستمر في تألقه، عندما سجل 10 أهداف في أول 5 مباريات، لكنه لم يسجل سوى 3 أهداف في آخر 13 مباراة ما سمح لصلاح بتخطيه.

لكن هذه الأرقـام القياسية أين تترك صلاح بين عظماء البريميرليغ؟ والاجابة بكل بساطة هو أسطورة، حتى عندما يرحل عن «أنفيلد» ستبقى ذكراه خالدة كونه أحرز كل الألقاب الممكنة مع النادي، وهو في المركز الرابع على لائحة الأعلى تسجيلاً في تاريخ النادي بـ229 هدفا في 373 مباراة، ويبتعد فقط بـ12 هدفا عن غوردن هودجسون الثالث، ويسبقه روجر هانت (285) وايان راش (346)، وبقياس معدل أهدافه حتى الآن فانه بحاجة الى لعب نحو 190 مباراة ليحطم الرقم.

وبالنسبة لمقارنته مع عظماء البريميرليغ، فانه سجل 172 هدفاً وضعته في المركز الثامن في قائمة الهدافين التاريخيين.

وعندما نضع أرقام صلاح في تسجيل الأهداف وصنعها معاً، فهو يصبح بين أعلى النجوم، فهو صنع وسجل 252 هدفاً في 279 مباراة وضعته في المركز السابع في قائمة الاعلى صنعاً وتسجيلاً.

وبعد كل هذه الأرقام هل يعقل أن ادارة ليفربول ما زالت تفكر في التخلي عن تجديد العقد؟ في الواقع فانها ستنفق أضعاف ما ستدفعه راتباً لصلاح لتعويض فقدان هذه الأرقام بمواهب جديدة، وصلاح لن يجد نادياً وفريقاً بمثل زملائه في ليفربول...

كلمة حرة مباشرة

أبو تريكة في قلوب المصريين

محمد رضوان

ليس بالضرورة أن تكون قديساً ليهبك الله السداد في الرأي، ولا لزاماً أن تكون طاهراً ليمنحك الله الحكمة، ولا حتماً أن تكون قاضياً لتتخذ من الحق سبيلاً، فالرُشد وسداد الرأي فضل من الله يَهبه لمن يشاء، والبصيرة والتعقُّل رزق من المولي عز وجل، فلا عجب إن بدا الحق ممن لا تتوقع، ومن حيث لا تدري، ولا غرو إذا ما خذل الحق أعيان البشر.

واللاعبون في عالم المستديرة أنواع ثلاث.

الأول، هم الذين منحهم الله الإمكانية والقدرة، ووهبهم كذلك العقل الذي يُهذب هذه المنحة الربانية، فكان هذا صَوْناً وحمايةً لموهبتهم، فمارسوا كرة القدم بعقولهم أكثر ما مارسوها بأقدامهم، ثم سجلوا أسماءهم بحروف ذهبية في سجلات الأساطير.

والنوع الثاني، هم هؤلاء الذين يمتلكون أنصاف المواهب وينتظرون أنصاف الفرص، أملاً في حجز جزء صغير من خارطة كرة القدم، وقد عرف هؤلاء قدورهم جيداً، فلم يحاولوا مناطحة السحاب، بل عملوا على مجاراته والتظلل بظله، فاحترموا كرة القدم قبل أن يحترموا أنفسهم، وأظن أن غالب لاعبي كرة القدم من هذا النوع الثاني، النوع الذي موروثه الأول والأخير هو الالتزام.

أما النوع الأخير، فهم من منحهم الله القدرة التامة على التميز، لكنهم بكل حماقة وطيش وفساد عقول، بَددوا هذه القدرة خارج البساط الأخضر، ولما حاولوا ممارسة اللعب، تعرّوا أمام مواهبهم، وكانت أنفسهم خطراً عليهم، فذهبوا وذهبت ريحهم، بعد أن دوّنوا أسماءهم مع الرعناء الطائشين.

وأظن أن محمد أبو تريكة من النوع الأول، لما لا؟ ، فهو واحد من هؤلاء الذين كتبوا أسماءهم في سجل الأساطير المرصع بالجواهر والأحجار الكريمة، ومع هذا كله، فإنه يظل مرثية ناي علي مسرح إغريقي عتيق، وعنوان روايةٍ حكايات البريء، إنه حبيس محكمة نقض تجعل البينة على المدَّعى عليه، بعد أن أخذوه بالشبهات حسب قانون الكذب الأخرق، وأصروا على لصق بُقعة سوداء فوق ثوبه الأبيض، ورغم ذلك، ولأن عيون الحب ساهرة وقلبه عامر بالحقيقة، لم يجرؤ أحد على النيل من الحب الرابض في قلوب عاشقيه، هذا الحب الذي يمنح شهادات مدي الحياة للمخلصين.

أبو تريكة يعشق سياسة الاجتياح الناعم اللطيف، ويستهويه فن القتل الهادئ، لذلك فهو يحمل وجه عصفور وابتسامة طفل ومخالب شاهين، خارج البساط يشبه القط الوديع، أما داخله فهو أسد أشوس، لذلك انحنت أمامه أعتى الترسانات الدفاعية عندما كان لاعباً، ولما صار جزءاً من ستوديوهات التحليل، امتلك كل مفردات البلاغة الكروية والفصاحة الموثوقة.

يبتسم أبو تريكة كلما رشقوه بمدافع الادعاء الثقيلة، ويضحك كلما جَلدوه بسياط التُهم الشنعاء، ويقهقه حينما يجعلوه مجرما ويسلبوه حيثيات الدفاع، لكنه يستسلم للبكاء حينما يتذكر المعذبين في الأرض، ويكاد ينفطر ألماً كلما وقف أمام الشاشات، ليعلن حنقه وسخطه، وفي كل مرة يضرب وجه الخـذلان بسياط الصراحة، ويستأصل الحقيقة من قلوب المتقاعسين كأمهر جراح، يُجري عملياته الضخمة بلا مسكنات أو مُخَدرات.

أحلمُ - ومثلي كثير- بأن يروه في أنسالهم وأفلاذ أكبادهم، لما لا؟ وهو المتهم بالأخلاق الرفيعة والأناقة الفطرية، وحوكم بالدماثة والخلق القويم، واتخذوا دماثته حرزاً للقضية، فكانت ضحكته سلاحاً نافذاً في وجه التواطؤ، وكلماته الصارمة بلسماً للمتوجعين المتألمين.

خَبّرُوا الأرض، خَبّرُوا خطوط الطول، خَبّرُوا خطوط العرض خَبّرُوا الهرم والعلَم، خَبّرُوا التاريخ والجَغرافيا، خَبّرُوا الكهول والصبايا

خَبّرُوهم جميعاً، أنه ها هنا، قابع في قلوب المصريين.

● أديب الرياضة

أزمة تراجع الكرة الإيطالية!

المرمار عبد الكريم البليخ

كرة القدم الإيطالية، التي كانت تُعد يوماً ما قبلة لعشاق الساحرة المستديرة، شهدت تراجعاً ملحوظاً على مدار العقدين الأخيرين. فبعد أن كان (الدوري الإيطالي) أفضل دوري في العالم خلال الثمانينات والتسعينات، يعاني اليوم من مشكلات هيكلية أثرت على جاذبيته محلياً وعالمياً.

ومن أهم مبررات التراجع الحالي لكرة القدم الإيطالية يمكن إرجاعه إلى عدة أسباب جوهرية. فإيطالية تعاني من أزمة اقتصادية مستمرة منذ مطلع الألفية، ما انعكس على موارد الأندية. لم تعد الأندية الإيطالية قادرة على مجاراة نظيراتها الأوروبية الكبرى في التعاقدات مع النجوم. بينما قامت أندية مثل باريس سان جيرمان ومانشستر سيتي باستثمار مبالغ ضخمة لاستقطاب أفضل اللاعبين، اكتفت الأندية الإيطالية بتعاقدات محدودة أو التركيز على المواهب المحلية، التي لم تعد بجودة الماضي، فضلاً عن أن معظم ملاعب الدوري الإيطالي قديمة وبحاجة إلى تحديث، في حين أن أندية إنجلترا وألمانيا استثمرت في بناء ملاعب حديثة توفر تجربة أفضل للجماهير، بقيت الملاعب الإيطالية متأخرة من حيث التصميم والعائد الاقتصادي.

في عصر تعتمد كرة القدم الحديثة على التسويق والعلامات التجارية العالمية، فشلت الأندية الإيطالية في تحسين صورتها عالمياً. لم تستطع منافسة أندية مثل ريال مدريد وبرشلونة في بناء قاعدة جماهيرية عالمية أو تطوير علاماتها التجارية.

لطالما عُرفت إيطاليا بإنتاج لاعبين محليين من الطراز الأول مثل مالديني، ديل بييرو، وتوتي. لكن في السنوات الأخيرة، أصبح عدد اللاعبين المميزين أقل مقارنة بالدوريات الأخرى، ما أثر على قوة الدوري وأداء المنتخب الوطني.

رغم التحديات، هناك محاولات جادة من بعض الأندية لإعادة الدوري الإيطالي إلى القمة:

يعكس أداء المنتخب الإيطالي أيضاً مستوى الكرة المحلية. رغم فوزه ببطولة أمم أوروبا 2020، فشل المنتخب في التأهل لكأس العالم 2018 و2022، ما يدل على مشكلات عميقة في تطوير اللاعبين المحليين

نابولي: العودة إلى الأضواء

يُعد نابولي أبرز نموذج للنجاح في السنوات الأخيرة. نجح الفريق في تقديم موسم استثنائي تُوج فيه بلقب الدوري الإيطالي موسم 2022–2023، معتمداً على مزيج من اللاعبين الشباب والمدرب المميز. هذا النجاح يعكس إمكانيات الأندية الصغيرة إذا ما استثمرت بشكل صحيح.

إنتر ميلان: قوة تنافسية في أوروبا

إنتر ميلان استعاد بعضاً من بريقه بعد تتويجه بالدوري الإيطالي موسم 2020–2021 ووصوله إلى نهائي دوري أبطال أوروبا موسم 2022–2023. نجاح النادي يرتكز على إدارة أكثر استقراراً واستقطاب لاعبين مميزين مثل لاوتارو مارتينيز ونيكولو باريلا.

أتلانتا: نموذج للابتكار

أتلانتا يمثل وجهاً جديداً للدوري الإيطالي، حيث أثبت أن الاستثمار في اللاعبين الشباب وتطويرهم يمكن أن يحقق نتائج مبهرة. رغم قلة موارده مقارنة بالكبار، يُعد أتلانتا اليوم من أبرز المنافسين في الدوري.

رغم تحسن أداء بعض الأندية، يبقى ترتيب الدوري الإيطالي أقل من الدوريات الأوروبية الكبرى. لا يزال الدوري الإنجليزي الممتاز في القمة بفضل قوته المالية وأدائه التسويقي، يليه الدوري الإسباني والألماني. يأتي الدوري الإيطالي في المركز الرابع عالمياً، مع منافسة من الدوري الفرنسي.

يعكس أداء المنتخب الإيطالي أيضاً مستوى الكرة المحلية. رغم فوزه ببطولة أمم أوروبا 2020، فشل المنتخب في التأهل لكأس العالم 2018 و2022، ما يدل على مشكلات عميقة في تطوير اللاعبين المحليين.

لتجاوز هذا التراجع، تحتاج الكرة الإيطالية إلى إصلاحات جذرية، ومنها جذب مستثمرين قادرين على ضخ الأموال لتطوير البنية التحتية واستقطاب اللاعبين، وتحديث الملاعب وتعزيز تجربة الجماهير هو مفتاح لزيادة الإيرادات، وعلى الاتحاد الإيطالي والأندية الاستثمار في الأكاديميات وبرامج تطوير الشباب، ناهيك بتعزيز العلامة التجارية للدوري الإيطالي عالمياً من خلال الشراكات والرعايات.

رغم التحديات، لا تزال كرة القدم الإيطالية تمتلك مقومات العودة إلى القمة. استناداً إلى تاريخها العريق وأنديتها العريقة، يمكن للدوري الإيطالي استعادة بريقه إذا ما تم تنفيذ الإصلاحات اللازمة. ولكن، في الوقت الراهن، يبقى الدوري في ظل الدوريات الأوروبية الأخرى، مع بصيص أمل يلوح في نجاحات نابولي وإنتر ميلان وأتلانتا.

رغم التحديات، لا تزال كرة القدم الإيطالية تمتلك مقومات العودة إلى القمة. استناداً إلى تاريخها العريق وأنديتها العريقة، يمكن للدوري الإيطالي استعادة بريقه إذا ما تم تنفيذ الإصلاحات اللازمة

إلى كادرنا المتميز في المزمار

مع حلول عام جديد، نجدد في (مجلة المزمار) اعتزازنا بكم وبما تقدمونه من إبداع وتفانٍ.
لقد كان عامنا الماضي شاهداً على جهودكم الاستثنائية التي جعلت
من كل عدد شعلة من نور ومعرفة تصل إلى قرائنا الأعزاء.
مع بداية هذا العام، نُعبّر عن فخرنا بالعمل مع فريق مخلص، متجدد الأفكار، يسعى دوماً للابتكار والتميز. أنتم القلب النابض للمجلة، وبفضل شغفكم وروح الفريق التي تتحلون بها، نواصل تحقيق أهدافنا ورسم ملامح المستقبل بإصرار وأمل.
نتمنى لكم عاماً مليئاً بالصحة والسعادة والنجاح، ولعائلتنا في (المزمار) المزيد من التألق والإبداع.
وكل عام والمزمار بفضل جهودكم في قمة النجاح.. وإلى مزيد من التميز والإبداع

ولمتابعينا وقرائنا الأكارم

فخورون بمتابعتكم لما نقدمه في «المزمار».. ونتمنى أن يكون عامكم القادم
مليئًا بالإنجازات والفرح، وأن يكتب لكم السعادة في كل خطواتكم.

وكـــــل عـــــــام وأنتـــــم بخيـــــر..

الإدارة
مجلة المزمار

كرة القدم الإيطالية
آمال وطموحات.. ولكن؟

المزمار | رضوان علي الحسن

كانت كرة القدم الإيطالية على مدار العقود الماضية واحدة من أكثر الدوريات إثارة وتنافسية في العالم. شهدت فترة الثمانينات والتسعينات وحتى مطلع الألفية الحالية ذروة مجد الدوري الإيطالي، حيث ضم أفضل اللاعبين العالميين مثل دييغو مارادونا، رونالدو الظاهرة، زين الدين زيدان، بالإضافة إلى نجوم محليين بارزين كمالديني، ديل بييرو، وتوتي. لكن في السنوات الأخيرة، تراجع مستوى الكرة الإيطالية بشكل كبير، حيث هيمن يوفنتوس على البطولات المحلية لسنوات متتالية. هذا التراجع يعود إلى عوامل متعددة أثرت على الأداء العام للأندية والمنتخبات الإيطالية.

ومن أهم أسباب تراجعها الأزمة الاقتصادية العالمية التي كانت لها تأثير كبير على الأندية الإيطالية، حيث حال ذلك دون استقطاب اللاعبين الكبار الذين كانوا يفضلون الانتقال إلى دوريات أكثر استقراراً من الناحية المالية، مثل الدوري الإنجليزي الممتاز والدوري الإسباني. الأندية الإيطالية عانت من نقص في الموارد المالية، مما انعكس سلباً على جودة اللاعبين والمنافسة. وكذلك انخفاض مستوى المواهب المحلية مقارنة بالماضي كان عاملًا آخر في تراجع الكرة الإيطالية.

الأندية الإيطالية لم تعد تخرج مواهب بارزة كما كان الحال في الفترات السابقة، مما أثر على أداء الفرق الوطنية والأندية على حد سواء. ناهي بأن كرة القدم الحديثة تعتمد بشكل كبير على الاستثمار والتجارة، وهما عنصران تفتقر إليهما الأندية الإيطالية. في الوقت الذي تشهد فيه أندية مثل مانشستر سيتي وباريس سان جيرمان طفرة بفضل الملاك الذين يستثمرون بكثافة في تحسين الفرق والبنية التحتية، لا تزال الأندية الإيطالية تعاني من نقص الاستثمار اللازم لتحقيق نفس المستوى من التطور.

وللنهوض بها، يمكن ذلك في حال جذب المستثمرين، ما يعني ذلك تحقيق نهضة جديدة يتطلب جذب ملاك قادرين على زيادة دخل الأندية واستعادة مجدها في البطولات المحلية والأوروبية. الاستثمار في تطوير البنية التحتية وتقديم رواتب تنافسية يمكن أن يجذب لاعبين ومدربين متميزين. إضافة إلى تطوير الأكاديميات الشبابية، وهذا ما يجب التركيز عليه لاكتشاف وصقل المواهب المحلية. تحسين التدريب والاهتمام بتطوير اللاعبين الشباب يمكن أن يسهم في رفع مستوى الكرة الإيطالية بشكل عام. علاوة على ذلك، فإن الاهتمام بالتسويق لجهة زيادة العائدات التجارية من خلال جذب الرعاة والإعلانات والمبيعات يمكن أن يسهم في تعزيز الموارد المالية للأندية. هذا يتطلب استراتيجية تسويقية فعالة تستفيد من التاريخ العريق للكرة الإيطالية.

فتراجع كرة القدم الإيطالية يظل له أسبابه. بعد أن كانت تُعد يوماً ما قبلة لعشاق الساحرة المستديرة، شهدت تراجعاً ملحوظًا على مدار العقدين الأخيرين. بعد أن كان (الدوري الإيطالي) من أفضل دوريات كرة القدم في العالم خلال الثمانينات والتسعينات، يعاني اليوم من مشكلات هيكلية أثرت على جاذبيته محليًا وعالميًا.

عبد الكريم البليخ

الورقة الأخيرة

هل الإنسان ضحية التقدم؟

من نافذة صغيرة في الطائرة، ومع اقترابها من أرض المطار، امتدت نظراتي عبر السماء لتلتقط مشهدًا مألوفًا لكنه مشوّه. قوس قزح ليس من صنع الطبيعة، بل ألوان مصطنعة تمتد على هياكل السيارات التي تغمر الشوارع، والميادين، والمستديرات. مشهد يعكس حضارة حديثة، ولكنها تخنق جمالها بالحديد والإسمنت.

منذ خمسة وعشرين عاماً، في أول رحلة لي بالطائرة إلى الولايات المتحدة الأميركية في يوليو/تموز 1999، كان المشهد مختلفًا تماماً. كانت عينيّ تتأملان حقولاً خضراء، رمزاً للحياة والخصوبة، وأشجاراً متشبثة بربيعها في مواجهة حرارة الصيف. أما الآن، فقد استُبدلت تلك الألوان الحيّة بأخرى صناعية. الحمر، والصُفر، والزُرق، والخُضر لم تعد زهوراً في حدائق الطبيعة، بل ألوان سيارات حديثة، تعبّر عن حضارة حولت المساحات الخضراء إلى طرق مزدحمة وأبراج شاهقة.

الهواء النقي الذي اعتدناه في الماضي، حيث كانت السماء صافية تعكس روح الحياة، تلاشى تحت غطاء سميك من السموم. غازات قاتلة كالأزوت والمازوت وثاني أكسيد الكربون أصبحت جزءاً من حياتنا اليومية. تشكل هذه السموم طبقة غبارية خانقة، تلوث رئاتنا وتُقدم الموت إلينا بالتقسيط.

ما كنا نعتبره إنجازاً حضارياً، أصبح معولاً يهدم طبيعتنا وصحتنا. مدننا الحديثة استبدلت الصفاء بالنفثات السامة، والبهجة بالخوف من المستقبل.

تغير البشر كما تغيرت المدن. الوجوه النضرة التي كنا نراها في الصبا، تحولت إلى وجوه متعبة مصفرة كأنها فقدت الأكسجين النقي الذي كان يغذي الأرواح. أصبحت القرى الصغيرة، التي كانت رمزاً للهدوء، مدناً تعج بالضجيج والحديد.

كل أسرة تقتني سيارات تعادل نصف أفرادها على الأقل، مما يضيف إلى زحام الطرقات وحوادث المرور التي باتت مشهداً يومياً مألوفاً. دوائر المرور تغص بالمراجعين: تسجيل السيارات، نقل ملكياتها، أو التحقيق في حوادث مرور مأساوية.

في المستشفيات، تعلو أصوات الثكالى على فقدان أحبائهم بسبب حوادث مميتة. الكراجات تملأها السيارات التالفة، تحوّلت إلى حطام يكلف الملايين التي تذهب سدى. شركات التأمين مشغولة بمتضررين يسعون لتعويض خسائر لا تعوضها الأموال.

إعلانات النعي في الصحف السوداء باتت مشهداً يومياً. شباب في عمر الزهور تُنعيهم كلمات الأسى والمواساة، ولكن لا تعيدهم الحياة. وكالات استيراد السيارات، التي كانت رمزاً للتقدم، أصبحت أشبه بمحلات „الحانوتي"، تبيع نعوشاً معدنية تسير بالبشر نحو نهاياتهم.

لم تعد أسواقنا كما كانت. اختفت الخيول، والإبل، والشعراء، لتحل مكانها أساطيل السيارات الحديثة. معاطن الإبل، التي تغنى بها شعراؤنا القدماء، أصبحت مواقف ضخمة تكتظ بسيارات تحمل أختام مصانع اليابان وألمانيا وأميركا.

ما كنا نراه في الماضي من بساطة وجمال أصبح ذكريات، حلت محلها مظاهر حديثة فقدت روح الأصالة والهدوء.

عندما حطت الطائرة أخيراً، استيقظت على صوت المضيفة. قررت السير إلى المنزل بدلاً من ركوب السيارة، أبحث عن هدوء الماضي على قدميّ. لكن الطريق لم يكن أرحم. السيارات بالمئات تطاردني بدخانها السام وضجيج عجلاتها.

لم أجد خياراً في النهاية إلا ركوب سيارة، أشعر داخلها بأمان نسبي، رغم أنها جزء من هذه الحضارة التي تقتلنا بهدوء.

ما نعيشه اليوم ليس حضارة حقيقية. إنها نسخة مشوهة، اغتالت الإنسان والطبيعة معاً. الهواء النقي أصبح دخاناً ساماً، والأشجار التي كانت تمنحنا الأمل حلت محلها أبراج خرسانية خالية من الروح.

الموت الذي كان يأتي مرة واحدة أصبح يُجزأ. مع كل نفس نتنفسه، ومع كل خطوة نخطوها في هذا العالم „الحديث"، نفقد جزءاً من حياتنا.

السؤال الأهم: هل نستطيع أن نستعيد ما فقدناه من نقاء الطبيعة وروح الإنسان؟ أم أن هذه الحضارة ستستمر في اغتيالنا حتى آخر رمق؟

التقدم الذي نعيشه يجب أن يكون وسيلة لتحسين حياتنا، لا وسيلة لتدميرها. ربما يكون الوقت قد حان لإعادة التفكير في مفهوم الحضارة، واستبدال الدخان بالهواء النقي، والضجيج بالهدوء، والحديد بالبساطة التي كانت تمنحنا الحياة.

لماذا ندعم المزمار؟

«المزمار» مجلة ثقافية رياضية جامعة، تصدر عن المركز العربي للإعلام والثقافة في العاصمة النمساوية فيينا، لتصل إلى عالمنا العربي بنبض متجدد وشغف لا يهدأ. من أجل استمراريتها، ومنعاً لانطفاء جذوتها، نؤمن بأهمية دعمها لتظل على عرش الصحافة الثقافية التي تلبي تطلعات القراء، مع الحرص على تقديم كل ما هو جديد ومثير.

هذا الدعم هو امتنان للزملاء الذين يبذلون قصارى جهدهم، ويقضون أوقاتاً طويلة لإعداد مواد صحفية دسمة وسط ظروف قاسية، حتى تصلنا في مطلع كل شهر بما تحمله من ثراء فكري ومتعة للقراء.

لماذا ندعم «المزمار»؟

◆ لدعم استمراريتها وتألقها: «المزمار» ليست مجرد مجلة؛ إنها مشروع ثقافي يضيء عوالمنا، ويستحق أن نسانده ليبقى منارة صحفية.

◆ لشغفنا بهذا الاسم: اسم «المزمار» له سحر خاص وهالة تجذب العشاق، فهو يعبر عن أصالة لا يمكن التفريط بها.

◆ لأنها تعيدنا للزمن الجميل: «المزمار» تحملنا إلى الماضي العريق، حيث النجوم الكبار الذين خلدهم التاريخ، وتذكرنا بقيمتهم التي لا تغيب عن الذاكرة.

◆ لما تقدمه من محتوى حيّ ومميز: ما يقدمه فريق العمل من مواد صحفية غنية ومبتكرة يطرب النفوس ويشبع العقول، بفضل إبداع الزملاء المنتشرين حول العالم.

◆ لأنها رمز العشق الأبدي: «المزمار» ليست مجرد مجلة، بل هي قصة حب مع جمهورها، نسعى لضمان استمرارها وإعلاء شأنها حرصًا على مكانتها وتاريخها الكبير.

◆ لتحقيق استقلاليتها: ندعم «المزمار» كي تبقى مستقلة عن أي ضغوط أو إملاءات، مما يعزز قدرتها على تحقيق أهدافها والطموحات المشتركة.

◆ لأنها تجسد الالتزام المهني:
نريد أن تظل «المزمار» متألقة، محافظة على صدق رسالتها وأصالتها بعيداً عن أي مغريات قد تؤثر على مسارها.

كيف يمكنكم المساهمة؟

ندعوكم لدعم «المزمار» عبر منصاتها الرسمية، لضمان بقائها مصدراً للإلهام والإبداع، وحفاظاً على رسالتها الثقافية التي تخاطب كل محبي الكلمة الصادقة والفن الراقي.

بإمكانكم الدعم عبر منصتي

patreon https://www.patreon.com/user?u=120256199

PayPal https://paypal.me/Alsa8ar?country.x=DE&locale.x=de_DE